

ترجمة الشريف الرضى

من كتاب نهج البلاغة

هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق عليه السلام . ولد سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، كان أبوه النقيب أبو أحمد جليل القدر عظيم المنزلة ، فى دولة بنى العباس ودولة بنى بُويه ، ولقب بالطاهر ذى المناقب ، وخاطبه بهاء الدولة أبو نهر بن بُويه بالطاهر الأوحى ، وولى نقابة الطالبیین خمس دَفَعَات ، ومات وهو مُتَقَلِّداً ، بعد أن حالقته الأمراض ، وذهب بصره ، وتوفى عن سبع وتسعين سنة ، فإن مولده كان فى سنة أربع وثلثمائة ، وتوفى سنة أربعمائة ، وقد ذكر ابنه الرضى أبو الحسن مبلغ عمره فى قصيدته التى رثاه بها فى قوله :

سبع وتسعون اهتبلن لك العدا حتى مضوا وغبرت غير مُذَمَّم
ودفن أولاً فى داره ، ثم نقل منها إلى مشهد الحسين عليه السلام ، وهو الذى كان السفير بين الخلفاء وبين الملوك من بنى بُويه ، والأمراء من بنى تَحمَدان وغيرهم ، وكان مبارك الغُرّة ، ميمون النقيبة مهيباً نبيلاً ، ماضع فى إصلاح أمر فاسد إلا وصلح على يديه ، وانتظم بيمن سفارته وبركة همته ، وحسن تديره ووساطته ، ولاستعظام عضد الدولة أمره ، وامتلاء صدره وعينه به ، حين قدم العراق قبض عليه ، وحمله إلى القلعة بفارس ، فلم يزل بها إلى أن مات عضد الدولة ، فأطلقه شرف الدولة أبو الفوارس شير ذيل بن عضد الدولة ، واستصعبه

في جملته حيث قدم إلى بغداد ، وملك الحضرة . ولما توفي عضد الدولة ببغداد كان عمر الرضى أبى الحسن أربع عشرة سنة ، وأم الرضى فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر الأصم صاحب الديلم ، وهو أبو محمد الحسن بن على بن الحسن بن على بن عمر بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب ، عليهم السلام ، شيخ الطالبيين وعالمهم ، وزاهدٌهم وأديبهم وشاعرهم ، ملك بلاد الديلم والجبل ، ويُلقب الناصر للحق ، وحفظ الرضى القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة . وحفظه في مدة وجيزة ، وعرف من الفقه والفرائض طرفاً قوياً ، وكان عالماً شاعراً أديباً مُفلقاً ، فصيح النظم ضخم الألفاظ ، قادراً على القريض ، متصرفاً في فنونه ، إن قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجيب ، وإن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يُشق له فيه غبار ، وإن قصد في المراثي جاء سابقاً والشعراء تقطع أنفاسها على أثره ، وكان مع هذا مترسلاً ، ذا كتابة قوية ، وكان عفيفاً شريف النفس عالى الهمة ، ملتزماً بالدين وقوانينه ، ولم يقبل من أحدٍ صلة ولا جائزة ، حتى إنه ردّ صلوات أبيه . وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلم ، فأما بنو بويه فإنهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل ، وكان يرضى بالإكرام ، وصيانة الجانب ، وإعزاز الأتباع والأصحاب ، وكان الطائع أكثر ميلاً إليه من القادر ، وكان هو أشدّ حباً للقادر ، وأكثر ولاءً للطائع منه للقادر .

قرأ الشريف القرآن على أبي إسحاق الطبري الفقيه المالكي ،
وتوفي الرضى في شهر المحرم من سنة ست وأربعمائة ، وحضر الوزير
فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته ، والصلاة
عليه ، ودفن في داره بمسجد الأنباريين بالكرك ، ومضى أخوه
المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام ،
لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ، ودفنه وصلى عليه فخر الملك ،
ومضى بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الحسيني وألزمه
بالعودة إلى داره .

وحدثت نزار بن معدّ العلوي الموسوي أن المفيد أبو عبد الله
محمد بن النعمان الفقيه الإمامي رأى في منامه كأن فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخلت إليه وهو في مسجده بالكرك ومعهما
ولداها الحسن والحسين عليهما السلام صغيرين ، فسألهما إليه ،
وقالت له : علمهما الفقه ، فانتبه متعجباً من ذلك ، فلما تعالى النهار
في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا ، دخلت إليه المسجدة فاطمة
بنت الناصر وحولها جواربها ومن بين يديها ابناها محمد الرضى وعلى
المرتضى صغيرين ، فقام إليهما وسلم ، فقالت : أيها الشيخ . هذان
ولداي قد أحضرتهم إليك لتعلمهما الفقه ، فبكى أبو عبد الله ، وقصّ
عليهما المنام ، وتولى تعليمهما ، وأنعم الله تعالى عليهما ، وفتح لهما من
أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق الدنيا ، وهو باق
ما بقى الدهر .

مؤلفات الشريف الرضى

للشريف الرضى مؤلفات كثيرة نذكر منها ما يأتى :

- ١ — ديوان شعر مطبوع فى مجلدين
- ٢ — الحسن من شعر الحسين ثمانية أجزاء مخطوط
- ٣ — المجازات النبوية وهو الكتاب الذى بين أيدينا
- ٤ — مجاز القرآن
- ٥ — مختار شعر الصابى
- ٦ — مجموعة مادار بينه وبين أبى إسحاق الصابى من الرسائل

مؤلفات عن الشريف الرضى

- ١ — عبقرية الشريف الرضى للدكتور زكى مبارك
- ٢ — الشريف الرضى لمحمد رضا آل كاشف الغطاء
- ٣ — الشريف الرضى لعبد المسيح محفوظ
- ٤ — الشريف الرضى لحنان نمر

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعدَ حَمْدِ اللَّهِ سبحانه بِمُحَمَّدِهِ التي يستحقها ، واختصاص نبيه
مُحَمَّدَ وآله الطاهرين بالصلوات التي هم أهلها ، فإنني عرفت ما شافهتني
به من استحسانك الحبيثة^(١) التي أطلعته ، والدفينة^(٢) التي أثمرتها
من كتابي الموسوم^(٣) بـ (تلخيص البيان عن مجازات القرآن) ،
وأني ساءت من ذلك محجة^(٤) لم تُسلك ، وطرقت باباً لم يُطرق ،
وما رغبت إلى فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب
يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ،
إذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ، ولُمع^(٥) البيان الغريبة ،
وأسرار اللغة اللطيفة ، يعظم النفع باستنباط معانيها ، واستخراج

(١) الحبيثة : فعيلة بمعنى مفعولة أي الخبأة ، وأطلعته : أظهرتها بعد أن
كانت مخبأة .

(٢) الدفينة مثل الحبيثة أي المدفونة ، وأثمرتها : أظهرتها ، والمراد بالدفينة
والحبيثة كتابه تلخيص البيان كما سيوضحه .

(٣) الموسوم : العلم : أي المسمى بتلخيص البيان ، وأصل الوسم أثر الكي ،
واليسم : الكوأة وهي الحديدية التي تحمى في النار ويكوى بها ، وأطلق الوسم على
الاسم لأن كليهما يعلم ما هو فيه ، غير أن علامة الأول حسية والثاني معنوية .

(٤) المحجة : الطريق .

(٥) اللمع جمع لمعة : وهي القطعة المضيئة من الشيء .

كوامنها ، وإطلاعها من أكتمتها^(١) وأكتنيتها ، وتجربدها من خلها^(٢) وأجفانها ، فيكون هذان الكتابان بإذن الله ثمتين^(٣) يستضاء بهما وعرنين^(٤) لم أسبق إلى قرع بابهما ، فأجبتك إلى ذلك مستخيراً الله سبحانه فيه على كثرة الأشغال القاطعة ، والعوائق المانعة ، والأوقات الضيقة ، والهموم المخنقة ، وعملت بتوفيق الله على تتبع ما في كلامه صلى الله عليه وعلى آله من ذلك ، والإشارة منه إلى مواضع الذكك ومواقع الغرض بالاعتبارات الوجيزة والإيماءات الخفيفة على طريقتي في كتاب « مجازات القرآن » لئلا يطول الكتاب ، فيجفو^(٥) على الناظر ، ويشق على الناقل ؛ فإن القلوب في هذا الزمان ضعيفة عن تحمل أعباء العلوم الثقيلة ، والإجراء في مسافات الفضائل الطويلة ،

(١) الأكمة والأكام : أوعية الثمار التي تغلفها . قال تعالى : (وما تخرج من ثمرات من أكامها) والأكتان جمع كن وهو البيت والمراد هنا لإخراج أسرار اللغة من الأحاديث النبوية الشريفة فكأن الأحاديث أبيات للأسرار .

(٢) قال في القاموس المحيط : (الحلة بالكسر جفن السيف المغشى بالأدم أو بطانة يغشى بها جفن السيف ، والسير يكون في ظهر القوس وكل جلدة منقوشة والجمع خلل وخلل وجمع الجمع أخلة) والأدم في كلام القاموس هو الجلد ، فالخلل من أجفان السيوف المغطاة بالجلد والمراد استخراج كوامن الأسرار من أكامنها المخبوءة فيها .

(٣) سبق بيان اللمعة في رقم (٥) في الصفحة السابقة .

(٤) عرنين الشيء أوله ، والمراد هنا أن الكتاتين أولان في بابهما لم يسبق الشريف الرضى أحد في التأليف في موضوعيهما .

(٥) يجفو على الناظر أى يثقل عليه .

أنه لم يبق من الفضل إلا الذم^(١) ، ومن الفضلاء إلا الأسماء .
 لله الحمد على السراء والضراء ، والبؤس والنعماء . ولست شاكاً
 أن ما يفوتني من الجنس الذي أقصده أكثر من الحاصل لي
 الواقع إليّ ، ولكنني أقتصر على ما تناله في هذا الوقت يدي ،
 يقرب من تصفحي وتأملّي ، وإذا ورد بمشيئة الله من هذه الآثار
 فيه موضع مجاز قد تقدم الكلام على نظير له أريد ما يقوم مقامه ،
 فتصرت على القول الأول ، طلباً للاقتصاد ، ووقوفاً دون الإبعاد ،
 لي مثل الأصل المقرر في كتاب « مجازات القرآن » . ولولا أن
 عليّ محمد بن عبد الوهاب قد سبق إلى تفسير متشابه الأخبار التي
 لها هذا التشبيه والتجسيم^(٢) ، وصريحها التجوير والتظيم^(٣) ،
 استقصى هذا المعنى في كتابه الموسوم بشرح الحديث . وتمامي ذلك
 جماعة غيره من علماء أهل العدل^(٤) في مواضع من كتبهم ، لتبعت
 هذا الفن جميعاً تتبعاً يكشف الشبه ، ويوضح المشتبه ، على طريقتي في

(١) الذم : بقية الروح ، أي لم يبق من الفضل إلا شيء قليل كالذي يبق
 من الروح في إنسان أوشك على الهلاك .

(٢) التشبيه : أي تشبيه الله تعالى بالحوادث ، والتجسيم أي جعل الله تعالى جسماً .

(٣) التجوير : أي نسبة الله تعالى إلى الجور في حكمه على عباده ، والتظيم
 سببه إلى ظلم عباده .

(٤) أهل العدل هم المعتزلة لأنهم يقولون إن أفعال العباد مخلوقة لهم وليست مخلوقة
 تعالى ، لأنها لو كانت مخلوقة لله لما جاز أن يعاقب عباده على فعلها لأنه يكون
 قبيحاً على مالم يفعلوا وأهل السنة يردون عليهم بأن الله خلق أفعال العباد وإنما
 يعاقبهم على مباشرتها وعلى اختيار فعلها .

كتابي الكبير الموسوم (بحقائق التأويل في متشابه التنزيل) إلا أنني
 بعون الله أورد من ذلك ما كان داخلًا في باب الاستعارات اللغوية
 بكلمة ، أو بسعة كثيرة من سعة^(١) ، والذي أعتمد عليه في استخراج
 ما يتضمن الغرض الذي أنحو نحوه ، وأقصد قصده ، كُتِبَ غريب
 الحديث المعروفة ، وأخبار المغازي المشهورة ، ومسانيد^(٢) المحدثين
 الصحيحة ، مضيفاً إلى ذلك ما يليق بهذا المعنى من جملة كلامه عليه
 الصلاة والسلام ، الموجز الذي لم يُسَبَقَ إلى لفظه ، ولم يُفْتَرَعْ من
 قبله ، وجميع ذلك مما أتقننا بعضه رواية ، وحصلنا بعضه إجازة^(٣)
 وخرّجنا بعضه نصفحاً وقراءة ، مستمدين في ذلك ، وفي سائر الأنح
 والمراعى والمطالب والمغازي ، توفيقَ الله سبحانه ، الذي يهونُ الشد
 ويقرّبُ البعيد ، ويذلّلُ الصعب إذا أبى ، ويقوّمُ المعوجَّ إذا التوى
 وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلنا وإليه نعيب .

(١) يريد أنه يتعرض لما كان داخلًا في باب الاستعارات اللغوية دخولاً
 ظاهراً ، أو يحتمل احتمالاً راجعاً الدخول في باب الاستعارات اللغوية .
 (٢) المسانيد : جمع مسند وهو كتاب الحديث الذي نسبت فيه الأحاديث
 إلى روايتها .
 (٣) الإجازة : هي أن يجيز الأستاذ لتلميذه التحديث بعد أن يصبح قادراً
 ذلك ، وقد سميت بعض الشهادات التي تمنح للعلماء بالإجازة تشبيهاً بذلك .

١ — فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ مَتَّكُمُ بِأَفْلَازٍ كَبِيدَهَا » ، وفي رواية أخرى : « قَدْ أَلَقْتُ إِلَيْكُمْ مَلَاذَ^(١) كَبِيدَهَا » ، وهذه من أنصع العبارات وأوقع الاستعارات . قال ذلك عليه الصلاة والسلام عند خروجه إلى بدر للقتال ، وقد رجع قريش^(٢) من مكة مُجْلِبَةً^(٣) عليه ومُحْلِبَةً^(٤) إليه ، وكان المسلمون ظفروا ببعض فرّاطهم^(٥) ، فأتوا به النبي عليه الصلاة والسلام ، ماله عن خرج في ذلك الجمع من عِلْيَةٍ^(٦) قريش ، فقال فلان وفلان ، عدّد قاداتهم وذاداتهم^(٧) ، والوجوة والسادات منهم ، فقال عليه

(١) الفلذ : كبذ البعير ؛ والفلذة القطعة من الكبذ ومن الذهب والفضة ، اللحم والجمع أفلاذ ويكثر استعمال الأفلاذ في قطع الكبذ كما سيذكره المؤلف بعد ذلك ، والفلذ بكسر الفاء وسكون اللام .

(٢) ذكر المؤلف الفعل ولم يؤثته لأن الفاعل وهو قريش مؤنث مجازي بوزن في فعله التذكير والتأنيث لأن المراد بقريش القبيلة ، وقد ذكر وصفها مؤثراً هو مجلبة ومحبلة .

(٣) الجلبة : اختلاط الصوت ، وجلب وأجلب صاح ، ومن ذلك قوله تعالى بليس : (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) سورة الإسراء ٦٤ ، أى صح عليهم غوياً لهم ، ومعنى مجلبة عليه ، صائحة عليه تطلب النفرة لقتاله .

(٤) حلب القوم وأحلبوا : اجتمعوا من كل وجه ، ومعنى محلبة إليه أى مجتمعة من كل وجه صائرة إليه .

(٥) الفراط جمع فارط : وهو السابق المتقدم يقال : « فرط إليه رسوله بمعنى دمه وأرسله » .

(٦) علية القوم سادتهم أى الأعلون منهم ، وهو جم على بوزن فعيل .

(٧) النادة جمع ذائد : وهو المدافع المناضل عن الشيء .

الصلاة والسلام : هذه مكة قد رمتكم بأفلاذ كبدها .

ولهذا الكلام معنيان :

﴿ أحدهما ﴾ أن يكون المراد به أن هؤلاء المعدودين صميم قريش ومحضها ولبائها وسيرها ، كما يقول القائل منهم : فلان قلب في بني فلان إذا كان من صرحائهم ، وفي النضار من أحسابهم ؛ فيجوز أن يكون المراد بالكبد هاهنا كالمراد بالقلب هناك لتقارب الشئيين^(١) وشرف العضوين ، فيمكنني باسم كل واحد منهما عن العلق^(٢) الكرمي واللباب الصميم . والأفلاذ : القطع المتفرقة عن الشيء ، وقل ما يستعمل ذلك إلا في الكبد خاصة . قال الشاعر :

تَكْفِيهِ فِلْدَةٌ كَبْدَانٍ أَلَمَ بِهَا

من الشواء وَيَرَوِي شُرْبُهُ الْغُمُرُ^(٣)

﴿ والمعنى الآخر ﴾ أن يكون المراد بذلك أعيان القوم ورؤساؤهم والعرايين^(٤) المقدمة منهم ، فكأنه عليه الصلاة والسلام أقام مكة

(١) يريد الشريف أن يكون معنى الكبد هو القلب ، وقد يطلق الكبد كثيراً على القلب في لغة العرب ، ومن ذلك قول الشاعر :

كَأَنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحِهَا عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ اخْتَفَقَانٍ

(٢) العلق : النفيس ، وقد وصفه المؤلف بالكريم .

(٣) قال في القاموس في مادة « الغمر » : وكسر د ، قدح صغير أصغر الأقداح .

(٤) سبق بيان معنى العرايين وأنه من كل شيء أوله ص ١٠

مقام الحشا التي تجمع هذه الأعضاء الشريفة كالقلب والذئط^(١) ،
الكبد والفؤاد^(٢) ، وجعل رجال قريش كشعب الكبد التي تحنو
عليها الأضالع ، وتشتمل عليها الجوانح ، وقاية لها ، ورفرفة عليها .

٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد نظر إلى أحد
منصرفه^(٣) من غزاة خيبر : « هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » ، وهذا
القول محمول على المجاز ، لأن الجبل على الحقيقة لا يصح أن يحب
ولا يحب ، إذ محبة الإنسان لغيره إنما هي كناية عن إرادة النفع له ،
أو التعظيم المختص به على ما بيناه في عدة مواضع من كتابينا المشهورين
في علوم القرآن^(٤) ، وكلا الأمرين لا يصح على الجحد : لا التعظيم المختص
به ، ولا الدفع العائد عليه ؛ فستحيل أن يعظم ، أو يعظم ، أو ينفع ،

(١) الذئط : الفؤاد ، وهو القلب فهو من عطف المرادف .

(٢) الفؤاد : هو القلب فتكون هذه الكلمات الأربع راجعة إلى كلمتين
« القلب والكبد » .

ما في الحديث من البلاغة :

استعمال الأفلاذ في الناس استعارة تصريحية ، وتشبيه مكة بالشخص الذي له كبد
وحذفه استعارة مكنية وإثبات الكبد إلى مكة تخيل .

(٣) منصرفه : اسم زمان من الفعل انصرف والمعنى وقت انصرافه من
غزوة خيبر .

(٤) هما « حقائق التزويل ودقائق التأويل » و « تلخيص البيان عن مجازات
المقرآن » .

ما في الحديث من البلاغة .

استعمال الجبل في ساكنيه مجاز عقلي علاقته المحلية ، من إطلاق المحل وإرادة
الحال ، وكذلك المجاز في الحديث الآخر نهران مؤنان ونهران كافران على التأويل
الذي ارتضاه الشريف الرضى .

أو ينتفع به ؛ فالمراد إذا أن أحداً جبل يحبنا أهله ، ونحب أهله
وأهله هم أهل المدينة من الأنصار ، أَوْسِيَهُمْ وَخَزَرَجِيَهُمْ ، وغير خاف
حبهم للنبي عليه الصلاة والسلام وحبهم لهم ، وتعظيمهم له وإعظامهم
لقد رهم . ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام في كلام طويل
ولو سلك الأنصار شعباً ، وسلك الناس شعباً ، اسلكت شعب
الأنصار ، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار ، إلى غير ذلك من
الكلام الذى يطول بذكره الكتاب ، ويتقضى قاعدتنا فى الاختصار
ومثل هذا الحديث ما روى عنه عليه الصلاة والسلام فى حديث آخر
قال : « نَهْرَانِ مُؤْمِنَانِ ، وَنَهْرَانِ كَافِرَانِ . أَمَّا الْمُؤْمِنَانِ : فَالنَّيْلُ
وَالْفُرَاتُ . وَأَمَّا الْكَافِرَانِ : فَدِجْلَةُ ، وَنَهْرُ بَلَخٍ » . والأولى أن
يكون تأويل هذا الخبر إن كان صحيحاً كتأويل الخبر المتقدم ، فكانا
عليه الصلاة والسلام قال : أهل هذين النهرين مؤمنون ، وأهل هذين
النهرين كفرون ، وتكون هاتان الصفتان جارييتين على هذه الأنهار
فى وقت مخصوص ، أو على الأغلب من الأحوال فى زمان معلوم .
لأن من أهل هذين النهرين المؤمن والكافر ، كما أن من أهل ذينك
النهرين البر والفاجر . وقد قيل فى ذلك قول آخر لست أرتضيه ،
وهو أن يكون إنما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه والتمثيل
لكثرة انتفاع الناس بسقيهما كالانتفاع بالمؤمنين ، وجعل دجلة
ونهر بلخ كافرين ، لقلة الانتفاع بهما كقلة الانتفاع بالكافرين .

القول الأول أخلق بالصواب ، وأشبه بالمراد .

٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ مَاؤُهُمْ ، وَيَسْتَعِي بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُّ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ » ^(١) ، فقوله عليه الصلاة والسلام : وهم يدُّ على من سِوَاهُمْ استعارة ومجاز . ولذلك وجهان :

﴿ أحدهما ﴾ أن يكون شبه المسلمين في التضافر ، والتوازر ^(٢) ، الاجتماع ، والترافد ^(٣) باليد الواحدة التي لا يخالف بعضها بعضاً في السط ، والقبض ، والرفع ، والخفض ، والإبرام ، والنقض . وقد سمي أنصار الرجل وأعوانه يدأ على طريق الاتساع ، تشبيهاً لهم باليد التي ينتصر بها ويدافع بقوتها . قال الراجز :

أَعْطَى فَأَعْطَانِي يَدَا وَدَارَا وَبَاحَةً خَوَّلَهَا عَقَارَا ^(٤)

(١) الحديث أخرجه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر بلفظ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويجير عليهم أقصاهم إوهم يد على من سواهم ، ورد مشدhem على مضغهم ، ومسرهم على قاعدهم ، لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد في عهده » .

(٢) التوازر والتآزر : التعاون ، ومن ذلك الوزير لأنه يعين الملك ، قال تعالى في سورة طه على لسان موسى عليه السلام : « واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخى » .

(٣) الترافد : التعاون من الرشد ، وهو العطاء والصلة .

(٤) الباحة : الساحة والنخل الكثير ، والمراد هنا الثانى ، ومعنى خولها عقارا جعلها ملكاً ثابتاً كالعقار . واليد في البيت معناها القوة ، وقد فسرهما المؤلف بالأعوان والأنصار لأنهم مصدر القوة .

يقول : بوأنى داراً ، وأحف بى أعواناً ، وأنصاراً .

﴿ والوجه الآخر ﴾ أن يكون اليد هاهنا بمعنى القوة فكأنه على الصلاة والسلام قال : وهم قوة على من سواهم ، والقوة أحد المعاني التى يعبر عنها باسم اليد ، وقد استقصيت ذلك فى كتابى الكبير الموسوم « بحقائق التأويل » ، وذكرت أن قول القائل : لا أفعل ذلك يدّ الدهر ، معناه عندى لا أفعل ذلك قوة الدهر ، أى ما داه الدهر قوى الأركان قائم البنيان . فأما الحديث الآخر عنه عليه الصلاة والسلام ، وهو قوله : « عليكم بالجماعة فإنّ يدّ الله على الفسّطاط » . فليس المراد باليد فيه كالمراد باليد فى الحديث الأول بل المراد باليد هاهنا حفظ الله ورعايته كما يقول القائل : مالى فى يد فلان . إذا أراد أنه حافظ له وأمينه عليه . والفسطاط هاهنا البلد ومنه سمى فسطاط مصر ، فكأنه عليه الصلاة والسلام ، أمرهم بلزوم الجماعة فى الأمصار ونهاهم عن الانشعاب والافتراق . ولم يرد أن يخرج من المصر خارج عن قبضة الله ومملكته ، لكنه خارج عن حفظه ورعايته . وإنما أمرهم بلزوم الأمصار لأنها فى الأكثر مواضع الجماعة ، وإلا فالأمر على الحقيقة إنما هو بلزوم الجماعة ولو كان أهلها فى أكناف الفياض ومطارح البوادي^(١) .

(١) مافى الحديث من البلاغة :

فى قوله عليه الصلاة والسلام « وهم يد » تشبيه بليغ حيث حذفت أداة التشبيه =

٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الخيل: «ظهورها حرزٌ وبطونها كنزٌ» وهذا القول خارج على طريق المجاز لأن بطون الخيل على الحقيقة ليست بكنز . وإنما أراد عليه الصلاة والسلام أن أصحابها ينتجونها من الأفلاء^(١) ما تنمي به أموالهم ، وتحسن معه أحوالهم ، فهم باستيداع بطونها نطف الفحولة^(٢) كمن كنز كنزاً إذا أراد وجده ، وإذا لجأ إليه دعم^(٣) ظهره كما يكون الكانز عند الرجوع إلى كنزه ، والتعويل على ما تحت يده . وقوله عليه الصلاة والسلام ، وظهورها حرزٌ أوضح من أن نوضحه . والمراد أنها منجاة من المعاطب ، وماجأة عند المهارب^(٤) .

= ووجه الشبه ، وكان الأصل وهم كاليد في الاتصال والترباط وعدم الخلاف ، وهذا على المعنى الأول الذي ذكره المؤلف . أما على المعنى الثاني فهو استعارة تصريحية حيث استعمل اليد في القوة .

(١) الفلو كبر ، والفلو كعدو ، والفلو كسمو : المهر إذا قطم عن الرضاع ، أو بلغ السنة وجمعه أفلاء كما هنا ، وفلاوى كصحارى . والمعنى أن الخيل تلد المهارى التى تكون مالا عظيماً كالكنز .

(٢) الفحولة : جمع فحل وهو ذكر الخيل .

(٣) دعمه : قواه .

(٤) حرز الشيء : هو الذى يصونه إذا وضع فيه ، وظهور الخيل تصون راكبها من الهلاك فيهرب بها من الأخطار فينجو ، ويسبق عليها عدوه فلا يلحق به .
ما فى الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ حيث جعل ظهور الخيل حرزاً في الصيانة وبطونها كنزاً في النماء والإنتاج ، وكان الأصل بطونها كالنز في النماء وظهورها كالحرز في الصيانة غذفت أداة التشبيه ووجهه .

٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « فِي الْجَنَيْنِ غُرَّةٌ : عَبْدٌ أَوْ أُمَةٌ » ^(١) وفي هذا الكلام مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام إنما جعل العبد ، أو الأمة غُرَّةً ^(٢) لأنهما أفضل ما يملكه المالك ، وأفخره ، وأطهره . وأشهره . ولذلك سمي أيضاً في لسانهم الفرس غُرَّةً لأنه من أنفـس ما يملك . ولمثل هذا المعنى أيضاً ما سَمَوْا الخيل جبهة . وفي الحديث المشهور : ليس في الجبهة ، ولا في الذَّخَّةِ ، ولا في الكُسْعَةِ صدقةٌ . والذَّخَّةُ الرقيق ، ومن قال الذَّخَّةُ بالضم قال هي البقر العوامل ، والكُسْعَةُ الحمير . وهذا أشهر الأقوال في معنى هذا الحديث قال ابن أحر :

إِنْ نَحْنُ إِلَّا أَنْاسٌ أَهْلُ سَائِمَةٍ وَمَا لَهُمْ دُونَهَا حَرْثٌ وَلَا غُرٌّ
أى ليس لهم زرع يُعْتَمَد ، ولا خيل تُقْتَمَد . وقال الآخر :
كُلُّ قَتِيلٍ فِي كُلِّيبِ غُرَّةٍ حَتَّى يَنَالَ الْقَتْلُ آلَ مَرْءٍ
يقول : كل قتيل يقتله بكليب من غير آل مَرْءٍ لا يقتله
بِوَاءٍ ^(٣) ، ولا نَرْضَى به كِفَاءً ، وكان فحوى الكلام ، أن العبد
والأمة والفرس من أظهر الأسماء المملوكة وأدناها على وفارة الثروة ،

(١) الحديث أخرجه الشوكاني والبخارى ومسلم وأحمد .

(٢) الغرة بياض في الجبهة ؛ وأول ضوء الصبح ، ومن ذلك قول الشاعر :

وبدا الصبح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

(٣) أى كفاء وبدلاً ، وقد فسرهما المؤلف بعد ذلك .

وفضامة النعمة . لأن غيرها من الأعراض ^(١) في الأكثر لا يشتهر اشتهاؤها ، ولا يفتشر انتشارها .

٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ . قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا عَسَلَهُ ؟ قَالَ : يَفْتَحُ لَهُ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ عَمَلًا صَالِحًا يُرْضَى حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ مَنْ حَوَلَهُ » ^(٢) . وفي هذا الكلام مجازان :

﴿ أحدهما ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام عَسَلَهُ ، وهو مأخوذ من العسل كما يقول القائل : عَسَلْتُ الطعامَ إذا جعل فيه عسلا ، وسمَّنتُهُ إذا جعل فيه سمًّا ، وزَيْتُهُ إذا جعل فيه زيتًا . ومعنى عسله : أى جعل عمله حلواً يحمّده الصالحون ويرضاه المتقون ، فيكون كالشئ المعسول الذى يسوغ فى اللّهُوات ^(٣) ، ويَلدّ على المذاقات .

(١) الأعراض : جمع عرض بوزن سهم ، وهو مال التجارة ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس . ماقى الحديث من البلاغة :

فى استعمال الغرة فى العبد والأمة استعارة تصريحية ، حيث شبه العبد والأمة بالغرة فى الحسن وإدخال السرور على النفس .
(٢) الحديث أخرجه أحمد بن حنبل والطبرانى فى الكبير عن أبى عتبة ورواه فى الفتح الكبير بلفظ غسله بالعين .

(٣) اللّهُوات : جمع لهواة وهى أول الخلق . قال فى القاموس : اللّهُاة اللحمة المشرفة على الخلق أو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم ، والجمع لهوات ولهيات ولهى ولهاء ولهاء ، ومراده بما يسوغ فى اللّهُوات ما يحلو ويستطعم عند الأكل أو الشرب .

﴿ والحجاز الآخر ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : بين يدي موته . ولا يد للموت على الحقيقة . ولكنها كناية عن الشيء الواقع أمام الشيء المتوقع . وقد تكلمنا على هذا المعنى في كتاب مجازات القرآن عند قوله سبحانه في البقرة : « فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا » . وعند قوله تعالى في سبأ : « إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » . وذلك كما تقول : لمن يسأل عن أحد بالعشيرة وهو سالك طريق ، وسائل عن رفيق : هاهوذا بين يديك ، أى قد تقدمك ، ولا يقال ذلك إلا فيما إذا كنت وراءه ، وهو أمامك ، لا فيما كنت أمامه وهو وراءك . وكل ذلك إنما يراد به في الأكثر تقريب الشيء من الإنسان حتى كأنه لفاف يده^(١) وقراب^(٢) تناوله : كما تقول : هذا الشيء أخذ يدي ، أى ممكن لها ، وقريب من تناولها .

(١) قال في القاموس اللافاف بالكسر : ما يلف بها على الرجل وغيرها ، والجمع لفائف ، ومهاد الشريف بلفاف يده أنه متصل به كاللفاف .

(٢) قال في القاموس : وقراب الشيء بالكسر وقرابه وقرابته بضمهما ، ما قارب قدره ، والمراد هنا ما وصل إلى حد تناوله حتى يكون أخذه سهلاً . مافي الحديث من البلاغة :

في قوله : عسله : استعارة تصريحية حيث شبه توفيق العبد إلى العمل الصالح بوضع العسل فيه واستعمل عسله بدل وقفه إلى العمل الصالح ، وفي قوله : بين يدي موته استعارة بالكناية حيث شبه الموت بشخص له يدان وحذفه ورمز له بشيء من لوازمه وهو البدان ولانبات اليدين للموت تخييل ، فقول الشريف : « ولكنها كناية عن الشيء » ليس معناه الكناية الاصطلاحية ، وإنما معناه الاستعارة بالكناية .

٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « وَيَلْ لِقَمَاعِ الْقَوْلِ وَيَلْ الْمُصْرِينَ »^(١) . وفي هذا الكلام مجاز واستعارة ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ، غنى به الذين يكثرون استماع الأقوال واختلاف الكلام . . فيكون ذلك تالماً^(٢) في دينهم ، وقادحاً في يقينهم ، فشبّه عليه الصلاة والسلام آذانهم بالأقماغ التي يفرغ فيها ضروب القول إ فراغ المائعات . وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى ؛ لأن الآذان هي الطرق التي يوصل منها إلى الصدر ، والأنقاب^(٣) التي يدخل منها على القلوب ، فهي أبواب موصلة ، وطرق مبلّغة . وقد حمل بعض العلماء هذا الحديث على تأويل غير مشبه لفحوى اللفظ ؛ لأنه قال المراد بذلك الذين تتكرر المواعظ على أسماعهم ، وهم مع ذلك مصرون على المعاصي ، وموضعون^(٤) في طرق المغاوى . وهذا القول ، وإن كان سائغاً ، فإن الأشبه بظاهر الكلام أن يكون على ما قدمت القول فيه من ذم من يجعل سمعه

(١) بقية الحديث : « الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون ، والله ما خلق الله خلق رجل وخلقه ، فتطعمه النار » ، وقد رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة مرفوعاً . انظر كشف الخفا ج ٢ ص ٣٤٠

(٢) قال في القاموس : « تلم الإناء والسيف ونحوه : كضرب وفرح وتلمه فائلم كسر حرفه فانكسر » فيكون معنى « تالماً في دينهم » مشوهاً في دينهم وناقصاً له .

(٣) الأنقاب : جمع نقب وهو الثقب .

(٤) موضعون : مسرعون ، ومن ذلك قوله تعالى : « ولأوضعوا خلالكم يغفونكم الفتنه » .

مساغاً الأقوال المختلفة ، والأنباء المتضادة ^(١) ويكون قوله عليه الصلاة والسلام: المصيرين ، تماماً لهذا المعنى المراد ، ومبالغة في وصف هؤلاء المذمومين بكثرة استماع الأقوال ، فيكون ذلك من قولهم : أصرّ الفرس أذنيه إذا نصبهما للتوجس ؛ لأنه يقال : أصرّ أذنيه ، وصرّ بأذنيه ^(٢) . وهذا التأويل لم أعلم أحداً سبقني إليه .

٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام حين أتاه الفضل

(١) المعنى أنهم يسمعون كل قول ولا يأبونه كما يقبل القمع كل سائل يوضع فيه ولا يأباه .

(٢) فيكون المعنى : ويل المصيرين آذانهم للاستماع ، أى الذين ينصبونها للتوجس والنقاط الأخبار ، ولكن هذا المعنى لا يتلاءم مع بقية الحديث الذى ذكرناه وهو « الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » فلا معنى لنصب الأذنين على الفعل الذى فعلوه ، والمناسب أن يكون يصرون مأخوذاً من قولهم : « ناقة مصرة » وهى التى لا تدر اللين فهى باقية على حالها لا تتغير عنه ، كما أن الثابتين على فعلهم السىء الذين لا يتحولون عنه إلى فعل الخير كذلك ، فيكون معنى ويل المصيرين ، ويل للثابتين المقيمين على السوء ، ويترتب على ذلك أن يكون النهى فى الحديث على المعنى الثانى عن شيئين هما استماع كل قول ، والإصرار على الفعل السىء وعدم التحول عنه ، أما على المعنى الأول فيكون النهى عن شىء واحد وهو استماع كل قول والإصرار له ، أى نصب الأذن له والتلف عليه ، ولذلك قال الشريف فيكون المصيرين تماماً لهذا المعنى ، ولا شك أن المعنى الذى ذكرناه أولى .

ماق الحديث من البلاغة :

فى أقام القول استعارة نصريحية سبق بيان التشبيه فيها حيث استعمل كلمة أقام فى الناس الذين يستمعون كل قول وذكر القول قرينة ، وفى استعمال المصيرين فى الذين لا يتحولون عن فعلهم ، استعارة نصريحية حيث شبه الناس بالناقة المصرة التى لا تدر ، وهذا على المعنى الذى ذكرناه أما على المعنى الذى ذكره الشريف فيكون شبه شدة الحرص على السماع بنصب الفرس أذنيه واستعمال المصيرين فى ذلك استعارة نصريحية أيضاً .

ابن العباس وابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب يسئلانه عن
أبويهما السقاية^(١) فتوا كلا الكلام^(٢) ، فقال عليه الصلاة والسلام :
«أخْرِجَا مَا نَصُرَانِ»^(٣) . وفي هذا القول استعارة لأنه عليه السلام
أراد أظهر ما نكتمان في قلوبكما وصرّحاً بما تلجلج به ألسنتكما ،
فجعل القلب بمنزلة الوعاء والنكتمان بمنزلة الوكاء^(٤) ، والأمر المكتوم
بمنزلة الشيء الموعى^(٥) . وكل شيء جمعه فقد صرّته ، ومنه قيل
للأسير مصرور إذا جمعت يداه بالغل^(٦) وقدماه بالحجل .

(١) أى يسئلانه أن ينوب كل منهما عن أبيه في تول سقاية الحجاج ، وكانت
سقاية الحجاج من مظاهر الشرف عند العرب في الجاهلية ، وكانوا يعتبرونها عملاً
يؤهل للرياسة في الإسلام أيضاً وقد رد الله عليهم بقوله «أجعلتم سقاية الحاج
وعماره المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟ لا يستون
عند الله » .

(٢) توكلا الكلام : أى طلب كل منهما من صاحبه أن يتكلم نيابة عنه كأنه
جمعه وكلا عنه أو توكل عليه في بيان ما يريد .

(٣) صر المتاع : وضعه في الصرة وهي كيس يوضع فيه الشيء ويصر أى يربط
حتى يحفظ مافيه . والمعنى الوضعى لهذا اللفظ أخرجا ما تخفيانه من شيء في الصرة .
(٤) الوكاء : الرباط الذى يربط به المتاع ، وفي الحديث : العنان وكاء السه
فن نام فليتوضأ .

(٥) الموعى : أى الموضوع في الوعاء ، اسم مفعول من أوعى بمعنى وضع
الشيء في الوعاء .

(٦) الغل : القيد يوضع في اليد أو في العنق ، والحجل القيد أيضاً ، ولكنه
يستخدم في الرجل لأنه يكون كالخلخال ، والخلخال يسمى الحجل .

ما في الحديث من البلاغة :

استعمال تصران بدل نكتمان استعارة تصريحية حيث شبه النكتمان بصر المتاع
والقرينة ، أنهما توكلا الكلام .

٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في عُمرَةَ الحَذْيَبِيَّةِ
عِنْدَ كَلَامِ جَرَى فِي شَأْنِ قُرَيْشٍ : « فَإِنْ اتَّبَعُونَا اتَّبَعْنَا مِنْهُمْ
عُنُقٌ بَقَاعُهَا اللَّهُ » ، وفي هذا القول استعارة ، لأنه عليه الصلاة
والسلام شبه من تبعه منهم في المتلاحق والامتداد والجد والاجتهاد
بالعنق الواحدة التي لا تختلف أجزاؤها ، ولا تتباين أعضاؤها ، فهو
أشد لقوتها ، وأوهن لصدمتها . وعلى هذا المعنى قول الشاعر ،
وَأَنْشَدَنَا هُ شَيْخَنَا أَبُو الْفَتْحِ عُمَانُ بْنُ جُنَى الْفَحْوَى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي حَالِ
الْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ :

أَبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَا
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ عُنُقٌ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتًا ^(١)
ولقول الشاعر : عُنُقٌ إِلَيْكَ مَعْنِيَانِ :

﴿ أحدهما ﴾ أن يكون على الوجه الذي ذكرناه أولاً من تشبيه
الطالبين له ، والقاصدين إليه ، بالعنق في التلاحق إلى فئائه ،
والسرع إلى لقائه .

﴿ والمعنى الآخر ﴾ أن يكون أراد : أهل العراق على توقع لوروده
وتشوق إلى طلوعه ، فهم كالعنق الممتدة نحوه ، وذلك على المتعارف

(١) قال في القاموس : هيت به صاح ودعاه ، وهبت لك مثلك الآخر ، وقد
يكسر أوله أي هلم . والمعنى أن العراق وأهله متفقة على الرضا بك ، كالعنق في
التصاق بعضها ببعض والتفافها بمدودة إليك تريد حضورك فأقبل إليها .

بيننا من قول القائل منا إذا أراد أن يعبر عن انتظاره لوارد أو توقعه لطالع أن يقول : عنق ممتدة إلى ورود فلان . كما يقول : عيني ممدودة إلى طلوع فلان . وقول الشاعر في البيت الثاني « فهيت هيتاً » يشهد بأن مراده الوجه الأخير من الوجهين لأن في هذا القول حثالة على التعجل ، وإزعاجاً إلى التسرع . فأما قول الله سبحانه وتعالى : « فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ » . فقد فسر أيضاً على وجهين أوردناهما في مواضع من كلامنا في تأويل القرآن .

﴿ فأحد الوجهين ﴾ أن يكون سبحانه ذكر الأعناق ، ثم رد الذكر على أصحاب الأعناق لأن خضوع الأعناق هو خضوع أصحابها لما لم يكن خضوعهم إلا بها .

﴿ والوجه الآخر ﴾ أن يكون أراد الجماعات ، لأنه قد تسمى الجماعة عنقاً على الوجه الذي قدمنا ذكره . يقول القائل : جاءني عنق من الناس ، أى جماعة فيكون خاضعين صفة للجماعات ، والمعنى في ذلك ظاهر غير محتاج إلى التأويل . وقد يجوز أن يكون الأعناق هاهنا كناية عن السادات والمتقدمين من القوم . يقال هؤلاء أعناق القوم : أى ساداتهم . كما يقال هؤلاء رؤوسهم وعرائينهم .

ذكر ذلك صاحب العين^(١) في كتابه . وقال لى أبو حفص

(١) العين : اسم كتاب وصاحبه هو الخليل بن أحمد الفراهيدى .

عمر بن إبراهيم الكِنَانِي صاحب ابن مُجَاهِد ، وقد قرأتُ عليه للقرآن بروايات كثيرة : سمعت أبا بكر بن سُفْيَانَ النُجُوي صاحب المبرّد يقول : أولى الوجوه بتأويل هذه الآية أن يكون خاضعين مردوداً على الضمير في أعناقهم فكانه تعالى قال : فظلوا هم لها خاضعين . ويبعد أن يحمل قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر : عنق يقطعها الله ، على أنه أراد به الجماعة لأن قوله يقطعها الله بالعنق المعروفة التي هي العضو المخصوص أشبه ، وفي موضع الكلام أحسن ، وإنما جاء بالعنق هاهنا على طريق الاستعارة تشبيهاً للقوم الذين ذكر اتباعهم له بالعنق في الاحتشاد لطلبه والامتداد للحاق به ^(١) .

١٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كتاب من كتبه ^(٢) : « هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِعِمَارٍ كَلْبٍ وَأَخْلَافِهَا وَمَنْ ظَاهَرَهُ ^(٣) الْإِسْلَامُ مِنْ غَيْرِهَا » . وفي هذا الكلام استعارة ،

(١) فاستعمال العنق في الناس المجتمعين المتفقين استعارة تصرّحية .

(٢) هو كتابه صلى الله عليه وسلم إلى « بني كلب » وهم إحدى قبائل العرب .

(٣) هذه هي الرواية الصحيحة للحديث ، وقد ورد في طبعة بغداد ونقله عنها الأستاذ محمود مصطفي هكذا : « هذا كتاب من محمد رسول الله لعمار بن كلب وأخلافها من ظائرة الإسلام ، ومن غيرهم » وهي ظاهرة التحريف لأنه لا يوجد أحداً اسمه عمار بن كلب ، وإنما المراد عمائر كلب ، والعمائر جمع عمارة ، وهي جماعة أصغر من القبيلة ، ومن ظأّره الإسلام ، أي عطفه عليه ، لا ظائرة الإسلام ، لأنها لا معنى لها . قال في القاموس : الظئر بانكسر العاطفة على ولد غيرها المرضعة له في الناس وغيرهم للذكر والأنثى . فبني قوله عليه الصلاة والسلام ، ومن ظأّره الإسلام ، أي عطفه عليه ، يقال : « ظأّرت الناقة على ولدها » إذا عطفته عليه .

لأن الظَّار في الحقيقة العَطْفُ ، ومنه ظَارُ الناقة^(١) ، وهو أن يموت ولدها فتعطف على البو^(٢) الذي يجعل لها لتدرّ عليه لبنها ، وأصله العطف على الشيء بالأخذ والحل ، لا بالاختيار والطوع . ويبين هذا المعنى قول الكُمَيْت الأسدَى :

وَمُمْرَأُوهَا غَيْرَ ظَارٍ وَأَشْبَلُوا عَلَيْهَا بِأَطْرَافِ الْقَنَاءِ وَتَحَدَّبُوا
أى عطفوا عليها طائعين مختارين لا مجبرين محمولين ، ثم استعمل بعد ذلك فيمن عطف طائعاً كما استعمل فيمن عطف كارهاً ؛ فكأنه عليه الصلاة والسلام جعل الإسلام يعطف على الدخول فيه : إما طوعاً ومشئئة ، أو عناداً وخيفة . ومن أمثال العرب : الطَّعْنُ يَظَارُ^(٣) ، أى يعطف على السلم والتواهب ، ويحمل على البُقيّا والتقارب .

(١) الظَّار كالمع : مصدر ظارت إذا اتخذت ولداً ترضعه ، وقد خصص الشريف هنا الظَّار بعطف الناقة التي مات ولدها على البو .

(٢) قال في القاموس : « البو ولد الناقة وجلد الحوار يحشى ثماماً ، أو تبناً فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر . ولا يصح أن يراد بالبو في كلام الشريف ولد الناقة لأنه قال : وهو أن يموت ولدها : فيراد به جلد الحوار ، والحوار ولد الناقة والطبية والبقرة الوحشية ، والثمام نبات ضعيف ، وأم الفصيل الذى انفصل عنها ولدها بعد فطامه عن الرضاع فتمنع عن الدر لعدم رؤيتها له فيقرب منها البو لتدر .

(٣) قال في القاموس : « والطمع ظنار قوم أى يعطفهم على الصلح » .

ما في الحديث من البلاغة :

استعمال ظأره في عطفه عطفاً شديداً كعطف الظنر استعارة تصريحية ، والقرينة أنه لا أمومة ولا إرضاع .

١١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لحادى مطية :
« يَا أُتَجَشَّةُ ^(١) رِفْقًا بِالْقَوَارِيرِ » وهذه استعارة مجيبة ، لأنه عليه الصلاة
والسلام شبه النساء في ضعف النحائز ^(٢) وَهَنَ الْفَرَائِزُ ^(٣) بالقوارير ^(٤)
الرقية التي يوهنها الخفيف ، ويصدعها اللطيف ؛ فذهى عن أن يُسَمِّعَهُنَّ
ذلك الحادى ما يحرك مواضع الصبوة ، وينقض معاهد العفة . وقد
حمل بعض العلماء قوله تعالى : « قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُهَا تَقْدِيرًا »
على أن المراد به غير الزجاج ها هنا . والقارور : فاعول من استقرار
الشيء فيه ، فكأنه قرار للشراب وغيره من المساعات ، فيصلح أن
يكون الزجاج ويكون لغير الزجاج . وأما عامة المفسرين فيذهبون
إلى أن تلك الآنية الموصوفة من فضة ولكنها تشفت شفيف القوارير
من الزجاج ^(٥) ؛ فهو أعجز لتصويرها وأعجب لتقديرها ، إذ كانت
جامعة للركة اللطيفة ، والقوة الحصيفة .

(١) أُتَجَشَّة مولى النبي صلى الله عليه وسلم أى عبده وخادمه ، وحادى مطية
أى الذى يغنى للإبل أثناء سيرها حتى يسهل عليها السير ويخفف عنها التعب .

(٢) النحائز : جمع نخيزة وهى الطبيعة ، أى شبه النساء في ضعف الطباع .

(٣) الفريزة : الطبيعة .

(٤) القوارير جمع قارورة : وهى ما قر فيه الشراب ونحوه سواء كان من
الزجاج أو من غيره ، وقيل مخصوص بالزجاج ويجب حمله هنا على ما كان من الزجاج
لأنه الذى يشينه أدنى خدش ، ويفشيه أرق مس .

(٥) وقال بعض المفسرين : لأنها من زجاج في بياض الفضة وصفاء الزجاج .

ما فى الحديث من البلاغة :

استعمال القوارير في النساء استعارة تصريحية والقرينة أنه لا شراب ، =

١٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد تذاكر الناس عنده أمر الطاعون وانتشاره في الأمصار والأرياف ، فقال صلى الله عليه وآله : « فإني أَرْجُو أَلَّا يَطْلُعَ إِلَيْنَا نِقَابُهَا » يعنى نقاب المدينة . والنقاب : جمع نَقَب ، وهو الطريق في الجبل . وفي هذا الكلام استمارة حسنة ، لأنه عليه الصلاة والسلام أقام هذا الداء المسمى بالطاعون في تغلغله إلى البلاد المنيفة ، وذهابه بالأعلاق ^(١) الكريمة مقام الجيش المغير الذى يوفى على الأنشاز ^(٢) ، ويهجم على الحصون والديار . يقال : طلع فلان الثنية ^(٣) إذا أوفى عليها وقرع ذروتها ^(٤) . ومن أحسن التمثيل وأوقع التشبيه أن تشبه أسباب الموت وطوارق الدهر بالجيش الهاجم ، وَلِلقَنْبِ ^(٥) المصمم الذى تُخاف سطوته وتَنكأ ^(٦)

= ولا إناء ولا زجاج ، وقد أوضح الشريف وجه الشبه .
تخريج الحديث :

هذا الحديث أخرجه أحمد بن حنبل والبخارى ومسلم والنسائى عن أنس بلفظ « يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير » وأخرجه الطيالسى بلفظ « يا أنجشة ويحك ارفق بالقوارير » .

(١) الأعلاق : جمع علق وهو الدفيس من كل شىء .

(٢) الأنشاز : جمع نشز بوزن كلب وجل : المكان المرتفع .

(٣) الثنية : الجبل أو الطريقة فيه .

(٤) ذروة كل شىء أعلاه .

(٥) المقنب : مخالب الأسد ، والحيل من الثلاثين إلى الأربعين أوزها ثلاثمائة .

(٦) نكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ . والمعنى أن شوكة هذا المقنب تجرح

أو تعيد الجرح دامياً .

شوكته ، ولا يُسَدَّ طريقه ولا يؤمن طروقه . وقوله عليه السلام :
 ألا بطلع إلينا نقابها (وهو يريد نقاب المدينة ولم يجر لها ذكر) من
 الفصاحة العجيبة ، لأنه أقام علم المخاطبين بها مقام تصريحه بذكرها .
 ومثل ذلك قوله سبحانه وتعالى : « وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا »
 والمراد المدينة ، ولم يجر لها ذكر . ولذلك في القرآن نظائر . وكان
 شيخنا أبو الفتح النحوى - رحمه الله - يسمي هذا الجنس شجاعة
 الفصاحة ، لأن الفصيح لا يكاد يستعمله إلا وفصاحته جريئة الجنان ،
 غزيرة المواد .

١٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الْإِسْلَامَ
 بَدَأَ غَرِيْبًا وَسَيَعُودُ غَرِيْبًا »^(١) ، وهذا الكلام من محاسن الاستعارات
 وبدائع المجازات ، لأنه عليه السلام جعل الإسلام غريباً في أول أمره
 تشبيهاً بالرجل الغريب الذى قلَّ أنصاره وبعدت دياره ، لأن الإسلام
 كان على هذه الصفة في أول ظهوره ، ثم استقرت قواعده ، واشتدت
 معاقده ، وكثر أعوانه ، وَضَرَبَ جِرَانَهُ . وقوله عليه الصلاة
 والسلام : « وَسَيَعُودُ غَرِيْبًا » أى يعود إلى مثل الحالة الأولى في قلة

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالكناية حيث شبه الطاعون بالجيش المغير وحذفه ورمز
 إليه بشيء من لوازمه وهو طلوع النقب . وإنبات طلوع النقب للطاعون تخييل .
 (١) الحديث أخرجه السيوطى في الفتح الكبير قال رواه مسلم عن ابن عمر ،
 وقال صاحب كشف الخفا إنه مشهور أو متواتر .

العاملين بشرائعه والقائمين بوظائفه ، لا أنه والعايا بالله تَمْجِي سَمَاتِهِ وَتَذَرُسُ آيَاتِهِ^(١).

١٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في ذكر الخوارج : « يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ... »^(٢) الحديث بطوله إلى قوله : قد سبق الْفَرْتُ وَالْدَّمُ . وفي هذا القول مجاز ، لأنه عليه السلام شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا بِمُقَدَّتِهِ ، أو بِعَمِيْقُوا^(٣) بطينته ، بالسهم الذي أصاب الرميّة ، وهي الطريدة المرمية ؛ ثم خرج مسرعاً من جسمها ، ولم يعلق بشيء من فَرْثِهَا ودمها ؛ وذلك من صفات السهم الصائب ، لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوى النزعة^(٤).

(١) في الحديث استعارة بالكناية حيث شبه الإسلام بالإنسان الذي يكون بين غير أهله وحذفة ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو كلمة غريب وإسناد الغربة إلى الإسلام تخييل ، أو هو تشبيه بليغ على حد قولهم بدت قرأ ، أى بدت كالقمر في الحسن ، وهنا يقال بدأ الإسلام غريباً أى كالشخص الغريب في تجاهله وعدم الاعتراف به . ثم حذف وجه الشبه والأداة .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في قتال الخوارج عن أبي سعيد الخدري وأنس ابن مالك ، وأخرجه أحمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود ، ورواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد ، وهو حديث طويل يمكن الرجوع إليه في المراجع التي ذكرناها في باب قتال الخوارج أو في باب قسم الغنائم .

(٣) أى لم يلمسوا به ، ولم يقيموا عليه .

(٤) مافى الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه خروج هؤلاء الناس من الدين في سرعته بخروج السهم من مريته ، بعد إصابته وهذا يكون في غاية السرعة لأنه لم يستقر فيها بل اخترق =

١٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مُضَرُّ صَخْرَةٍ
الله التي لا تَنْكَل »^(١). وهذا القول مجاز ، لأنه عليه السلام جعل
مضر ، وهى القبيلة المعروفة بمنزلة الصخرة الراسية ، والهَضْبَةُ الثابتة
التي لا تَزْجَحُ عن مقرِّها ، ولا تُؤْخِرُ عن تَجَمُّعِها وهذا معنى قوله
عليه السلام : « لا تَنْكَل » . وذلك مأخوذ من قولهم : نَكَلْتُ عن
الأمر أنكَل أنكَل نَكُولاً إذا تأخرت عنه . ومنه قيل لِلْجَامِ نِكْلٌ لأنه
يؤخر به المَرْكُوبُ إذا جمح ، ويُحْدَسُ به إذا انطلق . ولهذا المعنى
أيضاً قيل للقيد نِكْلٌ لأنه يقصر الخطو ويمنع العَدُو ، وإنما أضاف
عليه السلام اسم الصخرة إلى الله تعالى ، ليكون أنعم لها في القلوب ،
وأجدر لها بالرسوخ^(٢) .

١٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « بُعِثْتُ فِي نَسَمِ
السَّاعَةِ إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي » . وفي هذا القول استعارة^(٣) ، لأنه
عليه السلام كَفَى عن ابتداء الساعة بالنسم ، والنسم والنسيم جميعاً

== جسمها من مكان الإصابة إلى مكان الخروج ، ويجوز أن يكون في يَمْرُقُونَ
استعارة تبعية حيث شبه الخروج من الدين بسرعة يَمْرُقُ السهم من الرمية ، ثم
استعمل يَمْرُقُ بمعنى يسرع على طريق الاستعارة التبعية .
(١) أى التي لا تزول عن مكانها فهى ثابتة في الدين ثبوت الصخرة التي
لا تَزْجَحُ من مكانها .

(٢) في الحديث تشبيه بليغ شبه مضر بالصخرة في الثبات والرسوخ وحذفت
أداة التشبيه ووجهه ؛ والأصل مضر كصخرة الله في الثبات .
(٣) هى استعارة تصريحية حيث استعمل « نسم » بدل « ابتداء » .

اسم لا ابتداء الريح ، وهى ضعيفة قبل شدتها ، وسريضة قبل استكمال قوتها . والنَّسَمُ أيضاً : النفوس ، جمعٌ وَاحِدُهُ نَسَمَةٌ ، وإنما سميت بذلك لأنها فى الأصل ضعيفة ، وإنما يشتد من جسمها بروافد ترفدها ودعائم تسندها . وقد روى هذا الخبر على وجه آخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « بُعِثْتُ فى نَفْسِ السَّاعَةِ » وله معنيان :

﴿ أحدهما ﴾ أن يكون : بعثت فى تنفيس الساعة ، أى فى إمهالها وتأخيرها ، من قولهم : نَفَسَ فلانٌ عن غريمه إذا أنظره ، وآخر الدين بعد أن حان قضاؤه ووجب اقتضاؤه ، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : بُعِثْتُ وقد حان قيام الساعة إلا أن الله تعالى نَفَسَهَا ، أى أخرها قليلا ، فبعثنى فى ذلك النفس .

﴿ والوجه الآخر ﴾ أن يكون جعل للساعة نَفَسًا كنفس الإنسان . وقال : بُعِثْتُ فى وقت أحسّ فيه بنفسها وقربها كما يحس الإنسان بنفس الإنسان إذا قرب من شخصه وسمع مجرى نفسه ^(١) .

١٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » وهذا القول مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام أراد باليد العالية يد المعطى ، وباليد السافلة يد المستعطى ، ولم يرد على

(١) يكون فى الكلام على هذا المعنى الأخير استعارة بالكناية حيث شبه الساعة بإنسان له نفس وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النفس ، وإثبات النفس للساعة تخييل .

الحقيقة أن هناك عالياً وسافلاً ، وصاعداً ونازلاً ؛ وإنما أراد أن المعطى في الرتبة فوق الآخذ ، لأنه المنيل المفضل والحسن الجمل . وليس هذا في معطى الحق ، وإنما هو في معطى الرّفْد^(١) ومسترفده ، وليس المراد أنه خير في الدين ، بل المراد أنه خير في النفع للسائلين ، وإنما كفى عليه الصلاة والسلام عن هاتين الحالتين باليدين ، لأن الأغلب أن يكون بهما الإعطاء والبذل ، وبهما القبض والآخذ^(٢) .

١٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ بِيَدِ اللَّهِ ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَمْنَحَهُ مِنْهَا خُلُقًا حَسَنًا فَعَمَلْ » ، وذكر اليد هاهنا مجاز ، والمراد أن الأخلاق في قبضة الله وتحت ملكة الله تعالى ، فلما كان في الأكثر ما يقبضه الإنسان ويمسكه إنما يقبضه بيده وينقله إلى يده ، خاطب عليه الصلاة والسلام بالسان العرف المتقرر عند المخاطبين وفي لغة السامعين . وقد مضى الكلام على هذا المعنى في عدة مواضع من كتبنا الموضوعة في علوم القرآن ، ولا يحتمل

(١) الرّفْد : هو العطاء والصلة ، أى ما يحسن به الإنسان إلى شخص محتاج أو يكرم به شخصاً يستحق الإكرام ، والمسترفد طالب الرّفْد .

(٢) ماقى الحديث من البلاغة :

استعمال العليا في المعطية والسفلى في الآخذة استعارة تصريحية حيث شبه اليد المعطية في فضلها باليد العلية واليد الآخذة في مقضوليتها باليد السافلة والقرينة أن المعطى لا يرفع يده على يد الآخر حتى يكون هناك علو وسفل ، بل قد تكون يد الآخذ هي العالية حساً وقت الآخذ .

كتابنا هذا أكثر من هذا المقدار^(١).

١٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لابي بن كعب وقد أعطاه الطفيل بن عمرو الدوسي قوساً له جزاء على إقرائه القرآن فقال عليه الصلاة والسلام لابي: « تَقَلَّدَهَا شِلْوَةٌ مِنْ جَهَنَّمَ » وفي هذا القول مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل القوس إذا كانت تَكْسِبُ آخذها على الوجه المكروه عذاب جهنم كأنها شِلْوَةٌ من نار جهنم ، وإنما قال : شِلْوَةٌ ، ولم يقل شِلْواً ، لأنه حمل على معنى القوس وهي مؤنثة . والشِّلْوُ : العضو^(٢) . ومنه حديث أمير المؤمنين عليه السلام في الأضحية : ائذني بشلوها الأيمن ، وأصله في لغتهم : البقية القليلة من الشيء . ومن ذلك يقال لبقية الأَكِيلَةِ إذا فَرَسَهَا السبع : شِلْوٌ . ويقال لبدن القليل : شِلْوٌ ، على أحد ثلاثة وجوه :

إما أن يكون مفرداً من رأسه فيكون كالبقية القليلة ، لأن الرأس هو العضو الأُرأس^(٣) ، والعلق الأنفس ، ألا ترى إلى قول الشاعر :

(١) ما في الحديث من المبالغة :

استعمال اليد في القدرة استعارة تصريحية ، والقرينة أن الله تعالى لا يعاقل الحوادث فليست له يد كيد الحوادث ، وهذا على مذهب الخلف ، أما على مذهب السلف فليس في الكلام مجاز بل هو على الحقيقة لأنهم يقولون إن الله تعالى يدا حقيقة ولكنها لا تشبه أيدي البشر .

(٢) والجمع أشلاء ، و « شِلْوَةٌ » حال من الماء في تقلدها ومعناها قطعة من جهنم وهي مؤولة بالمشتق بمعنى مقطوعة .

(٣) أي الأعظم .

إِذَا قَطَعُوا رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرَى

وَعُودِرَ عِنْدَ الْمُلْتَقَى ثُمَّ سَأَرَى^(١)

﴿والوجه الثاني﴾ : أن يكون إنما سمي بذلك لخروج نفسه وكون الجسم بعدها ، وإن كان بتمامه بمنزلة البقية التي قد ذهب أكثرها ، وفقد جوهرها .

﴿والوجه الثالث﴾ : أن يكون إنما سمي بذلك لأنه بقية أبقته مضارب السيوف تشبيهاً بالبقية التي أبقته مخالب الأسود . وإنما عظم عليه الصلاة والسلام الوعيد في هذا الخبر زجراً لهم عن أن يأخذوا على تعليم القرآن أجراً ، أو يتخذوه مكسباً ومطعماً .

٢٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَغْبَطُ النَّاسِ عِنْدِي مُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَازِ ذُو حُظٍّ^(٢) مِنْ صَلَاةٍ » . وفي هذا القول استعارة ، لأن الحاذ على الحقيقة : اسم لما وقع عليه الذنب من

(١) السائر : الباقي ، وثم مضاعفها هناك .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالكناية حيث شبه جهنم بجسم له أعضاء وجعل القوس عضواً منها وحذف المشبه به وهو الجسم ذو الأعضاء ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشلو وإثبات الشلو إلى جهنم تخييل .

(٢) الحظ : بضم الهاء جمع حظ بفتحها والحظ بالفتح هو النصيب . والمعنى ذو حظوظ من الصلاة أي كثير الصلاة يؤدي فرضها ويصلي نفلها ، ومعنى أغبط الناس أكثرهم غبطة ، والغبطة هي تمنى مثل ما للغير من الخير ، أي أكثر الناس تمنياً لمثل ما عنده ، وأكثر الناس حباً من الناس لأن يكونوا مثله المؤمن خفيف الحاذ صاحب الحظوظ من الصلاة .

مؤخر الفخذين . هذا قول الأصمعي . وقال غيره : بل هو لحم باطن
الفخذ ، وهما حاذا الفخذين . وقد جاء في كلامهم خفيف الحاذين ،
وقد استعملوا ذلك في الإنسان أيضاً قال الشاعر :

سَيَكْفِيكَ الْحِمَالَةُ^(١) مُسْتَمِيَةً خَفِيفُ الْحَاذِ مِنْ أَبْنَاءِ جَرْمِ .
وقال بعضهم : بل هو طريقة المتن^(٢) من الإنسان ، والموضع
الذي يسمى الحال من الفرس . وهو ما وقع عليه اللبد من ظهره .
والقولان الأولان أعجب إليّ ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ، كفى
بخفة الحاذ ها هنا عن قلة المال ، أو قلة العيال . ومنه الحديث الآخر
عن ابن مسعود : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْطُونَ الرَّجُلَ
بَخِفَّةِ الْحَاذِ كَمَا يَغْطُونَهُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ » . لأن الخفيف الحاذ إذا
كان على ما ذكر أولاً في الوجهين الأولين من قلة لحم باطنى أو ظاهرى
الفخذين كان ذلك أسرع لخطوه وأخف لعدوه ، لأن الدنيا بمنزلة
المضمار ، والناس فيها بمنزلة الخيل المجراة ، والغاية هي الآخرة .
فكلما كان الواحد منهم أخف نهضاً وامتراقاً ، كان أسرع بلوغاً
ولحاقاً . ويبين ذلك قول أمير المؤمنين على عليه السلام ، في كلام
له : تَحَفَّقُوا تَلَحَّقُوا . وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم (بنهج

(١) الحمالة : الدية ، وجرم قبيلة من قبائل العرب ، والمستमित الشجاع
الطالب الموت . والمعنى سيفيك دفع الدية شجاع خفيف الحاذ من قبيلة جرم ؛
وقد شرح الشريف الحاذ .
(٢) المتن : الظهر .

البلاغة) الذى أوردنا فيه مختار جميع كلامه صلى الله عليه وسلم وعلى الطاهرين من أولاده .

﴿ وأما القول الثالث ﴾ الذى ذكرناه عن بعضهم من قوله : إن الحاذ هو المتن ، فقد يجوز أن يعبر به أيضاً عن قلة العيال ونزارة^(١) المال كما يقولون : فلان خفيف الظهر إذا أرادوا هذا المعنى ، ولأن قلة اللحم على الجملة فى أى عضو كان من أعضاء الحيوان أعون على خفة نهوضه وسرعة تصرفه فى أموره^(٢) .

٢١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكر عنده شريح الخضرى : « ذَاكَ رَجُلٌ لَا يَتَوَسَّدُ الْقُرْآنَ » . وهذه من الاستعارات العجيبة ، والكفايات الغريبة ، وهى تحتمل معنيين :

أحدهما مدح ، والآخر ذم . فأما المدح فهو أن يكون المراد به أنه لا ينام عن قراءة القرآن ، بل يقطع ليله بالتهجد به والتصرف مع تلاوته ، فيكون القائم بدروسه كالمشمول به ، والنائم كالمتوسد له

(١) النزارة : القلة ، ومن ذلك قول العرب : لا يوجد من ذلك الشئ إلا النذر اليسير أى القليل ، فهو من الوصف بالمفسر .

(٢) ماق الحديث من البلاغة :

استعمال خفيف الحساد بمعنى خفيف الظهر ، أو خفيف لحم باطن الفخذين فى قليل المال استعارة تصريحية : حيث شبه قليل المال بخفيف الظهر أو لحم باطن الفخذين فى السرعة ، والمشب به سريع المشى والنهوض ، والمشبه سريع الوصول إلى الجنة ، والقرينة أن خفيف الحاذ على الحقيقة ليس أغبط الناس والرسول صلى الله عليه وسلم يتكلم فى شأن الدين لا فى شأن الدنيا .

كانه جعله وساداً لخدمته وفراشاً لجنبه . ومما يقوى هذا الوجه ما روى من قوله عليه الصلاة والسلام ، في حديث آخر : « يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ لَا تَوَسَّدُوا الْقُرْآنَ وَانْسَلُوا حَقَّ تِلَاوَتِهِ » .

وأما المعنى الآخر الذى يحتمل الهم : فهو أن يكون المراد أنه غير حافظ للقرآن فليس بخازن من خزنته ، ولا وعاء من أوعيته ، فإذا نام لم يكن متوسداً له كما يتوسده من هو ظرف من ظروفه الحاوية له والمشملة عليه . ومثل ذلك ما روى عن أبى الدرداء أنه قال لرجل سأله عن طلب العلم : « لَأَنْ تَتَوَسَّدَ الْعِلْمَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتَوَسَّدَ الْجَهْلَ » . أراد لأن تنام ومعك العلم خير من أن تنام ومعك الجهل ، فجعل العلم كالفراش المتهجد^(١) ، والوساد المتوسد^(٢) .

٢٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، في كلام للأَنْصار : « أَنْتُمْ الشَّعَارُ ، وَالنَّاسُ الدَّنَارُ^(٣) » . وهذا مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام أراد أنكم أقرب الناس منى ، وأشدهم اشتمالاً علىّ ، فأنتم لى كالشعار ، وهو الثوب الذى يلى بدن الإنسان ،

(١) المتهجد : أى اتخذ مهجداً ، وهو الموضع الذى يهبط للنوم ، والمتوسد : اتخذ وسادة ، أى مخدة .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية حيث شبهت ملازمة القرآن بتوسده واشتق من التوسد بمعنى الملازمة ، يتوسد بمعنى يلزم على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) الدنار : هو الثوب الذى يقم فوق الثوب الأول الملاصق للبدن ، والثوب الأول هو الشعار كما ذكر الشريف .

والناس الدنار ، لأنهم أبعد منى وأنتم بينهم وبينى ، ومثل ذلك قولهم : فلان من بطانة فلان ، كفاية عن القرب منه ، والاختصاص به تشبيهاً ببطانة الثوب التى تلى الجسد ، وتكون أقرب إلى البدن^(١) .

٢٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « يَكُونُ قَبْلَ الدَّجَالِ^(٢) سِنُونُ خَدَاعَةٍ » ، وهذه استعارة لأنه جاء فى التفسير أن المراد بذلك اتصال المَحُولِ^(٣) وقلة الأمطار فى تلك السنين . يقال : خَدَعَ المَطَرُ إذا قَلَّ ، والأصل فيه قولهم : خَدَعَ الرِّيقُ إذا جَفَّ . قال سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :

أَبْيَضُ اللَّوْنِ لَدَيْدُ طَعْمِهِ طَيِّبُ الرِّيقِ إِذِ الرِّيقُ خَدَعَ
وجفوف الرِّيقِ وقلته من أسباب تغيره وفساده لأنه كلما كثر ماع ، وكلما ماع طاب . وقيل السنون الخداعة هى التى تَخْدَعُ زَكَاةَ الزَّرْعِ : أى تنقصه من قولهم : دينار خادع ، وهو الذى ينقص من وزنه أو من ذهبه . وقال عليه الصلاة والسلام : « سِنُونُ خَدَاعَةٍ » . والمطر هو الخادع إلا أن خدع المطر لما كان فيها حَسَنٌ إجراء الاسم

(١) مافى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه بليغ حيث شبه الأنصار بالشعار فى القرب والناس بالدنار فى البعد ، فالشبه والمشبه به موجودان ، والأداة والوجه محذوفان .

(٢) الدجال ؟ هو المسيح الدجال الذى يظهر آخر الزمان يفتن الناس عن دينهم .

(٣) المحول : جم محل ، وهو الجذب .

عليها ، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن قد استقصينا ذكرها في كتاب المجازات ، وقال بعضهم : بل السفن الخدّاعة التي يكثر فيها المطر يقلّ العشب . وذلك مأخوذ من الخديعة ، فكأن هذه السفن بطمع أهلها في الخصب والإسراع بكثرة أمطارها ، ثم تخلف الخمايل^(١) اتصال جذبها وإمحالها . والقول الأول أقرب إلى الصواب وأشبه المراد^(٢) .

٢٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تَحَابُّوا بِذِكْرِ اللَّهِ وَرُوحِهِ »^(٣) ، وهذا القول مجاز ، لأنه صلى الله عليه وآله أراد

(١) الخمايل : الظنون جمع خيلة بوزن مدينة ، وهي الظن .

(٢) مافى الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز عقلي حيث أسند الخداع إلى السفن في قوله « خداعة » فخداعة صيغة مبالغة من الخداع وفيها ضمير تقديره هي يعود على السفن وهو فاعل لاسم الفاعل ، والخداعة في الحقيقة . إنما هي السحب ، لأنها هي التي يتغزل الإنسان أنها ستمطر ثم لا تمطر ، فإسناد خداعة إلى السفن مجاز عقلي ، الأصل سفن خداعة أمطارها ، فخذت الأمطار وحول الإسناد إلى السفن ، وهذا هو القول الثاني الذي ذكره الشريف وهو أولى من القول الأول عندى بالقبول ، لأن الاستعارة لا تكاد تظهر في الحديث ، لأننا إذا قلنا بها لزم أن نشبه السحب بالسفن ، وهو تشبيه غير مقبول .

(٣) الروح يطلق على القرآن حقيقة ، وعلى ذلك فلا يكون في الحديث مجاز . والمعنى تحابوا بذكر الله وبقراءته ، والذي ذكره الشريف أن الروح هو مابه حياة الأنفس ، وعلى ذلك يكون مجازاً ، أى استعارة تصريحية حيث شبه القرآن بالروح في صلاح الناس به ، واستعمل اسم المشبه به في المشبه ، والأولى في نظري عدم التشبيه وإجراء الكلام على الحقيقة ، لأن التشبيه يلزم عليه إثبات روح لله ولو على سبيل المجاز ، فيكون القرآن بالنسبة إلى الله كأنه روحه التي يصلح بها ، والله تعالى صالح دائماً لا يحتاج إلى شيء يقوم به .

بالروح هاهنا القرآن تشبيهاً له بالروح القائمة بالحيوان المصححة لا انتفاع الأبدان ، وهذا من التشبيه الواقع والتثيل النافع ، لأن انتفاع الناس بالقرآن في رشاد السبيل ومصالح الدنيا والدين كما انتفاع الأبدان بالأرواح في تصريف حرركاتها وترتيب إرادتها ، وتصحيح لذاتها وشهواتها . وقد ذكرنا ذلك مشروحاً في مواضع من كتابنا في علوم القرآن .

٢٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « قَدْ أَنَاخَتْ بِكُمْ الشُّرْفُ الْجُونُ » . يعنى الفتن المتوقعة . وهذا القول مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام شبه الفتن بالنوق المسنات ؛ لجلالة خطبها واستفحال أمرها وجعلها جُونًا ، وهى السود هاهنا ^(١) ، لظلام منهجها والتباس مخرجها . والشُّرْفُ جمع شارف : وهى الناقة المسفة ، وهم يشبهون الحرب بها ، قال السكَمِيَّتُ الأَسَدِيُّ يصف حرباً : مَبْسُورَةٌ شَارِفًا مُصَرَّمَةٌ ^(٢) محلوهاً الصَّابُ ^(٣) حين تحمليه يقال بُسِرَتِ الناقة وابتسرت إذا حمل عليها الفحل . ولم تَضْبَعْ ^(٤)

(١) أشار بقوله هاهنا إلى أن الجون تطلق على البيض والسود ، ولكن المراد بها هنا السود .
 (٢) المصرمة : القطعة وهى التى قطعت أنداؤها حتى لا ترضع فتضعف بالرضاع .
 (٣) الصاب : شجر مر ، أى عصارة هذا الشجر المر إذا حلب .
 (٤) ضبعت الناقة تضبيع : من باب فرح إذا اشتبهت الفعل ، فعنى قول الشريف إذا حمل عليها الفحل ولم تضبيع : وهى غير طالبة له وحينئذ لا يكون للقاح فائدة لأنها لا تحمل حينئذ ، والمراد أن هذه الحرب كالناقة التى يأتيتها خفا وهى غير راغبة فى إتيانه فتكون نافرة هائجة ، وهذه الحرب نافرة هائجة ، تصيب الناس بشرها من غير رحمة ولا تبصر .

وقد يجوز أن يكون للفائدة في تشبيه الفتن بالمسفات من الإبل لأنها
كره مناظر ، وأقل منافع ، كما شبهوا الحرب بالمرأة العجوز . فقال
بعضهم في أبيات :

شمطاء عابسة عقيما بطمها مكروهة للشتم والتقبيـل

وقال بعض العلماء : الشرف هاهنا الفتن التي يستشرفها الناس
لعظمها . والصحيح التأويل الأول ، وقد روى هذا الحديث بألفظ
آخر . رواه بعضهم : الشُّرُقُ : الجون بالقاف ، أى أمور عظام تأتي
من قبل المشرق ، وكل ما أنى من ناحية المشرق فهو شارق ، فشارق
وشرُق كشارف وشرُف ، والقول الأول أصح في النقل وأشبه
بطريقة القوم ^(١) .

٢٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، في يوم حنين لما
رأى مُجْتَلِدَ ^(٢) القوم : « الآن حَمَى الوَطِيسُ » ، وهذه اللفظة

(١) ما في الحديث من البلاغة :

استعمال الشرف الجون في الفتن استعارة تصريحية حيث شبه الفتن بالنيق السنة
السوداء في كراهة منظرها وقلة نفعها ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه ، وفي
أناخت استعارتان مكنية وتبعية ، حيث شبه الفتن بالنيق وحذفها ورمز إليها بشيء
من لوازمها وهو الإناخة وإنابات الإناخة إلى الفتن تخيل وفي أناخت استعارة تبعية
حيث شبه حلول الفتن بالناس ولصوقها بأرضهم بإناخة النياق ، واشتق من الإناخة
بمعنى الحلول أناخت بمعنى حلت على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) المجتلد : مصدر ميمي من تجالد القوم بالسيوف أى تضاربوا بها . والمعنى
لما رأى تجالد القوم .

الأغلب عليها أنها من جملة الأمثال من كلامه عليه الصلاة والسلام وقد شرطنا ألا نذكر هاهنا ما تلك حاله إلا أن لها بعض الدخول في باب الاستعارة ، فلذلك رأينا الإيماء إليها والتنبيه عليها ، فقوله عليه الصلاة والسلام : «الآن حَمَى الوَطِيسُ» ، وهو بمعنى حَمَسَ^(١) الحرب وعَظَّمَ الخطبُ ، مجاز ؛ لأن الوطيس في كلامهم حفيرة تحتفر فيوقد فيها النار للاشتواء ، وتجمع على وُطُس ، فإن احتفرت للاحتياز^(٢) ، فهي إِرَة وتجمع على إارين^(٣) ، ولا وطيس هناك على الحقيقة ، وإنما المراد ما ذكرنا من حرّ القراع وشدة المصاع^(٤) والتفاف الأبطال ، واختلاط الرجال ، ومن هناك قالت العرب : أوقدت نار الحرب بين آل فلان وآل فلان ، وقال الله سبحانه نُخْرِجَا^(٥) لكلام على مطارح لسانهم ومعارف أوضاعهم : «كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ» وتشبيه الحرب بالنار يكون من وجهين :

﴿أحدهما﴾ حرّ مواقع السيوف ، وكرّب^(٥) ملابس الدروع ،

(١) أى اشتدت وذكّر « حَمَسَ » لأن الحرب مؤنث مجازى .

(٢) الاحتياز : أى تحفر الحفيرة ليحاز فيها الماء أو غيره .

(٣) قال في القاموس : الإرة كعدة : النار نفسها أو موضعها أو استعارها وشدتها ، وقد أراد الشريف بالإرة غير ذلك كله .

(٤) المصاع : المضاربة بالسيف هنا ، ومن معانيه المضاربة بالسوط ، ولكنها لا تكون في الحرب ، فينتقى تخصيصها بالضرب بالسيف .

(٥) الكرب : تضيق القيد على المقيد ، والمعنى ضيق الدروع على لابسها مما يسبب الحرارة في أجسادهم كالنار .

ونحى المعتك لشدة العراك وكثرة الحركات .

﴿ والوجه الآخر ﴾ أن يكون إنما شبهت بالنار لأنها تأكل رجاها ، وتغنى أبطاها كما تأكل النار شعلتها وتحرق حطبها^(١) .

٢٧ — ومن ذلك ما روى عنه عليه الصلاة والسلام ، أنه قال — والخبر مطعون في سنده — : « تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا أَضَاءُؤْنَ فِي رُؤْيَتِهِ » ، وفي رواية أخرى : « لَا أَضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ » بالتشديد فيهما وفتح التاء ، وعامة المحدثين يقولون : أَضَارُّونَ وَأَضَامُونَ بالتخفيف وضم التاء كأنه من الضير والضيم : أى لا يختلفون في مطلقه ، ولا تَمَارُونَ في رؤيته ، فيضير بعضهم بعضاً ، أو يضيمن بعضهم بعضاً في دفعه عن ذلك ، أو الاستئثار به عليه والإدراك له دونه ، فأما من روى : أَضَارُّونَ وَأَضَامُونَ بفتح التاء والتشديد ، فالضرار هاهنا راجع إلى معنى الضير هناك لأنه من المضارة ، وهى المفاعلة بين الاثنين ، فكأن الضرار وقع بينهما لأجل اختلافهما وتنازعهما ، ومن قال لَا أَضَامُونَ بالتشديد ، فمعناه : إنكم ترون القمر رؤية جليلة لا تحتاجون معها

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه اشتداد الحرب والصراع بين المتقاتلين بنحى الوطيس واشتداد النار فيه ، واشتق من الحى : بمعنى الاشتداد ، سمى بمعنى اشتد على طريق الاستعارة التبعية .

إلى أن ينضمّ بعضكم إلى بعض طلباً لرؤيته واستعانة على مشاهدته ، فهو مأخوذ من الانضمام ، وهو الاجتماع للتقوى على نظر الشيء البعيد أو الخفى الضئيل .

وهذا الخبر كما قلنا مطعون في سنده ، ولو صح نقله وسلم أصله لكان مجازاً كغيره من المجازات التي تحتاج إلى أن تحمل على التأويلات الموافقة للعقل . وبعد هذا فهذا الخبر من أخبار الآحاد فيما من شأنه أن يكون معلوماً ، فغير جائز قبوله ، لأن كل واحد من الخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر به ، وبصح كونه كاذباً في نقله ، ولا يجوز أن يقطع في ديننا على الشيء من وجه يجوز الغلط فيه ، لأننا لا نأمن بالإقدام على اعتقاده من أن يكون جهلاً ، ولا نأمن من أن يكون إخبارنا عنه كذباً ، وإنما نعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين وما يصح أن يتبع العمل به غالب الظن .

ومما علته عن قاضى القضاة أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد عند بلوغى فى القراءة عليه إلى الكلام فى الرؤية إلى من شرط فى قبول خبر الواحد أن يكون راويه عدلاً ، وراوى هذا الخبر قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله البجليّ ، وكان منصرفاً عن أمير المؤمنين علىّ عليه السلام ، ويقال : إنه كان من الخوارج ، وذلك يقدح فى عدالته ويوجب شهمة فى روايته . وأيضاً فقد كان رمى فى عقله قبل موته ؛ وكان مع ذلك يكثر الرواية فلا يُعلم هل روى هذا الخبر

الحال التي كان فيها سالم التمييز أو في الحال التي كان فيها فاسد لعقول ، وكل ذلك يمنع من قبول خبره ، ويوجب اطراح روايته .
وأقول أنا : ومن شرط قبول خبر الواحد أيضاً مع ما ذكره ناضي القضاة من اعتبار كون راويه عدلاً ، أن يَعْرِى الخبر المروى من تكبير السلف ، وقد نقل تكبير جماعة من السلف على راوى هذا الخبر منهم العِرْبَاض بن سارية السَّمَلَى ، وهو من مختصى الصحابة . وروى عنه أنه قال : من قال إن محمداً رأى ربه فقد كذب . وروى أيضاً عن بعض أزواج النبي عليه الصلاة والسلام : أنها قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله . وقالت ذلك عند ذهاب بعض الناس إلى أن قوله تعالى : « وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى » . إنما أريد بها رؤية الله سبحانه ، لا رؤية جبرائيل عليه الصلاة والسلام ، كما يقوله أهل العدل^(١) ، وأيضاً ففي هذا الخبر كاف التشبيه لأنه قال : ترونه كما ترون القمر الذي هو في جهة مخصوصة وعلى صفة معلومة ، وإذا كان الأمر كما قلنا لم يكن للخبر ظاهر^(٢) ، واحتجنا إلى تأوله كما احتجنا إلى ذلك في غيره . وقد يجوز أن نحمله على ما حملنا عليه الآية ، وهي قوله تعالى : « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » . لأننا نقول إن في

(١) أي لم يكن له ظاهر واضح يتمشى مع العقيدة السليمة ، لأن كاف التشبيه يجعل الله تعالى كالحوادث التي تقعنهم العين وتحد مكانها .

الكلام إسقاط مضاف كأنه تعالى قال : إلى ثواب ربها ناظرة
فكذلك هذا الخبر قد يجوز أن يكون المراد به إنكم ترون أشراط
يوم المعاد وما وعد الله به وأوعد من الثواب والعقاب كما ترون القم
ليلة البدر ، يريد في البيان والظهور والإصحار^(١) للعيون . ولو كان
هذا الخبر صحيح الأصل واضح النقل لكان عندنا محمولا على العلم
لأن إطلاق لفظ الرؤية بمعنى العلم في الكلام مشهور ، والاستدلال
على ذلك كثير . وهذا موضع المجاز الذي يختص ذكره بكتابنا هذا
وأما اعتراض المخالفين على هذا التأويل بأن النبي عليه الصلاة
والسلام ، أخرج هذا الكلام مُخرج البشارة لأصحابه ، ولا يجوز
أن يبشرهم بمعنى كان حاصلهم في الدنيا ، وهو العلم بالله سبحانه
فهو اعتراض عليل واحتجاج مدخول ، وذلك لأن العلم بالله سبحانه
علم استدلال تعترضه الشكوك وتعتوره الشبه والظنون ، ويحتاج العا
في حل عقود تلك الشبه إلى كُلف ومشاق تتعب الخواطر وتُعَيِّنُ
الناظر ، فبشرهم عليه الصلاة والسلام بأن ذلك يزول في الآخرة
فيكون علمهم بالله سبحانه اضطراباً غير مشوب بكلفة ولا معقو
بمشقة . وهذا كقول القائل منّا إذا أراد أن يخبر عن شدة تحققة
للشيء : أنا أعلم هذا الأمر كما أرى هذه الشمس ، وقوله من بعد

(١) الإصحار : معناه الظهور ، قال في القاموس «وأصحروا برزوا في الصحراء»
والبروز في الصحراء ظهور ، لأن الصحراء خالية من موانع الرؤية .

لا يضامون في رؤيته أو لا يضارون بالتخفيف ، والتشديد على الخلاف الذي قدمنا ذكره مقوِّلاً للتأويل الذي تأولناه من معنى العلم الذي لا شبهة فيه ولا شك يعتريه ، والصحيح أن يكون الضمير في قوله : لا تضامون في رؤيته راجعاً إلى القمر ، لا إلى الله سبحانه كأنه قال : تعلمون ربكم كما ترون القمر ، لا تضامون في رؤيته : أى في رؤية القمر . وقد يجوز أيضاً أن يكون الضمير راجعاً إلى الله سبحانه ، ويكون بمعنى العلم كأنه قال : تعلمون ربكم كما ترون القمر ، لا تضامون في علمه : أى في علم ربكم ^(١) .

٢٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَنْزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ إِكْلٌ آيَةٍ ظَهَرُ وَبَاطِنٌ » ، وهذا القول مجاز ، لأنه لا ظهر للآية ولا بطن على الحقيقة ، وإنما المراد أن لها خوى وظاهراً وسراً وباطناً ، فالظهر هاهنا بمعنى الظاهر ، والبطن بمعنى الباطن ، وهذا القول ينصرف إلى الآي المتشابهة دون الآيات المحكمة ، لأن التشابهة هي التي لا ظهر لها ، والمحكمة هي التي لا بطن لها .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث على رأى الشريف استعارة تبعية ، حيث شبه العلم القوى الذي لا يمترضه شبه ولا شكوك بالرؤية في الوضوح والتوثيق ، واستعار من الرؤية بمعنى العلم القوى ترون بمعنى تعلمون علماً قوياً على سبيل الاستعارة التبعية .

والتشابهة هي التي يستعمل فيها الفكر ، ويتفاضل العلماء في استيفتاح مبهمها واستنطاق معجَمِها^(١) .

٢٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ » ، وهذا القول مجاز لأن الخير في الحقيقة ليس يصح أن تعقده نواصي الخيل ، وإنما المراد أن الخير كثيراً ما يدرك بها ويوصل إليه عليها ، فهي كالوسائل إلى بلوغه ، والأرشية إلى قَلْبِيهِ^(٢) فكأنه معقود بنواصيها لشدة ملازمته لها ، وكثرة انتهاز فرصه بها لأنهم عليها يدركون الطوائل^(٣) ، ويحبون المغنم ، ويفوقون الأعداء ، ويبلغون العلياء . ومما يقوى ذلك ما روى من تمام هذا الخبر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ : الْأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ، وفي هذا الكلام حث على ارتباط الخيل لما في ذلك من الغنم العاجل والأجر الآجل ؛ فأما

(١) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالسكناية حيث شبه الآية بالدابة التي لها ظهر وبطن ، وإنما قلنا بالدابة لأن ظهرها هو المرئ وبطنها هو الحنق ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الظهر والبطن ؛ ولإثبات الظهر والبطن الآية تخييل .

(٢) الأرشية جمع رشاء : وهو الحبل ، والقلب : البئر ، والحبل هو الذي يربط فيه الدلو ويبقى في البئر فيخرج الماء .

(٣) الطوائل جمع طائلة : وهي الفضل والغنى والسعة .

الغنم فما يدرك بها من الأسلاب والأنقال^(١) ، وأما الأجر فعلى ما يدفع
بها من أعداء الإسلام وأشياء الضلال ، وكلا الأمرين خير تنجوه
الطلبات^(٢) ، وتعلق به الرغبات^(٣) .

٣٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَا تَسْأَلِ
الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِي مَا فِي إِنْأَتِهَا » ، وفي هذا الكلام
استعارة ، لأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن المرأة لا ينبغي لها أن
تطلب طلاق أختها لتتصل بالزوج الذي كان لها طلباً لأن تجر حظها
إليها ، وتستبد بالنفع عليها ، فتكون كأنها اكتفت ما في إِنْأَتِهَا :
أي أمات الإناء إلى نفسها فقلبته لتستفرغ ما فيه وتستأثر عليها به .
يقال : كفأت الإناء إذا كببته ، واكتفأته إذا شربت ما فيه أجمع
أو أكلت ما فيه أجمع^(٤) .

(١) الأسلاب جمع سلب : وهو سلاح المحاربين ، ومن ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم : « من قتل قتيلاً فله سلبه » فله سلاحه ، والأنقال جمع نقل : وهو
الغنيمة ومن ذلك سورة الأنفال أي الغنائم .

(٢) الطلبات جمع طلبية : بكسر اللام وفتح الطاء أي الرغبات .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية حيث شبه مجيء الخير بواسطة الخيل في أغلب الأحيان
وملازمته لها بعقده بنواصيها في قربه منها وملاصقتها لها ، واستعار العقد بالنواصي
للمجىء بسرعة وقرب ، واشتق من العقد بمعنى سرعة المجىء والقرب معقود
بمعنى قريب وسريع على طريق الاستعارة التبعية .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تمثيلية حيث شبه حالة الأخت التي تعمل على طلاق أختها

٣١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِمِيسَمِهَا ^(١) » ، وهذا القول مجاز لأنه لا ميسم هناك . ولا يبعد أن يكون هذا الكلام داخلاً في حيز الحقيقة ، ويكون الميسم مفعلاً من الوسامة . يقال : وَصَمْتُ الْمَرْأَةَ وَصَامَةً ، وإنها ذات مِيسَمٍ وجمال وهذا القول مجاز ، لأنه لا ميسم هناك على الحقيقة ، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام أنها تنكح لأثر الجمال الظاهر عليها ، وجعل الجمال مِيسَمًا لها مبالغة في وصفه بالعلوق بها والظهور على وجهها كما يشهر أثر المِيسَمِ الذي تكوى به الإبل فلا يذهب إلا بذهاب الجلد الذي أثر فيه وعلق به . ويقولون في أمثالهم ، يبقى بقاء الوسم : إذا وصفوا الأمر بالخلود والدوام والبقاء على الأيام .

٣٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْإِسْلَامُ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ » ، وهذا القول مجاز ، لأن أصل الحب هو اختزال السفام من أصله ، فكأنه عليه الصلاة والسلام جعل الإسلام مستقاصلاً

من زوجها لتزوج هي به ، بحالة الشخص الذي يقبل الإناء فيفرغ مافيه ثم يأكله كله أو يشربه كله . فوجه الشبه منتزع من متعدد وهو تشبيه طلب التطليق بمحاولة قلب الإناء ووقوع التطليق بإفراغ الإناء والزواج بزواج الأخت بأكل مافي الإناء كله أو شربه كله . واستعيرت ألفاظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

(١) الميسم والوسم : أثر الحسن ، وعلى ذلك يكون الكلام حقيقة : أى تنكح المرأة لأثر الحسن فيها ، والميسم اسم آلة لوسم الإبل والحيوانات وكيها بالنار ، فإذا جعلنا الميسم هو هذا كان الكلام استعارة ، ويكون في الكلام مضاف محذوف والتقدير لأثر ميسمها فيكون الحسن مشبهاً بأثر الميسم .

كَلَّ ذَنْبَ تَقَدَّمَ لِلْإِنْسَانِ قَبْلَهُ حَتَّى لَا يَدْعَ لَهُ جُنَايَةَ يَحْذَرُ عَاقِبَتَهَا
لَا مَعْرَةَ يَسُوهُ الْحَدِيثُ عَنْهَا بَلْ يُعَفِّي عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ السُّوءَاتِ ،
يَحْثُو عَلَى مَا ظَهَرَ ^(١) مِنَ الْعَوْرَاتِ .

٣٣ — وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي وَصِيَّتِهِ لِأَسْمَاءَ
الْجَيْشِ الَّذِي بَعَثَهُ إِلَى مُؤْتَةِ ^(٢) : « وَتَجِدُونَ آخِرِينَ لِلشَّيْطَانِ
فِي رِءُوسِهِمْ مَفَاحِصَ فَاقْلَعُوا بِالسَّيْفِ » ، وَهَذِهِ مِنَ الِاسْتِعَارَاتِ
الْعَجَبِيَّةِ ، وَالْمَجَازَاتِ اللَّطِيفَةِ . وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ يَقُولَ
الْقَاتِلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَصِفَ إِنْسَانًا بِشِدَّةِ الْارْتِكَاسِ فِي غِيهِ
وَالْارْتِكَاسِ فِي عَنَانِ بَغْيِهِ قَدْ فَرَّخَ الشَّيْطَانُ فِي رَأْسِهِ أَوْ قَدْ عَشَّشَ
الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِهِ ، فَذَهَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى ذَلِكَ الْوَضْعِ وَبَنَى
عَلَى ذَلِكَ الْأَصْلِ ، فَقَالَ لِلشَّيْطَانِ فِي رِءُوسِهِمْ مَفَاحِصَ وَالْمَفْحَصُ فِي
الْأَصْلِ الْمَوْضِعُ الَّذِي تَبْحَثُهُ الْقَطَاةُ لِتَجْنِمَ عَلَيْهِ أَوْ لَتَبْيِضَ فِيهِ ^(٣) . وَإِنَّمَا
قِيلَ لَهُ مَفْحَصٌ لِأَنَّهَا لَا تَجْنِمُ فِيهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَفْحَصَ التَّرَابَ عَنْهُ
تَوَطُّنًا لِحُجْمِهَا وَتَهْيِئًا لِحُجْمِهَا . وَيُقَالُ مَا بَقِيَ لِفُلَانٍ مَفْحَصُ قَطَاةٍ إِذَا

(١) يَحْثُو عَلَى مَا ظَهَرَ : أَيْ يَفْطِي عَلَيْهِ كَمَا أَنَّهُ حَثَا التَّرَابَ عَلَيْهِ فَنَفَطَاهُ .

(٢) مُؤْتَةُ : مَوْضِعٌ بِمَشَارِفِ الشَّامِ ، قُتِلَ فِيهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ بِهِ
غَزْوَةُ الْمُسْلِمِينَ .

(٣) وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ بَنَى لَهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَفَحَصَ قَطَاةُ
بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

لم يبق له ربع يؤويه ولا جَرِيٍّ^(١) يكون فيه . فيحتمل قوله عليه الصلاة والسلام : للشيطان في رؤوسهم مفاحص أحد معنيين .

﴿أحدهما﴾ أن يكون أراد أن الشيطان قد بدأ يخندعهم ، ويفرّهم ، ويستهوهم ويضلهم ، ولم يبلغ بعد من ذلك غايته ، ولا استوعب خديعته كالقطاة التي بدأت باتخاذ المفحص لتبيض به وترتب فراخها فيه .

﴿والمعنى الآخر﴾ أن يكون أراد أن الشيطان قد استوطن رؤوسهم . فجعلها له مقبلاً ، ومبرّكا ، وملعباً ، ومُتَمَكِّكاً^(٢) . كما تتخذ القطاة مفحصاً لتأوى إليه وتستجنّ فيه^(٣) .

٣٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَجِدُ نَفْسَ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ » ، وهذا القول مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن غوث الله ونصره يأتيان من قبل اليمن يعنى القبيلة لا البلدة ، والقبيلة هم الأنصار الذين نفّس الله بهم خفاق الدين ،

(١) الجرى والجريئة : بيت بصطاد الصيادون فيه السباع ويكون في العراء لا أثر فيه لثرف ولا يصلح للإقامة .

(٢) التمكن : المكان الذى يتمرغ فيه الحيوان ليهرش جلده .

(٣) والمعنى الأخير أولى بالحمل عليه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاقلموها بالسيوف ، وأثر الفحص لا يقلع وإنما يقلع العش والبيت الذى بنى ، إلا إذا جعلنا فى اقلعوها مجازاً بأن يشبه نحو الأثر بقلم البيت .

وفى الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه المعلومات الزائفة والعقائد الفاسدة التى بثها الشيطان فى عقولهم بعش الطائر المعد لإقامته فيه .

وكشف بأيديهم كرب المؤمنين . ومن كلامهم : أنت في نفس من أمرك : أى فى مذبح طويل ومضطرب عريض . ويقول القائل : اللهم نفس عني ، أى فرّج كربى ، واكشف همى . ومما يقوى هذا التأويل الحديثان المرويان عنه عليه الصلاة والسلام فى مثل هذا المعنى وأحدهما قوله عليه الصلاة والسلام : « لَا تَسْبُوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ » . يريد أنه تعالى يفرّج بها الكرب ويطردها الجدوب ^(١) . والحديث الآخر قوله عليه الصلاة والسلام : « الرِّيحُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ » . فقوله عليه الصلاة والسلام من روح الله كقوله : من نفس الرحمن ، والمعنيان متقاربان ^(٢) .

٣٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْحُمَى رَائِدُ الْمَوْتِ ، وَهِيَ سِجْنُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يَخْبِسُ بِهَا عَبْدَهُ إِذَا شَاءَ وَيُرْسِلُهُ إِذَا شَاءَ » ، وفى هذا الكلام استعارتان عجيبتان :

﴿ إحداهما ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : الحمى رائد الموت . تشبيهاً لها برائد الحى الذى يتقدمهم فيرتاد لهم مساقط السحاب

(١) الجدوب جم جذب : كقلب وقلوب ، والجذب : القحط وفلة الزرع ، وذلك لأن الريح تحمل السحاب ، فإذا صادفت جواً بارداً أمطرت فتسقى الأرض فينبت الزرع فيأكل الناس والدواب ويشربون ويزول الجذب .

(٢) فنفس فى الحديث اسم وضع موضع المصدر أى أجد تنفيس ربكم وتفرجهم من قبل اليمين أى من جهته والمراد بجهة اليمين كما قال الشريف الأنصار لأنهم فى الأصل من اليمين ، والمجاز حينئذ فى استعمال اليمين فى القبيلة فهو مجاز مرسل علاقته المحلية .

ومنابت الأعشاب . فيكون ارتحالهم على خبره ، واستغفرتهم إلى نظره . ومنه الحديث : « الرائد لا يكذب أهله » فكأنه عليه الصلاة والسلام جعل الحمى مقدمة للموت وطليلة للحتف .

﴿ والاستعارة الأخرى ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : وهي سجن الله في الأرض يحبس بها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء . فكأنه عليه الصلاة والسلام شبهها بالسجن من حيث منعت صاحبها من التصرف والاضطراب وغفلته عن قضاء الآراب^(١) ، فكان أسيرها حتى تطلقه ورقيقها حتى تعتقه ، ومثل ذلك الحديث الآخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » لأنه عليه الصلاة والسلام شبه الدنيا بالسجن للمؤمن من حيث قصر فيها خطوه عن اللذات ، وكبح جماحه عن الشهوات ، وحصر نفسه عن التسرع إلى ما تدعو إليه الدواعي الخزية ، والأهواء المردية . وكان زمام نفسه وخطامها ، وهاديها وإمامها ، خائفاً خوف الجاني المرعوب ، والطريد المطلوب ، في عصبية عملوا المعاد ، وفطنوا للزاد ، تحسبهم من طول سجودهم أمواتاً ، ومن طول قيامهم نباتاً .

ومن أحسن ما سمعته في هذا المعنى أن بعض الزهاد المنقطعين طلب القوت من بعض الراغبين المغتوين ، فقيل له في ذلك . فقال :

(١) الآراب جمع أرب : بفتح الهمزة والراء وهو الغاية والبغية وأصلها أراب قلبت الهمزة الثانية الساكنة مدة من جنس حركة ما قبلها .

أنا مسجون وهو مطلق وهل يأكل المسجون إلا من يد المطلق .
 وشبهها عليه الصلاة والسلام بالجنة للكافر من حيث استوعب فيها
 شهواته ، واستيفرغ لذاته ، وقضى فيها الأوطار ، ونعجل المسار ،
 واستهواه عاجل حطامها . ورقيق جأماها^(١) . فنسى العاقبة واستهان
 بالمغبة فكان ميت الأحياء كما كان المؤمن حيّ الأموات . ولى فى
 بعض كتبي فصل هو لائق بهذا الموضع . وذلك قولى : فالحمد لله
 الذى جعل أهل طاعته أحياء فى مماتهم ، كما جعل أهل معصيته أمواتا
 فى حياتهم^(٢) .

٣٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كَيْفَ أَنْتُمْ
 إِذَا مَرَجَ الدِّينُ » فى حديث طويل . وفى هذا القول مجاز لأن أصل

(١) الجأما جمع جأ : وهو الكثير ، والريق : الرائق الشائق الذى يجذب العين
 ويغلب اللب ، أى استهواه كثير مفاتها ، وحسن متاعها .

(٢) ماق الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيهان بليغان ، حيث شبه الحمى فى سبقها الموت بالرائد الذى يسبق
 قبيلته للبحث عن الكلاء أو غيره ، وشبه الحمى فى حبسها الإنسان عن القيام بأعماله
 بالسجن فى حبس جسمه عن الخروج إلى المنطلق فى الدنيا ، وفيه استعارتان بالكناية
 حيث شبه الموت بالقبيلة التى ترسل واحداً منها لارتياذ المكان وحذفه ورمز لايه
 بشىء من لوازمه وهو الرائد ولأثبت الرائد للموت تخييل وشبه الله تعالى بالحاكم فى
 الأرض الذى له سجن يحبس فيه المخالفين له ، وحذفه ورمز لايه بشىء من لوازمه
 وهو السجن ولأثبت السجن لله تعالى تخييل .

قولهم مَرَجَ الشيء ^(١) مأخوذ من القلق والاضطراب ، والمجىء والذهاب . يقال : مَرَجَ الخاتم في الإصبع إذا قلق ونحرك ، فكأنه عليه الصلاة والسلام وصف دين الناس على ذلك العهد بالكفى ^(٢) والمرَجَان ^(٣) ، واضطراب الأركان . والمراد بذلك اضطراب أهل الدين فيه ، وقلة ثباتهم عليه . قال الشاعر :

مَرَجَ الدِّينُ فَأَعْدَدْتُ لَهُ

مُشْرِفَ الْحَارِكِ ^(٤) مَحْبُوكَ الْكَيْدِ ^(٥)

(١) مَرَجَ من باب فرح ، فسد وقلق واضطرب واختلط . قال في القاموس : « المَرَجَ عَرَكَةُ الإِبِلِ تَرعى بِلَارَاعٍ لِلوَاحِدِ وَالْجَمِيعِ ، وَالْفَسَادُ وَالْقَلَقُ وَالْاضْطِرَابُ وَالْإِخْطِلَاطُ » اهـ . فالمعنى يدور على الحلل وعدم الانتظام ، ومن ذلك قوله تعالى : « فهم في أمر مريب » أى مختلط مضطرب .

(٢) كَفَأَ فلاناً : كبه على وجهه ، وتكفأ تعثر في مشيته حتى ليكاد يتكفى على وجهه ، والتكى تفعل من كفأ ، وأصله التكفو فسبغت همزته فصار التكفو ، فوقعت الواو آخر الكلمة فقلبت ياء ثم كسرت الفاء لمناسبة الياء . والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف دين الناس في هذا العهد بالانقلاب على وجهه ، كما قال تعالى : « وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه » .

(٣) المَرَجَان : فعالان من المَرَجَ الذى سبق بيانه .

(٤) الحَارِك : منبت أدنى عرف الفرس إلى ظهره وهو الذى يمسك به من ركبته بدون سرج .

(٥) الحيك : الشد والإحكام ، والمراد بالكيد القلب . والمعنى أعددت لمرج الدين واضطرابه فرساً مشرفاً منبت العرف أى عاليه ، قوى القلب يقدر على الجرى السريع مع استطاعته التملك منه بالقبض على شعر عرفه الذى يسهل القبض عليه للعلو منبته . والمعنى أنه أعد هذا الفرس ليهرب عليه أو ليجارب عليه المارجين .

ومثل هذا الحديث الحديث الآخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو : « كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُمْلَةٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَّ جَتُّ عُمُودِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ » : أى لا يستقرون على عهد ، ولا يقيمون على عقد ، يصفهم عليه الصلاة والسلام بقلة الثبات ، وكثرة الانتقالات . والمراد أصحاب الأمانات والعهود ، وإن كان ظاهر اللفظ يتناولها وصريح الكلام يتعلق بها . وذلك أيضاً من جملة المجازات المقصود ببيانها في هذا الكتاب . والخمالة : الردى من كل شيء . وأصله ما يتهافت من قشارة التمر والشعير . يقال : حُمْلَةٌ وَجُمْلَةٌ وَحُمْلَةٌ وَجُمْلَةٌ ^(١) . فشبهه عليه الصلاة والسلام بذلك الرذال ^(٢) الباقيين من الخيار الذاهبين . وهذا أيضاً داخل في باب المجاز ^(٣) .

٣٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد خرج ذات

(١) الجفالة : القشارة ، جفله : قشره ، والجُمْلَة : مانتثر من ورق الشجر ، والحفالة : هى الخمالة ، وقد سبق بيانها ، وهذه الألفاظ كلها تدور على معنى النفاية والردى .

(٢) الرذال : الدون الحسيس والردى من كل شيء .

(٣) مافى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية : حيث شبه فساد أمر الدين وعدم ثباته فى نفوس الناس باضطراب الخاتم فى اليد ، أو باضطراب الإنسان وقلقه وذهابه وجميئه بجماع عدم الثبات فى كل من التشبه والمشبه به ، ثم اشتق من اللفظ الدال على المشبه به وهو المرج بمعنى الاضطراب مرج بمعنى فسد ولم يثبت على طريق الاستعارة التبعية .

يَوْمَ تُخْتَضِنَا أَحَدَ ابْنَيْهِ الْحَسَنَ أَوْ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : « لَتَجَبَّنُونَّ وَتُبْخُلُونَّ وَتُجْمَلُونَّ وَإِنَّا نَكْمُ أَمِينَ رِيحَانِ اللَّهِ ، وَإِنَّ آخِرَ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا اللَّهُ بِوَجْهِ » . فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ ؛ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مَجَازَانِ :

﴿ أَحَدُهُمَا ﴾ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « وَإِنَّا نَكْمُ أَمِينَ رِيحَانِ اللَّهِ » . وَلِلرَّيْحَانِ هَاهُنَا وَجْهَانِ : أَحَدُهُمَا يَكُونُ الْكَلَامُ بِهِ اسْتِعَارَةً ، وَالْآخَرُ يَكُونُ بِهِ حَقِيقَةً . فَأَمَّا الْوَجْهَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ حَقِيقَةً ، فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الرِّيحَانُ بِمَعْنَى الرِّزْقِ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ الرِّزْقُ الَّذِي يُوْكَلُ خُصُوصًا . وَمِنْ كَلَامِهِمْ : خَرَجْنَا نَطْلُبُ رِيحَانَ اللَّهِ : أَيُ رِزْقِ اللَّهِ ، وَالْوَلَدُ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، فَصَارَ الْكَلَامُ حَقِيقَةً . وَأَمَّا الْوَجْهَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ اسْتِعَارَةً ، فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الرِّيحَانُ هَاهُنَا يَرِيدُ بِهِ النِّبْتَ الْخُصُوصَ الَّذِي يَسْتَطَابُ لِلشَّمِيمِ ، فَعَمِلَ الْوَلَدُ بِمَنْزِلَتِهِ لِأَنَّهُ يَسْتَلْذِ شِمَمَ رِيحِهِ وَيُسْتَرْوِحُ إِلَى اسْتِنْشَاقِ عَرْفِهِ . وَعَادَةُ النَّاسِ مَعْرُوفَةٌ فِي شِمَمِ الْوَلَدِ وَضَمِهِ . وَأَصْلُ الرِّيحَانِ مَاخُوذٌ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي يَسْتَرْوِحُ إِلَيْهِ وَيَتَنَفَسُ مِنَ الْكَرْبِ بِهِ . وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

سَلَامُ الْإِلَهِ وَرِيحَانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءُ دَرَرٍ^(١)

وَأَصْلُهُ مِنَ الْوَاوِ كَأَنَّهُ مَاخُوذٌ مِنَ الرُّوحِ .

﴿ وَالْمَجَازُ الْآخَرُ ﴾ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « وَإِنَّ آخِرَ

وطأة وطئها الله بوجّ » ، وأصح ما قاله العلماء في تأويل هذا الخبر أن فيه مضافاً محذوفاً تقديره أن يكون ، وإن آخر وطأة وطئها جند الله أو رسول الله بوجّ ، ووجّ جبل بالطائف . وهذا كما تقوله في قوله تعالى : « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » . أى يؤذون أولياء الله وأصفياء الله ، لأن حقيقة الأذى لا يصحّ على الله سبحانه ، والمراد بذكر الوطأة بوجّ أن آخر إيقاع الله سبحانه بالمشرّكين على أيدي المؤمنين بوج ، ولذلك قال سفيان بن عيينة : آخر غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله ، الطائف .

يريد أنه لم يغز بعدها غزاة فيها قتال ، لأن مخرجه عليه الصلاة والسلام إلى تبوك من بعد لم يلق فيه كيذا ولم يقابل أحداً . والعرب تسكنى عن الواقعة أو الحال الشديدة بالوطأة يقولون : وطئ آل فلان آل فلان في يوم كذا وفي مكان كذا وطئاً شديداً . ومنه ما حكى عن أبي سفيان بن حرب أنه خرج يوماً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ظاهر المدينة ، فلما نظر إلى أحد قال : لقد وطئنا محمداً وأصحابه ها هنا وطئاً شديداً . ومن ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام : « اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَّ » . أى أصبهم بالشدائد وافرّعهم بالقوارع ، ومنه قول الشاعر :

وَوَطِّنْتَنَّا وَطَنًا عَلَى حَقٍّ ^(١) وَطَأَ الْمَقِيدَ نَابِتَ الْمَرْمِ ^(٢)

ولمّا قال المقيد لأن وطأه أشدّ واعتماده أثقل . وقال الآخر :

* وَطِّنْنَا تَمِيمًا وَطَأَةَ الْمُتَشَاغِلِ *

وقوله عليه الصلاة والسلام في أول الحديث : « إِنْكُمْ لَتَجَبَّنُونَ وَتَبْخُلُونَ وَتُجْهَلُونَ » ، يريد به أنكم لتَجَبَّنَ الناسُ آبَاءكم وتُبْخُلَهم وتُجْهَلُهم ^(٣) . فأضاف هذه الأحوال إلى الأبناء إذ كانوا شبيهاً للآباء وهذا أيضاً مجاز ثالث في الخبر الذي كلامنا عليه ^(٤) .

٣٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَوْ يَعْلَمُونَ مَا يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْجُوعِ الْأَغْبَرِ ، وَمِنَ الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ »

(١) الحق : الفيظ أو شدته ، والمفيظ إذا وطىء من أحنقه يكون وطؤه شديداً جداً .

(٢) الهرم : يابس الخطب ، وإذا وطئه المقيد ووطئه شديد هشمه هشماً .

(٣) هذا التفسير يناسبه ضبط الأفعال بالبناء المفعول لا للفاعل ، والأصل : ليجبنكم الناس وينخلونكم ويجهلونكم ، فلما حذف الفاعل وهو الناس استند الفعل إلى المفعول به ، والناس لا يجبنون الأولاد ولمّا يجبنون آباءهم لأنهم لخوافهم عليهم يبتعدون عن الحرب ويحرصون على المال ، ويقضون أوقاتهم في طلب الرزق ، فلا يسعون إلى العلم ، وقوله إذ كانوا شبيهاً للآباء ، فيه حذف وتحريف ، والأصل إذ كانوا سبباً لجبن الآباء ، وقد ورد الحديث بالروايتين .

(٤) هذا المجاز الثالث ، مجاز عقلى حيث أسند الفعل إلى سببه وهو الأبناء ، لأن الضمائر التي هي واوات الجماعة في الأفعال الثلاثة عائدة إلى الأبناء ، والأبناء لا ينسبون للجبن ولمّا ينسب آبائهم إليه بسببهم ، أما على ضبط الأفعال بالبناء للفاعل فالكلام حقيقة لا مجاز فيه ، لأن الأبناء يجبنون آباءهم ويجهلونهم ، فالأبناء هم المسند إليهم في الحقيقة ونفس الأمر .

وهاتان الاستعارتان من أحسن الاستعارات ، لأن الجوع أبداً إنما كان يلحق العرب في اللأواء^(١) والأزمات والسنين المجدبات ، وتلك السنون تسمى غبرا لا غير آفاقها من قلة الأمطار ، وأراضيها من عدم النبات والأعشاب ، ويقولون : هذه حجج^(٢) غبر إذا كانت كذلك ، ألا ترى إلى قول الشاعر :

أَغْرَيْتُ بَارِي الرِّيحِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ إِذَا أُغْبِرَّ أَقْدَامُ الرِّجَالِ مِنَ الْمَحَلِ
وقيل عام الرّمادة^(٣) لهذا المعنى على أحد القولين ، والقول الآخر :
أنه إنما سمي بذلك لهلاك الناس فيه مأخوذ من الرّمذ وهو الهلاك ،
قال الشاعر :

صَبَبْتُ عَلَيْهِمْ حَاصِبِي فَهَرَكْتُهُمْ كَأَضْرَامِ^(٤) عَادِ حِينَ جَلَّاهَا الرَّمْدُ
أى الهلاك .

والاستعارة الأخرى قوله عليه الصلاة والسلام : والموت الأحمر ،
وهذه طريقة للعرب في وصف اليوم العمّاس^(٥) ، واشتداد البأس

(١) اللأواء : الشدة .

(٢) الحجج : السنين . ومن ذلك قوله تعالى « على أن تأجرني ثمانى حجج » .

(٣) رمدت الغنم ترمد : من باب ضرب هلكت يبرد أو صقيع ومنه عام الرمادة الذى هلك فيه الناس والأموال من الجذب وقلة الغذاء ، وكان ذلك في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(٤) ضرم كفرح : اشتد جوعه ، والضرم بوزن كتف : الجائع ، فالأضرام هنا جمع ضرم ، أى كجياح عاد .

(٥) العمّاس : المظالم الشديد .

بالحمرة . فكما يقولون : يوم أحر ، كذلك يقولون : موت أحر .
قال الشاعر في صفة الأسد :

إذا علقت أظفاره في فريسة رأى الموت في عينيه أحر أسودا
وقد يجوز أن يكونوا إنما وصفوا يوم الحرب بالحمرة لاهمرار
أرضه وسلاحه بأسابي النجيع^(١) ، والعلق^(٢) الصيب لكثرة
الجراح التي يحمر من نضحها معارف^(٣) الأبدان ، وسرايل الأقران ،
وإذا ساغ هذا في صفة اليوم ساغ مثله في صفة الموت .

٣٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لأزواجه :
« أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ » يَدَا^(٤) ، والحديث أنه
لما سمعن منه صلى الله عليه وعلى آله هذا القول جعلن يتذارعن^(٥)
ينظرن أيهن أطول بدأ إلى أن توفيت زينب بنت جحش بن رباب

(١) النجيع من الدم : ما كان مائلا إلى السواد لشدة حرته ، وأسايه طرائقه
والأسابي جمع لسبابة فأصل أسابي أسابي فقلبت الهمزة باء وأدغمت في الياء .
(٢) العلق : الدم مطلقاً أو الشديد الحرارة أو الغليظ ، والصيب الدم ، والمراد
الدم الأحمر الشديد الحرارة حتى يكون مناسباً للموت الأحمر .

(٣) المعارف : الوجوه ، والسرايل : الجلود .

(٤) المراد أسرعهن لحاقاً به في الموت ، أي أول من تموت منهن بعد موت
النبي صلى الله عليه وسلم ، فتكون هي أسرعهن لحاقاً به .

(٥) يتذارعن : أي يقسن أذرعهن ليرين أي الأيدي أطول ، وفي البخاري :
فأخذن قصبة (قطعة من البوص) يقسن بها أيديهن . والمعنى أن نساءه صلى الله
عليه وسلم فهمن من طول اليد الطول الحسى لا الطول المعنوى ، وهو الكرم
وبذل المعروف .

الأسدى أول من توفي منهن ، وكانت كثيرة المعروف ، فعلمن حينئذٍ أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بطول اليد كثرة البرّ وبذل الوفر ، وكفايته عليه الصلاة والسلام عن هذا المعنى بطول اليد مجاز واتساع ، لأن الأغلب أن يكون ما يعطيه الإنسان غيره من الرّفد والبرّ أن يعطيه ذلك بيده فسمى الفيل^(١) باسم اليد ، إذ كان في الأكثر إنما يكون مدفوعاً بها ومجتازاً عليها . وقد أشرنا إلى هذا المعنى فيما تقدم .

ومثل ذلك قول أمير المؤمنين علىّ عليه السلام : من يُعْطِ باليد القصيرة يُعْطِ باليد الطويلة ، ومعنى هذا القول أن من يبذل خير الدنيا يحزه الله خير الآخرة ، وكفى عليه السلام عما يبذل من نفع الدنيا باليد القصيرة لقلته في جنب نفع الآخرة ، لأن ذلك زائل ماض وهذا مقيم باق . وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة ، وقد جمعوا اليد التي هي الجارحة على أيد وأياد ، وهو شاذّ فيها كما جمعوا اليد التي هي العطية على أياد وأيد وهو شاذّ فيها^(٢) ، وقد جاء أيضاً في جمها يدي^(٣) . أنشدنا شيخنا أبو الفتح عثمان بن جني ،

(١) النيل : العطاء .

(٢) يريد أن أياد شاذ في جمع الجارحة ، وأيد شاذ في جمع العطية .

(٣) يدي على وزن فعول وأصلها يدوي اجتمعت الواو والياء وسبقت لإحداها بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وكسرت الدال لمناسبة الياء ، وقد خصّ الشريف « يدي » بالعطية ، ولكنها وردت في جمع الجارحة أيضاً .

وأبو الحسن على بن عيسى الرُّبَعي ، وأظنه من أبيات السكتَاب^(١) :
وَلَنْ أَذْكَرَ النُّعْمَانَ إِلَّا بِصَالِحٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدِي يَدِيَّ وَأُنْعَمَ^(٢)

٤٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « ماتَ حَتِيفٌ أَنْفَهُ » . وذلك مجاز لأنه جعل الخنف لأنفه خاصاً وهو في الحقيقة له عاماً . لأن الميت على فراشه من غير أن يعجله القتل إنما يتنفس شيئاً فشيئاً حتى ينقضي ذمأؤه^(٣) وتفتى حَوَابُوه^(٤) ، فخصَّ عليه الصلاة والسلام الأنف بذلك لأنه جهة لخروج النَّفْس وحلول الموت . ولا يكاد يقال ذلك في سائر الميِّتات حتى تكون الميِّتة ذات مهلة . وتكون النفس غير معجلة ، فلا يستعمل ذلك في الميِّتة بالفرق والهدم وجميع فجأة الموت ، وإنما يستعمل في العلة المطاولة ، والميِّتة المُمَاطِلَة . وروى عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنه قال : ما سمعت كلمة عربية من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسمعتها

(١) إذا أطلق السكتاب : انصرف إلى كتاب سيديوه .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

قال الشريف : إن فيه كناية ، كنى بطول اليد عن كثرة العطاء ، لأن كثرة العطاء تستلزم كثرة مد اليد ، وكثرة مد اليد تستلزم طولها لأنها في أكثر أحوالها ممدودة ، وأيادى بقية نسائه صلى الله عليه وسلم غير ممدودة ، فتكون يد المظنية أطول من أيدي غيرها ، وهو طول نسبي .

(٣) الذمء : بقية الروح .

(٤) الحوباء : النفس .

يقول : مات حشف أنفه . وما سمعتها من عربى قبله^(١) .

٤١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ » ، ولهذا القول تعلق بباب الجاز . وللعلماء فى تأويله قولان : أحدهما أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن نكاح المرأة على ظاهر الحسن ، وهى فى المذنب السوء أو فى البيت السوء . فوجه الجاز من هذا القول أنه عليه الصلاة والسلام شبه المرأة الحسناء بالروضة الخضرىة لجمال ظاهرها ، وشبهه مذنبها السوء بالدمنة لقباحه باطنها ، والدمنة : هى الأبعاد المجتمعة تركبها السوائى ويعلوها الهابى^(٢) . فإذا أصابها المطر أنبتت نباتاً خضراً يروق منظره ويسوء مظهره ، فنهى عليه الصلاة والسلام عن نكاح المرأة إذا كانت مغموضة^(٣) فى نفسها ، أو مطعوناً عليها فى نسبها ، لأن أعراق السوء تنزع إلى ولدها وتضرب فى نسلها . قال الشاعر :

(١) ماقى الحديث من البلاغة :

فى الحديث مجاز مرسل علاقته المحلية ، لأن النفس تخرج من الأنف وهى التى تهلك لا الأنف .

(٢) السوائى : جم سافية ، وهى الريح تثير التراب ، والهابى : تراب القبر ، والتراب الذى يهب مع الريح ، والمراد هنا الأخير .

(٣) الغامض : الخامل الذليل والحسب الغير المعروف ، والمراد بالمرأة المغموضة الحاملة الدليلة التى لا يعرف حسبها .

وَأَدْرَكْنَاهُ خَالَاتُهُ نَحْذَنُفُهُ أَلَا إِنِّ عِرْقَ الشَّوْءِ لَا بُدَّ مُدْرِكُ

والقول الآخر أن يكون عليه الصلاة والسلام ، إنما نهى في الحقيقة عن تعارض النفاق وتغاير الأخلاق ، وأن يتلقى الرجل أخاه بالظاهر الجميل ، وينطوى على الباطن الذميم ، أو يخدعه بحلاوة اللسان ، ومن خلفها مرارة الجفان . وإلى هذا المعنى ذهب الشاعر في قوله :

وَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ^(١) النَّرَى

وَتَبَقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَا

كأنه أراد إنا وإنا لقيناكم بظاهر الطلاقة والبشر ، فإنا نضمركم على باطن الغش والغمر^(٢) ، ومثل هذا قول الآخر :

وَفِينَا وَإِنْ قِيلَ اضْطَلَحْنَا تَضَاغُنْ

كَمَا طَرَ^(٣) أَوْبَارُ الْجِرَابِ^(٤) عَلَى النَّشْرِ

وقال أهل العربية : النشْر أن يَنْبُت وَبْرُ البعير وتحت داء العر

(١) الدمن : جمع دمنة ، وهى بقية الدار التى تكون محلا للقذارة ، وماوى للحشرات .

(٢) الغمر : الحقد .

(٣) طر : نبت ، يقال طر شاربى ، أى نبت شاربى ، والمراد هنا كما ينبت وبر الجمال على الجرب .

(٤) الجراب : جمع جرب ، كفرح ، أو جربان أو أجرب ، وهو الجمل المريض بالجرب .

وهو الجرب ، فيرى كأن ظاهره سليم وباطنه سقيم^(١) .

٤٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الأنصار كَرِشِي وَعَيْبَتِي » ، وفي هذا القول مجازان :

﴿ أحدهما ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : كَرِشِي . ويحتمل ذلك معنيين : (أحدهما) أن يكون أراد عليه الصلاة والسلام أنهم مادني التي أقوى بها ، وأفزع إليها كما تفزع ذوات الاجترار إلى أكرائها في انتزاع لجرّة منها ، والاعتماد عند فقد المرعى عليها . فأراد عليه الصلاة والسلام أن الأنصار رحمة الله عليهم يمدّونه بأنفسهم ، ويكون معوّله في السراء والضراء عليهم .

و ﴿ للمعنى الآخر ﴾ أن يكون المراد أن الأنصار أهلى وعيالى وحامّتى^(٢) وجماعتي ، والكرش اسم للجماعة . قال الشاعر :

وَسَبِينَا بَنَاتٌ قَيْصَرَ قَسْرًا واستبحفنا كَرِ كِرًا^(٣) وَكُرُوشًا

أى جماعات . وقال أبو زيد : الكرّش اسم من أسماء الأصل كالسُنخ والجذم ، وما فى معناها ، ويقول القائل لفلان : كرّش

(١) مافى الحديث من البلاغة :

فى استعمال خضراء الدمن فى المرأة السيئة استعارة تصريحية ، حيث شبه المرأة السيئة الحسب أو النسب الجميلة المنظر ، بالنبات الأخضر فى النبات السوء ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه على طريق الاستعارة التصريحية .

(٢) الحامة : خاصة الرجل من أهله وولده .

(٣) الكراكر : الجماعات من الناس .

منثورة إذا أراد أنه ذو كثرة من العيال وعدد من الأولاد ، ومعنى
منثورة أنهم متفرقون متشعبون لأن الكرش مجتمعة ، وهؤلاء مع
شبههم ها كالشعب المتفرقة . وإنما شبه العيال والأولاد بالكرش
لأنها في الأنعام مستقرة لأغلافها ، ومغريض لما يصل إلى أجوافها ،
وكذلك عيال الرجل وولده إليهم تنصرف مكاسبه ، وعليهم
تُنْفَقُ خزائنه .

﴿ والحجاز الآخر ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : وعيتي ^(١) ،
وأراد أنهم موضع ثقتي ومستودع نفثتي ، ومكان سرى وجأ ^(٢) ،
ظهري ، كالعمية التي يودعها الإنسان نفائس ذخره ^(٣) ، وكرائم
وفره ، ويكون ما استودعها قوةً لظهره ، وعُدَّةً لدهره . وقد ذكر
الواقدي في كتاب المغازي هذا الكلام في جملة خطبة النبي التي
خطب بها قبل وفاته بزيادة في ألفاظه . فقال : قال صلى الله عليه
 وآله : « أَلَا إِنَّ الْأَنْصَارَ عَيْبَتِي الَّتِي آوَى إِلَيْهَا وَنَعَلِي الَّتِي أَطَأُ
بِهَا وَكَرِشِي الَّتِي آكَلُ فِيهَا » . وهاهنا زيادة مجاز لم تكن هناك ،
وهو قوله عليه الصلاة والسلام : ونعلي التي أطأ بها . ولهذا
القول وجهان :

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

(٢) اللجأ : اللجأ والسند .

(٣) هذا تفسير آخر للعمية ، لأن العمية تكون بمعنى الحقبة التي توضع فيها
التياب ، وما يحتاج الإنسان إلى حفظه من أمتعته .

﴿أحدهما﴾ أن يكون شبههم بالنعل التي تقي القدم نَكَتَ الظَّرَابُ^(١) ، وَوَحَزَ الشُّبَّاكُ^(٢) ، وما في معنى ذلك . فأراد أنهم تقوية ضدَّ الأعداء واشتداد اللأواء .

﴿والوجه الآخر﴾ أن يكون أراد أنهم جنوده التي يطأ بها البلاد ، ويقلب الأضداد . وتقول العرب : داس آل فلان آل فلان ، ووَطِئُ بنو فلان بني فلان إذا كانوا الغالبين لهم والعالين عليهم . ومن ذلك ما حكى عن أبي سفيان بن حرب أنه قال وقد مر بأحد : لقد دُسْنَا هاهنا محمداً وأصحابه دَوْسَةً مذكورة ، ويروي وطئنا^(٣) .

٤٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « لحكيم بن حزام بن خويلد بعد إسلامه وقد ألحف في سؤاله صلى الله عليه وآله

(١) النكت : أن تضرب في الأرض بقضيب فيؤثر فيها ، والظراب جمع ظرب ككتف : وهو مائتأمن الحجارة وحد طرفه ، والمراد أن النعل تقي القدم تأثير الحجارة فيها .

(٢) الشباك : نوع من البوص إذا وضعت عليه القدم بدون نعل جرحها .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارتان تصريحيتان : الأولى في « كرشى » حيث شبه الأنصار في الاعتماد عليهم عند الحاجة بالكرش في اختزان الطعام وإجتراره منه عند الحاجة إلى ذلك ، والثانية في « عيتي » حيث شبه الأنصار في الاعتماد عليهم وقت الشدة بالحقيبة التي يحفظ فيها الإنسان متاعه ونقائسه ، فإذا احتاج إليها أخرجها لينتفع بها ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه على طريق الاستعارة التصريحية .

لما قسم غنائم هوازن : يا حَكِيمُ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ
أَخَذَهُ بِسَخَاوَةٍ ^(١) نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافٍ ^(٢)
نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ . في كلام أكثر من هذا ، فقوله عليه
الصلاة والسلام : « إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ » مجاز لأنه شبه
حلاوة المال في القلوب بحلاوة الثمرة الطيبة في الأفواه ، فكما أن هذه
الثمرة الحلوة تشرف النفس إليها ويكثر التمتع لها ، فكذلك الأموال
الدائرة ^(٣) تلهج النفس لها ويكثر النزوع إليها . وفي قوله عليه الصلاة
والسلام : « خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ » سرّ لطيف . وهو أنه شبه المال بالثمرة
التي حسن منظرها وطاب مخبرها ، وليس كل ثمرة مأكولة كذلك
صفتها لأن في النابتات والثمار ما يحسن ظاهره ويقبح باطنه ، ومنها
ما تقبح ظواهره وتحسن مخابره . فجعل عليه الصلاة والسلام المال
من قسم النابتات التي تروق في العيون وتحلو في الأفواه والقلوب ،
والمال على الحقيقة بهذه الصفة لأن العيون تعلقه ^(٤) ، والقلوب
تتمقه ^(٥) . ومما يشبه ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « مَنْ خُضِّرَ لَهُ
فِي شَيْءٍ لَزِمَهُ ^(٦) » والمراد من اعتاد الانتفاع بشيء علق به وتوكل

(١) سخاوة النفس : عدم حرصها على المال واقتنائه .

(٢) إشراف النفس : تطامعها إلى المال وحرصها على تملكه .

(٣) الدائرة : السكينة قال في القاموس : الدثر : المال الكثير مال ومالان

وأموال دثر . (٤) تعلقه : تتطلع إليه . (٥) تمقه : تحبه .

(٦) معنى الحديث أن من وجد حلاوة الرزق في نوع من أنواع العمل

أو التجارة لازم العمل فيه ، فشبّه حلاوة الرزق بالخضرة .

عليه . فكأنه شبه تلويح الأمر بنفعه ، وإبدائه بالخير المرجو من جهته بالخضرة الطالعة إذا أذنت بالثمرة اليانعة ^(١) .

٤٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الصَّدَقَةُ ^(٢) من ظَهَرَ غَنَى ^(٣) » ، وهذا القول مجاز . لأن المراد بذلك أن المتصدق إنما يجب عليه الصدقة إذا كانت له قوَّة من غنى والظهر هاهنا عبارة عن القوة ، فكأن المال للغنى بمنزلة الظهر الذى عليه اعتماده ، وإليه سنده . ومن ذلك قولهم : فلان ظهر لفلان إذا كان يتقوى به ويأجأ فى الحوادث إليه ، وقد جاء فى السير : أن المسلمين كانوا عند حفر الخندق بالمدينة يرتجزون بجُعَيْل بن سُرَاقَةَ الضَمَرِيِّ ^(٤) ويقولون :

سَمَاءُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَإْسِ يَوْمًا ظَهْرًا

وكان النبی علیه الصلاة والسلام يقول معهم : عَمْرًا وَظَهْرًا

ولا يقول باقى الشعر . وكان جُعَيْل بن سُرَاقَةَ يعمل معهم ويقول

(١) مافى الحديث من البلاغة .

فى الحديث استعارة تصریحیة ، حیث شبه المال بالفاکهة أو النبات الأخضر الحلو الذى یروق منظره ویحلو فى الفم بجماع النعم الكثير المال فى الظاهر والباطن والسر والعلن ، واستعمل لفظ المشبه به وهو خضرة حلوة فى « المال » على طریق لاستعارة التصریحیة .

(٣) هذا جواب عن سؤال سأله أحد الناس للنبي صلى الله عليه وسلم قال : (أى الأعمال أفضل) فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : الصدقة عن ظهر غنى .

(٤) الضمرى بفتح الضاد نسبة إلى قبيلة بنى ضمرة .

مثل قولهم ويضحك إليهم ، فعلموا أنه لا يسوؤه ارتجازهم به . وكان
الذي عليه الصلاة والسلام قد سماه عمرأ ، واسمه الأظهر جُمَيْل .
ويقال جُعَال . وكان رجلاً صالحاً من قدماء المهاجرين ومن البَذَرِيِّين
والذين شهدوا المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وآله . وكان له
مع ذلك اختصاص بخدمته وملازمة لِمَعْرُله ^(١) . وكان من فقهاء
الصحابة لما قسم النبي صلى الله عليه وآله ، غنائم حُنَيْن ، لم يعط
الأنصار منها شيئاً ولا كثيراً من المهاجرين وفرقها في قريش واللؤلغة
قلوبهم ليثبتوا على الإسلام ويؤمن منهم الفساد ، وكان جُمَيْل بن
سُرَاقَة ممن حُرِّمَ العطية فسَكَمَ سَعْدُ بن أبي وقاص النبي عليه الصلاة
والسلام في شأنه وقال : يا رسول الله تحرم جُمَيْلا مع ما تعلمه من
خَلَّتِه ^(٢) ، ومع ما له من حرمة ، وتعطى عُمَيْيْنَة بن حصن والأقرع
ابن حابس ^(٣) وفلاناً وفلاناً . فقال عليه الصلاة والسلام : « أُمَّا
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَسْده لَجُجَيْلُ بن سُرَاقَة خَيْرٌ من طِلَاع ^(٤) الأرض
مثل عُمَيْيْنَة والأقرع ، واسكني تألفتها لِيُسَلِّمَا ووَكَلْتُ جُمَيْل بن
سُرَاقَة إلى إسلامه » .

-
- (١) المعزل : مكان العزلة والانفراد ، أى أن جُمَيْلا هذا كان يلزم النبي في عزلته وانفراده عن الناس ليخدمه .
(٢) الخلة بفتح الخاء : الفاقة والاحتياج .
(٣) عيينه بن حصن والأقرع بن حابس من شجعان العرب وزعمائهم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألف قلوبهما هما وغيرهما حتى يثبتوا على الإسلام .
(٤) أى من ملء الأرض مثل عيينة .

ومما في هذا المعنى أيضاً قول القائل : أعطيت فلاناً كذا عن
ظَهَرَ يَدِ أَى عن امتناع وقوة ولم أعطه عن خيفة وذلة . وهذا المعنى
ضد قوله سبحانه حتى يُعْطُوا الجزيةَ عن يَدِهِ وهم صاغرون . فكان
خلع لفظ الظهر من الكلام غير المعنى . والمراد بذلك ما هنا على
الأظهر من التأويلات التي ذكرناها في كتاب مجازات القرآن أن
يكون حتى يعطوا الجزية عن قهر وذلة وخيفة ورقبة . فهو تقيض
قول القائل : أعطيته عن ظهر يد أَى عن اختيار ومشئته واستظهار
قوة^(١) .

٤٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم إني
أُحَدِّثُكَ عَلَى الْعِرْقِ السَّاكِنِ^(٢) وَاللَّيْلِ النَّائِمِ^(٣) » ، ووصف الليل

(١) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الفنى في القوة بالظهر الذى يركبه الإنسان
فيمتنعه المعاطب وينجو عليه من الخسوف ، وهو من إضافة المشبه به إلى المشبه
على حد قولهم : ذهب الأصيل ولجين الماء ، أى الأصيل الذى كالذهب والماء الذى كاللجين
وهنا الفنى الذى كالظهر فحذفت الأداة ووجه الشبه وأضيف المشبه به للمشبه .

(٢) المراد بالعرق الساكن : الطمأنينة وعدم الإزعاج ، لأن العروق يكون
جريان الدم فيها طبيعياً إذا كان القلب طبيعياً ، والقلب يتأثر بنضه ودفعه الدم
في العروق ، بالخوف وبالحرز ، وبالحجل وبالألم ، وبالمرض . وعلى العموم يتأثر
بتأثر حواس الإنسان فإذا لم يحدث للإنسان إزعاج فعرقه ساكن ، أما إذا أزعج
أو تأثر فإن القلب يدفع الدم بشدة في العروق فيظهر أثر ذلك في العروق بالارتفاع
والانخفاض ، فلا يكون ساكناً في نظر من يراه .

(٣) أى النائم صاحبه لأن الليل لا ينام وإنما ينام فيه الإنسان ، وحديث الرسول
صلى الله عليه وسلم ربه على نوم الليل لأنه لا ينام إلا خالى البال الهادى الطمئن
غير المتزعج وغير المتألم .

بالنوم مجاز ، لأن النوم إنما يكون فيه لا منه ، ولكنه لما كان مطيعاً للنوم وظرفاً له حسن أن يوصف به وبضاف إليه ، وعلى هذا قول جرير :

لَقَدْ لُمْتِنَا يَوْمَ غَيْلَانَ فِي السَّرَى وَنَمْتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطَى بِنَانِمٍ^(١)

٤٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَاتَيْنِ الْبَقَعَيْنِ^(٢) فَلَا يَقْرُبَنَّ مَسْجِدَنَا فَمَنْ كَانَ آكِلَهُمَا لَا بُدَّ فَلْيُمْتِنَهُمَا^(٣) طَبِخًا » وهذا القول مجاز لأن الإمامة على الحقيقة لا تلحق إلا إذا حياة ، وإنما المراد فليستخرج ما فيهما من القوة التي عنهما

(١) أى وما المطى بنائمة في الليل ، فجعل سهر المطى سهراً لليل وهذا ضد ما في الحديث لأن الذى في الحديث ليل نائم والذي في البيت ليل غير نائم .

وفي الحديث من البلاغة كناية ومجاز عقلى

أما الكناية فقوله عليه الصلاة والسلام العرق الساكن يريد به الطمأنينة ، لأن سكون العرق يلزم منه عدم الانزعاج والألم . ولم يرد سكون العرق فقط بل أراد لازمه وهو هدوء البال وطمأنينة العيش .

وأما المجاز العقلى ففي إسناد اسم التفاعل الذى هو نائم إلى الليل ، لأن في النائم ضميراً يعود على الليل ، والليل ليس بنائم وإنما هو ظرف لنوم الإنسان فهو من إسناد ما في معنى الفعل إلى ظرفه وزمانه . وفي الليل النائم كناية أيضاً عن خلو البال وراحه الضمير ، لأن الإنسان لا ينسام الليل إلا إذا كان خالي البال مستريح الضمير غير متأهلاً ولا مريض .

(٢) البقعتان : هما الثوم والبصل ، وقد ورد التصريح بهما في رواية أخرى ومى (من أكل نوماً أو بصلاً فليعتزلنسا أو فليعتزل مسجداً) وأوشك من الراوى .

(٣) أى فمن كان لابد له من أكلهما .

يكون شدة الرائحة المكروهة ، بالطبخ تشبيهاً بالميت الذي لا يبلغ
 إلى مفارقة الحياة إلا بعد بلوغ قوته منقطعها وتفريق الموت مجتمعا .
 وفي رواية أخرى فليُمَيَّزهُمَا ^(١) طبخاً بالناء ، أى فليطبخهما حتى تتفتتا
 فليما ^(٢)

٤٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْمُؤْمِنُ
 مِرْآةُ أَخِيهِ » ، وفي رواية أخرى : « مِرْآةُ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ يَرَى
 فِيهِ حُسْنَهُ وَقُبْحَهُ » وهذا القول مجاز واستعارة . والمراد أن المؤمن
 الناصح لأخيه المؤمن يبصره مواقع رشد ، ويطلعه على خفايا عيبه .
 فيكون كالمرآة ينظر فيها محاسنه : فيستحسنها ويزداد منها ، ويرى
 مساويه فيستقبحها وينصرف عنها ^(٣) .

(١) ماث الشيء موائاً وموائناً بفتح الواو في الأخيرة خاطه ، والمراد من
 أراد أكل البقلتين فليخلطهما بشيء زكى الرائحة حتى يغير رائحتهما ولا تظهر الرائحة
 الكريهة فتؤذي الناس ، وهذا المعنى غير الذي ذكره الشريف .

(٢) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية في « فليمتهما » حيث شبه لإزالة رائحة البقلتين القوة
 بإذهاب الحياة من الإنسان بجامع انعدام التأثير في كل واستعار الإماتة لإزالة الرائحة
 واشتق من الإماتة بمعنى إزالة الرائحة يمت بمعنى يزيل الرائحة على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) ماق الحديث من البلاغة .

في الحديث تشبيه بليغ حيث شبه المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن بالمرآة من حيث انطباع
 الصورة فيهما فكما إن المرآة تطبع فيها الصورة فكذلك المؤمن يرى في أخيه أثر أفعاله
 إن كانت حسنة أو قبيحة ، فينصحه إذا أساء ويمدحه إذا أحسن ، فيكون كالمرآة
 التي تظهر الصور الحسنة والقبيحة . وأصل السلام : المؤمن كالمرآة لأخيه المؤمن
 في ظهور صور الأفعال ، فخذت الأداة ووجه الشبه .

٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اليَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدْعُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ » ، وهذا القول مجاز لأن اليمين الفاجرة على الحقيقة لا تخرب الديار ولا تعفى الآثار ، وإنما المراد أن الله سبحانه إذا أقدم الخالف على اليمين الفاجرة استهانة بها واستغفارا بالعقوبة ، المرصدة عليها قطع تعالى دابره وأخرب منازلها ورداه رداء خزبه وقنعه قناع بغيه ^(١) .

٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث يختص بصلاة الجمعة : « تُصَلَّى فِي حَلَاqِيمِ الْبِلَادِ » ، وهذا الكلام مجاز ، وحلاقيم البلاد عبارة عن نواحيها وأطرافها والمداخل إليها فكانه عليه الصلاة والسلام شبه تلك الأطراف المفضية إلى الأوساط بالحلاقيم التي هي الطرق إلى الأحشاء والأجواف ^(٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنِّي مُمَسِّكٌ

(١) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز عقلى حيث أُسند تدع إلى اليمين الفاجرة ، مع أن الفعل لله تعالى ، وإنما مى سبب لحراب الديار فأُسند الفعل إلى سببه .

(٢) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة نصريحية ، حيث شبهت مداخل البلاد بمحلاقيم الإنسان لأن الحلقوم مدخل إلى الجوف ، ومداخل البلاد سبيل إلى أوساطها ، واستعمل لفظ الشبه به وهو المحلاقيم في الشبه ، وهو مداخل البلاد على طريق الاستعارة النصريحية .

بِحُجَزَكُمُ^(١) هَلُّوْا^(٢) عَنِ النَّارِ وَتَقْلِبُوْنِىْ تَقَاحُوْنَ^(٣) فِيْهَا تَقَاحُمُ
الْفَرَّاشِ^(٤) وَالْجَنَادِبِ وَأَوْشَكُ أَنْ أُرْسِلَ حُجَزَكُمُ^(٥) ، وَفِي
هَذَا الْكَلَامِ مَجَازٌ وَتَوْسِعٌ . ذَلِكَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
يَبَالِغُ فِي زَجَرِ أُمَّتِهِ عَنِ التَّقَحُّمِ فِي الْعَامِىِّ وَالْإِرْتِكَاسِ فِي الْمُضَالِ
وَالْمُفَاوِىِّ بِشَكَائِهِمُ^(٦) الْمُنْعَ وَخَزَائِمِهِمُ^(٧) الرَّذْعَ . فَشَبَّهَ ذَلِكَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ بِإِمْسَاكِ الرَّجُلِ بِحُجْزَةٍ صَاحِبِهِ إِذَا كَادَ أَنْ يَسْقُطَ فِي مَهْوَاةٍ ،
أَوْ يَرْتَكِسَ فِي مَقْوَاةٍ : لِيَتِمَّاسَكَ بِإِمْسَاكِهِ ، وَيَنْجُو بَعْدَ إِشْفَاقِهِ . فَلَمَّا
شَبَّهَ إِحْدَى الْحَالَتَيْنِ بِالْأُخْرَى أَجْرَى عَلَيْهَا الْأَسْمَ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ

(١) الحِجْزُ : جَمْعُ حِجْزَةٍ وَهِيَ مَعْقِدُ الْإِزَارِ وَهُوَ الثَّوْبُ الَّذِى يَغْطِى مَابَيْنَ
السَّرَةِ وَالرَّكْبَةِ ، وَكَانَ الْعَرَبُ يَلْبَسُونَ الْإِزَارَ وَالرِّدَاءَ فَوْقَهُ وَهُوَ مَا يَغْطِى الْكَتِفَيْنِ
إِلَى السَّرَةِ ، وَالْحِجْزَةُ مِنَ السَّرَاوِيلِ مَوْضِعُ التَّنَكُّةِ ، وَالْمُرَادُ بِالْأَخْذِ بِالْحِجْزِ الشَّدَّ
وَالْجَذْبَ مِنْهَا ، لِأَنَّهَا أَمْسَكَنَ فِي الشَّدِّ وَالْجَذْبِ .

(٢) هَلَمْ : مَعْنَاهَا أَقْبِلْ . وَالْمَعْنَى هُنَا أَقْبِلُوا إِلَى بَعِيدٍ عَنِ النَّارِ أَوْ ضَمِّنْ هَلُّوْا
مَعْنَى ابْتَعِدُوا وَهُنَا حَذَفَ تَقْدِيرُهُ أَقُولُ لَكُمْ أَوْ قَاتِلَا هَلُّوْا .

(٣) قَالَ فِي الْقَامُوسِ : قَحِمَ فِي الْأَمْرِ كَنَصَرَ رَمَى بِنَفْسِهِ فِيهِ جَفَاءٌ بِلا رُويَةٍ ،
وَتَقَاحُونِ تَتَفَالَبُونَ وَتَتَدَاغَمُونَ فِي رَمَى أَنْفُسِكُمْ فِي النَّارِ .

(٤) الْفَرَّاشُ جَمْعُ فَرَّاشَةٍ وَهِيَ الْحَبْوَانُ الضَّعِيفُ الَّذِى يَتَهَافَتُ عَلَى السَّرَاجِ وَضَوْءِ
الْمَصَابِيحِ ، وَالْجَنَادِبُ : الْجَرَادُ .

(٥) أَيْ أَكَادَ أَمُّهُمْ بِدَمِّهِمْ جَذْبَكُمْ وَمَنْعَكُمْ فَأَتَرَكَ الْمَسْكَانَ الَّذِى أَجْذَبَكُمْ مِنْهُ
فَتَهَوَّوْنَ فِي النَّارِ .

(٦) الشَّكَاثِمُ جَمْعُ شَكِيمَةٍ وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِى فِي اللِّجَامِ نَكُونُ فِي فَمِ الْفَرَسِ
فَإِذَا جَذِبَ الرَّكَّابُ اللَّجَامَ نَحَوَهُ ضَنْطَلُ الْحَدِيدَةِ عَلَى فَمِ الْفَرَسِ فَيَمْتَنِعُ عَنِ الْمَشْيِ .

(٧) الْخَزَائِمُ جَمْعُ خَزَامَةٍ : كَكِتَابَةٍ ، وَهِيَ خَطَامُ الْبَعِيرِ فِي أَفْئِهِ حَتَّى يَمْتَنِعَ عَنِ
الْمَشْيِ إِذَا جَذِبَهُ رَاكِبُهُ نَحَوَهُ .

وطريق الانساع . وحسن أن يقول عليه الصلاة والسلام : إننى آخذ بحجزكم عن النار ، ومراده عن الأعمال المؤدية إلى دخول النار . لأن السبب للشيء جار مجرى نفس الشيء . ومما يبين أن المراد ذلك أنهم لم يكونوا في حال سماعهم لهذا الخطاب متهافتين في النار وإنما كانوا في الأعمال التي يستحقون بها عذاب النار . ومما يشبه هذا الخبر ما روى من قوله عليه الصلاة والسلام : « يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ قَوْمٌ بَعْدَ مَا امْتَحَشُوا ^(١) وصاروا حُمَمًا ^(٢) وَفَحَمًا » ، فمعنى هذا الكلام عندنا أنه يخرج من استحقاق النار بالتوبة قوم هذه صفتهم ، وهذا على طريق المجاز ، أى أنهم بأعمالهم المؤدية إلى دخول النار كمن أحرق بضررها وصار من حُمَمَهَا ، ومعنى امتحشوا : أحرقوا ، والمرجئة ^(٣) يحملون هذا الخبر على ظاهره ولا يفرعون إلى تأويله .

ومعنى هلموا عن النار : أى ارجعوا إلى طاعة الله سبحانه التي هي الأمان من العذاب ، وجانبوا معاصيه التي هي الطريق إلى العقاب ومعنى تغلبوني تغلبون فيها أى أننى مع كثرة الزجر لكم والإعذار إليكم تنفلقون وتنازعون إلى المقيجات كما يتهافت الفراش في الشهاب ،

(١) أى احترقوا .

(٢) يقال حتر الحجرة صارت حمة بوزن همزة ، أى انتقدت واحترت ، والحمة جمع حمة ، والمعنى صاروا جراً متقدداً وقوله وفحماً : أى تفحموا بعد احتراقهم أى اسودوا .

(٣) المرجئة ، جماعة من المسلمين لا يحكمون على أحد بأنه من أهل النار بل يرجئون أمر العصاة إلى مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء لم يعذبهم .

والذباب في الشراب . ومعنى وأوشك أن أرسل حجزكم : أى أوشك أن يطرقنى طارق الموت فتفقدون نهى لكم إعن المعاصى ، وأخذى بكم عن طرق المغاوى ، فجعل ذلك عليه الصلاة والسلام بمنزلة إرسال حجزهم ، وإلقاء أزماتهم . وهذا مجاز ثان ^(١) .

٥١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لحلم بن جُثامة الليثى في قتله عامر بن الأضبط الأشجعى وهو مسلم : « أَقْلَعْتَهُ فِي غُرَّةِ الْإِسْلَامِ » . وهذه استمارة . وأراد عليه الصلاة والسلام بغُرَّةِ الإسلام أوله ، تشبيهاً بغرة الفرس التى هى أول ما يستقبلها منه المستقبلُ ويراهما للتأمل . ولها أيضاً يشتهر ^(٢) شَيْئُهُ وَتَيَمَّنُ ^(٣) صورته ، ويقولون هذا غرة الشهر : أى أوله لأنه أول عدّه ومبدأ مدخله . ويقولون : فلان غُرَّةُ قومه إذا كان المنظور إليه منهم ،

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استمارة تبعية ، ومجاز مرسل .

التبعية في قوله « آخذ بحجزكم » حيث شبه تحذير الرسول لقومه لمنعهم من الضرر ، بأخذ الرجل بحجزة أخيه ، واشتق من الأخذ بالحجزة بمعنى التحذير للنعم من الضرر ، آخذ بمعنى يحذر على طريق الاستمارة التبعية ، والمجاز المرسل استعمال النار في أسبابها من المعاصى ، لأن المعاصى سببها ، فهو لحاز مرسل علاقته السببية ، وفي إرسال الحجز استمارة تبعية ، مثل الأخذ بالحجز . وقد أشار إليها الشريف بقوله : وهذا مجاز ثان .

(٢) يشتهر : أى يظهر ظهوراً واضحاً ، والشين : العيب ، واللام في لها : بمعنى باء السببية ، أى بسبب الغرة أى إذا كان فيها عيب يتضح ويظهر .

(٣) تيمن : أى تحس صورته ، وليس المراد باليمن البركة فيكون نظم الكلام فتبارك صورته ، وإنما المراد الحسن ، واستعمل اليمن في الحسن .

والمعول عليه من بينهم^(١)

٥٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في مثل ضرب به
لقريش يطول الكتاب بذكره : « وَبَقَطُ النَّاسُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى
بَقِيَتْ عَجْزٌ مِنَ النَّاسِ عَظِيمَةٌ » ، وهذه استعارة لأن المراد
بالعجز هاهنا : مآخير الناس وعقائيلهم^(٢) تشبيهاً بمعجز الناقة أو
غيرها من الدواب ، لأن أول ما يتحرك للسير هاديتها وعنقها ثم يتبعه
رذفها وعجزها . فسمى القوم الذين يتأخرون في السير أعجازاً كما سمي
المتقدمون أعناقاً ، يقال قد طلعت أعناق القوم : أى أوائلهم
ومتقدموهم ، وجاءت أعجازهم : أى أواخرهم ومتبطوهم . وعلى هذا
سموا مقدّمى القوم في الوجاهة والمنزلة أعناقاً ورءوساً . وقد أشرنا
إلى ذلك فيما تقدم . وقد يجوز أن يكون الحديث المروى : « يَجِيءُ
الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلَ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . من هذا أيضاً .
يريد أنهم يوافون يوم القيامة أوجه الناس وجوهاً ، ورءوساً .
فيكون قولنا أطول هاهنا من الطول^(٣) لا الطول ، ولا بد أن يكون

(١) ماق الحديث من البلاغة :

في استعمال الفرة في الأول استعارة تصريحية كما ذكر الشريف ، حيث شبه
أول الإسلام بفرسة الفرس في كونها في مقدمته وفي ظهور الحسن والشين فيها ، واستعمل
لفظ المشبه به في المشبه .

(٢) العقائيل : البقايا جمع عقبولة وعقبول بضم العين .

(٣) الطول : الطاقة والفضل ومن ذلك قوله تعالى (ومن لم يستطيع منكم

طولاً أن ينكح المحصنات) .

المراد بالناس هاهنا الخصوص دون العموم كأنهم يكونون في القيامة أوجه من الناس الذين هم كالنظراء لهم في الطبقة معهم لأنهم لا يجوز أن يكونوا يؤثرون أعظم وجاهة من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين^(١).

٥٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعثمان بن مظعون رحمه الله لما أراد الاختصاص والسياسة : « خِصَّاهُ أُمَّتِي الصَّيَّامُ » ، وهذا القول مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن الصيام يُميت الشهوات ويشغل عن اللذات ، كما أن الخصاص في الأكل يكثر كسر التزوّج^(٢) ويقطع الشهوة . ومما يؤكد ذلك ، الخبر الآخر المروى عنه عليه الصلاة والسلام قال : « من استطاع منكم الباءة^(٣) فليتزوّج ومن لم يستطعه فليصم فإن الصوم وِجَاءٌ^(٤) » والوجاء : الخصاص . وسمعت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي عفا الله عنه يقول في أثناء قراءته عليه وقد اعترض ذكر الخلاف في وجوب النكاح :

(١) ما في الحديث من البلاغة : في الحديث استعارة تصريحية حيث شبه بقايا الناس بأبجاء الحيوان بجامع التأخر في كل ، لأن العجز في مؤخر الحيوان ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه والقربة قوله من الناس .

(٢) التزوّج هنا : الرغبة في الجماع .

(٣) الباءة : القدرة على الجماع أو نفقات الزواج ، وقد روى هذا الحديث « من استطاع الباءة » ومعناها معنى الباء .

(٤) قال في القاموس : وجأ التيس وجأ ووجاء : دق عروق خصيه بين حجرين ولم يخرجهما ، ولا شك أن دق عروق الخصيين خصاء كما قال الشريف .

يمكن الاستدلال بهذا الخبر على أن النكاح غير واجب خلافاً لداود فإنه يقول إنه واجب على الرجل مرة في عمره ، قال : وموضع الاستدلال منه أنه عليه الصلاة والسلام نقل النكاح إلى الصوم وجعل الصوم بدلاً منه والأبدال حكمها حكم المبدلات ، فلو كان الأصل واجباً كان بدله كذلك كالتيميم والماء ، وأبدال الكفارات مثلها ، فلما كان الصوم الذي هو بدل من النكاح غير واجب دل على أن المبدل أيضاً وهو النكاح غير واجب^(١) .

٥٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لأمير المؤمنين على ابن أبي طالب عليه السلام : « إِنْ لَكَ بَيْتًا وَإِنَّكَ لَذَوْ قَرْنِيهَا^(٢) » . وهذه استعارة لأن المراد إنك ذو قرني الأمة ، فكأنه عليه السلام قال وإنك رأس هذه الأمة ، لأن الرأس هو ذو القرنين ، لأن القرنين إنما يكونان فيه ويظهران عليه ، وهذا الخبر على هذا التأويل من الأخبار الدالة على أن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ كان رأس أمته ورئيس

(١) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه الصوم في قطع أسباب الشهوة بالخصاء في منع حدوثها ، بجامع المنع في كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه لجعل الصوم وجاء ، أي خصاء ، والفرينة أن الصوم ليس فيه دق عروق الخصيين كما في الوجود .

(٢) القرنان : الجانبان الأعليان من الرأس ، والمراد أنك رأس هذه الأمة وصاحب جانبيها ، أو هما قرنان حقيقيان ، ويكون المراد تشبيه رأس الأمة برأس الحيوان الذي له قرنان .

أسرته . ومثل قوله عليه السلام : لذو قرَنِها في أن المراد به الأمة ، وإن لم يجر لها ذكر قوله تعالى « حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ » ، وقوله سبحانه : « وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا » في أن المراد الشمس والمدينة وإن لم يجر لها ذكر وقد قال بعضهم المراد بهذا الخبر أنك في هذه الأمة كذى القرنين في أمته ، وعلى هذا التأويل أيضاً لابد من تسليم الرياسة له على كافتهم ، لأن ذا القرنين كان مستتبعا ذمة الملوك كلهم ، والعالى بالقدرة والبسط على جماعتهم .

هذا إن كان ذو القرنين هو الإسكندر الرومى على ما يقوله بعضهم وإن كان اسم نبي من الأنبياء على ما يقوله الآخرون فوضع الاحتجاج بالفضل أيضاً موجود لأن ذلك النبي في دهره كان أفضل أمته وخيار أهل دعوته . وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال وقد ذكر ذو القرنين فقال : دعا قومه إلى عبادة الله فضربوه على قرنيه ضربتين وإن فيكم لمثله . فترى أنه عليه السلام أراد بهذا القول نفسه أى أنا أدعو إلى اتباع الحق وسأضرب على رأسى ضربتين تكون فيهما منيتى فأكون كذى القرنين . وقد يجوز أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام أراد يقوله : وإنك لذو قرَنِها هذا المعنى والله أعلم . وقال بعضهم : إنه عليه الصلاة والسلام لما ذكر في أول الكلام الجنة قال : وإنك لذو قرَنِها ، يريد قرنى الجنة : أى طرفيها ، فكانه وصفه ببلوغ غايات المنابين فيها ، وفي هذا القول بُعد .

وحكي عن ثعلب أنه سئل عن هذا الحديث ، فقال : أراد عليه الصلاة والسلام إنك لدو جبلها ، يعنى الحسن والحسين عليهما السلام . قال : ويجوز أن يكون قوله ذو قرنيتها يريد به طرفي الأمة : أى أنت في أولها ، والمهدى من ولدك في آخرها . قال ويجوز أن يكون ذلك من قوله : عَصَرْتُ الْقَرْسَ قَرْنًا أَوْ قَرْنَيْنِ : أى استخرجت عرقه بالجرى مرة أو مرتين ، فكأنه عليه الصلاة والسلام ذو اقتباس العلم الظاهر واستخراج العلم الباطن . والاعتماد على ما قدمنا ذكره من التأويل الأول وهو من استنباطي^(١) .

٥٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَخَافُ عَلَيْكُمْ إِذَا صُبَّتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ صَبًّا » ، وهذه استعارة ، لأنه عليه الصلاة والسلام أراد إذا غمرتكم الدنيا بمفائدها وعمتكم بفوائدها وعوائدها ، فشبه كثرة ذلك بالوبل الغزير المنصب على الإنسان في أنه يبله بدفمانه ، ويغمره من جميع جهاته . ومثل ذلك قولهم : انغمس

(١) غلا الشريف في تفضيل الإمام على بسبب هذا الحديث ، لأنه شيعي من الذين يحملون الإمام علياً أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وغير الشيعة فسروا القرنين بالحسن والحسين رضي الله عنهما ، أو جعل الضمير في قرنيتها عائداً على الجنة ، وكل التفسيرات تتمشى على رأى الشيعة حتى على رأى الشريف . فعنى رأس الأمة رأسها في العلم ، ورأسها في الشجاعة والقوة ، والتفاني في الدفاع عن الإسلام ، وليس الرأس في ناحية من نواحي الإسلام يكون رأساً في جميع النواحي . ولا يجوز أن يفضل الإمام على في جميع الأحوال على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

فلان في الدنيا انغماساً : إذا كثرت التباسه لها وعظم أخذها منها تشبيهاً لها بغمرة الماء إذا خاضها الخائض أو غمس فيها الغامس ^(١) .

٥٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ » ، وهذه استعارة ، لأنه عليه الصلاة والسلام لم يرد حقيقة الزَّناء للذموم ، وإنما أراد أن كل عين لابد أن تكون لها طَمَحَةٌ إلى حُسْنٍ أو طَرَحَةٌ إلى أَرْب . وإن كانت ذو التقوى يكبح نفسه بالشَّكِيم ، ويعرِّك ^(٢) شهوته عرِّك الأديم ^(٣) ، ولا يكون نظره إلا فلتة ، ولا تتبع النظرة النظرة كما قال عليه للصلاة السلام ، وقد قال الشاعر :

نظرتُ إليها بالمُحَصَّب من مَنَى ولى نظري لولا التَّحَرُّجُ عارمٌ ^(٤)
فوصفُ النظر بالعرام ^(٥) في هذا الشعر كوصف العين بالزنا في هذا

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه حدوث منافع الدنيا الكثيرة وخيراتها للإنسان بالماء الكثير الذي يصب عليه ، واشتق من الصب بمعنى الحدث ، صب بمعنى حدث أو أصاب على طريق التبعية . ومعلوم أن في الحديث مجازاً بالذهب ، لأن التقدير إذا صببت عليكم خيرات الدنيا .

(٢) يمرِّك يفرك ويدلك ليجمعها هادئة غير شديدة .

(٣) الأديم : الجلد ، وإذا دلك الجلد صار ناعماً وذهبت خشوته ، كما تذهب خشونة الشهوة .

(٤) المحصب : موضع يمتلئ فيجمع فيه الحصباء وترى بها الجمار ، والتحرُّج : خوف الوقوع في الحرج وهو المحرام ، والعرام : الشديد .

(٥) العرام : الحدة .

الخبر . فأما الحديث الآخر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « الْقُسْطَنَظِينِيَّةُ الزَّانِيَةُ » ، فالمراد به الزانى أهلها ، وذلك كما جاء فى التنزيل من ذكر القرى مثل قوله تعالى : « وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً » ، . . . و « قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً » ، أى أهلها ظالمون وأهلها آمنون . وذلك فى القرآن كثير ^(١) .

٥٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « لَا يَلْتَقَى اللَّهُ عَبْدٌ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَمْ يَتَنَدَّ بِدَمٍ حَرَامٍ إِلَّا دَخَلَ مِنْ أَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ » فقوله عليه الصلاة والسلام : « ولم يتند بدم حرام » مجاز ، لأنه أراد لم يصب دماً حراماً ؛ ومن قوله : ما نَدَيْتُ من فلان بشئ : أى لم أصب منه شيئاً ، فجعل عليه الصلاة والسلام الذى يسفك الدم متندياً به ، وإن كان لم يباشر سفكه بنفسه ، لأن الأغلب فيمن بتولى سفك الدم مباشرة أن يصيبه منه بلل ، ويشهد عليه أثر . وعلى هذا قول الشاعر :

تَبَرَّأُ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ وَبَرَّهَ ^(٢) وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَ الْقَتِيلِ إِزَارُهَا ^(٣)

(١) مافى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه طموح النظرة وعملها فى القلب ومراودة النفس ، بالزنا بجماع التحريم الشديد فى كل ، واشتق من الزنا بمعنى الطموح ، زانية بمعنى طامحة على طريق التبعية .

(٢) البر : أخذ الشئ بهر وجفاء ، أى تبرأ من قتل القتل ، وحق من قهره وغلبته والجفوة عليه .

(٣) الإزار : هو ما يغطي أسفل الجسد من اللباس والمراد هنا مطلق اللباس ، أى أن دم القتل علقة نياها ، أى تعلق الدم بها ، وذلك شاهد على القتل .

ولم يكن هناك على الحقيقة أثر دم علقته^(١) الإزار ، وإنما أخرجه الشاعر على الوجه الذى ذكرناه . فكأنه جعل القاتل ، وإن لم يظهر عليه شاهد الدم ، كمن ظهرت عليه شواهد الناطقة ودلائله القاطعة لقوة الأمارات التى تشهد بفعله ونعصب الأمر به ، وهذا المعنى^(٢) أيضاً أراد جرير بقوله :

وَقُلْتُ نَصَاحَةٌ^(٣) لِبْنَى عَدِيٍّ ثِيَابَكُمْ وَنَضَحَ^(٤) دَمَ الْقَتِيلِ
فكأنه خاطب قومًا ونهام عن أن يقفوا موقف الظنة وينزلوا منزل التهمة^(٥) ليقبروا من دم قتيل اتهموا بنفسه وقرؤوا بقتله^(٦) .

٥٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا فَقَدْ أَحْتَظَرَ مِنَ النَّارِ بِحِطَّارٍ » . وهذا القول مجاز ، والمراد أن من فعل ذلك فقد احتجز من النار بحاجز ، والحظار : الحائط المستدير على الشيء ، فجعل عليه الصلاة والسلام المتباعد عن الفعل التى توجب دخول النار ، كمن ضرب بينه وبينها سياجاً ، وأغلق عليه رِتاَج^(٧) ،

(١) المفعول به محذوف ، والتقدير علقته الإزار .

(٢) هذا مفعول به مقدم لأراد .

(٣) النصيحة والنصاحية : النجى .

(٤) النضح : الرش ، أى باعدوا ثيابكم عن إصابتها برشاش دم القتيل حتى لا يكون ذلك شبهة تجعلكم فى مظنة قتله .

(٥) التهمة : بضم التاء وفتح الهاء ، الاتهام ومايتهم به .

(٦) قرفوا : اتهموا . (٧) السياج : الحائط ، والرتاج : الباب العظيم .

والْحِظَار والحظيرة بمعنى واحد^(١) . وهو حَظَار بفتح الحاء^(٢) والجمع أحظرة ، كما يقال دِوَار والجمع أدورة^(٣) .

٥٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اغْتَرِبُوا لَا تُضَوُّوا » ، وهذه استعارة ، والمراد انكحوا في الغرائب ، ولا تنكحوا في القرائب ، لأنهم يقولون الغرائب أنجب^(٤) ، والضَّوَى : ضؤولة الجسم ودقته ، ويقال : أضوت المرأة إذا أنت بولد ضاؤ ، كما يقال أذكرت : إذا أنت بولد ذكر ، وكانوا يعتقدون أن القرية تُضوى كما أن الغريبة تُذهي : أي تأتي بالولد داهية^(٥) ، وقال الشاعر :
فَتَى لَمْ تَلِدْهُ بِنْتُ عَمِّ قَرِيبَةٍ
فَتَضْوَى وَقَدْ بَضْوَى رَدِيدُ الْقَرَائِبِ^(٦)

(١) ومعناه الحائط (٢) أي يجوز فتح حائه .

(٣) دوار على وزن فعال : جمع دار ، وكان حقه قلب الواو ياء فتصير « ديار » كما هو المشهور ، ولكنه ورد كذلك شاذاً ، وأدورة جمع دار أيضاً .
ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه الامتناع من النار بفعل الحسنات ، باحتظار الحظيرة للوقاية منها ، واشتق من الاحتظار بمعنى الامتناع ، احتظر بمعنى امتنع على طريق الاستعارة التبعية .

(٤) أنجب : أفضل تفضيل من النجابة ، والولد النجيب : الكريم الحبيب .

(٥) أي جيد الرأي والأدب .

(٦) رديد القرائب : أي مردود القرائب ، أي المولود من الزوجات القريبات ، ولد هنا لتكثير .

وقال الآخر :

وأتركُ يَنْتَ العَمَّ وهى قَرْيَبَةٌ مخافةً أنْ تُضَوِّىَ عَلَى سَالِمِي^(١)

وقوله عليه الصلاة والسلام : اغتربوا ، عبارة عن هذا المعنى من أحسن العبارات لأنه جعل التباعد عن المنكح^(٢) فى العشيرة والبيت والذهاب به إلى غير السِّنْخِ^(٣) والأصل بمنزلة الرجل المغترب الذى يُوطِنُ^(٤) غَيْرَ وطنه ، ويسكن غير سكناه^(٥) .

٦٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « خَيْرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٌ » ، وهذه استعارة لأن المراد بذلك عين الماء الجارية التى لا ينقطع جريها ليلا كما لا ينقطع نهاراً ، فساهاها ساهرة لهذا المعنى لأنها فى ليلها دائبة ، وعين صاحبها نائمة ، ولفظ السهر فى هذا الكلام أحسن ما جعل بهذا المعنى متلبساً^(٦) ، وَصُبُّ

(١) سَلِي : الولد الذى خرج من صلبى ، ومن ذلك السيف السليل والسلول : الذى خرج من قرايه .

(٢) مصدر ميمى بمعنى النكاح . (٣) السنخ : الأصل .

(٤) أى الذى ينزل وطناً غير وطنه فيكون غريباً فيه .

(٥) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه الزواج بغير القربيات بالاغتراب فى الوطن ، واشتق من اغترب بمعنى تزوج غير القربة ، اغتربوا بمعنى تزوجوا البعيدات على طريق الاستعارة التبعية .

(٦) أى مختلطاً به ومستعملاً فى معناه .

عليها ملبساً^(١) .

٦١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كُلُّ هَوًى شَاطِنٌ فِي النَّارِ » وهذا مجاز ، لأنه وصف الهوى بالشطون وهو البعد ، وأراد به تباعد صاحبه عن الرشد ، وتراميه إلى الفنى . وقال أبو عبيدة : الشاطنُ هاهنا المعوجُّ عن الحق ، والهوى على الحقيقة ليس مجسم فيوصف بالقرب والبعد والزوال واللبث . وسمى الشيطان شيطانا لأنه شَطَنَ عن أمر ربه أو أبعد في مذاهب غيه ، ومنه قيل نَوَى شَطُونٌ ومن ذلك سُمي الحبل شَطَنًا لأنه يبلغ القعر العميق ، والماء البعيد . وفي هذا الخبر أيضاً مجاز آخر ، وهو أنه عليه الصلاة والسلام جعل الهوى الشاطن في النار ، ومراده صاحب الهوى الشاطن ، وهو الذى يمتدُّ به هواه فيقذفه في المضال ويحمله على الزال . ونظير هذا : الخبر الآخر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ ، وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ ،

(١) الملبس : اللباس ، جعل الشريف لفظ السهر كأنما ألبسه المعنى المراد ، وهو دوام جريان العين .

ما فى الحديث من البلاغة :

فيه استعارة تبعية ، حيث شبه دوام جريان الماء وعدم انقطاعه بالسهر بجامع عدم الانقطاع فى كل ، واشتق من السهر بمعنى عدم الانقطاع ، ساهرة بمعنى غير منقطعة على طريق الاستعارة التبعية .

وَهُمَا فِي النَّارِ . وأراد عليه الصلاة والسلام صاحب الصدق والبر ،
وصاحب الكذب والفجور ^(١) .

٦٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كَيْفَ بِكُمْ
وَبِزْمَانٍ يُقَرَّبُ بِلُ النَّاسِ فِيهِ وَيَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ ^(٢)
عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ » ، وهذه استعارة والمراد أنهم يُتَنَسَّقُ خيارهم
فيهِ لِيَكُونَ بِالْقَتْلِ السَّرِيعِ ، والموت الذريع كما يُقَرَّبُ بِلُ الْحَبِّ بِالْغَرِّ بِأَل
فَيَسْقُطُ قَشْبُهُ ^(٣) وصِغَارُهُ وَيَبْقَى جِلَالُهُ ^(٤) وخياره . وقد قيل : إن
الغربة اسم للقتل خصوصاً ، ومنه قول الشاعر :

تَرَى الْمُلُوكَ حَوْلَهُ مُغَرَّبَلَهُ يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ
أَيُّ مُقْتَلَةٍ ، والقول الأول أشبهه بالمراد وأليق بالصواب ، وقد
تكلمنا فيما تقدم على قوله عليه الصلاة والسلام : ويبقى حُثَالَةٌ مِنْ

(١) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز بالخذف ، والأصل كل صاحب هوى ، ومجاز مرسل في إسناد
شطون إلى ضمير الهوى ، لأن الهوى ليس هو البعيد وإنما البعيد صاحبه ، والعلاقة
الحالية ، لأن الهوى يحل بصاحبه .

(٢) سبق بيان ذلك في الكلام على حديث : كيف أنتم إذا مرج أمر الدين ،
وسيشير الشريف إلى ذلك قريباً ، وفيه بيان معنى الحثالة ، وقد أوفينا هناك هذا
الموضوع شرحاً .

(٣) القشب : بكسر القاف وسكون الشين : الناعم .

(٤) الجلال جمع جليل : وهو الكبير .

الناس قد مَرَّجَتْ عهودُهم^(١) .

٦٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد سئل : « أَيْ الأَعْمَالُ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : الْحَالُ الْمَرْتَحِلُ ، قِيلَ : وَمَا الْحَالُ الْمَرْتَحِلُ ؟ قَالَ : الْخَاتِمُ الْمُنْتَقِـحُ » . وفي هذا الكلام مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد المداوم لتلاوة القرآن ، فهو يَحْتَمُّ ويفتتح ، وَيُتِمُّ ويستأنف ، فشبهه عليه الصلاة والسلام بالمسافر الجَدَّ يَبْنِي بنا ينزل حتى يرتحل ، وبيدنا يسير حتى ينزل ، فشبه عليه الصلاة والسلام ختم التلاوة بنزول المنزل ، وشبه استئنافها بسير المرتحل ، وجعله مستمرًّا على هذه الطريقة أبدًا لا يرمى إلى غاية ، ولا يقف عند نهاية . وقد قيل إن المراد بذلك الجهاد في سبيل الله الذي يَفْزُو وَيُعْقِبُ وَيَقْفِلُ^(٢) ويعاود والقول الأول أظهر عند العلماء . وأوغل في مذاهب الفصحاء^(٣) .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه قتل الخيار وبقاء غيرهم بغربة الحب ، وبقاء كبارهم وسقوط صغارهم ، واشتق من الغربة بالمعنى المذكور ، غربل بمعنى أبني الخيار وأذهب غيرهم على طريق الاستعارة التبعية ، وفي مرجت عهودهم مجاز عقل حيث أسند المرج إلى اليهود والذي يمرج أصحابها .

(٢) يقفل : أى يرجع ، ومن ذلك سميت القافلة لجماعة الإبل المسافرة ، نفاؤلا بأنها سترجع إلى وطنها سالمة بعد سفرها .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية : حيث شبه ختم القرآن بالحلول بالمكان والاستقرار فيه ، وافتتاحه بالارتحال عن المكان ، بجامع الانتقال من حال إلى حال من كل من التشبه والنسبة به ، واشتق من الحلول بمعنى الختم حال بمعنى خاتم ، ومن الارتحال بمعنى الافتتاح ، مرتحل بمعنى مفتتح على طريق الاستعارة التبعية .

٦٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إنَّ قومًا يُضَفَّرُونَ ^(١) الإسلامَ ، ثم يَلْفِظُونَهُ ^(٢) » ، وهذا القول مجاز ، لأن المراد أنهم يُلَقِّنُونَ الإسلامَ ويعلمونه ، فيتناسونه ويفارقونه كالذي يلقم الشيء ، فَيُدَسِّعُ ^(٣) به ، ولا يُسَيِّغُه إلى جوفه . وذلك مأخوذ من قولهم : ضَفَّرْتُ البعيرَ أَضْفِرُهُ ضَفْرًا : إذا لَقَمْتَهُ لُقْمًا عَظَمًا . وقد يجوز أن يكون مأخوذًا من قولهم : ضَفَّرَ الرجل الدابة يَضْفِرُهَا ضَفْرًا : إذا ألقى اللجام في فيها ، والمعنيان متقاربان ^(٤) .

٦٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « يَمِينُ اللَّهِ

(١) الضفر : بفتح الصاد وسكون الفاء : إلقاء العلف في فم الدابة ، ويقال : ضفر الدابة يضرها بكسر الفاء في المضارع : ألقى العلف في فمها ، والفعل هنا مبنى للمجهول ، والأصل إن قومًا يضرهم قوم الإسلام ، فحذف الفاعل وأسند الفعل إلى المفعول .

(٢) يلفظونه : يقال لفظ الشيء بكسر الفاء : إذا رماه . والمعنى أنهم يخرجونه عن أفواههم ، ومن ذلك الكلام الملفوظ به لأنه أخرج من الفم .

(٣) دسع يدسع : من باب منع بمعنى دفع ، والتقدير في كلام الشريف يلقم الشيء : أي يوضع الشيء في فيه ، فيدفع به ويرميه من فيه .

(٦) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارتان تبعيتان ، حيث شبه تعليم الإسلام للناس بالضفر ، وهو إلقاء العلف في فم الدابة ، وشبه تناسي الناس للإسلام ومفارقته بلفظ الشيء من الفم ، واشتق من الضفر يضرعون بمعنى يلقنون ويعلمون ، ومن اللفظ يلفظون بمعنى يتناسون ، ويفارقون على طريق الاستعارة التبعية ، ويجوز أن يكون في الحديث استعارة تمثيلية حيث شبه الناس الذين يلقنون القرآن ثم يتناسونه بهيئة الدابة التي يوضع العلف في فمها ثم تلفظه ، يجمع محاولة الشيء وعدم قبوله ، فوجه الشبه هيئة منترعة من متعدد .

حَلَاى سَحَاء ، لَا يُغِيضُهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ » وهذه أَسْتَعَارَةٌ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَمِينِ هَاهُنَا نِعْمَةُ اللَّهِ ، وَوَصَفَهَا بِالْإِمْتِلَاءِ لِكثْرَةِ مَنَافِعِهَا وَعَمُومِ مَصَادِقِهَا ، فَجَعَلَهَا كَالْيَمِينِ الثَّرَّةِ ^(١) الَّتِي لَا يُغِيضُهَا ^(٢) الْمَوَاضِحُ ، وَلَا تَنْقُصُهَا النَّوَاضِحُ ^(٣) . وَالسَّحُّ : شِدَّةُ الْمَطَرِ ، يُقَالُ : سَحَّتِ السَّمَاءُ سَحًّا إِذَا جَادَتْ جَوْدًا ، وَخَصَّ الْيَمِينُ لِأَنَّهَا فِي الْأَكْثَرِ مَظْنَةُ الْعَطَاءِ وَمَوَاصِلَةِ الْحَبَاءِ ^(٤) ، عَلَى طَرِيقِ الْحِجَازِ وَالِاتِّسَاعِ . وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِنَا الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى عُلُومِ الْقُرْآنِ ^(٥) .

٦٦ — وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « ابْتَغُوا الْمَسَاجِدَ وَاتَّخِذُوا هَاجًا » ، وَهَذِهِ أَسْتَعَارَةٌ ، لِأَنَّ الْمُرَادَ ابْنُوهَا وَلَا تَتَّخِذُوا لَهَا شُرْفًا فَشَبَّهَهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْكَبَاشِ الْجُلْمِ ، وَهِيَ الَّتِي قَرُونَهَا

(١) الثَّرَّةُ : كَثِيرَةُ الْمَاءِ .

(٢) يُقَالُ غَاضَ الْمَاءُ يُغِيضُهُ وَأَغَاضَهُ يُغِيضُهُ : إِذَا نَقَصَهُ . وَالْمَعْنَى لَا يَنْقُصُ مَاءُهَا ، وَالْمَوَاضِحُ جَمْعُ مَائِحَةٍ : وَهِيَ الْآلَاتُ الَّتِي تَخْرُجُ الْمَاءُ مِنَ الْعَيُونِ وَالْآبَارِ .

(٣) النَّوَاضِحُ جَمْعُ نَازِحَةٍ : هِيَ مِثْلُ الْمَوَاضِحِ . (٤) الْحَبَاءُ : الْعَطَاءُ .

(٥) مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ كُنَايَةٌ عَنْ غِنَى اللَّهِ وَكَرَمِهِ . لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ يَمِينُهُ مَلِئَةً بِالْخَيْرِ ، تَسَحَّ سَحًّا بِهِ ، وَلَا يَنْقُصُهَا هَذَا السَّحُّ مَا تَقَابَلَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، فَلَاشَكَّ أَنَّهُ غَنَى كَرِيمٌ ، وَاسْتِمَالُ الْيَمِينِ لَا مَانِعَ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، فَيَكُونُ اللَّهُ تَعَالَى يَمِينًا لَا نَعْرِفُ كُنْهَهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » فَلَهُ يَدٌ وَلَيْسَتْ كَأَيْدِي الْهَوَادِثِ ، وَهَذَا أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ الْيَمِينَ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ ، فَإِنْ تَشَبَّهَ النِّعْمَةُ بِالْيَمِينِ غَيْرَ ظَاهِرٍ ، وَحَمَلُ الْحَدِيثِ عَلَى الْكُنَايَةِ يَنْسَبُ قَوْلُ الشَّرِيفِ بَعْدَ ذَلِكَ ، « وَخَصَّ الْيَمِينُ لِأَنَّهَا فِي الْأَكْثَرِ مَظْنَةُ الْعَطَاءِ » فَرَادَهُ يَدُ اللَّهِ مُطْلَقًا ، وَخَصَّتِ الْيَمِينُ لِأَنَّهَا الَّتِي يُعْطَى بِهَا ، وَبِجُوزِ أَنْ يَكُونَ فِي الْحَدِيثِ بِجَازٍ مَرْسَلٍ عِلَاقَتُهُ السَّبْبِيَّةُ فَأُطْلِقَ الْيَمِينُ وَأَرَادَ الْعَطَاءُ لِأَنَّهُ يَدُ سَبْبِهِ .

صفار خافية ، ومنه الخبر المشهور في ذكر القيامة « إنه يؤخذ للجَمَاء من القَرْناء » وذلك من أحسن التشبيه وأوقع التمثيل . وقال ابن الأعرابي : الأجم الذي لارمح معه ، ومن ذلك قول الشاعر :

وَيْلُ أَمِهِمْ مَعِشْرًا جُمًّا يُيَوِّتُهُمْ مِنْ الرِّمَاحِ فِي الْمَعْرُوفِ تَنْفِكِيرُ
أَرَادَ أَنْ يَيَوِّتَهُمْ خَالِيَةً مِنَ الرِّمَاحِ الْمُرْكُوزَةِ بِأَبْوَابِهَا ، فَهِيَ كَالْكِبَاشِ الْجَمِّهِ الَّتِي لِأَقْرُونِ تَظْهَرُ لَهَا ، وَقَالَ الْأَعْشَى :

مَتَى تَدْعُهُمْ لِلِقَاءِ الْحُرُوبِ أَتَتَكَ خِيُولُ لَهْمٍ غَيْرُ جُمِّ

أَيَّ قَدْ أَشْرَعَ فَوَارِسُهَا الرِّمَاحِ ، فَهِيَ كَالْكِبَاشِ إِذَا نَهَدَتْ لِلْكَفَاحِ ، وَسَدَدَتْ قُرُونَهَا لِلنِّطَاحِ . وَقَدْ جَاءَ فِي كَلَامِهِم : الرِّمَاحُ قُرُونُ الْخَيْلِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ الْحَدِيثُ الْمُرَوِيُّ : « سَتَكُونُ فِتْنَةٌ كَأَنَّهَا صَيَّاصِي بَقَرٍ » وَالصَّيَّاصِي هَاهُنَا : الْقُرُونُ . قِيلَ لِأَنَّهَا شَبَّهَ بِهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بَقُرُونِ الْبَقَرِ لِكثَرَةِ مَا يُشْرَعُ فِيهَا مِنَ الرِّمَاحِ ^(١) .

٦٧ — وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَا يَزَالُ الْعَبْدُ خَفِيفًا مُعْنِقًا بِذَنْبِهِ مَا لَمْ يُصَبِّ دَمًا ^(٢) » ، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا بَلَغَ ،

(١) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الساجد بالكباش الجم التي لاقرون لها ، بجامع عدم بروز شيء في كل من المشبه والمشب به ، وحذفت أداة التشبيه ووجهه .
(٢) أي ما لم يقتل أحداً .

وهذا مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام شبه المذنب غير القاتل بحامل
الحمل إلا أن فيه بعض الخفة فهو يُعْنَق به ، أى يسرع من تحته ،
فإذا أصاب دماً ثَقُلَ ذلك العبء حتى يَبْلَح منه ، والتبليح : الإعياء ،
مأخوذ من بلوح الشيء ، وهو انقطاعه فكأن مُنْتَه (١) قد نَفِدَتْ ،
وقوته قد انقطعت . وإنما قال عليه الصلاة والسلام ذلك تغليظاً
لأمر الدم ليقلّ الإقدام على سفكه ، ويكثر التزاجر عن التعرض له ،
ومع ذلك فالتوبة تسقط العقاب المستحق عليه كما تسقط العقاب
المستحقّ على غيره من المعاصي ، خلافاً لما ظنه بعض الناس من أن
القاتل لا توبة له ، لأن الأمر لو كان على ما قاله لم يكن للقاتل سبيل إلى
الانتفاع بطاعته في المستقبل لأنها تقع مُحَبَّطَةً ، ولا يجوز ألا يكون
للمعاصي طريق إلى الانفكاك من عقاب المعاصي لأن في ذلك إغراء
بها ، وحلاً له عليها .

وفي بعض الأحاديث : أن أعرابياً قتل تسعة وتسعين إنساناً ،
ثم أتى راهباً بالشام يستفتيه في توبته ، فقال له : ما أرى لك توبة ،
فقال : لا جرم والله لأكملهم بك مائة ، فمَتَلَ الراهب : وما حكوه
عن عبد الله بن عباس رحمه الله من اختلاف فتواه في هذا المعنى لأنه
أفتى مستفتياً سأل عن توبة القاتل بأنه لا توبة له ، وأفتى آخر : بأن له
توبة ، فله عندنا وجه صحيح قد نقل عن ثقات الناقلين ، وذلك أنه

(١) منته : قوته .

سئل عن اختلاف قوليه في هذا الباب ، فقال : أتاني مستفت فأفتيته بأن للقاتل توبة ، لأنني رأيت عليه أمارات من قتل وهو نادم على قتله ، خائف من جرائر فعله ، واستفتاني آخر : فأفتيته بأنه لا توبة للقاتل لأنني رأيت عليه أمارات من قد عزم على القتل في المستقبل ، وأراد أن يلجأ إلى التوبة بعد الإقدام على سفك الدم المحرم ، فأفتيته بذلك ليقف عن عزمه ، ويخاف عواقب إيمته^(١) .

٦٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « بُلُوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ » ، وفي رواية أخرى : « أَنْضَحُوا أَرْحَامَكُمْ » ، والمعنى واحد ، وهذه استعارة لأن المراد : صلوا أرحامكم ولو بالسلام ، أي جددوا المودة بينهم وبين أقربائكم ولو بالنسليم عليهم تشبيهاً ببَلِّ السَّقاء اليابس لأنه لا يتقبل إلا بملء الماء ، فينتدى قاحله^(١) ، ويمتد قاصه^(٢) ، فشبهوا بلّ الأرحام

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالكناية ، حيث شبه الذنب بالحمل بجامع وجود المشقة في كل واستعير لفظ الحمل للذنب ، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو الحفة والإعناق والإبلاخ في صاحب الذنب ، ويستقيم ذلك تشبيه صاحب الذنب بحامل الحمل فهو نارة خفيف ونارة ثقل .

(٢) قاحله : يابسه .

(٣) القاص : المنكش (التكرمش) .

بذلك ، لأن في حسن المخالقة^(١) تجديداً لمخلقاتها^(٢) ، وإحكاماً لما
وحي من علائقها ، ومثل ذلك قول الكميّة الاسديّ :

نَضَحْتُ أَدِيمَ الْوُدِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ بِأَصِرَةٍ^(٣) الْأَرْحَامِ لَوْ يَتَبَلَّلُ

٦٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لرجل قيل له : إنه

نام عن الصلاة حتى أصبح : « ذَاكَ رَجُلٌ بَالٌ فِي أَذْنِهِ الشَّيْطَانُ » ،

وهذا مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن الشيطان تهكم به وسخر

منه ، لأنهم يقولون ذلك فيمن ظهر اختلاله ، وبأن انحلاله ، وأصله

مأخوذ من الإفساد ، فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن للشيطان

قد أفسده وفسخ عقده^(٤) ، وعلى ذلك قول الشاعر :

إِذَا رَأَيْتَ أَتْجُمًّا مِنَ الْأَسَدِ جَبْهَتُهُ أَوْ الْخَرَاتِ وَالْكَلْدِ^(٥)

بَالٌ مُهَيَّلٌ فِي الْفَضِيخِ فَفَسَدٌ وَطَابَ أَلْبَانُ اللَّفَّاحِ وَبَرَدُ^(٦)

(١) المخالقة : هي العاشرة بخلق حسن ، يقال : خالفهم إذا عاشرهم بخلق حسن . وأراد الشريف بها هنا مطلق العاشرة .

(٢) المخلق : بضم الميم وفتح اللام : الذي أبلى واستنفدت جدته فصار بالياً ، والمعنى تجديد البالي من العاشرة .

(٣) آصرة الأرحام : صلة الأرحام ، لأن الآصرة تطلق على الرحم وعلى القرابة ؛ وعلى المنّة والعطية .

(٤) فسخ عقده : لما تغلب الشيطان على هذا الشخص ومنعه من صلاة الصبح كان كأنه تسبب في فسخ العقد الذي بينه وبين ربه على الطاعة والصلاة في أوقاتها .

(٥) الأسد : برج من أبراج النجوم ، والجهة والحراث والكندر : نجوم .

(٦) سهيل : نجم ، والفضيخ : اللبن المخلوط بالماء . والزاد أنه إذا ظهرت هذه النجوم فسد اللبن المذكور وطاب اللبن الجيد ، وبرد : أي صار سائناً مقبولا محبوباً .

أى أفسد سهيل اللبن ففسد ، فعبر عن إفساده له ببوله فيه ، تشبيهاً بالباطل في الماء ، لأنه يفسد عذبه ، ويمنع شربه ^(١) .

٧٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تُعْرَضُ للناس جَهَنَّمُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ » ^(٢) يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وهذا مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام أراد شدة احتدامها والتفاف ضرامها ، فكان بعضها يحطم بعضها : أى يهذه ويهيضه ، والحطم : الكسر . وقد يجوز أن يكون المراد أنها تحطم أبدان المعاقبين بها ، وجعلهم بعضها لأنهم خالدون فيها غير خارجين منها ^(٣) .

٧١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لرجل من وفد

(١) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية حيث شبه لإغواء الشيطان لهذا النائم عن صلاته ، ببوله في أذنه ، بجامع الإفساد في كل ، واشتق من البول بمعنى الإغواء ، بال بمعنى أغوى على طريق الاستعارة التبعية ، ويجوز أن يكون كناية عن إفساده ، لأن الإغواء والبول في الأذن إفساد .

(٢) السراب : ما يراه الإنسان نصف النهار ؛ كأنه ماء وليس بماء ، والمراد بتشبيهاً بالسراب أن لها لمعاناً من شدة حرارتها ، وهى تقلى وينقلب بعضها على بعض ؛ كأنه يحطمه ويكسره ، والمراد من التشبيه شدة حرارة النار وشدة غليانها وقوتها ، تخويفاً لمن يراها من الناس .

(٣) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه مرسل ذكرت فيه الأداة وحذف وجه الشبه وهو العمان والأخذ بالأبصار .

تَجِيبُ^(٢) : « إني لأرجو أن تموت جميعاً ، فقال : أوليس الرجل يموت جميعاً يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام تذهب أهواؤه وهو مودع في أودية الدنيا فلعل أجله يدركه في بعض ذلك فلا يبالي الله في أيها هلك » ، وفي هذا الكلام مجازان أحدهما قوله عليه الصلاة والسلام : إني لأرجو أن تموت جميعاً لأن الإنسان لا يموت إلا جميعاً ، وإنما أراد إني لأرجو ألا يدركك الموت ، وهو مودع متقسمة ، وأهواؤك متشعبة ، فكان يكون متفرقاً بمتفرق أهوائه ، ومتشعباً بتشعب آرائه . والمجاز الآخر : قوله عليه الصلاة والسلام في أودية الدنيا ، وهذه استعارة مجيبة ، لأنه شبه اختلاف طرائق الدنيا ومذاهبها ، وتباين أحوالها ونوائبها بالأودية المختلفة . فمنها البعيد والقريب ، والخصب والجديد ، والواسع والضيق ، والمنجي والمعطب^(٣) .

٧٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وهو يعني للدينة : « أَسْكِفْتُ بِأَفْلِّ الْأَرْضِ مَطَرًا ، وَهِيَ بَيْنَ عَيْنَيْ السَّمَاءِ : عَيْنِ

(١) تجيب بن كندة : بطن من بطون العرب .

(٢) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث مجازى عقلى واستعارة .

أما المجاز العقلى : فهو إسناد جميعاً إلى ضمير الشخص ، والمراد أهواؤه ورغباته لأن جميعاً بمعنى مجموع ، فهو فعيل بمعنى مفعول ، والملافة الظرفية ، لأن الإنسان موضع لرغباته والاستعارة في قوله « أودية الدنيا » والمراد أحوالها حيث شبهت أحوال الدنيا بالأودية في تشعبها وقربها وبعدها ، واستعير اسم للشبه به للشبه على طريق الاستعارة التصريحية .

بالشام وعَيْنَ باليمن ، ، وهذه استعارة لأنه عليه الصلاة والسلام أراد كثرة انهلال السماء بالمطر في هذين الموضعين : الشام ، واليمن ، يستكنى عن ذلك بمعنى السماء كأنه عليه الصلاة والسلام شبه أفق السماء المطلين على هذين البلدين بالعينين الدامعتين ، فأراد أن العينين لا تنقطع مياههما عن هذين الموضعين كما لا ترقأ^(١) دموع هاتين العينين . وقد يجوز أن يكون إنما أراد عليه الصلاة والسلام أن يشبههما بالعينين من العيون التي تنبع^(٢) الماء في الأرض . فكما أن ماء العين موصول لا ينقطع ، فكذلك قطر السماء في هذين البلدين متصل غير منقطع ، وكلا القولين مجاز وتوسع . وقد سموا السحاب للناشيء من جهة القبلة عيناً على أحد العينين اللذين ذكرناهما ، فقد يجوز أيضاً أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام : بين عيني السماء ، يريد بين السحابين الناشئين بهذين البلدين^(٣) .

٧٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الحَيَاءُ نِظَامُ الإِيمَانِ » ، وهذه استعارة ، والمراد أن الحياء يجمع خلال الإيمان ، كما

(١) رقا الدمع رقاً ورقوءاً : جف وسكن .

(٢) تنبع من أنبع : أى التي تخرج الماء من الأرض .

(٣) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريرية ، حيث شبه أفق السماء في جهة الشام وجهة اليمن بالعينين بجامع نزول الماء من كل ، واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية . والقرينة أن السماء ليس لها عيون حقيقية .

يجمع السُّلكُ فرأى النظام^(١) ، لأن الإنسان الكثير الحياء يُحْجَمُ عن
مواقعة المغاصى ، ومطاولعة المغاوى ، فإذا قلَّ حياؤه تفرَّقَ جُمَاعُ^(٢)
إيمانه ، فأشبهه السُّلكُ فى أنه إذا انقطع تهافت خَرَزَ نظامه ، وهذا
المعنى أرادَه الشاعر بقوله :

يَعِيشُ المرءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْنِي قَى الْعُودِ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ^(٣)
وليس ينافى هذا الحديثُ الحديثَ الآخر ، وهو قوله عليه الصلاة
والسلام « الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » فإنه لا يمتنع أن يكون شعبة
منه ويكون مع ذلك نِظَامًا له^(٤) .

٧٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مِنْ بَرِي هَذَا
عَلَى تَرْعَةٍ مِنْ تَرْعِ الْجَنَّةِ » ، وقد قيل فى تفسير الترع ثلاثة أقوال :
أحدها : أى يكون أسمى للدرجة . والثانى : أن يكون أسمى للروضة
على المكان للعالى خاصة . والثالث : أن يكون أسمى للباب ، وفى

(١) النظام : كل خيط يسلك فيه لؤلؤ ونحوه ، والمراد فرائد اللؤلؤ التى
تنظم فى الخيط .

(٢) كل ما تجمِع وانضم بعضه إلى بعض فهو جاع كرمان .

(٣) اللحاء بوزن كتاب : قشر الشجر ، والمراد أن العود يبقى ما بقى لحاؤه
وقشره لأنه يحفظه .

(٤) ما فى الحديث من اللاعة :

فى الحديث استعارة ، حيث شبه الحياء بالحيط الذى يجمع فيه اللؤلؤ ، واستعمل
اسمه وهو « نظام » فى المشبه به وهو الحياء على طريق الاستعارة التصريحية .
ووجه الشبه أن السُّلك يجمع حبات اللؤلؤ ، والحياء يجمع خصال الإيمان .

هذا الكلام مجاز على الأقوال الثلاثة ، وجميعها يتناول معنى واحد . فإن كانت التربة بمعنى الدرجة ، فالمراد أن منبره عليه الصلاة والسلام على طريق الوصول إلى دَرَج الجنة ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام يدعو عليه إلى الإيمان ، ويتلو قوارع القرآن ، ويخوف ويَـزْجُر وَيَعِيد وَيُبَشِّر . وإن كانت بمعنى الباب ، فالقول فيهما واحد . وإن كانت بمعنى الروضة على المكان العالي ، فالمراد بذلك أيضاً كما مر بالقرآن الأولين ، لأن منبره عليه الصلاة والسلام على الطريق إلى رياض الجنة لمن طلبها وسلك السبيل إليها ، وفيه زيادة معنى ، وهو أن يكون إنما شبهه بالروضة لما يمرّ عليه من محاسن الكلام وبدائع الحُكْم التي تشبه أزاهير الرياض وديابيج^(١) النبات ، وهم يقولون في الكلام الحسن : كأنه قِطْعُ الرّوض ، وكأنه ديباج الرقيم^(٢) . وأضاف عليه الصلاة والسلام الروضة إلى الجنة ، لأن الكلام المَوْثِق الذي يتكلم به عليه الصلاة والسلام يَهْدِي إلى الجنة ، ويكون دالاً عليها وقائداً إليها ، وعندما أن الروضة إذا كانت على الأيفاع^(٣)

(١) الديج : النقش ، والديباج المنقوش المخطط أو المطرز . والجمع ديباج وديباج . وهو فارس معرب . والمراد هنا النبات الذي كأنه ديباج : أى يطرز الأرض ويزينها .

(٢) الرقيم فعيل بمعنى مفعول : أى المرقوم المخطط . والمراد كأنه ثوب الحرير المخطط .

(٣) الأيفاع : بفتح الفاء والياء كسحاب : التل . والأيفاع : جمع الأيفاع . أو الأيفاع .

والأنشاز^(١) كانت أحسن منظراً ، وآتق زهراً . وعلى ذلك قول الأعشى :

مَارَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةً

خَضْرَاءَ جَادَ عَلَيْهَا وَكَيْفَ خَضِلُ^(٢)

وقد قال بعضهم : التزعة : السكوة^(٣) وهو غريب ، فإن كان المراد ذلك ، فسكانه عليه الصلاة والسلام قال : « منبرى على مطلع من مطالع الجنة » ، والمعنى قريب من معنى الباب ، لأن السامع لما يلقى عليه كأنه يَطْدِمُ إلى الجنة ، فينظر إلى بهجتها وإلى ما أعد الله للمؤمنين فيها^(٤).

٧٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا » ، وهذه استعارة ، والمراد أن الإسلام لَيَأْوِي إلى المدينة كما تأوى الحية إلى جحرها ،

(١) الأنشاز : جمع نشز بوزن جل . ونشاز كسحاب : وهو المكان المرتفع .
(٢) الحزن : المكان المرتفع . والروضة إذا كانت برية كانت أخصب وأنضر . والمعشبة : ذات النبات والعشب . والواكف : الهاطل . والحضل : الندى الذي يبطل نباتها .

(٣) السكوة : بضم الكاف وفتحها : الخرق في الحائط .

(٤) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، شبه فيه مكان منبره صلى الله عليه وسلم بترعة من ترع الجنة ، بجامع أن في كل من المشبه والمشبه به خيراً وبركة ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه على طريق الاستعارة التصريحية .

وأصل ذلك مأخوذ من التقبُّض والاجتماع ، يقال : أرزأُروزاً : إذا كان منه ذلك ، فجعل عليه الصلاة والسلام المدينة كالوِجَار^(١) للإسلام يتقلص إليها ويفضم إلى حماها ، لأنها قطب مداره ونقطة ارتكازه^(٢) .

٧٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يَدْخُلُ الجنةَ أَحْمٌ نَبَتَ من سُحْتٍ » ، وهذا القول مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام شبه نماء أعضاء البدن بنبات أغصان الشجر لما بينهما من المشاكلة ، لأن العروق كالعروق ، والألحجية^(٣) كالجلود ، والإبراق كالحياة ، والإيباس كالوفاة^(٤) .

٧٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو ابن العاص وذكر قيام الليل وصيام النهار ، فقال : « إِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ

(١) الوجار بكسر الواو وفتحها : جعر الضبع وغيرها . والمراد أن المدينة كالجعر للإسلام يتجمع فيها كما تأوى الحية إلى جعرها .
(٢) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه بقاء الإسلام في المدينة وتجمع المسلمين فيها ، بأروز الحية إلى جعرها ، بمجامع التجمع والانكماش في كل ، واستعار الأروز للبقاء والتجمع ، واشتق من الأروز بمعنى التجمع . يأرز بمعنى يتجمع على طريق الاستعارة التبعية ، وفيه تشبيه مرسل حيث شبه أروز الإسلام بأروز الحية وذكر أداة التشبيه .

(٣) الألحية جمع لحاء ككتاب : وهو قشر الشجرة ، وقد سبق بيانه آنفاً .
(٤) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه نمو اللحم بنمو النبات ، واستعمل لفظ المشبه به وهو النبات في المشبه ، وهو نمو لحم الإنسان ، واشتق من النبات بمعنى النمو نبت بمعنى نَمَى على طريق الاستعارة التبعية .

ذَلِكَ هَجَمَتْ^(١) عَيْنَاكَ وَتَهَمَّتْ نَفْسُكَ ، فقوله عليه الصلاة والسلام : « هجمت عيناك » استعارة ، لأن المراد به غور العينين لطول القيام ، ولبعد العهد بالطعام . وذلك مأخوذ من قولهم : هَجَمَ فلان على فلان إذا دخل عليه دخولاً فيه سرعة وله روعة . ويقال : هجم عليهم البيت إذا سقط عليهم^(٢) ، فشبه عليه الصلاة والسلام إفراط دخول العينين في حجاج^(٣) الرأس بهجوم الرجل المهاجم ، أو وجوب^(٤) البيت الواقع ؛ فالتشبيه بالأول لإيصاله في مدخله ، والتشبيه بالثاني لزواله عن موضعه . ومعنى تَهَمَّتْ^(٥) نفسك : أى أصابها الملل ، وجَدَّها^(٦) الإعياء والكلال^(٧) .

-
- (١) في القاموس المحيط : هجمت عينه هجماً وهجوماً : غارت ، وعلى ذلك يكون السلام حقيقة لا مجاز فيه .
- (٢) في القاموس : هجم انبثت انهدم كأنهجم .
- (٣) الحجاج بفتح الحاء وكسرهما : العظم الذى يثبت عليه الحاجب .
- (٤) وجب يحب وجبة : سقط ، فوجب البيت معناه سقوطه .
- (٥) تهمت نفسك : ظهر عجزها ، وهذا مرادف لما ذكره الشريف من إصابة الملل إذا أريد بالملل العجز .
- (٦) جد الشيء : قطعه . والمراد أن الإعياء والكلال وهو التعب ، يقطمان النفس عن العمل .
- (٧) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث على ما ذكره الشريف استعارة تبعية في هجمت عيناك ، حيث شبه غور العين ودخولها في محجرها ، بالمهجوم بفتنة ونجاة بمجامع حدوث الشيء قبل إدراكه في كل ، واشتق من هجم بمعنى غار ، هجمت بمعنى غارت على طريق الاستعارة التبعية .

٧٨ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَأَنْ يَمْتَلِيءَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيءَ شِفْرًا » ، وفي هذا القول مجاز ، لأن المراد به النهي عن أن يكون حفظ الشعر أغلب على قلب الإنسان ، فيشتغله عن حفظ القرآن وعلوم الدين حتى يكون^(١) أحضر حواضره ، وأكثر خواطره . فشبهه عليه الصلاة والسلام بالإناء الذي يمتلئ بنوع من أنواع المائعات ، فلا يكون لغيره فيه مسرب^(٢) ، ولا معة مذهب .

وقال بعضهم : إنما هذا في الشعر الذي هُجِيَ به النبي عليه الصلاة والسلام خصوصاً ، والصحيح أنه في كل شعر استولى على القلب كل استيلاء عموماً ، لأن النهي يتعلق بحفظ القليل مما هجى به النبي عليه الصلاة والسلام ، وكثيره يراعى فيه أن يكون غالباً على القلب وطافاً على اللب . وقوله عليه الصلاة والسلام حتى يَرِيَهُ معناه حتى يفسده^(٣) ويهينه^(٤) ، ويقولون : وَرَأَاهُ الدَّاهِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ ، قال الشاعر :

وَرَأَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْتَنِي وَأُخَى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَكَوِيَا

٧٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كُلُّ صَلَاةٍ

(١) الضمير في يكون للشعر .

(٢) المسرب : الطريق .

(٣) في القاموس : وري القبيح جوفه أفسده .

(٤) في القاموس : فلان به هيضة : أى قبياء وقيام جيباً ، ولعل مراد الشريف أن يفسد القبيح الجوف ويجعل صاحبه يقي ويضطرب .

لا يقرأ فيها بأتم الكتابِ فمى خِدَاجٌ ، وهذه استعارة مجيئة ، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل الصلاة التي لا يقرأ فيها ناقصة بمنزلة الناقصة إذا ولدت ولداً ناقص الخلق أو ناقص المدة . ويقال : أخذج الرجل صلاته : إذا لم يقرأ فيها فهو مُخَدِّجٌ وهي مُخَدِّجَةٌ . وقال بعض أهل اللغة : يقال خَدَجَتِ الناقَةُ إذا أَلَقَتْ ولدها قبل أوان الفَتَاجِ ، وإن كان تام الخلق ، وأخذجت إذا أَلَقَتْه ناقص الخلق ، وإن كان تام الحمل ؛ فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : كل صلاة لا يقرأ فيها فهي نقصان ^(١) إلا أنها مع نقصانها مُجْزِئَةٌ ، وذلك كما تقول في قوله عليه الصلاة والسلام : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » إنما أراد به نقي الفضل لا نقي الأصل ، فكأنه قال : لا صلاة كاملة أو فاضلة إلا في المسجد ، وإن كانت مجزئة في غير المسجد . فنفي عليه الصلاة والسلام كمالها ولم ينف أصلها . ومما يؤكد ذلك الخبر الآخر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « لا غِرَارَ في صلاةٍ ولا تسليمٍ » أى لا نقصان فيهما ^(٢) من قولهم : ناقةٌ مُغَارٌ إذا نقص لبنها ، ومنه الحديث الآخر : لا تُغَارُوا التحية ، أى لا تنقصوا السلام ورُدُّوا

(١) هكذا فسر القاموس المحيط الخِدَاج فقال : « وصلاته خِدَاج أى نقصان »
 (٢) الغرار في الصلاة : النقصان في ركوعها وسجودها وظهورها وفي التسليم أن يقول سلام عليكم أو أن يرد بعليك لا عليكم ، وهذا يفسر قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تغاروا التحية » .

على البادى به مثل ما قال (١).

٨٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « عَائِدُ الْمَرِيضِ عَلَى تَحَارِفِ الْجَنَّةِ » ، وفي هذا الكلام مجاز على التأويلين جميعاً ، فإن كان المراد المخارف ، جمع تحرف ، وهو جنى النخل ، فكأنه عليه الصلاة والسلام شهد لعائد المريض بدخول الجنة وحقق له ذلك حتى عبر عنه ، وهو بعد في دار التكليف ، بعبارة من صار إلى دار الخلود ثقة له بالوصول إلى الجنة ، والنزول في دار الأمانة (٢). وهذا موضع المجاز ، وإن كان المراد بالمخارف ، جمع تحرفة ، وهى الطريق . كما روى عن بعض الصحابة أنه قال فى كلام له : وَتَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ تَحْرِفَةِ النَّعَمِ : أى طريق النعم الواضح الذى أعلمته بأخافها وأعتدته (٣) بكثرة غدوها ورواحها ، فوضع المجاز أنه عليه الصلاة والسلام جعل عائد المريض كالماشى فى طريق يفضى به إلى الجنة

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الصلاة الناقصة بالناقصة التى ألقت ولدها قبل أوان وضعه ، أو التى ألقته ناقص الحلق ، واستعمال المصدر وهو خداج أبلغ من استعمال اسم المفعول وكان الأصل فىي مخدجة ، ولكن استعمال المصدر أبلغ . وأصل التشبيه : كل صلاة لا يقرأ فيها بأمر الكتاب فىي كالناقصة المخدجة بجماع التقصان فى كل ، غذف وجه الشبه والأداة .

(٢) الأمانة بفتحات : هى الأمن ، يقال أمن أماناً وأماناً وأماناً : بفتح الميم وأمنة .

(٣) اعتدته : أعدته وهياته وجعلته صالحاً للسير فيه .

ويوصله إلى دار المقامة^(١).

٨١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام المغيرة بن شعبه وقد خطب امرأة ليتزوجها : « لو نَظَرْتَ إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » ، وفي هذا اللفظ مجاز على التأويلين جميعاً ؛ فأحدهما أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام : أحرى أن يؤدم بينكما مأخوذاً من الطعام المأدوم ، لأن طيبه وصلاحه إنما يكون بالإدام كالزيت والإهالة^(٢) وما يكون في معناهما ، فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن ذلك أحرى أن يتوافقا كما يوافق الطعام أدمه ، أو كما يوافق الإدام^(٣) خبزه . قال الكسائي : أدم الله بينهما على مثال فعل : إذا ألقى بينهما المحبة والاتفاق . وأقول : إن هذا يشبه دعاءه عليه الصلاة والسلام للبانى على أهله ، وهو قوله : بالزَّفاء والبنين ، كأنه عليه الصلاة والسلام دعا بأن يلائم الله بينهما كما يلائم الرافى بين شقق الثوب المرفوء . وأما التأويل الآخر في أصل الخبر ، فهو أن يكون بمعنى :

(١) المقامة : الإقامة ، كالقمام والمقام بفتح الميم وضمة ، ومن ذلك قوله تعالى « الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسنا فيها لغوب » أى دار الإقامة الدائمة .

(٢) الإهالة : الشحم الجامد أو الذائب أو الزيت ، وكل ما أؤتدم به (أى كل ما جعل لإداماً) وينبغى أن يراد به هنا ماء عدا الزيت إذا اعتبرنا العطف ليس للتفسير ، أما إذا أريد بالعطف عطف التفسير فيجوز أن يراد به الزيت .

(٣) الإدام : ما يؤكل مع الخبز من زيت وغيره .

ذلك أحرى أن يصلح الله بينكما ، من قولهم : عِنَانٌ مُؤَدَمٌ ، إذا كان مصلحاً مُحْكَمًا . قال الراجز :

* فِي صَلَبٍ مِثْلِ الْعِنَانِ الْمُؤَدَمِ ^(١) *

ويقال : أديم مؤدم إذا ظهرت أدمته ، وهو مأوى اللحم منه . وأديم مبشر إذا ظهرت بشرته ، وهو مأوى الشعر منه . ويقال : رجل مؤدم إذا كان محبوباً . قال الراجز :

* وَالْبَيْضُ لَا يُؤَدِمُنْ إِلَّا مُؤَدَمًا ^(٢) *

أى لا يحببن إلا محبوباً ^(٣) .

٨٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » ، وهذا القول مجاز ، والمراد به إن البيان قد يتخذع بتزييقه ورخارقه وحسن معارضه ومطالعه ، حتى يستنزل الإنسان من حال الغضب ، والخاشعة إلى حال الرضا والملاينة ، وينزع

(١) الصلب محركة : الظهر والعنان : اللجام ، والمؤدم : المتين اللين ، الذى جمع بين اللين والثانة .

(٢) المؤدم : الرجل الحاذق المجرب الذى جمع بين لين الأدمة وخشونة البشرة ومثل هذا يكون محبوباً ، فقد عبر الشريف عن لازم المعنى وهو الحب .

(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه الموافقة بين الرجل وزوجته بالأدمة ، ومضى الموافقة بين الحيز وإدامه بجامع التوافق فى كل ، واشتق من الأدمة يؤدم بمعنى يوافق على سبيل الاستعارة التبعية ، ويجوز ألا يكون فيه استعارة بل يكون الكلام على الحقيقة ، لأن من معانى الأدمة الموافقة .

حُتَات^(١) السخائم ، وَيَفْسَخَ عقود العزائم ، وَيَكْتَبِحَ الجامح حتى يرجع ، وَيُسِفَ^(٢) بالخلق حتى يَقَعَ ، ويعود بالخصم الضالع^(٣) موافقاً ، وبالضدّ الأبعد مقارباً . والسحر في الأصل : هو التزويج والخديعة والتليس والتغطية . وقال بعضهم : السحر ما نقلك من حال إلى حال . وكانت العرب تعتقد أن السحر يصرف الوجوه ، وَيُقَلِّبُ القلوب ، وَيُمَرِّضُ الأجسام ، وَيُسِفُّ الأحلام ، ويفرق بين المتحابين ، ويجمع بين المتباعدين . وهذا في الحقيقة نقل من حال إلى حال ، وهو عندنا باطل إلا أن يراد به ما قدمنا القول فيه من خديعة الإنسان بلين القول وحسن اللفظ ، حتى يرضى بعد اشتطاطه^(٤) ، ويفتني بعد جماعه . وهذا الوجه هو الذي ذهب إليه النبي عليه الصلاة والسلام دون ما يقوله أهل الجاهالة وطغام الجاهلية^(٥) .

-
- (١) الحيات جمع حية بضم الحاء وفتح الميم : وهي الإبرة التي يضرب بها الزنبور أو الحية أو العقرب أو يلدغ بها ، والسخائم : جمع سخيمة : وهي الحقد ، والمراد ينزع دوافع الحقد وأسبابه .
- (٢) يقال أسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه ، وأسفت السحابة دنت من الأرض ، والخلق المرتفع ، والمراد أن الكلام ينزل بالمرتفع إلى أسفل أي يغير حال المخاطب من التشدد إلى اللين .
- (٣) الخصم الضالع : المائل المخالف ، ومن معاني الضالع الجائر ، واسكن المعنى الذي ذكرناه أولى وأنسب بقول الشريف موافقاً .
- (٤) الاشتطاط : مجاوزة القدر المعقول والتباعد عن الحق .
- (٥) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه الكلام الحسن بالسحر في تأثيره على السامع ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه على طريق الاستعارة التصريحية .

٨٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِلَّا أَنْ
بَتَفَمَدَّنِي مِنْهُ بِرَحْمَةٍ » ، وأصل هذا الكلام مستعار ، لأن المراد
به : إِلَّا أَنْ يَفْطِنِي اللَّهُ أَوْ يُجَلِّلَنِي ^(١) مِنْهُ بِرَحْمَةٍ ، مأخوذ من غمد
السيف الذي يكون كِنَانًا ^(٢) وَسِبَاغًا ^(٣) عليه ، وقال الشاعر :

نَصَبْنَا رِمَاحًا فَوْقَهَا جَدُّ عَامِرٍ ^(٤) كَطَلَّ السَّمَاءُ كُلُّ أَرْضٍ تَفَمَّدًا
أى امتد جدُّهم على أقطار الأرض ، فغطاها كامتداد السماء عليها
من جميع جهاتها ، يصفهم باستطالة الجُدِّ ، وانبساط اليد ، ونراء المال
والعدد ^(٥) .

٨٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ رَحْمَةً تَلُمُّ بِهَا شَعْنِي » ^(٦) ، وهذه استعارة ، والمراد تجمع بها

(١) يجللني : أى يفضّلني ويعلموني بالرحمة .

(٢) الكنان والكنة والكن : ما يستتر الشيء ويقيه .

(٣) سبغ الشيء سبوغاً : طال إلى الأرض . والمعنى يكون ستاراً عليه .

(٤) الجُد : العظمة ، يريد أن رماحه غطتها عظمتهم ، وهذه الرماح كثيرة

حتى أنها تغطي جميع الأرض ، أى أرض بلادهم ، ولكنه بالغ حتى جعلها نعم الأرض
جميعها كظل السماء .

(٥) مافى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه شمول رحمة الله بتغطية الغمد للسيف
واشتماله عليه من جميع جهاته : واشتق من التغميد بمعنى الشمول يتعمد بمعنى يشمل
على طريق الاستعارة التبعية .

(٦) الشعث : انتشار الأمر وتفرقه ، ولم الله شعثه : قارب بين شئتي أموره .

أمرى ؛ فَكَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَنْ ذَلِكَ بِالشَّعْثِ تَشْبِيهًا بِالْعُودِ
الَّذِي تَشْعَثُ رَأْسُهُ وَتَشْطَّتْ^(١) أَطْرَافُهُ ، فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى جَامِعٍ يَجْمَعُهُ
وَشَاعَثَ بِشَعَثِهِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ يَصِفُ النَّارَ :
وَعَبْرَاءَ شَعَثَاءِ الْفُرُوعِ مُنِيفَةً^(٢) بِهَا تُوصَفُ الْحَسَنَاءُ وَهِيَ جَمِيلٌ
أَرَادَ تَفْرِقَ أَطْرَافَهَا وَتَشْعَثُ شَوَاطِئُهَا^(٣) .

٨٥ — وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ شَرِّ عِرْقِي نَعَّارٍ » ، وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ ، وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ رَفْعُ الصَّوْتِ
يُقَالُ : فَلَانُ نَعَّارٌ فِي الْفَتَنِ ، أَيْ صَيَّاحٌ فِيهَا وَدَعَاءٌ إِلَيْهَا . وَقَالَ
بَعْضُ التَّابِعِينَ وَقَدْ صَلَّى خَلْفَ مَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ رَافِعٌ صَوْتَهُ
بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ : قَاتَلَهُ اللَّهُ نَعَّارًا بِالْبَدْعِ ، أَيْ صَيَّاحًا بِهَا ؛ فَشَبَّهَ

(١) تَشْطَّتْ أَطْرَافُهُ : أَيْ صَارَتْ أَطْرَافُهُ شَظَايَا جَمْعُ شَظِيَّةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ
الشَّيْءِ ، وَيُقَالُ تَشْطَّى الْعُودُ : تَطَايَرُ شَظَايَا .

(٢) مُنِيفَةٌ : عَالِيَةٌ مَرْتَفَعَةٌ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ النَّارَ مُتَفَرِّقَةٌ عَالِيَةً تُوصَفُ بِهَا
الْحَسَنَاءُ السَّمِينَةُ فِي حَرَارَتِهَا وَفِي ضِيَائِهَا وَفِي عَظَمَتِهَا .

(٣) الشَّوَاطِئُ : الْمُرَادُ بِهِ هُنَا دُخَانُ النَّارِ ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُظْهَرُ فِيهِ التَّفَرُّقُ
أَكْثَرَ مِنْ تَفَرُّقِ اللَّهَبِ .

مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ اسْتِعَارَتَانِ تَبْعِيَّةٌ فِي تِلْكَ ، وَتَصْرِيحِيَّةٌ فِي شَعَثِي ، أَمَّا الْأَوَّلَى فَشَبَّهَ
جَمْعَ الْأَمْرِ الْمَعْنَوِي بِجَمْعِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ وَاشْتَقَّ مِنْ لَمْ يَمْنَى جَمْعُ ، الْأَمْرُ تِلْكَ بِمَعْنَى
تَجْمَعُ الْأَمْرُ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ ، وَشَبَّهَ تَفَرُّقَ الْأَمْرِ الْمَعْنَوِي بِتَفَرُّقِ
الْعُودِ شَظَايَا ، وَاسْتَعْمَلَ لَفْظَ الْمَشَبَّهِ بِهِ فِي الْمَشَبَّهِ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّةِ ،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ السَّكَلَامُ حَقِيقَةً لَا بِجَازٍ فِيهِ .

عليه الصلاة والسلام سُغُور^(١) دم العرق وتواتره بصوت الصائح المنوّه من وجهين ، لارتفاع ندائه ، ولتكرير دعائه ؛ فجعل العرق نعاراً للعلّة المذكورة على طريق المجاز والانساع . وقال بعض أهل اللغة : يقال نَعَرَ العرق نِعْراً ونِعْراً إذا اهتز بالدم ولم يرقأ ، فإن كان الأمر على ما قال ، فقد خرج الكلام عن باب المجاز إلى حيز الحقيقة^(٢) .

٨٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ وَسَدَمَهُ^(٣) جَعَلَ اللَّهُ فَقْرًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ » ، وهذا الكلام مجاز ، والمراد به أن من جعل الدنيا همّه ، وقرّ عليها باله ، وأعرض عن الآخرة بوجهه ، وأخرج ذكرها من قلبه ، وأقبل على تشمير الأموال^(٤) ، واستتضخام الأحوال ، عاقبه الله على ذلك بأن يزيده

(١) سُغُور دم العرق ، شدة دفعه وضربه حتى يسمع له صوت ، وهو ضد سكون العرق الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سابق .

(٢) ما في الحديث من البلاغة .

في الحديث استعارة تبعية حيث شبه شدة دفع الدم في العرق بالصوت العالي واشتق من التعبير معنى التدفق نعار بمعنى متدفق شديد الدفع على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) السدم : من معانيه الهم ، فيكون العطف من عطف المترادفات ومن معانيه اللهب بالشئ ، وهو أن يغرى الشخص به ويشاير عليه ، ويكثر من ذكره بقلبه ويلبسه ، وهذا أنسب لمعنى الحديث .

(٤) المراد بالإقبال على تشمير الأموال يجب تقييده بتشميرها طلباً للمباهاة بها والاستعلاء على عباد الله ، أما من يشمر الأموال يريد بها صالح الجماعة الإسلامية فهذا محبوب من الله ومن الناس ، مجزى خيراً على عمله بإذن الله .

فقر نفس وضرع^(١) خذ ، فلا تسد مفاقره^(٢) كثرة ما جمع وعدد ، وعظيم ما أئبل وئمر ، فكأنه يرى الفقر بين عينيه ، فهو أبداً خائف من الوقوع فيه ، والالتئاء إياه ؛ فلا يزال آكلاً لا يشبع ، وشارباً لا ينقح^(٣) ، فعه حرص الفقراء ، وله مال الأغنياء . وقال عليه الصلاة والسلام : جعل فقراً بين عينيه مبالغة في وصفه بتصور الفقر ، فكأنه قريب منه ، وغيره غائب عنه ، كما يقول القائل لغيره إذا أراد هذا المعنى : حاجتك بين عيني ، أى هي متصورة لى وغير غائبة عن قلبي^(٤) .

٨٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في صفة شاء^(٥) ذكرها : « فجاءت به كُله قالب لَوْنٍ غيرَ واحدٍ أو اثنين » ، وهذا

(١) يقال ضرع فلان إلى فلان : إذا ذل واستكان وخضع ، ونسبة الضرع إلى الحد أبلغ ، لأن الحد هو موضع التكريم في الوجه ، فإذا كان ذليلاً كان الجسم كله ذليلاً ، وكانت النفس خاضعة مستكينة ، وهذا التعبير يستعمل عند الناس في هذه الأيام ، إذ يقولون : « جعل خذه مداساً » ، أى مكان الدوس والوطء بالأقدام .

(٢) المعافر : اللهوات ، وهى داخل الغم ، أى لا يعلأ فيه .

(٣) لا ينقح : أى لا يرتوى ، يقال نفع الماء غلة العطشان : أى رواء .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز مرسل علاقته المحلية ، حيث أريد بالدنيا أعراضها والدنيا محلها ، واستعمل لفظ المحل في الحال فيه .

(٥) الشاء جمع شاة : أى في صفة شياه ذكرها ، وهذه الشياه هى التى رعاها موسى عليه السلام لشعيب عليه السلام ، وكان رعيها ثمانى حجج مهراً لابنته التى تزوجها موسى عليه السلام ، وقد سمح شعيب لموسى من نتاج الغنم بما كان لونه مخالفاً للون أمه ، فلم تجىء منها كذلك إلا واحدة أو اثنتان .

استعارة ، وأن ألوانها جاءت متساوية^(١) ، فكأنما أفرغت في قالب واحد . وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى ، وذلك كما يقول القائل منا إذا أراد أن يصف قوماً متشابهين في الخلق والمناظر أو في الطباع والفرائز : كأنما طبعوا على سكة^(٢) واحدة ، أو خلقوا من طينة واحدة^(٣) .

٨٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « خَيْرُ الْخَيْلِ الْأَدَمُ »^(٤) الْأَفْرَحُ^(٥) الْمُحَجَّلُ^(٦) ثلاثاً ، طَلَقُ الْيَدِ الْيُمْنَى ، وهذه

(١) فغنى كونه قالب لون : أنها جاءت على لون واحد ، كما يقال صيفت في قالب واحد كما يقول الشريف .

(٢) السكة : حديدة منقوشة تضرب عليها الدراهم ، أى القالب الذى نصب فيه المعادن التى تصنع منها الدراهم على شكله ، يريد كأنهم طبعة واحدة لقالب واحد .

(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

قال فى القاموس : « وشاة قالب لون على غير لون أمها » وهذا مخالف لما ذكره الشريف ، فإنه جمل المعنى عكس ذلك وقال « وأن ألوانها جاءت متساوية » وقال صاحب النهاية فى غريب الحديث « قالب لون » كأن لونها قد انقلب . فعلى ما ذكره الشريف يكون فى الحديث استعارة ، حيث شبه خلق الفم على لون واحد بضرب الدراهم فى قالب واحد مثلاً ، أما على رأى غيره فليس فيه استعارة ، وإنما الكلام هكذا ، فجاءت لوناً مقلوباً عن لون أمها ، أى متغيراً عنه كأنما انقلب لونها من أسود إلى أبيض ، ومن أبيض إلى أسود وهكذا .

(٤) الأدم : الأسود .

(٥) الأفراح : الذى فى جبهته بياض قليل أصفر من الفرة .

(٦) المحجل : الذى فى قوائمه بياض ويكون فى رجلين ويد وفى رجلين فقط ، وفى رجل فقط ، ولا يكون فى اليدين وحدهما بل يكون فيهما مع الرجلين ولا يكون فى يد واحدة دون الأخرى إلا مع الرجلين . فغنى المحجل ثلاثاً : أى الذى بثلاث من قوائمه بياض ، هى الرجلان واليد اليسرى بدليل قوله طلق اليد اليمنى .

من محاسن الاستعارات ، لأنه عليه الصلاة والسلام شبهَ الثلاث من قوائم لالتفاف التحجيل عليها بالثلاث المعقولة من قوائم البعير ، والمشكولة من قوائم الفرس ، وشبهَ اليمنى منها لخلوها من التحجيل بالملقة من العقال^(١) ، أو العاطلة من الشكال^(٢) . ويقال : ناقة عُلُط إذا لم تكن موسومة^(٣) ، ويقال : طَلَق إذا لم تكن معقولة ، وناقة عُلُط إذا لم تكن مزمومة^(٤) .

٨٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لِسُرَاقَةِ بْنِ مَالِكٍ الْمُذَلِّجِيِّ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ لَحِقَ بِهِ وَهُوَ بَعْدُ عَلَى شِرْكِهِ : « قِفْ هَاهُنَا فَعَمَّ عَلَيْنَا بَهَوْرُ الثُّجُومِ » ، وهذه استعارة ، فكأنه عليه الصلاة والسلام شبهَ السماء وما فيها من مواقع الكواكب ومراقب الثواقب بالأبنية

(١) العقال : القيد .

(٢) الشكال : الحبل .

(٣) أى معلمة بالوسم ، وهو كى فى عتقها .

(٤) الزمام : الحطام الذى يخطم به البعير ، فالناقة غير المزمومة هى غير المخطومة .

ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه عدم التحجيل بعدم القيد ، وعدم القيد هو الإطلاق ، فىكون شبه عدم التحجيل بالإطلاق ، واشتق من الإطلاق بمعنى عدم التحجيل ، طلق ، بمعنى غير محجل على طريق الاستعارة التبعية ، وفى ذلك تشبيه ضمنى للقوائم الثلاثة الباقية ، وهى المحجلة بالمقيدة .

للموطودة^(١) والدعائم المرفوعة ، وجعل ترحلها عن مطالعها وانصبابها بعد ترفعها ، كالبناء المتهور^(٢) والسقف المتقوض^(٣) .

٩٠ — رمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث طويل وقد خط في الأرض خطوطاً يمثل بها أحوال ابن آدم ، فقال صلى الله عليه وآله : « وهذه الخطوط إلى جنبه الأعراض تنهشه من كل مكان فإن أخطأه هذا أصابه هذا » ، وفي هذا الكلام مجاز . وقوله عليه الصلاة والسلام : وهذه الخطوط إلى جنبه الأعراض تنهشه ، ويروى تنغشه بالغين^(٤) ، والمراد بذلك أعراض الدنيا ، وهي ما تعرض فيها من المصائب ، وتطرق من النوائب . وشبهها عليه الصلاة والسلام بالحيات الناهشة ، والدؤبان الفاهسة^(٥) لأخذها من لحم الإنسان ودمه ، وتأثيرها في نفسه وجسمه .

(١) يقال وطد الشيء يطده وطداً وطدة : فهو وطيده وموطود : إذا نبته ، فمضى موطودة مثبتة .

(٢) المتهور : المتهدم .

(٣) المتقوض : المتهدم أيضاً ، أو هو الذي نزعته منه الأعواد والقوائم والأطناب .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصرّحية ، حيث شبه زوال النجوم من أماكنها بتهور البناء ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه على طريق الاستعارة التصرّحية .

(٤) النش : تحرك الشيء في مكانه . والمعنى أنها تجعله مضطرباً غير ثابت .

(٥) نهس اللحم : أخذه بعظم أسنانه وتغفه ، وهذا أوجع وآلم من أخذ قبضة كثيرة منه .

٩١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يُصَلِّ الرجلُ وهو زَنَاءٌ »^(١) ، وهذا القول مجاز ، لأن أصل الزَّنا الضيق والاجتماع . وقال الأخطل يذكر حفرة القبر :

وإذا قَذِفْتَ إلى الزَّنا^(٢) نَعْرُها غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ مِنَ الْأَحْفارِ
ويقال : قد زَنَا بُولُهُ يَزْنَانَا زُنُوءاً إذا احتقن ، وأزْنَا الرجلُ بُولَهُ
إِزْناء إذا حقنه ، فسمى الحاقن زَنَاءً لاجتماع البول فيه وضيق وعائه
عليه ، وموضع المجاز من هذا الكلام أنه عليه الصلاة والسلام وصف
الرجل بالضيق ، وإنما الضيق وعاء البول ، إلا أن ذلك الموضع لما كان
شيئاً من جملته ونوطاً معلقاً به ، جاز أن يجرى اسمه عليه . وقوله
عليه الصلاة والسلام : لا يُصَلِّ الرجلُ وهو زَنَاءٌ ، فيه من الفائدة
ما ليس في قوله : وهو حاقن ، لأن الحاقن قد يحقن القليل كما يحقن
الكثير ، والزَّنا هو الضيق ، ولا يكاد يضيق وعاء البول إلا من
للكثير دون القليل^(٣) .

(١) قال في القاموس « الزنا كسحاب القصير المجتمع والحاقن لبوله » فاستعمل
الزنا في الحاقن لبوله حقيقة وليس بمجاز ، ولكن الشرف جملة مجازاً باعتبار
الزنا الاجتماع والضيق .
(٢) الزنا هنا الضيق ، ونعمرها أي تلطخها بشر ، يريد أن الميت شر يسىء
الحفرة التي يقذف إليها ومي القبر ، والغباء : ذات الغبار ، والمظلمة ذات الظلام ،
والأحفار : الحفائر .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :
في الحديث مجاز مرسل علاقته الاشتقاق ، حيث استعمل المصدر في الشق منه
فاستعمل الزنا وهو الضيق في المكان الضيق وهو الزنى ، وهذا على رأى
الشريف .

٩٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْحِجَازُ قَطِيفَةٌ الْإِيمَانِ » ، وهذه استعارة ، والمراد بها أنه يحيط بالإيمان ويجمع شمله ويضم أهله كما تضم القطيفة ، وهى الكساء الغليظ ، جملة بدن الإنسان إذا اشتمل بها ودخل فيها ، وإنما قال عليه الصلاة والسلام ذلك لثبات عرب الحجاز من قريش وغيرها على الإسلام بعد دخولهم فيه ، فلم يرتد منهم أحد كغيرهم ممن خَلَّى حبل الدين عن بدنه ، ورجع على عقبه . وقال أصحاب الآثار : ما من قبيلة من قبائل العرب بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام إلا وقد فشا فيها الارتداد عامة أو خاصة إلا قريشاً وثَقِيفاً ، فإنه لم يرتد منهم أحد . هذا على أن هاتين القبيلتين كانتا في أول الإسلام أشد نكاية ، ورسول الله صلى الله عليه وآله أحضر^(٢) عداوة^(٣) .

٩٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلُ^(٢) كَذَّ يَكْذُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ » ، وفي هذا الكلام استعارة على تأويل الكد في العربية . وأحد التأويلين : أن يكون الكد بمعنى الإتعاب والإنصاب ، كما يقول القائل : كددت فرسى إذا أراد

(١) المحاضرة : المجادة ، والمراد بقوله أحضر عداوة أشد عداوة .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه الحجاز بالقطيفة ، وهى التوب الذى يشتمل على الإنسان بجامع الضم والجمع فى كل ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .
(٣) المسائل جمع مسألة : وهى سؤال الشخص الناس العطاء والصدقة ونحوهما

أنه أتعبه واستنفد طاقته ، فعلى هذا التأويل يكون معنى كد الرجل وجهه بالمسائل أنه لكثرة بذله في السؤال وطلب ما في أيدي الرجال قد أجراه مجرى اللطية التي يُخَصِّرُها بكثرة الحُلِّ والتَّرحال وقطع المسافات الطوال . والتأويل الآخر : أن يكون الكد مأخوذاً من استقصاء النَّزح ماء الرِّكِيَّة^(١) حتى يبلغ حَمَاتِهَا^(٢) ويستنفد غَمَرَتِهَا^(٣) يقال : كد الرِّكِيَّةَ واكتدها إذا فعل ذلك بها . قال الشاعر :

أَمْصُ نِمَادِي وَالْمِيَاءُ كَثِيرَةٌ أَعَالِجُ مِنْهَا حَقَرَهَا وَاكْتَدَا دَهَا^(٤)

وَيَكُونُ قَوْلُ الْقَائِلِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ : كَدَدْتُ فَرَسِي ، أَيْ اعْتَصَرْتُ مَادَتَهُ وَاسْتَقْصَيْتُ مَا عِنْدَهُ ، فَيَكُونُ كَدُّ الْوَجْهِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَرَادُ بِهِ اعْتِصَارُ مَائِهِ وَاسْتَقْطَارُ حَيَاتِهِ . وَمِنَ الْمَتَعَارِفِ بَيْنُنَا أَنَّ يَقُولُ الْقَائِلُ إِذَا أَرَادَ هَذَا الْمَعْنَى : قَدْ هَرَقْتُ^(٥) مَاءَ وَجْهِ بِكَثْرَةِ الطَّلَبِ إِلَى فُلَانٍ ، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَ فُلَانٍ^(٦) .

(١) الركيّة : البئر .

(٢) حَمَاتُ الْبُئْرِ طِينَتُهَا ، أَيْ نَزَحَ مَاءُ الْبُئْرِ جَمِيعَهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى الطِّينِ الْمَوْجُودِ فِي قَعْرِهَا .

(٣) غَمَرَتِهَا : مَعْظَمُ مَائِهَا .

(٤) النِمَاد : الْمَاءُ الْقَلِيلُ ، وَالْحَقَرُ : قَلِيلُ الشَّيْءِ ، وَاكْتَدَا : الْيَمِينُ . اسْتِخْرَاجُ غَايَتِهَا حَتَّى لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنْهَا كَمَا سَبَقَ فِي كَدِ الْبُئْرِ .

(٥) هَرَقْتُ الْمَاءَ وَأَرْقَتُهُ : صَبَبْتُهُ ، وَبِاللَّغَةِ الْعَامِيَةِ (كَبَبْتُهُ) .

(٦) مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ تَشْبِيهُ بِلَيْخٍ ، حَيْثُ شَبَّهَ السُّؤَالَ بِالْكَدِّ وَهُوَ لِمَتَابِ الْفَرَسِ أَوْ اسْتِزَافِ مَاءِ الْبُئْرِ ، لِأَنَّ فِي السُّؤَالَ لِمَتَاباً لِلْوَجْهِ بِكَثْرَةِ تَعْرِضِهِ لِلْمَسْئُولِ عَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ وَاسْتِزَافِ حَيَاتِهِ الْمَقَائِلَ لِمَاءِ الْبُئْرِ عَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي .

٩٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام للرجل الذي قال لبعض الصحابة : **إِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ الطَّائِفَ فَسَلِّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ أَنْ يَهَبَ لَكَ نَادِيَةً بَذَتْ غِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ ، فَإِنِهَا إِذَا قَامَتْ تَذَنَّتْ ، وَإِذَا تَكَلَّمَتْ تَغَنَّتْ ،** في كلام طويل بلغه عليه الصلاة والسلام عنه ، وكان هذا الرجل من مُحَنِّثِي المدينة ، فقال عليه الصلاة والسلام : **« لَقَدْ غُلَغَلْتَ النَّظَرَ بِأَعْدُوِّ اللَّهِ »** ، وفي هذا الكلام استعارة ، لأن غلغلة الشيء هو إدخاله في شيء حتى يلتبس به ويصير من جملته ، وذلك لا يصح في نظر الإنسان إلا عن طريق الاتساع والجماز ؛ فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن هذا الإنسان بلغ بنظره من محاسن هذه المرأة إلى حيث لا يبلغ ناظر ولا يصل واصل ، فكان كالشيء المتغلغل الذي يدق مدخله ويلطف مسلكه ويبعد متولجه^(١) . وروى لنا أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي الفارسي في كتابه الموسوم بالإيضاح إجازة ، وأنشدناه الشيخان أبو الفتح وأبو الحسن النحويان ملافظه قول الشاعر :

طَلَبِينَ بِكَذِبُونَ وَأَشْعِرِينَ كُرَّةً فَمَنْ إِضَاءَ صَافِيَاتِ الْغَلَائِلِ^(٢)

(١) متولجه : مدخله ، ومن ذلك قوله تعالى : **« يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوجِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ »** أي يدخل كلا منهما في الآخر .

(٢) يصف الشاعر الدروع ، فيقول لأنها دروع ثمينة جيدة ، لأنها طلبت بعكر الزيت ، وحيت به في النار حتى صفت ، وجلبت بتراب البحر حتى لمعت ، فهي وضيئة صافيات البطائن التي تبطن بها ، فإضاء أصلها وضاء ، قلبت الواو همزة جوازاً لأنها في أول الكلام ولا مقتضى لوجوب قلبها .

والكذبيون : عكر الزيت تطلّى به الدروع وتحمى به في النار
لتذهب أصدأؤها وتصفو ألوانها . وقيل أيضاً : إن السكديون اسم
من أسماء التراب . والكُرّة : البعر الذي يوقد به النار عليها . وقيل
في الغلائل التي ذكرها الشاعر في هذا البيت قولان :

فأحدهما : إنها اسم لبطائن وشعارات تلبس تحت الدروع والواحدة
غلالة ، وإنما سميت غلائل لانفلاها بين الدروع والأجساد .

والثاني : أنها المسامير التي تجمع بين رموس الحلق والواحدة غليظة
وإنما سميت بذلك لأنها تغلّ في الدروع ، أي يستقصى إدخالها فيها
فتصير كالأجزاء منها^(١) .

٩٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام طويل :
« وَلَيْسَ مِنْ مَلِكٍ إِلَّا وَلَهُ حِمَى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، فَمَنْ
أَرْتَعَ حَوْلَ الْحِمَى كَانَ قَمِينًا أَنْ يُرْتَعَ فِيهِ » ، وهذا الكلام
مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام شبه ما حَظَرَهُ الله سبحانه من محارمه
بالحمى الذي يحميه ذو السلطان والملك من مواقع السحاب ومنابت
الأعشاب ، فلا ترعى فيه إلا إبله ، ولا ينزل به إلا حيّه ، وما كان

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه لإحداد النظر وشدة التأمل به بالغلالة ،
وهي لإدخال شيء في شيء بجماع الوصول إلى أقصى الداخل في كل ، واستعير الغلالة
لإحداد النظر ، واشتق من الغلظة بمعنى إحداد النظر ، غلغل بمعنى أحد النظر على
طريق الاستعارة التبعية .

يفعل ذلك من العرب إلا الأعز فالأعز ، والأبر فالأبر^(١) ، حتى ضربت العرب المثل بحمى كليب بن ربيعة ، وهو كليب وائل في أنه رَجُلٌ حَرَامٌ وممدوع^(٢) لا يرام ، فقالوا : أعز من حمى كليب ، فجعل عليه الصلاة والسلام ما حظه الله سبحانه على العباد كالحمى الذى يجب عليهم ألا يطوفوا به ولا يمرّوا بجوانبه ، ومن خالف الله منهم أُرصد له العقاب وانتظره النكال^(٣) ، فما حرّم من الأشياء حمى لا يرعى ، وما أحل منها مرعى لا يحمى . وقوله عليه الصلاة والسلام : فمن أرتع حول الحمى كان قنماً أن يُرتع فيه ، يريد به التحذير من الإمام بشيء من صفات الذنوب لئلا يكون ذلك مُجَرِّئاً على الوقوع في كبائرها والتهوُّك^(٤) في معاصمها . وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى . وهذا الغرض نحاه^(٥) عمر بن عبد العزيز بقوله : دَعْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْحَرَامِ جُزْءاً مِنَ الْحَلَالِ ، فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَوْفَيْتَ الْحَلَالَ كُلَّهُ تَأَقَّتْ نَفْسُكَ إِلَى الْحَرَامِ^(٦) .

(١) يقال أبر فلان على القوم : غلبهم . والمعنى على ذلك الأغلب فالأغلب .

(٢) عطف تفسير ، أى رجل ممدوع حماء من دخول غيره فيه .

(٣) النكال : الفعل الذى يقع بالشخص فيحذر غيره الوقوع في مثله .

(٤) قال في القاموس : التهوك : التهور والوقوع في الشيء بلا مبالاة .

(٥) نحاه : قصده وأراداه .

(٦) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استمارة تصريحية في قوله : حمى الله ، حيث شبه المحرمات التى حرمها الله بالحمى الذى يحميه الملك أو الرئيس فلا يقربه أحد ، واستعار لفظ المشبه به للمشبه .

٩٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لزيد بن أرقم وقد كان رَقِيَ^(١) إليه صلى الله عليه وآله في غزوة المَرَيْسِيعِ^(٢) كلاماً سمعه من عبد الله بن أبي بن سَـلُولٍ ، فيه طَعْنٌ على المهاجرين ، وَغَمَضُ^(٣) لرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، وهو مشهور في كتب المغازي^(٤) ، فاتهمت الأنصار زيدا في حكايته ، وكان إذ ذاك صغير السن ، حتى نزل القرآن بتصديقه في السورة التي يذكر فيها المنافقون ، وذلك قوله سبحانه : « يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ، وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ » ، فدعا النبي عليه الصلاة والسلام زيد بن أرقم ، وهو متأثر على ما هو فيه ، فأخذ بأذنه فرفعه ، ثم قال له : « وَفَتْ أذُنُكَ يَا غُلَامُ وَصَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ » ، فقوله عليه الصلاة والسلام : وفَتْ أذُنُكَ مجاز ، كأنه جعل أذنه في سماعها ما سمعت كالضامنة لتصدق ما حكمت ، لأنه صدق في نفسه ، فلما نزل ما نزل في القرآن في تحقيق

(١) رَقِيَ إليه كلاماً : أبلغه إياه وأصل رَقِيَ رفع ، وهذا مناسب لمقام الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) المَرَيْسِيعُ : قال في القاموس المَرَيْسِيعُ مصغر مرسوع : بُرٌّ أو ماء لخزاعة على يوم من الفروع (الفرع بضم الفاء موضع بالمدينة) وإليه تضاف غزوة بنى المصطلق ، وفيها سقط عقد عائشة ونزلت آية التيمم انتهى كلام القاموس ، وما بين القوسين ليس من كلامه هنا .

(٣) الغمض : التنقيص .

(٤) هو قوله (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) .

ذلك الخبر صارت الأذن كأنها وافية بضمائها ، وخارجة من الظنة فيما أدته إلى لسانها ، وهذا من غريب المجازات ^(١) .

٩٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « حَسَّانُ حِجَازٌ بين المؤمنين والمنافقين ، لا يُحِبُّهُ مُنَافِقٌ ، ولا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ » ، وفي هذا الكلام مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل حَسَّانَ كالإسراج المضروب بين حَيْزَيِ الإيمان والنفاق ؛ فمن كان في حَيْزِ الإيمان أحبه ، ومن كان في حيز النفاق أبغضه . وذلك لما كان يظهر منه من المناخة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والإسلام بسيف لسانه ، ونوافذ أقواله ، فكان قوله يَسُرُّ المؤمنين وَيَغْضِبُهُم ، ويسوء المنافقين وَيُزْجِمُهُم . وهذا الكلام عندنا في حسان متعلق بوقت مخصوص ، وهو زمن النبي صلى الله عليه وآله . فأما حين ظاهر أمير المؤمنين ^(٢) عليه السلام بعداوته ، ورماء بمعاريض ^(٣) القول في أشعاره فقد خرج من أن يكون حِجَازاً بين الإيمان والنفاق ، وتحيز إلى

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه تصديق الله تعالى لزيد بن أرقم بوفاء أذنه ، كأنها حققت ضمائها لما سمعت ، واشتق من الوفاء بمعنى التصديق ، وفن بمعنى صدقت على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) هو الإمام على كرم الله وجهه .

(٣) معارض القول : أى الأقوال غير الصريحة في نقد الإمام على .

جانب النعمة والضلال^(١).

٩٨ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام تكلم به عند منصرفه من تبوك : فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ إِلَّا رَجُلٌ فِي الْحَرَمِ مَنَعَهُ الْحَرَمُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ « وفي هذا الكلام مجازان : ﴿ أحدهما ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : تحت أديم السماء ، فجعل للسماء أديماً ، يريد ما ظهر منها للأبصار ، تشبيهاً بأديم الحيوان ، وهي الجلود التي تلبس الأجساد ، وتغطي اللحوم والعظام ، ويقال أيضاً : أديم الأرض ، ويراد به ما ظهر من صفحاتها التي تباشرها النواظر ، وتطوؤها الأقدام والحوافر .

﴿ والمجاز الآخر ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : فمنعه الحرم من عذاب الله ، والحرم على الحقيقة غير مانع من العذاب الذي يريد الله سبحانه أن ينزله بالمستحقين ، وإنما المراد أن الله تعالى جعل الحرم معاذة لعباده تعظيماً لقدره ، وتفخيماً لأمره ، فن استجار به من عذابه عند مواعاة معصيته جاز أن يؤخر عنه العذاب ما كان متعلقاً به .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه حسان رضى الله عنه بالشئ الحاجز بين شيئين ، بجامع الفصل في كل ، لأن حسان يداخ عن المؤمنين ضد الكافرين ، فكأنه يحجز المؤمنين عن الكافرين ، أو يحجز الكافرين عن المؤمنين ، وحذف وجه الشبه والأداة .

وفي إقامة الحدود على اللاجئ إلى الحرم خلاف بين العلماء ،
ليس هذا موضع ذكره ، ولا بد أن يوفيه تعالى ما يستحقه من
العقاب في دار الجزاء ، إلا أن يكون منه توبة يسقط بها عقابه أو طاعة
عظيمة تصفر معها معصيته ، فالحرم لا يمنع من العذاب وإنما يمتنع الله
سبحانه من فعله باللاجئ إليه والعائذ به للعلة التي ذكرناها ، فلما
كان الله تعالى إنما يفعل ذلك لأجل الحرم جاز أن ينسبه إليه على
طريق المجاز وعادة الانساع^(١) .

٩٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أوثق العرى
كلمة التقوى » وهذه استعارة لأنه عليه الصلاة والسلام جعل
التقوى كالعروة التي يتعلق بها فتتنهض من المعاصي وتنجي من المزال
والمزالق ، لأن المتقى لله سبحانه يأمن من نقماته وينجو من سطواته
فيكون كالمسك بعروة الجبل المتين ، والمستند إلى النضد^(٢)

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة مكنية ومجاز عقل .

أما الاستعارة المكنية : فهي أن في قوله « أديم السماء » تشبيهاً للسماء بالحيوان
الذي له جلد ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو الأديم على طريق
الاستعارة بالكناية ، وفي إضافة الأديم إلى السماء استعارة تخيلية .

وأما المجاز العقل : فهو إسناد منع العذاب إلى الحرم ، وإنما أدى بمنع العذاب
هو الله تعالى بسبب الحرم ، فقيه إسناد الفعل إلى سببه ، ومنع العذاب تأجيل الحد ،
أو تأجيل القتل بسبب الالتجاء إلى الحرم .

(٢) النضد : الجبل والأمين الذي يأمن من يسند إليه من أن يؤتى من

وراء ظهره .

الأمين^(١) .

١٠٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : وهو يتجهز لغزوة تبوك : « إني هلي جناح سفر » وهذه استعارة واقعة موقعها ومقرطة^(٢) غرضها لأنه عليه الصلاة والسلام شبه السفر بالطائر الذي قد هم بالطار^(٣) وجعل الآخذ أهبة المسافر كالسكائن على جناح ذلك الطائر ينتظر نهوضه^(٤) . ويقب تحليقه . ومما يؤكده ذلك قولهم للإنسان الذي تسكر أسفاره ويطول حله وترحاله : ما هو إلا طائر طيار عبارة عن التردد في السفر وكثرة الانزعاج عن الوطن^(٥) .

١٠١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الناس

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه التقوى بعروة الجبل وعقدته المعقودة عقداً وثيقاً لا يتخاقل ولا يتفلت ، وحذف أداة التشبيه ووجهه .

(٢) الغرض : هو ما ينصب هدفاً لإصابته بالبنديّة أو غيرها ، ومقرطة أى مضية هدفاً ، لأن القرطاس هو ما ينصب هدفاً أيضاً ، فالقرطاس يسمى هنا غرضاً وهو في نفس الوقت قرطاس ، ويقال : رمى فقرطس إذا أصاب الهدف .

(٣) المطار مصدر ميمي : من طار ، أى الذى هم بالطيران .

(٤) يقال نهض الطائر إذا بسط جناحيه ليطي ، ومصدره النهض والنهوض ، ويظهر أن في كلمة تنهض في الأصل تصحيفاً وأصلها ينتظر نهوضه ، أى ينتظر التهيء للسفر نهوض الطائر ، ويرقب بالبناء للفاعل أى ينتظر فهو من عطف المرادف ، وهذا كثير في كلام الشريف ، وقد أثبتنا هنا ينتظر بدل ينتهض .

(٥) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالسكناية حيث شبه السفر بالطائر ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح ، وإثبات الجناح للسفر تخييل .

مَعَادِنُ » وهذه استعارة لأنه عليه الصلاة والسلام شبه الناس بالمعادن التي تكون في قرارات الأرض فلا يحكم على ظواهرها حتى يستخرج دقائنها وبستنبط كوامنها فيكون منها اللجين والنضار^(١) ، ويكون منها النفط والقار فكذلك الناس لا يجب^(٢) أن يحكم على مجالهم ولا يقطع على بوادهم حتى ينخروا ويعرفوا ويشاروا ويُبَحِّثُوا فيُخْرَجَ البَحْثُ جواهرهم ، ويمحص الامتحان مخابرم ، فيتبين حينئذٍ كرم النحائر^(٣) وطيب الغرائز وتكشف منهم الطرائق ولثيم الخلائق^(٤) .

١٠٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في آخر خطبة خطبها ببطن عَرَافَة وذلك في حِجَّة الوداع : « أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ » ، وهذا القول مجاز والمراد به إذلال أمر الجاهلية وحط أعلامها ونقض أحكامها ، كما يستدل الشيء الموطوء الذي تدوسه الأقدام^(٥) الساعية والأقدام

(١) اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب ، والنفط الزيت الذي يستخرج منه البترول ، والقار : القطران .

(٢) ويجب : أى لا يلزم ، يقال وجب الشيء : لزم .

(٣) النحائر جمع نحيزة : ومى الغريزة .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الناس بالمعادن في أنها تحتاج في معرفتها إلى بحث وفي اختلاف طبائعها إلى نظر ، وحذف وجه الشبه والأداة ، والأصل الناس كالمعادن .

(٥) الأخمص جمع أخمص : وهو مالا يصيب الأرض من باطن القدم .

الواطئة فلا يبقى منه مرفوع إلا وُضع ولا قائم إلا صُرع^(١) .

١٠٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في وصية وصّى بها أسامة بن زيد لما أراد بعثه إلى مؤتة^(٢) ليثأر بأبيه زيد في كلام طويل : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ الْبَارِقَةِ » وهذا القول مجاز ، والبارقة هاهنا السيوف ، وليس الجنة تحتها على الحقيقة وإنما المراد أن الصبر تحتها للجهاد الكافرين ، ودفاع أعداء الدين ، يفضى بالصابر إلى دخول الجنة ونزول دار الأمانة ، فلما كان ذلك سبب دخولها والوصول إلى نعيمها جاز أن يُسميه باسمها . ونظائر ذلك كثيرة وقد أشرنا في كتابنا هذا إلى بعضها^(٣) .

١٠٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الكتاب المكتوب بينه وبين قريش في صلح الحديبية^(٤) : « لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ وَإِنْ بَيْنَنَا عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ » ، وهذه استعارة . والمراد بالعيبة

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث كناية ، لأن الشيء الموضوع تحت القدم ذليل ، فهو كناية عن تحقير شأن الجاهلية وعاداتها وأحكامها ، ما عدا ما أقره الإسلام منها ، كعدم القتل في الحرم ، وعدم القتال في الأشهر الحرم ونحو ذلك .

(٢) مؤتة : موضع بمهارف الشام ، قتل فيه جعفر بن أبي طالب .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز مرسل علاقته السببية ، حيث أطلق الجنة وأراد سببها ، وهو الصبر الذي يؤدي إلى الجنة .

(٤) الحديبية : موضع قرب مكة ، سميت بذلك لوجود شجرة حذاء بها ، وفيها عقد الرسول صلى الله عليه وسلم الصلح المشهور بصلح الحديبية .

للكفوفة السلم الذى يضم الذَّشْر ويجمع الأُسْر ، كأنه عليه الصلاة والسلام شبه حال السلم من أنها تحجز بين الفريقين عن شن الغارات وتكف أيديهم عن المجاذبات ، بالعبية المشرَّجة^(١) التى تُذْشَر مطاويها^(٢) ولا يُتَنَاهَب ما فيها . وقد يجوز أن يكون معنى ذلك على قول من قال إن الإسلال السرقة ، والإغلال ، الخيانة . أنه عليه الصلاة والسلام شبه الصلح الواقع بينهم فى أن أموالهم تكون به محروسة وخزائنها محفوظة بالعبية التى قد استوثق من إشراجها ، فلا يصل إليها خائن ولا يَمْدِر عليها سارق ، والمعنيان متقاربان ، ويقال رجل مُسِلَّ مُغَلَّ : أى صاحب مَسَلَّة وهى السرقة ومَغَلَّة وهى الخيانة وقوله تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ » قرأنا على شيوخنا القراء لأبى عُمَرَ وابن كَثِيرٍ وعاصمٍ يَغُلُّ بفتح الياء وضم الغين : أى ما كان له أن يخون ، وقرأ بقية القراء السبعة يَغُلَّ بضم الياء وفتح الغين : أى ما كان له أن يخان ، ويجوز أن يراد بذلك أيضاً ما كان له أن يخون أى ينسب إلى الخيانة ، وقد قال بعضهم : المراد بالإسلال ها هنا سل السيوف ، وبالإغلال لُبْس الدروع ، وهذا القول غير

(١) العيبة : الحقيقة ، والمشرجة بتشديد الراء وفتحها : المربوطة المشدودة التى لا يخرج ما فيها .

(٢) المطاوى جمع . طوية : أى الشيء المطوى فى الحقيقة ، والتناهب : الأخذ .

معروف ، والقول الأول هو القول السَّدَد والصحيح المعتمد^(١) .

١٠٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الرحم :
 « هِيَ شُجْنَةٌ مِّنَ اللَّهِ » وفيها لفتان^(٢) شُجْنَةٌ وشِجْنَةٌ ، وهذا القول مجاز ، لأن أصل الشجنة اسم لشعبة من شعب الفصن المتصل بالشجرة^(٣) ويقال شجر متشجّن إذا التف بعضه ببعض . ومنه قولهم الحديث شُجُونٌ وذو شُجُونٍ : أى ذو شعب تتشعب فيذكّر بعضها بعضاً ويجر أول آخر ، وقيل أيضاً إن الشجون هى الشعاب المتصلة بالأودية ، فيجوز أن يكون الحديث شبه بها لكثرة طرقه ومداخله ، وتعلق أواخره بأوائله . والمراد بالشجنة ها هنا تشبيه الرحم بالشعبة المتصلة بالشجرة ، فهى بعض منها ومنسوبة إليها . فكذلك الرحم يجب صلتها على من وجب عليه حقها وضرب إليه عرقها ، ويجوز أيضاً أن يكون إنما شبهت بشجون الوادى لتعلقها به وإضافتها

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه الصلح فى عدم سماحه بالسرقه والحياة والقتل وغيرهما بالحقيبة المفلقة المربوطة التى لا يخرج منها شىء ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

(٢) قال فى القاموس : الشجن محرّكة الشعبة من كل شىء كالشجنة مثلثة ، وعلى ذلك يكون الشريف اقتصر على ضم الشين وكسرهما ، وترك لغة الفتح ، ولعل ذلك لقلتها .

(٣) سبق أنها الشعبة من كل شىء ، ولعل الشريف أراد توضيحها بشعب الفصن المتصل بالشجرة ، كما يدل عليه قوله بعد ذلك « والمراد بالشجنة ها هنا تشبيه الرحم بالشعبة المتصلة بالشجرة » .

إليه كما قلنا في شجون الحديث . وقوله من الله المراد أن الله سبحانه جعل حقها واجبا ، وذمامها لازما . وقد يجوز أن يكون المراد بذلك أن الله سبحانه يثبت أصلها ويرعى راعيها ، فكأنها متعلقة به تعالى على طريق التمثيل لا على طريق التحقيق ليعظم تعالى حقها بترهيب قاطعها وترغيب أصلها^(١) .

١٠٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْمَأْهِرِ الْحَجَرُ » . وهذا مجاز على أحد التأويلين . وهو أن يكون المراد أن العاهر لا شيء له في الولد فمعتبر عن ذلك بالحجر : أى له من ذلك ملاحظ فيه ولا انتفاع به ، كما لا ينتفع بالحجر في أكثر الأحوال كأنه يريد أن له من دعواه الخيبة والحرمان ، كما يقول القائل لغيره إذا أراد هذا المعنى : ليس لك من هذا الأمر إلا الحجر والجلد^(٢) والتراب والكتك^(٣) ، أى ليس لك منه إلا ما لا محصول له ولا منفعة فيه . ومما يؤكد هذا التأويل ما رواه

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الرحم بالشجنة ، وهى الشعبة من الله تعالى ، كأن الرحم جزء متصل بالله تعالى ، وهذا على سبيل التمثيل ، لأن الله تعالى ليس جسما ، ولا يتصل به جسم ، وحذفت أداة التشبيه ووجهه ، والوجه هنا بركتها وكرامتها ، كما تكون للشعبة من الله بركتها وكرامتها .

(٢) الجلد والجلود : الصخر .

(٣) قال في القاموس : الكتك بفتح كافيه وكسرهما : التراب

وفئات الحجارة .

عمرو بن شُعَيْبٍ عن أبيه عن جدّه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « الولد للفراش وللعاهر الأئلب » والأئلب ^(١) : التراب المختلط بالحجارة . وهذا الخبر يحقق أن المراد بالحجر هاهنا مالا يفتنع به كما قلنا أولاً ، ومما يصدق ذلك قولُ الشاعر :

كلانا يا مُعَاذُ يُحِبُّ لِيلى بِنَى وفيك من لِيلى الترابُ
شَرِّكَتِكَ ^(٢) في هَوَى مَنْ كَانَتْ حَظَى
وَحَظُّكَ من تَذَكَّرِها العَمْدُ

أراد ليس لنا منها إلا ما لانفع به ولا حظ فيه كالتراب الذي هذه صفته . وأما التأويل الآخر الذي يُخرج الكلام عن حيز المجاز إلى حيز الحقيقة فهو أن يكون المراد أنه ليس للعاهر ^(٣) إلا إقامة الحد عليه وهو الرجم بالأحجار ، فيكون الحجر هاهنا اسماً للجنس لا للمعهود ، وهذا إذا كان للعاهر محصناً ، فإن كان غير محصن فالمراد بالحجر هاهنا على قول بعضهم الإعناف به والغلظة عليه بتوفية الحد الذي يستحقه من الجلد له . وفي هذا القول تعسف واستكراه وإن كان داخلًا في باب المجاز لأن الغلظة على من يقام الحد عليه إذا كان الحد جلدًا لا رجماً لا يعبر عنها بالحجر ، لأن ذلك بُعدٌ عن سنن

(١) قال في القاموس : الأئلب والإئلب التراب والحجارة أو فتاتها .
(٢) قال في القاموس : شركه في البيم والميراث كعلمه : شركة بالكسر
(٣) العاهر : الزاني .

الفصاحة ودخول في باب الفهامة^(١) ، فالأولى إذا الاعتماد على التأويل الأول لأنه الأشبه بطريقهم ، والأليق بمقاصدهم^(٢) .

١٠٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَالْخَوَرِ بَعْدَ الْكَوَرِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ » ، وفي هذا الكلام مجازان : أحدهما قوله عليه الصلاة والسلام : « من وعثاء السفر » ، وهي فعلاء من الوعث وهو ضد الجدد^(٣) ، والسير فيه يشق على القدم والمنسيم^(٤) . فجعل عليه الصلاة والسلام طول السفر وشقته وتكاليفه ومشقته بمنزلة الوعثاء التي قاطعها تعب ، والسارى فيها نصب .

(١) الفهامة والفهة والفهفة : المعنى وعدم الفصاحة .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث على التفسير الأول وهو أنه لا فائدة للعاهر من الولد كناية ، حيث استعمل جملة « للعاهر الحجر » بمعنى ليس له فيه إلا التراب والتراب لا قيمة له أو لا تمن له ، فلزم من ذلك أن يكون ليس للعاهر في الولد فائدة : أما على التفسير الثاني وهو أن المراد بالحجر حقيقته وهو الذي يرجم به ، فقد قال الشريف : إن الكلام حينئذ حقيقة ، ولكني أقول إنه مجاز أيضاً ، لأن العاهر له الرجم ، أى الضرب بالحجر فعير بالحجر نفسه عن الضرب بالحجر ، فهو مجاز مرسل علاقته الآلية لأن الحجر هو آلة الضرب كالسوط ونحوه . ويخص الحديث بالزاني المحصن ، أما التفسير الثالث فهو باطل ، لأن الإعناف على الزاني غير المحصن لا يكون بالحجر ، وإنما بالجلد بالسوط ونحوه .

(٣) الجدد : الطريق السالك السهل المنبسط الذي لأوعورة فيه .

(٤) يريد أنه يشق على قدم الإنسان وعلى المنعم ، وهو خف البعير ، أى أنه شاق على الإنسان والحيوان .

والجواز الآخر قوله عليه الصلاة والسلام : « والخور بعد الكور^(١) » ، أى انتشار الأمور بعد انضمامها^(٢) ، وانفراجها بعد التثامها ، وذلك مأخوذ من حور العمامة بعد كورها ، وهو نقص بعد أيها ، ونشرها بعد طيها . وقد قيل : إن معناه القلة بعد الكثرة والنقصان بعد الزيادة ، فكأنه تعوذ من الانتقال عن حال حسن إلى حال سيئة ، وعلى ذلك قول الشاعر :

واستعجلوا عن شديد المَضْغِ فَابْتَلَعُوا

والذمُّ يَبْقَى وَزَادُ الْقَوْمِ فِي حَوْرِ^(٣)

أى فى نقصان ، والمعنيان متقاربان ، وقد روى هذا الكلام على وجه آخر ، ف قيل من الحور بعد الكون بالنون ، من قولهم حار إذا رجع ، يقولون كان على حال جميلة ، فحار عنها : أى رجع عما كان عليه منها . والرواية الأولى أعرف عند أهل اللسان ، وأشبه

(١) قال فى القاموس : الحور هو ما تحت الكور من العمامة ، أى الشيء الذى تلف عليه العمامة كاطاقيّة أو الطربوش أو نحو ذلك . والكور هو لف العمامة ولادارتها كالتكوير ، وبناء على هذين المعنيين سنيين ما فى الحديث من البلاغة فى آخره .

(٢) هذا لا يناسب المعنى الذى ذكره القاموس .

(٣) ضرب هذا البيت دخله القطع فحذف خامسه وسكن ما قبله ، وأصله فاعلن فحذفت النون وسكنت اللام ، ويحول إلى فعلن بسكون العين .

بمزاوجة الكلام^(١) .

١٠٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام للشارب في آنية الذهب والفضة : « إِنَّمَا يُجْرَجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارُ جَهَنَّمَ » ، برفع النار ، والأكثر من الروايات على نصبها ، وهذا القول مجاز ، لأن نار جهنم على الحقيقة لا تجر جر في جوفه ، والجر جرة صوت البعير عند الضجر أو الدأب^(٢) ، قال امرؤ القيس يصف طريقاً :

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارتان تصر بحيتان :

الأولى : استعمال وعناء السفر ، وهي طريقة الوعر في مشقته وأعبه ، حيث شبهت المشقة والتعب بالوعورة في الطريق بجامع ما يتحمله المسافر منهما واستعمل في المشبه به في المشبه .

والثانية : استعمال الحور في النقصان ، والكور في الزيادة ، أو بمعنى آخر استعمال الحور في سوء العيش ، والكور في حسنه ، وعلى تفسير الشريف يكون شبه سوء العيش بنقص العمامة ، وحسنه بلفها وتكويرها ، ففي كل من الحور والكور استعارتان تصر بحيتان .

أما على المعنى الذي ذكره القاموس من أن الحور هو ما تحت العمامة ، فيكون المعنى الاستمادة من انكشاف السر ، لأن العمامة تغطي الحور ، وظهور الحور معناه زوال سائرته وهو العمامة ، وأرى أن في الحديث على هذا المعنى استعارة تمثيلية ، حيث شبه حال الإنسان في عسره بعد يسره ، وقلة ما في يده بعد كثرتة وانكشاف ستره المعنوي بعد أن كان مستورا بالحور بعد الكور ، فوجه الشبه منزع من متعدد ، وهو تشبيه الغنى بالكور والفقر بظهور الحور مجتمعين في وجود واحد بعد الآخر ، وليس كل منهما منفرداً وإلا كانا تشبيهين لأنشبيه تمثيل .

(٢) الدأب : يسكون الهزمة وفتحها هنا التعب .

على لاجِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إذا سافه للعمود الذَّفَافِي جرجراً^(١)
ولـكـنـه عليه الصلاة والسلام جعل صوت جَرَجِ الإنسان للماء
في هذه الأواني المخصوصة لوقوع النهى عن الشرب فيها ، واستحقاق
العقاب على استعمالها ، كجَرَجَةِ نار جهنم في بطنه على طريق الجواز ،
إذ كان ذلك مُفْضِيًّا به إلى حلول دارها ، واصطلاء نارها ، نعوذ
بالله . ولفظ الخبر يجر جر بالياء ، والوجه أن يكون تجر جر بالتاء
على قول من رواه برفع النار ، ولـكـنـه لما دخل بين فعل المؤنث
وفاعله الذي هو النار لفظ آخر حسن تذكير الفعل للبعد بينهما^(٢)
كما قال الشاعر :

* لَقَدْ وَلَدَ الْأَخِيْطَلْ أُمُّ سَوْءٍ *

وقد روى في خبر آخر : كأنما يجر جر في بطنه ناراً . فالإنسان
ههنا فاعل والنار مفعوله . وعلى هذه الرواية فالمراد كأنما يجرُّ في
بطنه ناراً ، فقال يجر جر طلباً لتضعيف اللفظ الدالّ على تكثير الفعل

(١) يصف امرؤ القيس طريقاً ، واللاحب والاحب : الطريق الواضح ،
والمناز : هي المنارة ، وهي مكان النور ، ومعنى ساقه : شمه ، والعود : الجمل
المسن ، والذفافي : السريع ، وجرجر : أى صوت علامة على ضجره وملاؤه ،
وكان من عادة العرب أن الدليل العالم بالطريق يشم ترابه فيعلم إن كان سائراً على
هدى أو هو ضل الطريق ، فشبه امرؤ القيس جملة بالدليل الذي يشم تراب الطريق
ليعلم ضلاله من هداه ، وقد علم الجمل بعد ماشم تراب الطريق بعد الشقة فجر جر
وتضجر لذلك .

(٢) يريد أنه لما فصل بين الفعل وفاعله المؤنث جاز عدم تانيث الفعل .

كما جاء في التنزيل « فَكَبُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ^(١) » ، والمراد فكَّبُوا ، فيجوز على هذا أن يقال : جَرَّ وَجَرَّ جَرَّ ، كما يقال : كَبَّ وَكَبَّ كَبَّ . وإن كان الوجه أن يقال : جَرَّرَ ، وقد جاء في كلام العرب : جَرَّ جَرَّ فلانُ الماء إذا جَرَّعَهُ متواتراً ^(٢) ، له صوت كصوت جَرَّ جَرَّة البعير . فيكون المراد على هذا القول كأنما يتجرع نار جهنم ، وهذا أصح التأويلين . فأما آنية الذهب والفضة فلا يحلّ عندنا الأكل فيها ولا الشرب منها ، ولا يجوز أيضاً استعمالها في شيء مما يؤدي إلى مصالح البدن نحو الادّهان واتخاذ الميل ^(٣) للاكتحال والمِجْمَر للبَخُور ^(٤) .

وكنيت سألت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله عند انتهائي في القراءة عليه إلى هذه المسئلة من كتاب الطهارة ، عن المدخنة ، إذ لا خلاف في المِجْمَرَة ، فقال : القياس أنها غير مكروهة ، لأنها تستعمل على وجه التبع المِجْمَرَة ؛ فهي غير مقصودة بالاستعمال ، لأن المِجْمَرَة لو جرّدت من غيرها في البخور لقامت بنفسها ، ولم تحتج إلى المدخنة مضافة إليها ، فأشبهت الشرب في الإناء المفضض إذا لم يضع فيه على موضع الفضة .

(١) كَبُّوا : ألقوا على وجوههم فيها مثل كبوا أيضاً .

(٢) أي شربه متصلاً مع إحداث صوت ، فجعله له صوت حالبة .

(٣) الميل : المسكحلة .

(٤) يقال له عندنا (المنقد) ويظهر أن أصله الموقد .

وفي هذه المسئلة خلاف للشافعي ، لأنه يكره الشرب في الإنااء
المفضض ، وذهب داود الأصفهاني إلى كراهة الشرب في أواني
الذهب والفضة ، دون غيره من الأكل والاستعمال في مصالح الجسم
مُضِيّاً على نهجه في التعلق بظاهر الخبر الوارد في كراهة الشرب خاصة .
وليس هذا موضع استقصاء الكلام في هذه المسئلة إلا أن المعتمد
عليه في كراهة استعمال هذه الأواني الخبر الذي قدمنا ذكره لما فيه
من تغليب الوعيد . وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال :
« مَنْ شَرِبَ بِهَا فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْ بِهَا فِي الْآخِرَةِ » ، فثبتت
بهذين الخبرين وما يجري مجراها كراهة الشرب فيها ، ثم صار
الأكل والادّهان والاكتحال مقيساً على الشرب بعلة أن الجميع
يؤدي إلى منافع الجسم ^(١) .

١٠٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد سئل عن
ليلة القدر : « هِيَ لَيْلَةٌ إِضْحِيَانَةٌ ^(٢) كَأَنَّ قَمَرًا يَفْضَحُهَا » ،
وهذه استعارة لأن حقيقة الفضح كشف القبيح ، وهو أن يُكشَفَ

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية : حيث شبه شرب الماء في آنية الذهب والفضة بشرب
نار جهنم ، بجامع أن في كل ألما فظيحا ، وإن كان الألم في الشرب من آنية الذهب
والفضة معنوياً لأنه ، يوصل إلى الألم الحقيقي في الآخرة .

(٢) الإضحيانة والإضحية : المضيئة .

على الإنسان ريبةٌ أو تُذني^(١) عليه سَوَءٌ ، ولكن القمر لما كان كاشفاً للسُدفة^(٢) وصادعاً للظلمة أجراه عليه الصلاة والسلام مُجْرى للثاني للسوءة المُخفّاة ، والكاشف للريبة المغطّاة ، وهذه من محاسن الاستعارات ، وقال الشاعر في فضح الصبح للظلام :

يَا رَبَّ كُلِّ غَابِقٍ وَمُضْطَبِّحٍ وَرَبَّ كُلِّ شَيْطَانِيٍّ مُنْسَرِّحٍ^(٣)
أرسل على حَوْفَاءٍ فِي الصَّبْحِ الْفَضِّحِ
حَوِيرَنَا مِثْلَ قَضِيبِ الْمُجْتَدِّحِ
* مَتَى نَضَتْ مِنْ كَعْبِهَا عِرْقًا يُرْحَ *

قوله « حويرنا » تصغير حارٍ ، يريد حية طال بقاؤه^(٤) حتى حار أى رجع من غلاظ وعِظَم إلى دقة خَلَقَ وجسم ، فصار كضبيب المُجْتَدِّح ، وهو المِجْدَح الذى يحرّك به الشراب والسّويق وما يجرى مجراها . ومن كلامهم رماه الله بأفعى حارية يريدون هذا المعنى^(٥) ،

(١) تثنى عليه : أى تجمع وتعد عليه من العدد والجمع ، وأصلها أن تكون ثانية بعد أولى ، واسكن المراد بها هنا مطلق السوءة ، ولو كانت الأولى .
(٢) السُدفة : الظلمة .

(٣) الغابق : الذى يشرب بالعشى (ليلاً) والمضطبح : الذى يشرب صباحاً ، والشيطان المنسرح : الفرس السريع العريان ، وحوفاء : اسم امرأة ، والصبح : الفضح الواضح ، وقد شرح الشريف بقية الأبيات .

(٤) كان حقه طال بقاؤها ، لأن الحية مؤثمة ، ويجوز أن يكون ذكر باعتبار الثعبان ، أو أن فى النسخ تصحيحاً .

(٥) أى يريدون أنها دقيقة الجسم من كثرة سمها ، كأن سمها أثر فى جسمها لشدة نقص جسمها .

وقوله « يُرَح » أى يميت ، ومثل ذلك قول العجاج : « أراح بعدَ الغَمِّ والتغمغم » أى أَمَاتَ اللهُ بعدَ الكَرْبِ والخناق ، وقيل يجوز أن يكون قوله يُرَح عائداً على العرق لا على الحية كأنه قال : متى نضت منها عرقاً يحدث فيه جرحاً^(١) إذا قيحَ كانت عنده رائحة خبيثة . والقول الأول أسدّ ، وعليه المعتمد^(٢) .

١١٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام للضحّاك ابن سُفْيَانَ السُّكَلَابِيّ وقد بعثهُ مُصَدِّقاً^(٣) : « خذْ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ » ، وهذه استعارة على أصل وضعها فى كلام العرب ، لأنهم يسمون صفار الإبل حشواً وحاشية ، كأنهم يشبهونها بحشو الشيء الذى يتأنى ذلك فيه كالمرفقة^(٤) والحشية لأنها غير معتدّ بها ، كما أن الحشو^(٥) غير معتدّ به ، وإنما الاعتداد بما هو فى ضمنه . ومن هذا

(١) كان الأولى الرفع ، أو جعل تحدث بالتاء ، ولعل فى النسخ تصحيفاً .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه لإذهاب الظلمة وإضاءة الليلة بالفضح ، وهو كشف السر عن شيء سىء . ولما كان كشف السر عن شيء سىء يستلزم إزالته ، شبه كشف الظلمة وإزالتها بالفضح بجامع الإزالة فى كل ، واستعير الفضح لإزالة الظلمة ، واشتق من الفضح بمعنى إزالة الظلمة ، يفضح بمعنى يزيل الظلمة على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) المصدق : بتشديد الدال الذى يبعثه الحاكم لجمع الصدقات الواجبة ، أى الزكوات الواجبة فى الأموال .

(٤) المرفقة : بكسر الميم وفتح الفاء المخدة ، والحشية : فعيلة بمعنى مفعولة الفرائس المحشو .

(٥) المحشو هو ما بداخل الشيء المحشو .

الموضع سَمَّوا الرُّذال والطغام^(١) من الناس حشواً ، وقد يجوز أن يكونوا إنما سَمَّوها بذلك تشبيهاً بحشوة الإنسان التي هي حَوَاطِباً جوفه وأمعاء بطنه . يقولون : طعمه فانتثرت حَشَوَتَه ، وضربه فخرجت حشوته . وإنما قيل لها حشوة خطأً لها عن ما هو أعلى قدراً منها من كرائم أعضاء الإنسان التي يشتمل عليها جوفه ، كالأغصان والنبائط^(٢) والكبد والفؤاد . وقد يجوز أن يكون إنما سَمَّوها بذلك تشبيهاً لها بحواشى الثوب^(٣) في أنها كالتيبع له وغير قائمة بذاتها دونه ، وكذلك صفار الإبل تابعة لكبارها وغير قائمة بأنفسها ، وعلى مثل هذا المعنى تسميتهم ردىء المال ورُذاله من الإبل وما في معناها شَوَى تشبيهاً له بِشَوَى الإنسان^(٤) والفرس وغيره من الحيوان ذى الأربع ، وهو الأطراف دون كرام الأعضاء ، وشرائف الأحناء^(٥) . قال الشاعر :

أَكَلْنَا الشَّوَى حَتَّى إِذَا لَمْ نَجِدْ شَوَى

أَشْرَنَّا إِلَى خَيْرَاتِهَا بِالْأَصَابِعِ

-
- (١) رذال الناس وطغاهم : الدون والحسيس منهم .
 (٢) النباط : هو الفؤاد ، والفؤاد هو القلب . فهذه الأشياء الأربعة المعطوفة شيطان فقط : القلب ، والكبد .
 (٣) حواشى الثوب : جوانبه .
 (٤) شوى الإنسان وغيره : البدن والرجلان وقحف الرأس وما كان غير مقتل ، أى الأجزاء التي لا تقتل الإنسان والحيوان إصابتها .
 (٥) الأحناء : جمع حنو : بفتح الحاء وكسرهما : كل ما فيه اعوجاج من البدن .

أى أكلنا رُذال إبلنا ، فلما أنفدناها عطفنا على خيارها ، وأشرنا إلى خيارها ، فكأنه عليه الصلاة والسلام : نهى أن يأخذ المصدق من كرائم الإبل وعقائلها^(١) ، وأمره بالعدول إلى حشوها وأراذلها رفقا بأصحابها ، وحنوا على أربابها^(٢) .

١١١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ يَنْطِقُ الرَّؤُوبُ بَيِّضَةً » ، وهذه استعارة لأنه عليه الصلاة والسلام أراد أمام الساعة ، فقال : بين يديها تقريبا لهذه الحال من قيام الساعة لأنه لو قال قبل الساعة لما أفاد ذلك من القرب منها ما أفاد قوله بين يديها ، لأنك إذا أردت التقريب على من استرشدك مكانا تطلبه ، أو إنسانا تتبعه قلت له : هو بين يديك أى قريب منك ، ولو قلت هو أمامك لاحتمل البعد والقرب ، كما أن قبل يحتمل البعد والقرب ، هذا على الأغلب والأكثر ، وقد يجوز أن يكون قولك أمامك وبين يديك عبارة عن مراد واحد : وقالوا فى الرؤوب بَيِّضَةً : هو أمرؤ

(١) الواجب فى الصدقة أو ساط النعم لأكرائمها ولا معيها ، ويجب على جامع الزكاة أن يتجنب نفائس الأموال حتى لا يتسبب فى حقد أصحابها وشحهم بركاتها .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث على ما قاله الشريف استعارة تصريحية ، حيث شبهت صفار النعم بحشو الشيء الذى بداخله ، فى عدم أهميته وضعف مكائده ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه .

سوء التافه^(١) ، وقالوا هو القوي يسق الخامل^(٢) .

١١٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : في كلام وَصَفَ
عدة من قبائل العرب « وَغَطَفَانُ أَكْمَةٌ^(٣) خَشْنَاءُ تَنْزِي فِي النَّاسِ
نَهَا » . وهذا القول مجاز ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام شبه
ظفان لاشتداد شوكتها ، واتقاد جهرتها ، بالأكمة الشاقة التي تَزِلُّ
لأقدام عنها ، وتنقطع أطماع الراقين دونها ، فجعل امتناع الناس من
تعرض لها بمنزلة منعها لهم من التطرق إليها^(٤) .

١١٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام ذكر فيه
امراً القيس بن حُجْر « يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَهُ لَوَاءُ الشُّعْرَاءِ إِلَى
نَفَارٍ » ، وهذا القول مجاز ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام لم يرد
ن امراً القيس يحمل لواء الشعراء على الحقيقة ، وإنما أراد أنه يجيء

(١) قال في القاموس : « والروبيضة تصغير الرابضة ، وهو الرجل التافه ،
الذي الحقير ينطق في أمر العامة ، وهذا تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للكلمة »
معنى ينطق في أمر العامة ، أي يتولى شئونهم ، أي أنه من علامات الساعة أن
يتولى الروبيضة أمور الناس .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالكناية ، حيث شبهت الساعة بإنسان له يَدَانِ وحذف
رمز لآله بشيء من لوازمه وهو اليَدَانِ ؛ ولإثبات اليدين إلى الساعة تخيل .

(٣) الأكمة : التل أو الموضع يكون أكثر ارتفاعاً من غيره وهو غليظ .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه عطفان وهي القبيلة المعروفة بالأكمة الخشناء
صعوبة قدرة الناس على الانتصار عليها ، كما يتعب الناس في الصعود إلى الأكمة ،
وحذف وجه الشبه والأداة .

يوم القيامة على مقدمتهم ويدخل النار قباهم ، كما كان في الدنيا متقدماً لهم ومقدماً عليهم ، وإنما عبر عليه الصلاة والسلام عن هذا المعنى بحَمَلِ اللواء لأن حامل اللواء في الجحافل المجرورة ^(١) يكون متقدماً متبوعاً ونابهاً مشهوراً ، يطاء الناس على قومه ^(٢) ، ويتلاحقون على آثار تقدمه ^(٣) .

١١٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مامن جُرْعَةٍ يَتَجَرَّعُهَا الْإِنْسَانُ أَكْثَرُ أَجْراً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غَيِظٍ فِي اللَّهِ » ، وهذا القول مجاز ، والمراد بجرعة الفيظ ها هنا الصبر عند الاحتياج ، والكظم عند الانزعاج ، وترك اتباع نوازع النفس ، إلى ما تدعو إليه في تلك الحال من شفاء غيظ ، أو تنفيس كرب ، أو إطلاق عقال ، أو فعل ، مراقبة لله سبحانه ، وتجزأ لثوابه ، واحتجازاً عن عقابه . وشبه عليه الصلاة والسلام تلك الحال بالجرعة ، لأن الإنسان كأنه بالكظم لها والصبر عليها قد ضاق بها مرارة ، وأساغ منها حرارة ، وعلى ذلك قول الشاعر :

(١) المجرورة : أى المنقادة أو المسوقة .

(٢) أى يقتنى الناس آثاره ويخطون بخطوه .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث : تشبيه بليغ ، حيث شبه امرأ القيس في سبقه إلى النار يوم القيامة بحامل اللواء ، لأن حامل الراية في الحرب يكون هو المتقدم الذى يسبق غيره ويكون في مقدمة الجيش وحذف وجه التشبه والأداة .

شَرِبْنَا الْغَيْظَ حَتَّى لَوْ سَقَيْنَا دَمَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ مَا رَوَيْنَا
وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا اللفظ، وهو قوله عليه الصلاة
والسلام: « مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ مُصِيبَةٍ
يَرُدُّهَا بِحَسَنِ عَزَاءٍ ، أَوْ جُرْعَةٍ غَيْظٍ يَرُدُّهَا بِحِلْمٍ » ^(١).

١١٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في خبر طويل
روى عن أنس بن مالك سمعه منه صلى الله عليه وآله في ذكر منافع
كثير من يَقُولِ الْأَرْضِ وَمُضَارَّهَا ، فقال عليه الصلاة والسلام عند
ذكر الْجُرْجِيرِ : « فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ عَبْدٍ بَاتَ فِي
جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ إِلَّا بَاتَ الْجُدَامُ يُرْفَرِفُ عَلَى رَأْسِهِ حَتَّى
يُصْبِحَ إِمَّا أَنْ يَسْلَمَ وَإِمَّا أَنْ يَمُتَ » ، وهذا القول مجاز ، لأن الداء
الخصوص الذي هو الْجُدَامُ لا يصح أن يوصف بالرفرفة على الحقيقة
لأنه عرض من الأعراض ، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام أن
اللبائن على أكل هذه البقلة يكون على شَرَفٍ مِنَ الْوُقُوعِ مِنَ
الْجُدَامِ لشدّة اختصاصها بتوليد هذه العلة ، فإما أن يدفعها الله تعالى
عنه فتدفع ، أو يوقعه فيها فيقع ، وإنما قال عليه الصلاة والسلام

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ أضيف فيه المشبه به للمشبه كقولهم : ذهب الأصيل ، أى
غيظ ، كأنه جرعة الدواء المرة التي يضيق الإنسان يشربها ، فجعل الغيظ كأنه جرعة
الدواء والصبر عليه كالصبر على تحمل مرارة الدواء .

« يرفرف على رأسه » عبارة عن دنوّ هذه العلة منه فيكون بمنزلة الطائر الذي يرفرف على الشيء إذا همّ بالنزول إليه والوقوع عليه^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

١١٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « وهل يَكْبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السِّنْتِهِمْ » . وفي رواية أخرى : « عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي النَّارِ . . . » ، وهذه من الاستعارات العجيبة ، والمراد بها أن أكثر معائر الأقدام ومصارع الأنام إنما تكون بجرائر السنتهم عليهم ، وعواقب الأقوال السيئة التي تُؤثر عنهم ، هذا في الدار الدنيا وعلى المعارف بين أهلها ، والمتعلّم من مجارى عاداتها . فأما في الدار الآخرة فيأخذون فيها بآثام الأقوال كما يؤخذون بآثام الأفعال ، فَيُكَبَّرُونَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي أَطْوَارِ الْعَذَابِ وَبَيْنَ أَطْبَاقِ النَّيرانِ ، نعوذ بالله منها . والعبارة عن هذه الحال بحصائد الألسنة من أحسن العبارات لأنه عليه الصلاة والسلام شبه

(٢) ما في الحديث من البلاغة .

في الحديث استعارة مكنية وتبعية : حيث شبه الجذام وهو المرض المعروف الذي تنساقط منه أطراف الإنسان بالطائر ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الرفرفة على طريق الاستعارة بالكناية ، وشبه قرب المرض برفرفة الطائر واستعار من الرفرفة ، يرفرف بمعنى يقرب على طريق الاستعارة التبعية ، وإنبات الرفرفة ، إلى ضمير الجذام تخيل .

ما تحذف^(١) به ألسنتهم من الأقوال المذمومة التي تسوء عواقبها ويعود عليهم وبالها بالزرّاع الذي يستوبى^(٢) عاقبة زرعه ، والفارس الذي يستمر^(٣) ثمرة غرسه ، وهذا كقول القائل لمن أخذ بجريرة ، وعوقب على جريمة : احصُدْ ما زرعتَ واستوفِ أجرَ ما غرستَ^(٤) .

١١٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تَدُورُ رَحَاُ الإسلامِ لِسِنَةِ كَذَا »^(٥) وهذا مجاز ، والمراد أن الإسلام على هذا العهد يضطرب في قراره ، ويقَلِّقُ في نصابه بالولاة الذين يتنكبون واضح السبيل وتنقض على أيديهم مِرَر^(١) الدين ، فشبه عليه

-
- (١) ما تحذف به ألسنتهم : أى ترمى به ، يقال حذفه بحجر : إذا رماه به .
 وقد جعل الشريف الأقوال المذمومة كأنها حجارة يقذف بها اللسان .
 (٢) استوبأ المكان : وجده وبيثأ : أى ذا وباء وهلاك .
 (٣) أى يجدها مرة ، كأنه ذاق ثمرة من غرسه فوجدها مرة .
 (٤) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارتان بالسكناية والتبعية ، أما الأولى : فهى تشبيه اللسان بالمنجل الذى يحصد الزرع ، ثم حذفه ورضى إليه بشىء من لوازمه وهو الحصاد ، وأما الثانية : فهى تشبيه رى اللسان باللفظ يحصد الزرع بجامع القطع فى كل ، فإن فى خروج الكلمة من اللسان قطع لها عنه كما فى قطع الزرع ، ثم اشتق من الحصد بمعنى قذف اللفظ حصائد بمعنى مقذوفات على طريق الاستعارة التبعية .
 (٥) حددت هذه السنة فى الحديث بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين .

(١) المرر جمع مرة : بكسر الميم ، والمراد بها هنا طاقات الجبل المفتول ، أى شبهت أمور الدين القوية بطاقات الجبل المفتول ، وعدم السير على نهج الدين بنقص طاقات الجبل .

الصلاة والسلام بالإسلام بالرحا الساكنة في مُستقرّها ، القائمة على قُطبها ، فإذا كان الوقت الذي وقع الإيحاء إليه دارت دَوْرَ هَرْج واضطراب ، لا دَوْرَ قوّة واستتباب ، ودَوْرَ الرحا يكون عبارة عن حالين مختلفين : إحداهما مذمومة ، والأخرى محمودة : المذمومة هي الحال التي بنى الخبر عليها ، وعلى ذلك كان قول عثمان بن حُنيف^(١) الأنصارى رحمه الله يوم الجمل ، وكان في حيز أمير المؤمنين على عليه السلام ، وقد رأى استحرار القتل واستلحام الأمر : دارت رحا الإسلام وَرَبُّ السَّكْبَةِ ، أراد أن الناكثين بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وهم أصحاب الجمل قد أزعجوا الإسلام عن مناطه ، وأزحفوه عن قراره . وأما الحال المحمودة ، فهي أن يكون دور الرحا عبارة عن تحريك جذّ القوم ، وقوّة أمرهم ، وعلوّ نجمهم . يقال : دارت رحا بني فلان ، إذا اتفقت لهم هذه الأحوال المحمودة . ومن هذا القبيل أيضاً العبارة بدوران الرحا عن هزم عسكر لعسكر ، وكسر فيلق لفيلق . قال الشاعر :

طَحَنَتْ رَحَاً بَذَرَ لَهْلَهِ فِتْيَةٍ وَلِمَثَلٍ بَذَرَ تَسْتَهْلٍ^(٢) الْأُدْمَعُ

فهذه حال كان دور الرحا فيها محموداً لمن دارت له ، ومذموماً

(١) حنيف : بضم الحاء وفتح النون على صيغة المصغر ، وكانت مضبوطة في الطبعة السابقة بهج الحاء وكسر النون ، والصحيح ما أثبتناه هنا .
(٢) تستهل الأدمع : أى يكثر دمعها ويغزر .

لمن دارت عليه . وإنما قالوا : دارت رحا الحرب لجولان الأبطال فيها ، وحركات الخيل تحتها . وقد روى هذا الخبر على وجه آخر ، وهو قوله : « تزول رحا الإسلام » ، والمراد بذلك أنها تزول عن ثباتها ، وتميل عن موضع استقرارها ^(١) .

١١٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ ، وَنَخِيلَةَ صَدْرِهِ ، فَلْيُطِيعْهُ مَا اسْتَطَاعَ » ، فقوله عليه الصلاة والسلام : « وثمره قلبه » استعارة لأن المراد بها خالصة صدره . أى بايعه بطاعة صحيحة ، وبنية غير مدخولة ، فشبه عليه الصلاة والسلام ذلك بالثمرة لأنها لباب كل شيء ، وخالسته ، وصفوته ، وخلاصته . ومثل ذلك الحديث الآخر عنه عليه الصلاة والسلام : « الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ ، ثَمَرَاتُ الْقُلُوبِ ، وَقُرَّاتُ الْعَيْنِ » ، أراد عليه الصلاة والسلام أن الأولاد خالصة القلوب والأكبَاد ، كما أن الثمر خالصة الذبَاب والأشجار . وعندى فى ذلك وجه آخر ، وهو أن الولد من أبيه بمنزلة الثمرة من الشجرة لأنه منه تفرّع ، وبواسطته ظهر وطلع ، فلو قال : الأولاد

(١) مافى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية : حيث شبه استقامة أمر الإسلام فى أوله إلى سنة كذا بدوران الرحى بجامع كون الشيء على حالته الطبيعية فى كل ، واستعار لفظ المشبه به للمشبه ، واشتق من الدوران بمعنى الاستقامة ، تدور بمعنى تستقيم على طريق الاستعارة التبعية .

ثمرات الرجال لكان الغرض صحيحاً ، والمعنى مستقيماً ، إلا أنه عليه الصلاة والسلام أضافهم إلى القلوب ، فجعلهم ثماراً لها دون سائر الأعضاء غيرها ، لأن القلب سيد الأعضاء الرئيسة والأحشاء الشريفة فحسنت حينئذٍ إضافة الولد إلى القلب خصوصاً ، وإن حسنت إضافته إلى سائر أعضاء الأب عموماً لأنه عصارة مائه ، وخلاصة أعضائه ^(١) .

١١٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد سأله رجل عما شئبه ؟ فقال : « هُوْدٌ وَأَخَوَاتُهَا قَصَفْنَ حَلَى الْأُمَمِ » ،

(١) ما في الحديث من البلاغة :

قال الشريف : إن فيه استعارة في قوله ثمرة قلبه ، وأقول إن فيه استعارة أيضاً في قوله ونخيلة صدره ، وبيان الأولى أنه شبه الإخلاص في البيعة والإخلاص محله القلب بثمره القلب ، فتكون في الجملة استعارة بالكناية حيث شبه القلب بالشجرة وحذفها ورمز إليها بشيء من لوازمها وهو الثمرة ، ولأنات الثمرة إلى القلب تخييل ، واستعارة مصرحة حيث شبه الإخلاص في كونه صادراً من القلب ونذيجة لإخلاصه بثمرته ، واستعمل اللفظ الدال على المشبه به في المشبه على طريق الاستعارة التصريحية . وبيان الثاني أنه شبه الصدر بشيء ينخل وتستخرج خلاسته كالدقيق مثلاً ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو لتخيله على طريق الاستعارة بالكناية ، وشبه لإخلاص الطوية وثبات النية ، بالنخيلة وهي الشيء المنخول الذي صنى ، أى ناتج نخله ، بجامع الصفاء والنقاوة في كل ، واستعار لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة المصرحة .

وفي الحديث أيضاً كناية في قوله « صفقة يده » لأن صفقة اليد ضم لإحدى يدي المعاهد بيد المعاهد وليس هذا مراداً وحده ، وإنما المراد إعطاء العهد . ولما كان من عادة العرب عند التعاهد والتعاقد والبيع ، وضع اليد في اليد كنى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم عن العهد ، كأنه قبل من بايع إماماً فأعطاه عهده وبيعته .

وهذا القول مجاز ، لأن أصل القَصْف : كسر الشيء وحطمه . ومن ذلك ما حُكي عن بعض اليهود لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أن قال : تركت بني قَيْلَةَ^(١) يتقاصفون بِقُبَاءَ^(٢) على رجل يزعم أنه نبي ، يقول من شدة ازدحامهم عليه كان بعضهم يكسر بعضاً ، ومنه : سميت الريحُ الشديدة قاصفاً ، لأنها تحطم الأشجار وتهديم الجدران . فالمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : قَصَفْنِ عَلَى^٣ الأمم أن هوداً وما يجري مجراها من السور أفيض فيها ذكر مهالك الأمم الخالية ، ومصارع القرون الماضية ، فنسب عليه الصلاة والسلام إهلاكهم إلى هذه السورة لما كانت المترجمة عن ذكر هلاكهم ، والماتفة ثانياً ببوزهم على طريق المجاز والانتساع . وقوله عليه الصلاة والسلام : « قَصَفْنِ عَلَى » أى تَلَوْنِ عَلَى أخبار تلك المهالك وأنباء تلك المعاطب ، وهذا مجاز آخر ، لأن السور متلوة وليست بقلالية ، ولكنه لما نسب فعل الهلاك إليها وأقامها مقام المهالك المعطب حسن أن يقيمها مقام المتكلم المخبر^(٣) .

(١) قَيْلَة : هى أم الأوس والخزرج ، وهما قبيلتا اليهود بالمدينة ، أى تركت اليهود أو تركت الأوس والخزرج .

(٢) قُبَاء : بضم القاف ومدالهمزة وقصرها : موضع قرب الدائنة ، ويتقاصفون : يتزاحمون كما قال الشريف .

(٣) ماقى الحديث من البلاغة :

فى إسناد قصف إلى نون النسوة وهى ضمير هود وأخواتها مجاز عقلى ، حيث أسند الفعل إلى غير ما هو له ، لأن الذى قصف الأمم هو الله تعالى ، وإنما نسبت

١٢٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الرَّحِمُ تَتَكَلَّمُ بِلسَانٍ طَلَقَ ذَاتِي تَقُولُ : صِلْ مَنْ وَصَلَنِي » وقد روى أيضاً بلسانِ طَلَقٍ ذُلُقٍ بالضم^(١) في الحرفين جميعاً ، وهذا الكلام مجاز ، والمراد أن الله سبحانه قد أوجب على خلقه صلة الرحم ، وأمرهم بالعطفة عليها ، والقيام بالحقوق الواجبة لها . فصارت بظاهر هذه الحال كأنها ناطقة بالحض على صلتها ، والدعاء لمن وصلها^(٢) . ومن كلامهم أَطَّتْ بفلان الرحم^(٣) ، والأطيط هاهنا : الصوت فيه بعض الحنين ، كأنها دعتة إلى أن يرعى ذمتها وذكرته بما يجب عليه لها . ويقولون أَرْزَمَتْ^(٤) إليه الرحم ، وناشدته الرحم ، وذلك في لسانهم

= إلى السور لأنها عل أخبارها وهلاكها وتقصيفها ، فيكون من إسناد الفعل إلى محله وإن كان المحل هنا معنوياً ، وقد ورد في حديث آخر قول النبي صلى الله عليه وسلم « شيبني هود وأخواتها » فيكون إسناد التشيب إلى هود وأخواتها مجازاً عقلياً أيضاً ، لأن الذي شبيهه إنما ماهو فيها من أخبار الهالكين . وأخوات هود هي : يونس والقصص وغيرها مما فيه قص أخبار الهالكين .

(١) قال في القاموس : « ولسان طلق ذلق وطلیق ذلیق وطلق ذلق بضمين وكسرد وكنت : ذو حدة » أي أن الرحم تنطق بلسان حاد فصيح .

(٢) من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فيما يحكى عن ربه : « أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » فلما قال الله تعالى ذلك ، وأوجب على نفسه وصل من وصل الرحم ، وقطع من قطعها ، كانت الرحم كأنها تنطق فتقول « صل من وصلني » .

(٣) قال في القاموس (أطت له رحمى : رقت) وأصل الأطيط : الصوت .

(٤) يقال أَرْزَمَتْ الناقة : إذا حنت على ولدها ، فاستعمل هذا في الرحم كأنها تحن على صاحبها .

أشهر من أن يحتاج إلى إقامة الشواهد ، وإيضاح الدلائل ^(١) .

١٢١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تَمْشُوا على أَعْقَابِكُمْ ، الْقَهْقَرَى » وهذه استعارة ، والمراد لا ترجعوا عن دينكم ولا تكفروا بعد إيمانكم فتكونوا كالراجع على عقبه عاكساً لقدمه وناكصاً بعد تقدمه . فهذا وجه . وقد يجوز أن يكون للراد لا نَوَّلُوا عن الدين راجعين وتلقوا عنه منصرفين . فعبر عن الرجوع بعد الذهاب بالرجوع على الأعقاب ، لأن من دعاهم أن يقولوا رجع فلان على عقبه إذا أدبر عن وجهته أو خالف قصد جهته ، والمعنيان متقاربان ^(٢) .

١٢٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جُمُعٌ يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ ، وَيُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ »

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة مكنية وتبعية . أما المكنية : فهي أنه شبهت الرحم بإنسان يتكلم ، وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو التكلم ، وأما التبعية : فهي في التكلم ، حيث شبهت حال الرحم في لثابة من يصلها بسبب هذه الصلة ، واستجابة الله تعالى لها بإخباره عن نفسه كما في الحديث السابق بالتكلم واشتق من التكلم بمعنى دلالة الحال تتكلم بمعنى تدل حالها على طريق الاستعارة التبعية ، وإنابت التكلم إلى الرحم تخييل ، وكذلك إنابت اللسان وجعله طلقاً ذلقاً لإطباب وتخيل

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تمثيلية ، حيث شبه الراجع عن دين الإسلام العائد إلى الكفر بالراجع عن وجهته دائراً على عقبه عائداً إلى الخلف ، واستعمل اللفظ الدال على المشبه به في المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

فقوله عليه الصلاة والسلام « يريد أن يشق عصاكم » استعارة ، والمراد به تفريق أسرهم ، ونشيت جمعهم . فشبه ذلك بشق العصا ، لأن عن شقها يكون تشظيها^(١) ، وتطاير الصدوع^(٢) فيها ، قال الراعي :

فَتَشَقَّقَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ عَصَاهُمْ شَقَقًا وَغَوَدَرَ جَمْعُهُمْ مَفْلُولًا
أى انتشرت أمورهم وتفرقت جموعهم . ومثل ذلك من كلامهم
قولهم : فَضَّ اللَّهُ مَرَوْتَهُمْ ، وهى الصخرة ، وفَضَّ اللَّهُ خَدَمَتَهُمْ ،
وهى الحلقة . فكأنهم شهبوا التثام جموعهم بالصخرة الملهومة ، وشهبوا
التحام شؤونهم بالحلقة المأطورة^(٣) . ويجوز أن يكون لشق العصا
وجه آخر ، وهو أن يراد به فلَّ شوكتهم وإيهان^(٤) قوتهم ، لأن
العصا لصاحبها قوة يدفع بها ، وبسطة يعول عليها . ألا ترى إلى قوله
تعالى حاكياً عن موسى عليه السلام « مِىْ عَصَاىَ ، أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا
وَأُهْشِ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى » . فيجعل من مرافقها
الاعتماد عليها والهش على الغنم بها ، ومن المآرب الأخرى التى فيها
أن تكون آلة لدفاعه وعدة لقراعه ، وهى بَعْدُ عون المائى وهداية

(١) تشظيها : تفرقها شظايا وقطعاً صغيرة .

(٢) الصدوع : الشقوق .

(٣) المأطورة : المستديرة الملتصق ببعضها ببعض « ليس فيها فاصل ولا ثغرة .

(٤) إيهان قوتهم : إضعافها ، وأصله إوهان ، من أوهن بمعنى أضعف ،

فوقعت الواو ساكنة بعد كسره فقلت ياء ، مثل إبداع وإيصال .

للعاشي^(١) وسَلَاطَة^(٢) للراعى .

١٢٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ لَبَسَ فِي الدُّنْيَا ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ » وهذه استعارة . والمراد أن الله سبحانه يشمل بالمدلة حتى تضافو عليه من جهاته ، رتلتقى عليه من جنباته ، كما يشمل الثوبُ بدن لابس ، فيكون ساداً للخلل ومغطياً لفرجه . ومعنى هذه المدلة أن يحقره سبحانه في القلوب وبصره في العيون ، وربما زيد في هذا الخبر : ألبسه الله ثوب مذلة في الآخرة ، والمدلة في الآخرة هي حرمان الثواب وإنزال العقاب^(٣) .

١٢٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : وقد جاء رجل

(١) العاشي : اسم فاعل من عشا يشو ، إذا ساء بصره وضعف ، ويقال عشى كرضى ، فهو عشى .
(٢) المراد الشدة والقوة .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :
في الحديث تشبيهان بليغان في ثوب شهرة . وثوب مذلة ، حيث شبهت الشهرة والمدلة بالثوب في شمولها لصاحبها وإحاطتها به من جميع جهاته ، وهذا من إضافة المشبه به للمشبه مثل قولهم لجين الماء .

(ملحوظة) ينبغي تنبيه لابس الله تعالى ثوب الذلة في الآخرة لمن اكتسب ثوب شهرة في الدنيا : بمن يتعالى بشهرته على الضعفاء ، ولا ينفعهم بها بل يشعرهم بذلهم فيجازيه الله من جنس عمله بإذلاله في الآخرة ، كما أذل عباده في الدنيا ، أما من يكتسب ثوب شهرة في الدنيا بالحق : كأن يكون عالماً نافعاً لأهله ووطنه ، ولا يتعالى بعلمه ، ولا يحقر غيره من العلماء والجهال ، أو يكون قائداً شجاعاً مظفراً انتصر في معارك حاسمة ، ولا يتعالى على غيره بل يعتقد أن النصر من عند الله ويحرص على نفع الضعفاء وعدم إذلالهم ، فهذا يكسوه الله ثوب عزة في الآخرة .

بأمراته بشكو خُلُقهما فأخذ عليه الصلاة والسلام برأسيهما وقال :
 « اللهم أَرِ بَيْنَهُمَا » وهذه استعارة ، والمراد اللهم قَرِّبْ بينهما ولائِمَ
 بين خلقيهما . وذلك مأخوذ من الآرَى وهي الآخِيَّة التي تربط
 الدابة إليها ، فكانه عليه الصلاة والسلام دعا لها أن يكونا كالدابتين
 على الآرَى ، في المقاربة والملازمة وعدم النِّفَار والمباعدة . وقد يجوز
 أن يكون ذلك مأخوذاً من قولهم : أَرَبْتَ العقدة إذا شددتها
 وأحكمت عقدها ، فكانه عليه الصلاة والسلام دعا لها بأن يكون عقد
 الودِّ بينهما فتكون أخلاقهما متوافقة وأحوالهما متلافة . وقد يجوز
 أيضاً أن يكون ذلك مأخوذاً من قولهم : أَرَى فلان بالمكان إذا قام
 به ، فكانه عليه الصلاة والسلام دعا لها بأن يثبتا على الألفة ، ويدوما
 على المودة ^(١) ، والتأرَى أيضاً : التوقع للشيء والانتظار له .
 قال الشاعر :

لَا يَتَأَرَى إِمَّا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ

وَلَا يَعْصُ عَلَى شَرْسُوفِهِ الصَّفَرُ ^(٢)

(١) ترك الشريف معنى من معنى الأرى هو ألبق بهذا الحديث ، وهو أريت
 الدابة إلى الدابة : انضمت إليها وألقت معها معلقاً ، أى اللهم أَلِفْ بينهما حتى ينضما
 إلى بعضهما كالدابتين المذكورتين .

(٢) يتأرى : ينتظر ، والشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن ،
 والصفر : داء في البطن يصفر منه الوجه . ومعنى البيت : أن الممدوح ليس متلهفاً
 على الأكل ، وليس مريضاً بمرض الصفر الذي يعرض على أطراف أضلعه المشرفة =

١٢٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في هجاء شعراء الإسلام لمشركي قريش: « فوالذي نفسي بيده لكانما ينضجونهم بالنبل » ، وقد يجوز أن يكون ذلك مأخوذاً من قولهم : نضج الشجر ينضج نضجاً إذا تفتّر^(١) للتوريق ، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : شققوا جلودهم بذيلكم كما تنشق الحية^(٢) الشجر عن طوالع أوراقه ونواجم أفدانه^(٣) .

١٢٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد كسا أسامة ابن زيد قبطية^(٤) فكساها اسراثة ، فقال له عليه الصلاة والسلام :

على بطنه . ومن معاني الصفر الجوع ، وهو أولى هنا من غيره من معاني الصفر ، أي أن هذا الرجل لا ينتظر طعام الفدر ، ولا يعض الجوع على شرسوفه فهو شعبان قانع ، وهذا من صفات السادة .
ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه التأليف بين الزوجين في عدم انفصالهما ومعة كل منهما للآخر بالتأليف بين الدائتين في العلف أو في الثبات أو غير ذلك من المعاني التي ذكرها الشريف ، واستعار لفظ التأرية للتأليف ، واشتق من التأرية بمعنى التأليف أر ، بمعنى ألف على طريق الاستعارة التبعية .

(١) تفتّر : تشقق ، ومنه « إذا السماء انفطرت » . تكاد السموات يتفطرن منه : أي يتشققن .

(٢) الحية : جمع لحاء : وهو قشر الشجرة وغلافها الخارجى .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في القاموس « نضج فلاناً بالنبل رماه به » وعلى ذلك يكون المعنى أصلياً ولايجاز فيه ، وعلى قول الشريف فيه استعارة تبعية ، حيث شبه الرى الشديد بقشيق الجلد بجامع الإيلام في كل ، واستعار النضج بمعنى التشقيق للرى ، واشتق من النضج بالمعنى المذكور ينضجونهم بمعنى يرمونهم على طريق الاستعارة التبعية .

(٤) القبطية بضم القاف وكسرهما : ثياب مصرية منسوبة إلى قبط مصر .

« أَخَافُ أَنْ تُصِفَ حَجْمَ عِظَامِهَا » ، وهذه استعارة . والمراد أن القبطية برقتها تلتصق بالجسم ، فتبين حجم الثديين والرادفتين وما يَشِدُّ من لحم العضدين والفخذين ، فيعرف الناظر إليها مقادير هذه الأعضاء حتى تكون كالظاهرة للَحْظَةِ ^(١) ، والممكنة للمس ، فجعلها عليه الصلاة والسلام لهذه الحال كالواصفة لما خلفها والخبرة عما استتر بها . وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى . وهذا الغرض رعى عمرُ بن الخطاب في قوله : إياكم ولُبْسُ القُبَاطَى ^(٢) ، فإنها إلا تَشِفُّ ^(٣) تُصِفُ ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله أبا عذر ^(٤) هذا المعنى ، ومن تبعه فإنما سلك نهجه ، وطلع فجَّه ^(٥) .

(١) أى لنظره .

(٢) القباطى : بضم القاف وفتحها جمع قبطية .

(٣) تشف : أى يظهر الجسم من تحتها بلونه وحجمه ، وتصف أى يظهر الجسم من تحتها بحجمه فقط .

(٤) العذر والعذرة : البكارة ، ويقال فلان أبو عذر على هذا المعنى ، وأبو عذرة بمعنى هو السابق إليه ، لأن الذى يفتض البكر ويزيل عذرها ، هو أول من يقربها فشبّه هذا بهذا .

(٥) الفج بفتح الفاء : الطريق الواسع بين جبلين ، والمراد مطلق الطريق ، أى سار على نهجه .

ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه التصاق الثوب بأعضاء الجسم وعدم اتساعه فى تحديد طوله وعرضه ، بالشخص الذى يصف حجم العضو فيقول : طوله كذا وعرضه كذا بجامع بيان الأبعاد فى كل ، واستعير الوصف للتصاق الثوب ، واشتق من وصف بمعنى حدد ، تصف بمعنى تحدد على طريق الاستعارة التبعية .

١٢٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَا تَعْضِيَّةَ

فِي مِيرَاثٍ إِلَّا فِيمَا حَمَلَ الْقَسْمُ » ، وهذه استعارة والمراد بالتعضية التفريق من قولهم : عَضَى الْجُزُورَ إِذَا نَحَرَهَا ، وقسم أعضاءها وفترق أشلاءها ، فشبه عليه الصلاة والسلام الميراث المقسم بالأعضاء المتفرقة والأشلاء الموزعة ، ومعنى إِلَّا مَا حَمَلَ الْقَسْمُ : أى ما احتمل إذا قسم أعضاء ، وفترق أجزاء ألا يكون ذلك مضرّاً به ومفسداً له . وما لا يحتمل القسم كالحمام^(١) من العقار والدرة^(٢) من العروض ، وما في معنى هذين الجنسيتين من المال الموروث ، وعلى ذلك قول الشاعر :

* وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ بِالْمَعْصِي *

أى ليس الدين بالمفترق والموزع ، ولكنه المضموم المجتمع^(٣) .

١٢٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام :

(١) الحمام : هو المكان المعد للاستحمام وتقسيمة لا يجوز لأنه يفسده ، فإذا جمل مكان الحمام وحده ، ومكان النوم وحده ، لم يصلح المكان أن يكون حماماً .
(٢) الدرة : هى الحجر الكريم وتقسيمة يفسده ، لأنه ينقص قيمته ، ومن المعلوم أن الدرة كلما كبر حجمها زاد ثمنها .

(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

التعضية : التقسم لفة ، وعلى ذلك لا مجاز فى الحديث ، أما على رأى الشريف وهو أن الأصل يقسم الشئ أعضاء ، ففيه استعارة تصريحية حيث شبه التقسيم الذى يفسد المقسم بالتعضية ، وهى تقطيع الجسم إلى أعضاء بجامع الإفساد فى كل ، واستعيرت التعضية للتقسيم الفاسد على طريق الاستعارة التصريحية .

« وَلَا تَسْلُطْ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَايَ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ »^(١)
وهذه استعارة ، والمراد بالبيضة هاهنا مجتمع أمته عليه الصلاة والسلام
وموضع سلطانهم ، ومستقرّ دعوتهم^(٢) . وشبه ذلك بالبيضة
لاجتماعها ، وتلاحق أجزائها ، واستناد ظاهرها إلى باطنها ، وامتناع
باطنها بظاهرها . وقد يجوز أن يكون المراد بالبيضة هاهنا المِفْقَر الذي
هو من لآمة الحرب ، فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه مكان
اجتماعهم ، ومظنة اتفاقهم والتشامهم ببيضة الحديد التي تحصن الدارع^(٣)
وتردّ القوارع^(٤) . وكان شيخنا أبو الفتح^(٥) النحوي رحمه الله
يقول : قولهم فيها الجماء الغفير^(٦) ، يريدون به البيضة التي هي المفقر
وسموها جماء للاستها^(٧) وغفيراً لتغطيتها^(٨) كأنهم بهذا الكلام

(١) هذه قطعة من حديث طويل أوله « إن الله زوى لى الأرض فرأيت
مشاركها ومغاربها » الحديث .
(٢) فى القاموس : البيضة : ساحة القوم ، وأراد أنه لا يستبيح أوطانهم ،
فيدخلها غزباً فاتحاً ويتحكم فيهم . وعلى ذلك لا استعارة فى الكلام ، ويجوز أن
يكون هذا معنى ثانياً ، والمعنى الذى ذكره الشريف معنى أول .
(٣) الدارع : لابس الدرع ، وهو قبض من حديد يلبسه المحارب ليقى صدره
وظهره من الطعنات .

(٤) القوارع جمع قارعة : وهى الضربات التى تأتية من الأعداء .
(٥) هو أبو الفتح ابن جنى صاحب كتاب الخصائص وغيره فى اللغة والنحو .
(٦) تقول العرب : جاءوا جمّاً غفيراً ، والجماء : الغفير ، ويظهر أن فى الجملة
تحريفاً ، والأصل جاءوا بدل فيها .
(٧) من معانى الجماء : اللساء .
(٨) الغفر : الستر ، ومن ذلك غفران الذنوب : أى سترها ، والغفر وهو
الدرع لأنه يستر صاحبه .

يصنفون قوماً بالقوة والاجتماع ، والكثرة والاحتشاد ، فشبهوا قوتهم بالحديد الذي هو النهاية في الشدة ، وشبهوا كثرتهم^(١) في أن بعضهم ليستر بعضاً بالمغفر الذي هو غطاء لما تحته من شعر الهامة^(٢) . وفي هذا الكلام مسئلة من الإعراب ، وهي من مسائل الكتاب^(٣) ، وليس كتابنا هذا مقتضياً لذكرها فتعاطاه ، لاسيما وحرصنا فيه اتباع نهج الاختصار ، والانحراف عن طريق الإكثار والإطناب^(٤) .

١٢٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « من كَسَبَ مَالاً مِنْ تَهَاشٍ^(٥) أَنْفَقَهُ فِي تَهَابٍ^(٦) » ، وفي هذا الكلام

(١) الضمير يعود على الاجتماع بمعنى الجمع .

(٢) قال في التاموس : « والمغفر كمنز وبهاء : زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتنقع به المتسلح » فقوله يلبس تحت القلنسوة هو المراد بقوله : غطاء لما تحته من شعر الهامة والهامة الرأس .

(٣) المراد كتاب سيوبه في النحو ، وإذا أطلق الكتاب انصرف إليه ، لأنه أعظم كتاب ألف في النحو والسألة من الإعراب التي أشار إليها الشريف هي أن جمهور البصريين يرون أن الحال لا تكون إلا نكرة ، فإذا جاءت معرفة فهي مؤولة بنكرة ، وفي هذه الجملة : جاءوا الجاء الغير ، الجاء حال من الواو في جاءوا وهي معرفة وكان حقها جاءوا جاء غفيراً ، ولكنها وردت هكذا في لسان العرب ، فقال البصريون : هي مؤولة بالنكرة ، والتقدير جاءوا جيئاً ، وجميعاً منكر .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

فيه على رأى الشريف استمارة تصريحية ، حيث شبه ساحة القوم بالبيضة في أنها حافظة لما بداخلها ، وإذا سلب جزء منها سلب باقيا . واستعمل لفظ المشبه به وهو البيضة في المشبه وهو الساحة على طريق الاستمارة التصريحية .

(٥) قال في التاموس : التهاوش : المظالم والإجحافات بالناس .

(٦) قال في التاموس : التهاير : المهالك وما أشرف من الأرض والرمل ، أو الحفر بين الآكام الواحدة نبرة ونهبورة بضمهما .

مجاز والمراد بالنهاوش على ما قاله أهل العربية : اكتساب أموال من
 النهواحي المكروهة ، والوجوه المذمومة ، ومن غير حِلِّها ، ولا حميد
 سُبُلها . وذلك مأخوذ من نهش الحَيَّة كأنها تنهش من هنا ومن هنا
 لا تتقى مَنهشاً ولا تجتنب ملبساً ، وذلك ضدُّ قوله عليه الصلاة والسلام
 على أحد التَّأويلين : « أَطْلُبُوا الْمَالَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ » . أى
 من وجوه المكاسب الطَّيِّبة التى يحسن الطلبُ منها ، ولا يذمُّ التعرض
 لها . وقال أبو عُبَيْدة : هو مَهاوش بالميم ، يريد أخذ المال من التلصص
 نحو لصوص بنى سعد . وقال غيره : ذلك مأخوذ من الهوش .
 يقال : تهاوش القوم إذا اختلطوا : ومنه قوله عليه الصلاة والسلام :
 « إِيَّاكُمْ وَهَوَشَاتِ الْأَسْوَاقِ » ، أى اختلاطها وفسادها . والميم
 زائدة فى بناء الكلمة ، والمعنى راجع إلى ما قاله أبو عُبَيْدة ، لأن
 الأموال المأخوذة من التلصص موصوفة بالاختلاط فى أنفسها ،
 والآخذ لها موصوف بالتخليط فيها ، وقوله عليه الصلاة والسلام :
 أنفق فى نَهَابِرَ : أى فى الوجوه المحرَّمة التى يضيع الإنفاق فيها ، ولا
 يعود إليه نفع منها . وذلك مأخوذ من نهابر الرمل ، واحداً منها
 نُهْبُورَةٌ ، وهى وَهْدَات تكون بين الرمال المستعظمة إذا وقع البعير
 فيها استرخت قوائمه ، ولم يكد يتخلص منها . ويقال : حَفَرٌ بين
 الآكام يصعب السلوك بها وتكثر المعابر فيها ، فكأنه عليه الصلاة
 والسلام شبه ما يُكسَب من الحرام وينفق فى الحرام بالشئ الواقع

نُجْمَةٌ^(١) الرمل لا يرجى وجوده ، ولا يُنْشَدُ مفقوده ، ومع ذلك فقد صد لمنفقه أليم العذاب ، وعقيم العقاب^(٢) .

١٣٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كتابه لبعض الوفود : « لَا يُبَاحُ مَأْوُهُ وَلَا يُعْقَرُ أَرْعَاؤُهُ »^(٣) ، هذه استعارة ، والمراد به لا يقطع ما فيه من شجر أو كلاب إلا بإذن صاحبه ، فشبّه عليه الصلاة والسلام ما يقطع من الشجر بما يعقر^(٤) من الإبل . وذلك من التشبيهات الواقعة والتشبيهات النافعة ، لأن قنوط الشجر عن قطعها ، كسقنوط البَدَنَةِ عن عقرها^(٥) .

(١) قال في القاموس : العجمة بالضم والكسر : مانع من الرمل أو كثرة .
(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث على ما ذكره الشريف استعارتان تصريحيتان في نهائش ونهاير ، يث شبه وجوه الكسب غير الشريفة بالنهاوش ، وهى نهشات الحيات التى لا تتق كائناً فى نهشها ، بل تنهش الحسن والسىء على السواء ، وشبه لانفاق المال فى المهاك الوجوه غير الشريفة ، بالوقوع فى وهيدات الرمال التى يصعب القيام منها ، واستعمل ظ المشبه به فى المشبه .

(٣) المراءة : المرعى ، وهو مكان الرعى ، والأرعاء جمع رعى : بكسر الراء هو الكلاء الذى يرعى ، وقد وردت الكلمة فى الطبعين السابقتين على هذه الطبعة كذا (مرعائه) وهى تصغير «أرعائه» لأنه لا يوجد «مرعاء» بمعنى المرعى .
(٤) عقر الدابة : جرحها . والظاهر أن فى الأصل تحريقاً ، والصواب : ولا قمر أرعائه ، بدل مرعائه .

(٥) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه ضرب حشيش المرعى بعقر الدابة فى أن لا منهما يسقط بسبب ضربه ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه ، واشتق من العقر معنى الضرب ، يعقر بمعنى يضرب على طريق الاستعارة التبعية وفيه مجاز عقلى فى سناد العقر إلى المرعى ، والعقر إنما هو للنبات ، فالعلاقة المحلية .

١٣١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْوَلَاءُ^(١) لِحِمَّةٍ كَلْحِمَةِ النَّسَبِ لَا يَبَاعُ وَلَا يُوهَبُ » ، وهذه استعارة . لأن عليه الصلاة والسلام جعل التحام الولي بوليه كاتحام النسب بنسبه في استحقاق الميراث ، وفي كثير من الأحكام . وذلك مأخوذ من لحمه الثوب وسداه^(٢) لأنها يصيران كالشيء الواحد بما بينهما من المداخلة الشديدة ، والمشابكة الوكيدة ، ويقال : لحمه البازي^(٣) ، ولحمه النسب ، ولحمه الثوب واحد ، وهي المشابكة والمخالطة إلا أنهم فرقوا بين اللفظين ليكون ذلك تمييزاً للمُسَمَّيَيْنِ^(٤) .

١٣٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْمُؤْمِنُ^(٥) مَوْهٍ رَاقِعٌ » ، وهذه استعارة والمراد أن المؤمن إذا أساء أحسن

- (١) الولاء : الملك ، والمراد الصلة التي تكون بين العبد وماله في أن المالك يلى أمر مملوكه ويرثه بعد موته .
- (٢) لحمه الثوب : هي الخيوط التي تنسج بالعرض ، وسداه وسداته : هي الخيوط المدودة بالطول فتجىء الخيوط العرضية وهي اللحمة ، فتتداخل فيها وتشابك حزمها بعد نسجها لا يعرف السدى من اللحمة لشدة تشابكها وتماسكها .
- (٣) البازي : هو الصقر ، ولحمته ما يطعمه من اللحم ، ولحمه النسب هي القرابة ولحمه الثوب سبق بيانها .
- (٤) كان الشريف يقول : أنهم فرقوا بين اللفظين بفتح أحدهما وضم الآخر وذلك أنه لا يجوز في لحمه النسب إلا الضم ، وأما غيرها فيجوز فيه النفتح والضم ما في الحديث من البلاغة :
- في الحديث تشبيه مرسل ، حيث شبه لحمه الولاء بلحمه النسب في قوتها وذكورها أداة التشبيه .
- (٥) موه : اسم فاعل من أومى بمعنى أضعف ، وأصلها موهى حذفت الياء لانقائها ساكنة مع التنوين وجعل التنوين على الكسرة .

وإذا أخطأ ندم . فكأنه يؤمى دينه بمعصيته ، ويرقعهُ بتوبته .
شبهه عليه الصلاة والسلام بمن يخرق ثوباً ، ثم يبادر رقعَ ماحرق ،
ورثقَ ما فتق (١) .

١٣٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ خَلَعَ
بَدَأَ مِنْ طَاعَةِ آتَى اللَّهَ وَلَا حُجَّةَ لَهُ » وهذه استعارة . والمراد بخلع
اليد هاهنا الخروج عن طاعة الإمام العادل ، فشبّه عليه الصلاة والسلام
من يخرج عن طاعة سلطانه بالأسير الذى نزع يده من رِبْقَتِهِ (٢) ،
وأخرج عنقه عن جامعته (٣) ، فكأنه عليه الصلاة والسلام أقام لوازِم
الطاعة فى الأعناق مقام الجوامع فى الأيدي والرقاب ، وجعل الخارج
منها كاللارق من رِبْقَةِ الأمر ، والفاصل (٤) من مَثْنَةِ الحبل (٥) .

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيهان بليغان ، حيث شبه المؤمن بخارق الثوب وهو (موه)
وذلك عند ارتكاب المعصية ، وشبهه بالراقع الذى يرقع الثوب ويخيط فتقه وذلك
عند توبته ، وحذف وجه الشبه ، وهو الإفساد والإصلاح فى كل ، وحذفت أداة
التشبيه ، والأصل المؤمن كالموى الراقع .

(٢) الرِبْقَةُ : القيد الذى يكون فى رقبة الدابة .

(٣) الجامعة : القيد الذى يكون فى اليد .

(٤) الناصل : الخارج ، ومثناة الحبل : القيد الثنى على اليد ونحوها .

(٥) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة بالكناية ، حيث شبه الطاعة بالقيد وحذفه ورمز إليه
بشيء من لوازمه وهو خلع اليد منه ، وفى خلع يداً استعارة تبعيه ، حيث شُبّهت
المخالفة بخلع اليد من الحبل المقيد واشتق من الخلع خلع بمعنى خالف على طريق
الاستعارة التبعية .

١٣٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الْآخِرَةَ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ^(١) وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » ، وهذه استعارة ، والمراد أتته الدنيا من حيث لا يطلب ودَّتْ عليه منافعها من حيث لا يحتسبها ، فأقام عليه الصلاة والسلام مواناة الدنيا من غير طلب مقام إتيانها راغمة وإقبالها عليه ضارعة وأصل الرغم أن يُلصَقَ الأنف بالرَّغَام ، وهو التراب ، وقيل الرغم وليس يكاد يكون ذلك إلا عن غاية الخشوع ، ونهاية الخضوع ^(٢)

١٣٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْمُهَدِّيَّيْنِ مِنْ بَعْدِي عَصُوا عَلَيْهَا بِالْفَوَاجِدِ » وهو مجاز . والمراد أن اقطعوا عليها وقفوا عندها ، ولا تتجاوزوها إلى غيرها . كما أن من شدد العضَّ بنواجذه على الشيء الذي يتأذى من القطع قطعه . والنواجدُ أقصى الأضرار ، وهي أقواها وأمضأها وقد يجوز أن يكون المراد الأمر بلزوم سنته عليه الصلاة والسلام

(١) المراد جعل الله غناه في نفسه كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تفتنى غنى النفس ، أى أنها لا تشهى ولا تطلب من الدنيا إلا ما يقيم أودها ويقض مصالحها ، ولا تنظر إلى ما في أيدي الناس من زينتها وتحاول الحصول عليه من كل مكان .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه انقياد الدنيا بوضع الأنف في الرغام واشتق من الرغم بمعنى الخضوع والانقياد ، راغمة بمعنى خاضعة على طريق الاستعانة التبعية ، وأرى أن الأول اعتبار ما في الحديث كناية عن خضوع الدنيا ، حيث ، رغم الآفة ، يستلزم الخضوع .

أَن العاضَ بنواجذه على الشيء الذي يَتَأَنَّى فيه القَطْع يلزِمُه أَشدُّ لزوم لقوة العوازم ، واستحْصاف اللوازم ^(١) .

١٢٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « حُبُّكَ شَيْءٌ يُعْمَى وَيُبْصَمُ » ، وهذا مجاز . لأنَّ الحُبَّ للشيء على الحقيقة يعنى ولا يصم ، وإنما المراد أَن الإنسان إذا أَحَبَّ الشيء أغضى عن مواضع عيوبه كأنه لا ينظرها ، وأعرض عن الملاليم والمعائب من أجله كأنه لا يسمعها . فصار من هذا الوجه كالأعمى لتفاضيه ، الأصم لتفاييه ^(٢) .

١٢٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تَنَامُ عَيْنَايَ لَا بَنَامُ قَلْبِي » . وهذا القول عند المحققين من العلماء مجاز . لأنه عليه الصلاة والسلام لو كان قلبه لا ينام على الحقيقة كقلوب الناس — كان ذلك من أكبر معجزاته ، وأبهر آياته ، ولوجب أن تتظاهر الأخبار بفعله ، كما تظاهرت بفعل غيره من أعلامه ودلالته . ومما يحق

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه التمسك الشديد بالسنة بالعض على الشيء بالنواجذ بجامع الإمساك الشديد في كل ، واستعير العض للتمسك بقوة ، واشتق من العض بمعنى التمسك ، عضوا بمعنى تمسكوا على سبيل الاستعارة التبعية .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارتان تبعيتان في يعمى ويصم ، حيث شبه تفضي الحب عما في المحبوب من العيوب والمكاره والمستنكرات بالعمى وبالصمم بجامع عدم التأثير في كل واشتق من العمى والصمم : يعمى ويصم بمعنى لا يتأثر على طريق الاستعارة التبعية .

قولنا ما رواه عبد الله بن عباس رحمه الله من أنه صلى الله عليه وآله ، نام ونَفَخَ فصلى ولم يتوضَّ ، فقيل له عليه الصلاة والسلام في ذلك ، فقال : ليس الوضوء على من نام قاعداً إنما الوضوء على من نام مضطجعا . وفي بعض الروايات أو متورِّكا فإنه إذا نام كذلك استرخت مفاصله . فبيّن عليه الصلاة والسلام أنه لو نام مضطجعا للزمه الوضوء لاسترخاء مفاصله ، فلو كان قلبه لا ينام لما وجب عليه الوضوء إذا نام مضطجعا ، كما لا يجب عليه إذا نام قاعداً . وقد يجوز أن يكون المراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « تمام عيناى ولا ينام قلبي » أنه لا يعتقد في حال نومه من الرؤيا الفاسدة والمنامات المتضادة ما يعتقد غيره من سائر البشر ، فيكون في حكم المستيقظ ، وبمنزلة المتحفظ^(١) .

١٣٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِيَّاكُمْ وَالْمُشَارَةَ^(٢) فَإِنَّهَا تُخَيِّبِي الْعُرَّةَ^(٣) وَتُمِيتُ الْعُرَّةَ^(٤) » وهذه استعارة

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية في قوله : لا ينام قلبي ، حيث شبه عدم تأثره صلى الله عليه وسلم بالنوم كما يتأثر غيره بعدم النوم ، واشتق من عدم النوم لا ينام بمعنى لا يتأثر على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) المشارة : مفاعلة من الشر ، أي إياكم واستثارة الشر ومقابلته بمثله .

(٣) العرة : الجرب ، أو قروح في أعناق الفصلان ، وداء يتمعط منه وير الإبل . والحلة القبيحة . وهذا المعنى الأخير هو الذي فسره الرضى بالمثلية .

(٤) العرة : بياض في جبهة الفرس ، ويقال في الإنسان غر وجهه يفر ، صار

ذا : غرة أى أبيض .

بجبية ، والمراد بها أن مشاركة الناس تظهر المعايب وتخفي المناقب لأن
للمُناظر المُشَاغِب لا يقدر لخاصته على مثلية^(١) إلا بحثها ، ولا يجد له
منقبة^(٢) إلا دفتها ، فكأنه يمت محاسنه ويحجب مساويه ، وجعل
عليه الصلاة والسلام العُرّة في مكان المنقبة لتجمل الإنسان بنشرها ،
وجعل العُرّة في مكان المثلية لتهجّن الإنسان بكشفها ، وقد قيل إن
للمراد بالعُرّة هاهنا النفيسة من المال ، ومنه قول الشاعر :

* غَرِيرُ التَّلَادِ مُنِيلُ الطَّعَامِ *

أراد بغير التلاد كرائم المال ، والمراد بالعُرّة : البلاء والمهلك
مأخوذ من العرة ، وهي قروح تصيب الإبل ، وهذا القول ذكره
أبو عبيدة ، والقول الأول أشبه بظاهر الكلام وأبعد من الاعتساف
والاستكراه ، ومما يؤكد ذلك ما روى عن جدنا الصادق جعفر بن
محمد عليه وعلى آبائه السلام أنه قال : إياكم وتعداد العُرّة^(٣) فإنها
تكشف العورة وتورثُ المعرّة^(٤) . فهذا كالبيان لذلك الإجمال ،
والإخراج من ذاك الاحتمال^(٥) .

(١) المثلية : المنقصة .

(٢) المنقبة : المفخرة والمحمدة .

(٣) العرة : المثلية ، أى إياكم وتعداد المثالب والميوب .

(٤) المعرة : العار .

(٥) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ومكنية : حيث شبه المثلية أو القرح بالشخص القبيح =

١٣٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « دَبَّ إِلَيْكَ دَاءُ الْأَمِّ مِنْ قَبْلِكَ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ ، وَهِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدَّيْرِ لَا حَالِقَةَ الشَّعْرِ » وهذه استعارة . والمراد بالحالقة هاهنا المبيد المهلكة : أى هذه الخلقة المذمومة تهلك الدين ، وتستأصله كما تستأصل اللوسى الشعر ، والمقرّاض الوبر ، وعلى هذا قول الشاعر :

أَرْسِلْ عَلَيْهِمْ سَنَةَ قَاشُورَةَ تَحْتَلِقُ النَّاسَ احْتِلَاقَ الثُّورَةِ^(١)
أى تبير^(٢) الناس ، فتأتى على نفوسهم ، أو تأتى على أموالهم من الإبل والشيء ، فتكون كأنها قد أتت على نفوسهم بإتيانها على ما هو قوام نفوسهم ، وإنما جعل عليه الصلاة والسلام البغضاء حالقة

= حياة وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإحياء ، فهذه المكنية والتبعية فى تشبيهه لإظهار المثلية والقرح بإحيائهما ، واشتق من الإحياء بمعنى الإظهار ، بمعنى يظهر ، وكذلك فى تيمت الغرة : استعارتان مكنية وتبعية ، حيث شبه الغرة وهى المنقبة أو كرائم المال بالإنسان الذى يمات ، وشبه إخفاء المنقبة وتبديد المال بالإماتة كما سبق فى تحيى المعرة .

(١) قال فى القاموس : والقاشور من الأعوام يقشّر كل شيء كالقاشورة والمعنى أن هذه السنة تأتى على أموالهم فتذهبها كأنها قد قشّرت جلدهم وساخته واحتلاق الناس : إماتتهم أو إذهاب أموالهم كإقال الشريف ، والنورة الهناء وهو القطران الذى تطلّى به الإبل الجربى ، فى كل المكان المريض ويذهب بالجلد ثم يظهر جلد جديد خال من الميكروبات ، والمراد أن هذه السنة تفى الناس أو أموالهم كما يذهب القطران بالجلد ، وقد ورد هذا البيت فى لسان العرب مادة قشر هكذا :
أَتَتْ عَلَيْهِمْ سَنَةٌ قَاشُورَةٌ تَحْتَلِقُ الْمَالَ احْتِلَاقَ الثُّورَةِ

(٢) تبير الناس : تهكمهم .

للهذين لأنها سبب التغاضي والنهاك ، والإيقاع في المعاطب والمهالك ، والداعى إلى سفك الدم الحرام ، واحتمال أعباء الآثام ^(١) .

١٤٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ » وهذه استعارة ، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل ضروب العلم بمنزلة الإبل الصعاب التي تشرُد إن لم تُعقل ، وتَنَدُّ إن لم تُقيد ، وجعل الكتاب لها بمنزلة الأقياد ^(٢) المانعة والعقل اللازمة . ومن هناك أيضاً سموا مثل شكل الخطّ تقييداً ، فقالوا : خطّ مقيد بالشكل ، كأنه حفظ عليه إيضاحه في إفهامه ، ولولا الشكل لضلّ بيانه وأنكر عرفانه ، ومما يشبه ذلك الحال التي من أجلها سمى العقل عقلاً ، وهو عندنا أسم للعلوم مخصوصة يطول بتعدادها الكتاب . منها العلم بمجاري العادات ، ومنها العلم بالمشاهدات ، وهو أقوى هذه العلوم وأولاها بالتقديم ، لأن الإنسان إذا لم يعلم المشاهدات لم يصحّ أن يعلم شيئاً غيرها من المعلومات . ومنها العلم بأن الشيء لا يخلو من وجود أو عدم ، والموجود لا يخلو من حدوث أو قدم ،

(١) ما في الحديث من اللاعة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه لإذهاب الحسد والبغضاء للحسنات بالحاق بمجامع الإذهاب في كل واشتق من الحلق بمعنى الإفهاب حالقة بمعنى مذهبة على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) الأقياد جمع قيد : ويجمع أيضاً على قيود ، غير أن أقياداً جمع قلة ، وقيود جمع كثرة ، والعقل جمع عقال : وهو الجبل الذي تربط به الدابة .

وأن الجسم لا يجوز أن يكون في مكانين في وقت واحد ، والجسمين لا يصح كونهما في مكان واحد في حال واحدة . ومنها العلم بقبح كثير من المقبّحات^(١) : كنفحوا الظلم والكذب الذي ليس فيه جرّ منفعة ، ولا دفع مضرّة ، والأمر بالقبيح ، وكفران الذمّة . ومنها العلم بحسن كثير من المحسّنات^(٢) : كنفحوا إرشاد الضالّ ، وبذل الأفضال . ومنها العلم بوجوب كثير من الواجبات : كنفحوا الإنصاف والعدل ، وشكر النعم ، وترك الظلم . ومنها العلم بتعلّق الفعل بالفاعلين ، والاضطرار عند أحوال مخصوصة إلى كثير من قصود المخاطبين . ومنها معرفة ما يمارسه الإنسان من الصنائع المتعاطاة ، والحرف المعانة . ومنها معرفة ما يسمعه من مخبري الأخبار إذا كان المخبرون عدداً مخصوصاً ، وكانوا عالمين بما أخبروا به اضطراراً ، وقد تركنا ذكر كثير من هذه الأقسام عدولاً إلى جانب الاختصار . وذكر لي قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد عند قراءتي عليه ما قرأته من كتابه الوسوم بالعمد في أصول الفقه^(٣) أن هذه العلوم مخصوصة إنما سميت عقلاً لأنها تعقل من فعل المقبّحات ، وذلك لأن العالم بها

(١) المقبّحات بتشديد الباء : جمع مقبحة ، وهي ما يعمده الناس قبيحاً ، أو الحصلة التي يعمدها الناس قبيحة .

(٢) المحسنات : بتشديد السين جمع حسنة ، وهي ما يعمده الناس حسناً .

(٣) اسم الكتاب : العمدة في أصول الفقه . وقد ورد في الطبعتين السابقتين على هذه الطبعة بالفاء بدل النون ، أي الفقه ، كما حذفت التاء المربوطة ، وهو تصحيف ظاهر .

إذا دعت نفسه إلى ارتكاب شيء من المقتضات منعه علمه بقبحه من ارتكابه ، والإقدام على طريق بابه ، تشبيهاً بمقال الناقة المانع لها من الشرود والحوائل بينها وبين النهوض ، ولهذا المعنى لم يوصف القديم تعالى بأنه عاقل لأن هذه العلوم غير حاصلة له إذ هو عالم بالمعلومات كلها لذاته . قال : وقيل أيضاً إنما سميت هذه العلوم المخصوصة عقلاً لأن ما سواها من العلوم يثبت بقرائنها ويستقر باستقرارها تشبيهاً بمقال الناقة الذي به تثبت في مكانها ، ولمثل ذلك قيل معقل الجبل للمكان الذي يلجأ إليه ويعتصم به وله سميت المرأة عقيمة ، وهي التي يمنعها شرف بيتها ، وكرم أصلها ، وقوة حزمها ، من الإقدام على ما يشينها ، والتعرض لما يعيبها ، والكلام في تفصيل هذه العلوم ، وبيان مآل أجله احتيج إلى كل واحد منها بطول ، وليس هذا الكتاب من مظان ذكره ، ومواضع شرحه ^(١) .

١٤١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « سَيَخْرُصُونَ بَعْدِي عَلَى الْإِمَارَةِ ، فَتَنْعَمَتِ الْمَرْضِعُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمُ » ، وهذه استعارة كأنه عليه الصلاة والسلام أقام الإمارة في حلاوة أوائلها ،

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية : حيث شبه لإثبات العلم وعدم نسيانه بالتهديد بالعقال في عدم الانقلاط ، واشتق من القيد بمعنى الإثبات قيدوا بمعنى أنبتوا على طريق الاستعارة التبعية ، ويمكن إجراء استعارة مكنية فيه أيضاً ، حيث شبه العلم بحيوان بقيد وحذله ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو القيد على طريق الاستعارة المكنية .

ومسارعة أو آخرها ، مقام المرضع التي تحسن الرضاع ، وتسمى الفطام ، وهذا من أوقع تشبيهه وأحسن تمثيل ، لأن مداخل الإمارة محبوبة ، ومخارجها مكروهة ، لما في المداخل إليها من قضاء الأرب ، وعلو الرتب ، ولما في المخارج عنها من طرق السوء ، وشمات^(١) العدو^(٢) .

١٤٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تَغَالُوا بِمُهُورِ النِّسَاءِ ، فَإِنَّمَا هِيَ سُقْيَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ » وهذه استعارة ، والمراد إعلامهم أن وفاق النساء المنكوحات ، وكونهن على إرادات الأزواج ليس هو بأن يزاد في مهورتهن^(٣) ، ويفالى بصدقاتهن^(٤) ، وإنما ذلك إلى الله سبحانه ، فهي كالأحاطى^(٥) والأقسام والحدود

(١) الشمات والشماتة بفتح الشين فيهما : الفرح ببلاء العدو .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهان بليغان حيث شبه الإمارة في لبانها ودرها الخير على متوليها بالمرضع التي تغذى ولدها من لبنها ، وشبهها بعد زوالها بالمرأة الفاطم أو بالناقة الفاطم التي بلغ مبلغ حوارها سنة فنعت عنه اللبن ، بجامع المنع في كل وحذفت أداة التشبيه ووجهه .

(٣) المهورة : جمع مهر بزيادة التاء فيه للمبالغة كأنه مصدر ، ومن ذلك البعولة كقوله تعالى : « وبعواتهن أحق بردهن » وغولة الشعراء : أى فلولهم وهؤلاء عمومى : أى أعمامى .

(٤) الصدقات بضم الدال جمع صدقة : وهى المهر .

(٥) الأحاطى جمع حظ بضم الحاء : وهى جمع حظ بفتحها ، وكان الجمع في الأصل أحظ على وزن أفعل فحذفت الهمزة تخفيفاً والأحاطى جمع الجمع ، والأقسام جمع قسم : بكسر القلف وسكون السين . والحدود جمع جد : بفتح الجيم وهو الحظ .

والأرزاق ، فقد تكون المرأة منزورة^(١) الصداق ، واقعة بالوفاق ، وقد تكون ناقصة المقة^(٢) ، وإن كانت زائدة الصدقة . فشبّه ذلك عليه الصلاة والسلام بسقيا الله يُرزقهما واحد ويحرّمها آخر ، ويصاب بها بلد ، ويمنعها بلد . وهذه من أحسن العبارات عن المعنى الذى أشرنا إليه ، ودلّلنا عليه^(٣) .

١٤٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى جملة كلام ضربه مثلاً : « إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الْإِسْلَامَ دَاراً ، وَالْجَنَّةَ مَأْدُبَةً ، والداعى إليها محمداً صلى الله عليه وآله » ، وهذا الكلام مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام أقام الإسلام مقام الدار المنتجعة^(٤) ، والجنة مقام المأدبة المصطنعة^(٥) ، والنبي عليه الصلاة والسلام مقام الدال عليها ، والداعى إليها . وإنما شبّه عليه الصلاة والسلام الإسلام بالدار

(١) أى قليلة الصداق .

(٢) المقة : الحب .

(٣) مافى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه النساء بالمطر الذى ينزله الله على من يشاء من عباده بدون جهد منهم ولا تعب ولا تفكير وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : فإنما هى — أى النساء — سقيا الله . فمن كان حظه حسناً جاءت زوجته مواظمة مطيعة محبة له حافظة لمرضه وماله منجبة نافعة ، ومن كان حظه غير ذلك جاءت زوجته بخلاف ذلك .

(٤) المنتجعة : أى المقصودة لطلب النجعة ، أى الطعام ، وأصل انتجم : طلب الكلاء .

(٥) أى المصنوعة المقامة للناس المدعون إليها .

من حيث كان^(١) جامعاً لأهليه ، حامياً لمن فيه ، وشبه الجنة بالمأدبة من حيث كانت مجتمع الشهوات ، وممتنع الاذات ، وشبه نفسه عليه الصلاة والسلام بالداعى إليها من حيث كان المرشد إلى الإسلام والهادى للأنام ، صلى الله عليه وآله الطيبين الأخيار^(٢) .

١٤٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَنَا الذِّيرُ والموتُ الْمَغِيرُ » ، وهذه من الاستعارات الناصعة ، والمجازات الواضحة لأن الاستعارة على ضربين : ظاهرة تعرف بجليتها^(٣) ، وغامضة يضطر إلى استنباط خبيتها^(٤) . فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه الموت الذى يطعم الثنايا ، ويطلب البرايا بالجيش المغير الذى يهجم هجوم السيل ، ويترك طروق الليل ، وشبه نفسه عليه الصلاة والسلام بالذير المتقدم أمامه ، يحذر الناس من فجئه ليمدوا العتاد ،

(١) الضير فى كان يعود إلى الدار لأنها تذكر وتؤثت ولكن تذكرها قليل .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث ثلاثة تشبيهات بليغة : حيث شبه الإسلام بالدار ، لأن فيه الأعمال التى تجلب الثواب والنعم ، وتشبيه الجنة بالمأدبة فى أن فيها ما لذ وطاب من أنواع المآكل والمشرب ، وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم بالداعى إلى المأدبة لأنه الذى يدعو الناس إلى الإسلام ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٣) أى بوضوحها وظهورها لا نحتاج إلى إعمال فكر ، ولا إلى روية فى فهم معناها .

(٤) الخية : أصلها الخيطة فصيغة بمعنى مفعولة ، أى يضطر سامعها إلى إعمال فكره ليستنبط المعنى الخبوء فيها . وقد سهلت الهزة فصارت ياء وأدغمت فى ياء خية . فصارت خية .

ويتزودوا الأزواد . وهذا القول منه عليه الصلاة والسلام تصديق لقول الله سبحانه فيه : « إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ » . وقد تكلمنا على هذه الآية في كتابنا الموسوم بمجازات القرآن . ويقال إنه عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الآية أتى على أبي قُبَيْسٍ ^(١) ونادى : يا صبا حاه ، فلما اجتمع الناس إليه قال لهم يا معشر قريش : لو كنت مخبركم بأن جيشاً يطلع عليكم من هذه الثنية أكنتم مُصَدِّقِي؟ قالوا أجل والله ما علمناك إلا صادقاً مصدقاً . قال : فإني نذير لَّكُمْ بين يدي عذاب شديد . فلما سمعوا ذلك انفضوا عنه أرتكاساً في الغواية ، واتباعاً للضلالة . ولقد أحسن صلى الله عليه وآله ضرب المثل لهم ، وسلك الطريق الأخصر في حياتهم ^(٢) وتقريب الأمر عليهم ، ولاكن عَشُوا عن النور الأبلج ، وأبوا غير الطريق الأعوج ^(٣) .

(١) أبو قبيس : جبلى بمكة سمي برجل من مذحج حداد ، لأنه أول من بنى فيه (أقام به) وكان يسمى الأمين لأن الركن كان مستودعاً فيه .
(٢) يقال حاشى الصياد الصيد : إذا جاءه من حواله ليصرفه إلى الحباله التي يقع فيها وهو واوى العين ، والأصل حوشى . وعلى ذلك فالحياسة أصلها الحواشة قلبت الواو ياء لوقوعها بعد كسرة . وهى عين لمصدر فعل أعلت فيه . والمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سلك الطريق الأخصر في جذبهم إلى الإسلام .
(٣) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهان بليغان ، حيث شبه الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغه قومه أحكام الإسلام وتحذيرهم من الموت على الكفر بالنذير بين يدي الجيش الذى يحذر هجومه ، وشبه الموت المغبر الذى يفاجئ الناس بإغارته عليهم واحتلال أوطانهم والاستيلاء على أموالهم وحذف وجه الشبه والأداة .

١٤٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في وصف الفرس الذي جاء سابقاً : « إِنَّهُ لَبَجَرٌ » ، وهذا مجاز ، وربما طعن بعض الجهال بمناذج كلام العرب في هذا القول بأن يقول : كيف شبه عليه الصلاة والسلام سرعة جري الفرس بالبحر والبحر راكد لا يجري ، وقائم لا يسرى ؟ فجوابه أن يقال : إنما شبه عاينه الصلاة والسلام اتساعه في الجري باتساع ماء البحر ، ألا تراهم يقولون إنه لواسع الخضر^(١) ووساع الخطو^(٢) يريدون هذا المعنى . والبحر في كلام العرب الشيء الواسع ، ومن هناك سموا البلدة المتسعة الأقطار بحراً ، وقد يجوز أن يكون المراد بتشبيهه بالبحر أن جريه غزير لا ينفد ، كما أن ماء البحر كثير لا ينضب . ويقال للفرس الكثير الجري : بحر وفَيْضٌ وَسَكْبٌ . وعلى هذا قول الشاعر :

* وَفِي الْبُحُورِ تَفَرَّقَ الْبُحُورُ *

قيل أراد الخيل السابقة التي تسبقها خيل أسبق منها ، فقد بان أن التشبيه واقع موقعه ، وأن الطاعن فيه لم يفهم غرضه^(٣) .

(١) الخضر : ارتفاع الفرس في عدوه ، أى واسع مسافة ارتفاعه عن الأرض أثناء عدوه وجريه .

(٢) أى واسع الخطو ، فوساع بمعنى واسع .

(٣) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الفرس السابق بالبحر ، ووجه الشبه ارتفاع الفرس في عدوه كما يرتفع موج البحر ، وسهولة جريه كما يجري ماء البحر سهلاً لا يوقه حاجز ، وحذف وجه الشبه والأداة .

١٤٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِيكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ أَحَاسِنُكُمْ ^(١) أَخْلَافًا الْمُوْطَّئُونَ أَكْثَافًا ^(٢) الَّذِينَ يَأْتُونَ وَيُؤْتُونَ . أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِيكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِيكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؟ الثَّرَاوُونَ الْمُتَفِيهِقُونَ » ، فقوله عليه الصلاة والسلام « الثرارون المتفهيقون » استعارة ، والمراد به الذين يكثرون الكلام ، ويتعمقون فيه طلباً للتكلف ، وخروجاً عن القصد ، وتباعداً عن الحق ، وأصل الثرار مأخوذ من العين الثرارة ، وهي الواسعة الأرجاء ، الغزيرة الماء . يقال : عين ثرة وثرارة ، وبذلك سمي الثرار ، وهو النهر المعروف بالشام ، وقال الأخطل :

لعمري لقد لآقت سليمٌ وعامرٌ على جانب الثرار راغية للبكر ^(٣)
قال المبرّد : وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظ الثرارة ، ولكنها في معناها . وقوله عليه الصلاة والسلام : « المتفهيقون » يريد به ما يريد بقوله : « الثرارون » ، ومتفهيق

(١) أحسن : جم أحسن .

(٢) الكنف : الجانب ، والموطئون ، الذين يبطأ الناس أي يدوسون جانبهم وناحيتهم فلا يؤذون ولا يزجون ، والمراد لين الأخلاق وعدم شراستها .

(٣) البكر : للفق من الإبل ، والراغبة : الصوتة التي ترضى ، والثرار : نهر بالشام .

مُتَّفِعِمِلْ مِنْ قَوْلِهِمْ : فَهَقَّ الْغَدِيرَ يَفْهَقُ : إِذَا كَثُرَ مَائِهِ ، وَطَمَّتْ ^(١)
جَمَاتُهُ ^(٢) .

١٤٧ — وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي وَصِيَّةٍ لِمَعَاذِ
ابْنِ جَبَلٍ : « وَأَمِيتْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَا حَسَنَ » ، وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ
وَالْمُرَادُ تَوْصِيَّتُهُ بِأَنْ يَحِيلَ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ ، بِنَقْضِ أَحْكَامِهَا وَخَفْضِ
أَعْلَامِهَا ، حَتَّى يُنْفِى ذِكْرُهَا ، وَيَعْفُو أَثَرُهَا ، فَيَتَكُونُ كَالْمَيْتِ الَّذِي

(١) طمَّت : أَيْ زَادَتْ وَمَلَأَتْ ، وَالْجَمَاتُ : الْمِيَاهُ الْجَارِيَةُ فِي الْغَدِيرِ ، أَيْ
لِذَا زَادَ مَائُهُ .

(٢) مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّرِيفُ اسْتِعَارَتَانِ تَبْعِيَتَانِ فِي الثَّرَنَارُونَ ، وَفِي
الْمُتَّفِعِمِلْ . أَمَّا الْأُولَى : فَقَدْ شَبِهَ الرَّجُلَ كَثِيرَ الْكَلَامِ الْمَتَكَلِّفِ فِيهِ بِالنَّهْرِ الثَّرَنَارِ
الْكَثِيرِ الْمَاءِ بِجَمَاعِ الْكَثْرَةِ فِي كُلِّ ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَقَدْ شَبِهَ الرَّجُلَ الْمَتَحَذِّقَ فِي
كَلَامِهِ الَّذِي يَخْرُجُ الْحُرُوفُ قَوِيَّةً فِيهِ حَتَّى تَكَادُ تَمْلَأُهُ ، وَتَنْفُخُ خَدَيْهِ ، بِالْغَدِيرِ
الَّذِي يَزِيدُ فِيهِ الْمَاءُ حَتَّى يَمْلَأَ جَوَانِيهِ أَوْ يَكَادُ يَسِيلُ مِنْهَا ، أَوْ بِالْقَصْعَةِ الَّتِي تَمْتَلِئُ
بِالطَّعَامِ وَتَفْهَقُ بِهِ حَتَّى يَكَادُ يَجَاوِزُ جَوَانِبَهَا بِجَمَاعِ الْإِمْلَاءِ وَالزِّيَادَةِ فِي كُلِّ ،
وَاسْتَعِيرَتِ الثَّرَنَارُ لِلْكَلَامِ الْكَثِيرِ ، وَالْفَهْقَةُ : اِمْتَلَاءُ الْفَمِ بِالْكَلَامِ ، وَاشْتَقَّ مِنْ
الثَّرَنَارِ ثَرَنَارٌ ، وَمِنْ الْفَهْقَةِ مُتَّفِعِمِلْ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ .

وَفِي الْحَدِيثِ اسْتِعَارَةٌ أُخْرَى لَمْ يَذْكُرْهَا الشَّرِيفُ ، وَهِيَ الْمَوْطُونُ أَكْنَافًا :
فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ ، لَيْنُوُا الْأَخْلَاقِ ، فَشَبِهَ لَيْنَ الْأَخْلَاقِ بِتَوَطُّؤِ الْجَانِبِ ، وَاشْتَقَّ
مِنَ التَّوَطُّؤِ بِمَعْنَى اللَّيْنِ ، الْمَوْطُونُ بِمَعْنَى اللَّيْنِ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ . وَبِجُوزِ
أَنْ تَكُونَ كُنَايَةً فَتَكُونَ حَوَانِبَهُمْ مَوْطُوءَةً حَقِيقَةً ، وَلَكِنْ الْمُرَادُ لَيْنُ الْأَخْلَاقِ ،
فَكَفَى عَنْ لَيْنِ الْأَخْلَاقِ بِتَوَطُّؤِ الْجَانِبِ .

نسى ذكره ، وانقطع خبره ^(١) .

١٤٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ » ، وهاتان استعارتان إحداهما : قوله عليه الصلاة والسلام : « الصوم جنة » . والمراد أن الصائم الذي يُخلص في صومه ، ويستكمل آخر يومه يكون بالإخلاص في ذلك الصوم كأنه قد لبس جُنَّة من العقاب ، وأخذ أماناً من النار . وللصوم منزلة على سائر العبادات في هذا المعنى ، وإن كانت إذا أدبت على شروطها بهذه الصفة . وذلك أن الصيام لا يظهر أثره بقول اللسان ولا فعل الأركان ، وإنما هو نية في القلوب وإمساك عن حركات الطعام والمشرب . فهو يقع بين الإنسان ، وبين الله حالصاً من غير رياء ولا نفاق ، وسائر العبادات وضروب القرب والطاعات قد يجوز أن يفعل على وجه الرياء والسمعة دون حقائق الإخلاص والطاعة ، وقال لي أبو عبد الله محمد بن يحيى الجرجاني الفقيه : عند أصحابنا أن الصلاة أفضل من الصيام لأنها تتضمن ما في الصيام من الإمساك ، وفيها مع ذلك الخشوع وتلاوة القرآن ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « لَا يَزَالُ الْبَدَنُ فِي جِهَادِ الشَّيْطَانِ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ » ،

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه ترك أمر الجاهلية نسباً بالإمانة بجامع عدم الأثر في كل ، واستعار الإمانة للترك والنسيان ، واشتق منها أمت بمعنى أترك على سبيل الاستعارة التبعية .

فجعل الصلاة أيضاً تتضمن معنى الجهاد . فأما ما روى في الخبر من أنه عليه الصلاة والسلام قال حاكياً عن الله تعالى : « كلُّ عَمَلٍ ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » . فليس ما فيه من تفضيل الصوم بدالٍ على أن غيره من العبادات ليس بأفضل منه ، وإنما وجه اختصاصه بالذكر من بين العبادات على التعظيم له لأجل ما قدمنا ذكره من أنه لا يفعل إلا على محض الإخلاص ، ولا يتأتى في حقيقته شيء من الرياء والنفاق ، وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لَيْسَ فِي الصَّوْمِ رِيَاءٌ » ، وهذا بيان للمعنى الذي تكلمنا عليه . وحكى عن سفيان بن عيينة في تفسير هذا الخبر أنه قال : الصوم هو الصبر ، لأن الإنسان يصبر عن المطعم والمشرب والمنكح ، وقد قال تعالى : « إِنَّمَا يُؤَنَّ فِي الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . يقول : فتواب الصوم ليس له حساب يعلم من كثرت على قدر كلفته ومشقته . والاستعارة الأخرى قوله عليه الصلاة والسلام : « والصدقة تطفي الخطيئة » ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام جعل الخطيئة بمنزلة النار من حيث كانت مفضية إلى عذاب النار ، وجعل الصدقة مظنة لها ، إذا كثرت فأثرت في سقوط عقابها . وهذا القول يصح على طريقة من يقول بالموازنة^(١) ، فإذا كان عقاب الخطيئة مائة

(١) القول بالموازنة رأى لبعض المعتزلة ، ومعناه : أن السيئة توازن الحسنة فتسقط السيئة بالحسنة ، أى يسقط عقاب هذه بثواب تلك ، ولكن رأى الراجح أن الحسنات يذهبن السيئات لا على طريق الموازنة ، بل قد تسقط حسنة واحدة سيئات كثيرة ، وقد لا تعدل حسنات كثيرة سيئة واحدة ، وإنما تقدر الحسنة بما فيها من عموم الخير وتقدر السيئة بما فيها من فظاعة الشر .

جزء ، وكان ثواب الصدقة خمسين جزءاً سقط من أجزاء العقاب ، بقدر أجزاء الثواب . فكان للصدقة بنقصانها من قدر العقاب ، قد أطفأت وقْدته ، وكسرت سَوْرته ، وكان أبو هاشم يختار في الإحباط والتفكير الموازنة ، وكان أبو علي يقول : إن الزائد يسقط الناقص من الثواب والعقاب ، لا على طريق الموازنة ، ولا يجوز أن يتساوى ما يستحق على الطاعة ، وما يستحق على المعصية . لأنهما لو تساويا لسقطا ، فلم يكن المكاف مستحقاً للحد ولا ذم ، ولا مستوجباً لثواب ولا عقاب ، وقد آمنا الاجماع على ذلك ، فالأمة مجمعة على أن كل من كلفه الله سبحانه في الدار الدنيا ، فهو في يوم المعاد في إحدى الدارين مثاباً أو مُعاقباً ، ويبين ذلك قوله سبحانه : « فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ » ، والكلام على تفصيل هذه الجملة يخرجنا عن غرض الكتاب ، ويدخلنا في باب الاطفاًب^(١) .

١٤٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : الكعب بن

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ؛ واستعارة مكنية وتبعية . أما التشبيه البليغ : فهو في قوله صلى الله عليه وسلم : « الصوم جنة » أي الصوم كالجنة ، وهي الستر الذي يحجب الإنسان أي يستره . فكما أن الجنة تستر ، كذلك الصوم يمنع العذاب ويستر منه . وأما الاستعارة المكنية والتبعية : فهي في تطفئ الحطيطه ، حيث شبه الحطيطه بالنار في ضررها ، وحذفها ورمز إليها بشيء من لوازمها وهو الإطفاء ، وشبه إحباط عقاب الحطيطه لإذهاب أثره بإطفاء النار ، واشتق من الإطفاء بمعنى لإذهاب الأثر ، تطفئ بمعنى تذهب الأثر على طريق الاستعارة التبعية .

مُجْرَمَةٌ « يا كَتَبَ بْنَ مُجْرَمَةٍ : النَّاسَ غَادِيَانِ ، فغَادٍ مُبْتَاعٌ ^(١) نَفْسُهُ فَمُعْتَقُهَا ، وَغَادٍ ^(٢) بَالِعٌ نَفْسَهُ فَمَوْبِقُهَا » ^(٣) وهذه استعارة ، والمراد أن أحدهما عصم نفسه من اتباع الشهوات ، وركوب الموبقات ، وقام بوظائف الواجبات فأمن ضرر العقاب ونقاش الحساب . فكأنه ابتاع نفسه بذلك فأعتقها واستشلاها ^(٤) واستنقذها ، والآخر أتبع نفسه هواها ^(٥) ، وأوردها رداها بالتهوؤك ^(٦) في المغاوى والارتكاس ^(٧) في المهاوى ، والتقاس ^(٨) عن الواجبات ، والإسراع إلى المقتبحات ، فكأنه باع نفسه بذلك فأوبقها ، وعرضها للهلكة فأوردها . وهذه من أحسن العبارات عن المطيع الناجي بطاعته ، والعاصي الهالك

(١) مُبْتَاعٌ : أى مشتر نفسه فعتقها من العذاب ، كما يشتري الإنسان العبد فيعتقه من الرق والعبودية .

(٢) الغادى : هو المسافر في وقت الغدوة ومضى أول النهار ، أو ما بين صلاة الفجر إلى طلوع الشمس ، والمراد الناس صنفان أو نوعان سائران في الحياة على طريقتين مختلفتين .

(٣) موبقها : مهلكها ، يقال أوبق نفسه : أهلكها ، فهو موبقها : أى مهلكها .

(٤) استشلاها : دعاها لينجيتها من الضيق والهلاك .

(٥) أى جعل نفسه تابعة لهواها .

(٦) التهوك : التهور ، وقد سبق بيانه في هذا الكتاب .

(٧) الارتكاس : الوقوع ، وقد سبق بيانه أيضاً .

(٨) التقاس : الرجوع وعدم الإقدام .

بمعصيته (١) .

١٥٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إن من أشرَّ أطِ السَّاعةِ سُوءُ الجِوَارِ ، وقَطِيعَةِ الأَرْحَامِ ، وَأَنْ يُعْطَلَ السَّيْفُ من الجهاد ، وأنْ تُخْتَلَّ الدُّنْيَا بالدِّينِ » ، والكلمة الأخيرة داخلة في باب المجاز ، والمراد بها الفهى عن طلب منافع الدنيا وحُطامها ، واستدرار أحلابها وموادها ، بإظهار الورع ، وإبطان الطمع ، فكأن الإنسان بذلك يَخْتَلُّ الدُّنْيَا ليرمى ثغرتها (٢) ، وبصيب غرَّتْهَا (٣) ، كالصائد الذى يَخْتَلُّ (٤) الوحش بضروب الحَيْلِ حتى يَعْلَقَ في حباله ، وَيَنْشَبُ في أشراكه ، وعلى ذلك قول السَّكْمِيَّتِ بن زيد :

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث أربع استعارات تبعية : الأولى في مبتاع بمعنى مشتر ، حيث شبه من يربأ بنفسه عن المعاصى ويحملها على الطاعات بالمشتري لنفسه ، واشتراؤه لنفسه يمنعها من العذاب ، فكأنه يعتقها من العبودية للشيطان الذى يجرها إلى المعاصى ، وهذه هى الاستعارة الأولى ، الثانية في معتقها . والثالثة في بائع نفسه ، حيث شبه تارك نفسه بدون كبح عن المعاصى وحاملها تسلسل فيها : ببائع نفسه بجامع التسليم في كل . والاستعارة الرابعة في قوله موبقها : أى يميته حيث شبه من يترك نفسه للمعاصى بميمتها بجامع الهلاك في كل ، لأن المعصية سبب الهلاك والآخرة ، واشتق من المصادر مبتاع بمعنى جاذب نفسه ناحية الطاعة . ومعتق بمعنى معطيها الحرية ومنعها من العذاب ، وبائع بمعنى مسلم نفسه وتاركها ، وموبقها بمعنى مسبب هلاكها على طريق الاستعارة التبعية في الجميع .

(٢) الثغرة : هى نقرة النحر الذى إذا وصلت إليها السهام قتلت .

(٣) الغرة : الغفلة .

(٤) يختله : يخدعه .

وإِنِّي عَلَىٰ حُبِّهِمْ مُوَدَّةٌ وَأَتَطَلَّعُ

إِلَىٰ نَصْرِهِمْ أَمَشَى الضَّرَاءُ ^(١) وَأَخْتَلَّ ^(٢)

وقد يجوز أن يكون المراد ، وأن يختل أهل الدنيا بالدين ،
فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه على مثال قوله سبحانه :
« وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ » وهذا النوع في الكلام لا يحصى كثرة ^(٣) .

١٥١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام طويل
« وَلَا تَكَلِّمِ الْيَوْمَ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا وَأَخْزُنْ لِسَانَكَ »
وهذه استعارة ، والمراد بخزن اللسان حفظ فلتاته ، وكفّ بجماعته
حتى لا يسرع إلى ما تسوء مغيبته ، ولا تؤمن عاقبته ، فأقام عليه
الصلاة والسلام ضبط اللسان عن ذلك مقام الخزن له ، فأجراه مجرى
للمال الذي يحفظ فلا ينفق في الوجوه المفسدة ، والخارج المضرة
ولا يكون إنفاقه إلا فيما جرت منفعة ، أو دفع مضرة ^(٤) .

(١) قال في القاموس : الضراء : الاستخفاء .

(٢) أختل : أخدع وأناق .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز عقلي ، والأصل يختل أهل الدنيا ، فحذف أهل وأسند الفعل
إلى الدنيا ، والعلاقة المحلية أو الظرفية لأن الدنيا ظرف لأهلها .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه حفظ اللسان عن المزالق وعدم التكلم
إلا لنافع ، بخزن المال وعدم إنفاقه في غير المصالح بجامع الحبس في كل ، واشتق
من الخزن بمعنى المنع ، أخزن بمعنى امنع واحفظ على طريق الاستعارة التبعية .

١٥٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من جملة كلام :
 « الْعِلْمُ خَلِيلُ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ ، وَالْعَقْلُ دَلِيلُهُ ، وَالْعَمَلُ قِيَمُهُ ، وَاللِّينُ أَخُوهُ ، وَالرَّفْقُ وَالذُّهْ ، وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ » ،
 وهذه الألفاظ كلها مستعارة ، ونحن بتوفيق الله نتكلم عليها ، ونبين
 مواضع الاستعارة منها ، فالمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « العلم
 خليل المؤمن » أنه يأنس به من الوحشة ، ويسكن إليه في الوحدة
 كما يأنس الخليل بخليله ويسكن الحميم إلى حميمه . والمراد بقوله عليه
 الصلاة والسلام : « والحلم وزيره » أنه يقوى به على الأمور ،
 ويوازره على كظم المكروه ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام :
 « والعقل دليله » أنه بالعقل يهتدى في ظلم المشكلات ، وينجو من
 مضايق العمرات ، فهو كالدليل الذي يُرشد في المضال ، ويجنب عن
 المزال . والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « والعمل قيمه » أن
 العمل يشقف ميله ، ويقوّم زلله ويسدّ خَلَلَه ، فهو كالقيّم الذي يأتي
 لمصالح ما يقوم عليه ، ومراشد ما يوجب كل إليه ، والمراد بقوله عليه الصلاة
 والسلام : « واللين أخوه » أن اللين يفيده مؤاخاة الإخوان
 ومخالصتهم ، ويحفظ عليه صفاءهم ومودّتهم ، فجعله عليه الصلاة
 والسلام أخاه من حيث كان سبباً لاجتلاب الإخوان إليه ، وحفظ
 المودّات عليه ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « والرفق والده »

كالمراد بقوله : واللين أخوه ، لأن الرفق يقبل إليه بالقلوب ، ويَنظَرُ^(١) عليه كوامن الصدور ، فيصير كل واحد في الحنفية عليه ، والميل إليه كالوالد الرؤوف ، والجدّة العطوف ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « والصبر أمير جنوده » أن الصبر ملاك أمره ، وشداد أزره ، وبه تُبلغ الآراب ، وتذكر الحباب ، فهو كأمر جنده الذي يقوى به على أعدائه ، ويصل به إلى أغراضه وطلباته . وقد يجوز أن يكون المراد أن الصبر رأس خلاله ، ورئيس خصاله ، فهو متقدم عليها ، وكالأمير لسايرها ، كما أن الأمير متقدم على رعيته ، وله شأن على من في طبقة^(٢) .

١٥٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في جملة كلام : « وَالْمُهْلِكَاتُ شُحٌّ مُطَاعٌ ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » ، فقوله عليه الصلاة والسلام : « شح مطاع » استعارة كأنه أقام الشح مقام الأمر بالإمساك ، والخوف من عواقب الإنفاق ، وأقام البخيل

(١) ينظر : يعطف وهو متعد ، أى يعطف كوامن الصدور عليه ، ويجعل ميلها إليه . وقد سبق مثل ذلك في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابن كلب في قوله « ومن ظأره الإسلام من غيرها » أى ومن عطفة الإسلام عليه .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث سبعة تشبيهات بليغة ، حيث شبه العلم بالحنيل ، والحلم بالوزير ، والعقل بالدليل ، والعمل بالقيم الذي يقوم على شئون الشخص ، واللين بالأخ ، والرفق بالوالد ، والصبر بأمير الجنود ، وقد بين الشريف أوجه الشبه في كل منها وقد حذف وجه الشبه والأداة .

مقام المطيع لأمره ، والمتصرف على حكمه . وقد بين عليه الصلاة والسلام ذلك في خطبة له ، فقال : « وإياكم والبخل فإنه أهلك من كان قبلكم . أمرهم بالقطيعة ففقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا » فبين عليه الصلاة والسلام كيف يكون البخل آسراً مطاعاً وقائداً متبوعاً . وهذه أيضاً استعارة أخرى لأن البخل على الحقيقة لا يكون آسراً ناهياً ، ولا قائداً مخاطباً . والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « أمرهم بالقطيعة فقطعوا » أن البخلاء يضنون بما لهم على أهل الحاجة من أقربائهم ، وأولى الخلّة ^(١) من ذوى أرحامهم ، فيكفونون بذلك قاطعين للرحم القريبة ، وعاقبين لأعراق الوشيعة ^(٢) والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « وأمرهم بالفجور ففجروا » أن البخل حتن لهم منع الأموال من الإنفاق في الحقوق ، وإسلاكها ^(٣) سبل المعروف ، فأجرى عليهم لهذه الحال اسم الفجور ^(٤) .

(١) الخلّة : الفقر والاحتياج ، وأصلها الثقب في الشيء ، وشبهت بها الحاجة في كونها نقصاً في الإنسان .

(٢) الوشيعة : الصلة والقرابة ، وأصل الوشيعة عرق الشجرة ، شبهت بها القرابة في كونها توصل المودة كما توصل عروق الشجرة الغذاء .

(٣) أى لإدخالها طرق المعروف .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه مير الإنسان على طبيعة البخل فيه بعدم إنفاق المال بإطاعة البخل ، ويتضمن ذلك تشبيه البخل بالمرءوس ، والبخل بالرئيس أو بالجندي والأمير ، واشتق من الإطاعة مطاع بمعنى مسير على نهجه على سبيل الاستعارة التبعية .

١٥٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الكلمةُ الحكيمةُ ضالةُ الحكيمِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فهو أحقُّ بها » ، وهذه استعارة . وذلك أنه عليه الصلاة والسلام جعل الكلمة الحكيمة للحكيم بمنزلة الضالة التي هو ناشد لها ، وساعٍ في طلبها ، لأنها أشبه بمحكمة ، وأولى بالانضمام إلى أخواتها في قلبه ، فحينما سمعها من قائل حكيم أو مرشدٍ غير رشيد ، فهو أحقُّ بالحيازة لها والغلبة عليها . ويشهد بذلك ما روى في الحديث الآخر : « إِنَّ الْكَلِمَةَ الْحَكِيمَةَ تكون في قلب المنافق ، فلا تزال تنزعُ حتى تُلحَقَ بصواحباتها في قلب المؤمنِ » ، فكأنها جعلت في قلب المنافق بمنزلة الغريبة التي هي في غير وطنها ، ومع غير أهلها ، وجعلت في قلب المؤمن بمنزلة المستقرّة في الوطن ، والساكنة إلى السكن . وهذه أيضاً استعارة أخرى ^(١) .

١٥٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في خطبة له : « أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَحَلَتْ ^(٢) مُذْبِرَةً ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ ارْتَحَلَتْ »

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ حيث شبه الكلمة الحكيمة بالدابة الضالة التي ينشدها صاحبها ويطلب ردها عليه في أنه أولى بها وأحقُّ وأنه صاحبها ، وحذف وجه التشبيه والأداة .

(٢) قد ارتحلت ركبت الراحلة والمراد هنا قاربت على الانتهاء ، وكذا يقال في ارتحلت مقبلة .

مُقْبِلَةً « وهذه استعارة لأنه عليه الصلاة والسلام جعل الدنيا بمنزلة الهارب المولّى ، والآخرة بمنزلة الطالب المُجَلّى ^(١) . وذلك من أحسن التمثيلات ، وأوقع التشبيهات ، لأن أبناء الدنيا بمثابة الهاربين من علائق الحُمام ، وبوائق الأيام ، والموت الذى هو من أسباب الآخرة بمنزلة المغير على الأرواح ، والمهاجم على الآجال ، وهذه الصفة مستمرة للدنيا فى شبابها قبل أن تَهْرَم ، وفى ابتداء مدتها قبل أن تنصهرم ، لأن كون الموت طالباً لأهلها ، ومبداً لشملها ، معلوم من أوّل إنشائها ، وتصوير أبنائها ، وقد يجوز أن يكون المراد بارتحال الدنيا مدبرة معنى آخر يختص بحال الدنيا فى أواخر مدتها ، وعند تنافى غايتها . وهو أن توصف بنصهرم الأمد ، ونقصان العدّد ، كما يقول القائل : قد ارتحل عُمر فلان . وقد أدبرت مدّة فلان إذا مضى عنفوان أيامه ، وقربت أوقات حَمَامِهِ . ويروى هذا الكلام على تغيير فى ألفاظه لأمر المؤمنين على بن أبى طالب عليه الصلاة والسلام ، وقد أوردناه فى كتابنا الموسوم « بنهج البلاغة » ، وهو المشتمل على مختار كلامه عليه السلام فى جميع المعانى والأغراض والأجناس والأعراض ^(٢) .

(١) المجلى : أى الذى ينظر ببصره إلى من يطلبه ، يقال جلى ببصرة تجلية : ذارى به .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :
فى الحديث استعارة تبعية فى قوله ارتحلت ، لأن معنى ارتحلت ركبت الراحلة =

١٥٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الاحتباء حيطانُ العرب ، والعمائم تيجانُ العرب » ، وهاتان استعارتان مجبيتان ، فأما قوله عليه الصلاة والسلام « الاحتباء حيطان العرب » فإنما أراد به أنها إذا استعملت الحبوطة في قعودها ، قامت لها مقام الحيطان في الاستناد إليها ، والاعتماد عليها ، كما تنسند الظهور إلى الجدران ، أو كما يستروح الجِراب إلى الأُجْذال ^(١) ، وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « والعمائم تيجان العرب » فإنما أراد أن بهاء العرب يكون بعمائمها ، كما يكون بهاء ملوك العجم بتيجانها ، فإنَّ العمائم تخصَّ الهامة ، وتتمم القامة ، وتنفخ الجلسة ، وتوقر الجملة ، حتى إن العرب لتقول على المتعارف بينها : ماسقةٌ مُعْتَمِّةٌ قط . ولهذا المعنى فسر قول الفرزدق :

إذا مالكٌ ألقى العمامةَ فاحذروا بوادر كَفِّيْ مالِكٍ حينَ نُعْصَبُ ^(٢)

أراد أنه إذا ألقى العمامة طاش حلمه ، وخيف سطوه ، ومادام مُعْتَمِّمًا ، فهو مأمون الهفوة ، ومغمود السطوة ، على مجرى عادتهم ،

== فشبه قرب انقضاء الدنيا بالارتحال للادبار والذهاب بجامع قرب الغاية في كل ، واشتق من الارتحال بمعنى القرب ، ارتحل بمعنى قرب على طريق الاستعارة التبعية ومثل ذلك ارتحلت مقبلة ، أى قرب أوانها .

(١) الجراب : أى الإبل الجربي ، والأجْذال جمع جذل : وهو عرق الشجر تحكك به الإبل الجربي لتستريح من أكل الجرب في أجسامها .

(٢) عصب الكفين : معناه شدهما بالمصابة ، وهذا كفاية عن قوتها وشدهما .

وعُرِفَ طريقَتهم ، وقد فسر أيضاً قول الآخر :

أنا ابنُ جلا وطلاءُ الثُّنَايا متى أضعَ العِمَامَةَ تَعْرِفُونِي ^(١)

على مثل هذا المعنى ، فكأنه توعدهم عند إلقاء العمامة ببيادرتة ، وأن يُفِيضَ عليهم ما يَسْتَجِمُّه ^(٢) من مثابة سطوته . وقوله : تعرفوني ليس يريد العرفان الذى هو ضدَّ الإنكار ، وإنما أخرجه مُخْرِجُ الوعيد ، وأطلعه مطلع التهديد ، كما يقول القائل لغيره إذا أراد هذا المعنى : ستعرفنى أو أما تعرفنى ، والمراد ستعرف عقوبتى ، أو أما تعرف غضبى وسطوتى ^(٣) .

١٥٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « المَجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ » وهذا مجاز ، والمراد من امتنع من مواجهة المعاصى

(١) يستجيمه : أى يخزنه ويدخره ، وأصل المثابة من اللبث منلغ جوم مائها أى اجتماعه ، أى ما يخزنه مما اجتمع من سطوته .

(٢) ابن جلا : هو الرجل الواضح الأمر ، أى أنا رجل معروف أمرى مشهور بالقوة والردع ، وقد شرح الشريف وضع العمامة بمعنى ذهاب الحلم ، وهذا أحسن مما شرح به غيره من وضع العمامة معناه لبس لأمة الحرب ، لأنه يريد أن يقول لأهل العراق : لا تخرجوني عن حلمى فإننى إذا خرجت عن حلمى عرقتم مبلغ تنكيل بكم وبطشى .

(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيهان بليغان ، حيث شبه الحبة وهى ما يجمع به الساقان إلى الظهر من عصاة ونحوها ، بالحائط الذى يستند إليه الإنسان فلا يميل ، ويكون ثابتاً فى مجلسه بجامع الثبات فى كل ، وشبه العمامة بالتاج فى كونها زينة الرأس كما أن التاج زينة الرأس وحذف وجه الشبه وأداته .

أُتُوْبَقَة ، واستمعصم من الخطايا المُرْدِيَةِ ، فجعله عليه الصلاة والسلام بمنزلة من بَرَزَ له قِرْنٌ يَنَازِلُه ، وعدوّ يَقاتِلُه ، لما يعاينُه من المشقة في مغالبة نوازع قلبه ودواعي نفسه ، وما يَعرُكُه من أديمها^(١) ، ويَعْلُكُه من شَكِيمها^(٢) .

١٥٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في خطبة طويلة « والنِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ » ، وهذه من أحسن الاستعارات ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام جعل النساء من أقوى ما يصيد به الشيطان الرجال ، فهنّ كالحبائل المبتوثة ، والأشراك المنصوبة ، لأنهنّ مظانّ الشهوات ، ومقاود الخطيئات ، وهنّ يُسْتَخَفُّ الركين^(٣) ، وَيُسْتَخْوَنُ الأمين^(٤) .

(١) عرك أديم نفسه : دلّكه ، ومعنى ذلك أنه هذبها وذللها .

(٢) الشكيم : الحديد التي تسكون في فم الفرس من اللجام ، وعلك الفرس الشكيم : تلويكه في فمه ، وهذا معالجة له وتليين ، كأن الإنسان يلين نفسه حتى تقبل على غير عاداتها .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث : استعارة تبعية ، حيث شبه مخالفة النفس والابتعاد عن أغراضها بالجهاد الذي يكون بين المتحاربين بجامع الإخضاع في كل ، واشتق من الجهاد بمعنى الإخضاع ، جاهد بمعنى أخضع ، على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) الركين : الرزين ، وأصله الجبل العالي الأركان .

(٤) يستخون : أي يرى خائناً .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه النساء بالحبائل وهي المصائد التي تنصب لصيد الحيوانات بجامع الإيقاع في كل ، فالحبائل توقع الصيد فيها ، والنساء توقع الإنسان في المعاصي ، وحذف وجه الشبه والأداة .

١٥٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام :

وَالشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ « وهذا القول مجاز ، والمراد أن الشباب يحسن القبيح ويسفه الحليم ، ويحل مُسْكَةَ التماسك ، ويكون مذراً للمتهالك^(١) ، فمن هذه الوجوه يشبه صاحبه بالسكران من الخمر ، والمغلوب على العقل ، ومن هناك قيل : الشباب كسكر^(٢) شراب ، وعلى ذلك قول الشاعر :

نَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا^(٣)

١٦٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَلَا إِنَّ

مَغْضَبَ جَمْرَةٍ تَوْقَدُ فِي جَنْبِ ابْنِ آدَمَ ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ
أَنْتِفَاحِ أَوْ دَاجِهِ . في حديث طويل » ، وهذه استعارة ، كأنه عليه

(١) يقال تهالك الفراش : تساقط ، والمراد به هنا التساقط في المعصية .

(٢) السكر : ففتح السين والكاف ، والسكر بضم السين وسكون الكاف :

في غياب العقل بالسكر ، وهو أيضاً الخمر ، والكلام هنا يحتمل المعنيين ، أى شباب كغياب العقل بالشراب ، أو كالخمر الذى يغيب العقل .

(٣) شرح الشباب : أوله ، والشعر الأسود : المراد به القوة ، لأنه مادام

عمر الإنسان أسود فهو غير عجوز ، أى هو قوى ، ويعاض : يعوض عن نزواته
من يشغل بشئ نافع ، ويلاحظ أن لم هنا لم تجزم الفعل المضارع لأنها أهملات حلا
في ما النافية ، ولو جازمت لقليل مالم يعض يحذف الألف وسكون الضاد ، وقد
سقط الضاد مع أن الكثير عند الإهمال رفع الفعل ، وقد وردت يعاض بالضاد
هائلة في الطبعين السابقتين على هذه الطبعة وهو تحريف .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الشباب بأنه شعبة من الجنون في تحسين القبيح
تفتيح الحسن وحذف وجه الشبه والأداة .

للصلاة والسلام جعل احتياج الطبع ، واحتدام الغيظ ، بمنزلة الجمر التي تنوقد في جوف الإنسان ، فيظهر أثر انقادها في احمرار عينيه واختناق وريده . فلا تزال كذلك حتى يطفئها برُءُ الرضا ، أو عواطف الحلم والبُقية^(١) .

١٦١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَلِمُّ رَائِدٌ وَالْعَدْلُ سَائِقٌ ، وَالنَّفْسُ حَرُونٌ » وهذا الكلام مجاز ، وذلك أنه عاينه الصلاة والسلام شبه علم الإنسان بالرائد الذي يتقدم أمام الحو فيدلهم على المنزل الوسيم ، والمرعى المريع ، لأن العلم يأخذ بصاحب إلى المناجى^(٢) ، ويعدل به عن المغاوى^(٣) ، وشبه العقل بالسائق يَحُثُّ الإنسان على سلوك النهج الأسلم ، وبمحله على الذهاب في الطريق الأفوم ، وشبه النفس بالدابة الحرون^(٤) ، لأنها تتقاعس^(٥) عن

(١) البقية : البقاء : أى لولا عواطف البقاء : أى الحياة .

ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الغضب بجمرة تنوقد فى جنب ابن آدم بجمام لحداث الألم وظهور الأثر فى العينين والأوداج ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٢) المناجى جمع منجاة : وهى مكان النجاة .

(٣) المغاوى جمع مغواة : وهى مكان الغواية .

(٤) الدابة الحرون : هى التى إذا أريد جريها وقفت ، والمصدر الحران يوزن ككتاب ورغاء ، يقال حرنت الدابة تحرن من باب نفر وكرم ، والحران خاص بذوات الحافر .

(٥) تتقاعس : تتراجع .

مرآشدها^(١)، وتُلذّع^(٢) بسوط الأدب ، حتى تسلك طرق مصالحها^(٣).

١٦٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كُلُّ وَاعِظٍ قَبِيلَةٌ » وهذا القول مجاز ، والمراد أمر الناس بالإقبال على الواعظ لهم ، والمتكلم بما يأخذ إلى الرشاد بأزماتهم ، إصغاءً إلى كلامه ، وتفهماً لمقاصد خطابه ، كإقبالهم على القبلة التي يصلّون إليها ويتوجهون نحوها ، ولا يجوز لهم الانحراف عنها^(٤).

١٦٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « نِعَمَ وَزِيرُ الْإِيمَانِ ، الْعِلْمُ ، وَنِعَمَ وَزِيرُ الْعِلْمِ الْحِلْمُ . وَنِعَمَ وَزِيرُ الْحِلْمِ الرَّفْقُ ، وَنِعَمَ وَزِيرُ الرَّفْقِ اللَّيْنُ » وهذا الكلام مجاز ، والمراد كل

(١) المرشد جمع مرشد : وهو مكان الرشيد ضد الفى .
(٢) اللذع فى الأصل : وضع طرف الميسم ، وهو المسكوة التى تكوى بها الدواب على الذابة ، وقد استعمله هنا الثمرى فى الضرب الشديد بالسوط ، وهو استعارة .

(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث ثلاث تشبيهات بليغة ، حيث شبه العلم بالرائد فى الدلالة على محاسن الأمور ، وشبه العقل بالسائق فى قيادة صاحبه إلى الطريق السليم ، وشبه النفس بالذابة الحرون التى يطلب منها الجرى فتقف ، ووجه الشبه مخالفتها لعقل صاحبها وعدم استجابتها له ، حتى يجاهدها ويحملها على ما يريد من الخير . وحذف وجه القبة والأداة فى كل .

(٤) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الواعظ بالقبلة فى وجوب الالتفات إليه والتوجه إلى وجهته وعدم جواز الانحراف عنه . وحذف وجه الشبه والأداة .

خَلَّةٌ من هذه الخلال المذكورة توازر صاحبها ، وتعاهد قرينتها
وتَقَوَّى كل واحدة منها بأختها ، كما يُوازر الرجل صاحبه على الأمر
يطلبه ، والعدو يُحاربُه ، فيشتمدُ متفانها^(١) ، وتَسْتَحْصِفُ^(٢) قَوَاهِمَا^(٣)

١٦٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « زَادُ الْمُسَافِرِ
الْحُدَاءُ^(٤) ، وَالشَّعْرُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِخْفَاءُ^(٥) » ، وهذا القول مجاز
والمراد أن التعلل بأغاريِد الحُدَاء ، وأنشيد القريض ، يقوم للمسافرين
مقام الزاد المبلِّغ في إمساك الأرماق^(٦) ، والاستعانة على قطع
المسافات ، وإلى هذا المعنى ذهب الشاعر بقوله :

(١) المتن : الظهر ، والمعنى أن الوزير ، وهو المعاون بشد أزُر من يعاونه
وكذلك الموازر ، أى المعان يشد أزُر الوزير ، فيكون التعاون شداً لظهر الاثنين
(٢) يقال : أحصفت الجبل إذا أحكم فتله ، والسين والتاء في تستحصف
للاصروزة ، أى تصير قواهما حصيفة ، أى محكمة لا يسهل نقضها .

(٣) مافى الحديث من البلاغة :
في الحديث أربعة تشبيهات بليغة : حيث شبه كل من العلم ، والحلم ، والرفق
واللين بالوزير ، بجامع المعاونة ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٤) الحداء بضم الحاء وكسرهما : سوق الإبل وزجرها ، والمراد به
ما يصاحب السوق من الغناء للإبل حتى تسترسل في مشيها ، ويسهل عليها الطريق
ويخف عنها التعب .

(٥) الإخفاء : الإخفاش ، وقد وردت هذه الكلمة في الطبعتين السابقتين
على هذه الطبعة « خفاء » بدون همزة في الأول وهو تحريف ، لأنه ليس في اللغة
خفاء ممدوداً .

(٦) الأرماق جم رمق : بفتح الراء والميم ، وهو بقية الحياة .

* إِنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقَرَى * (١)

١٦٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ عَدَّ غَدًا مِنْ أَجَلِهِ فَقَدْ أَسَاءَ مُحِبَّةَ الْمَوْتِ » وهذا القول مجاز ، لأنه عليه السلام أقام الموت للإنسان مقام العشير المحالم (٢) ، والرفيق الملازم ، وجعل من اغترّ بطول أجله واتساع مهله ، بمنزلة من أساء صحبة ذلك الرفيق المصاحب ، والخليط المقارب ، إذ كان الأولى أن يعتقد أنه غير مفارق له ، وأن المدى غير منفرج بينه وبينه ، وعلى ذلك قول الشاعر :

* وَالْمَنَايَا فَلَا تُدِ الْأَعْدَاقِ (٣) *

١٦٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَنَا مَدِينَةٌ

(١) لأن الحديث يسلى الضيف ويهون عليه الغربة ، كما يهون عليه الجوع إذا كان طعامه قد تأخر .

(٢) العشير المحالم : الملاطف المسلى .

ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الهداء بالزاد في أن الزاد يبقى حياة المسافر ، والهداء يبقى صبره وجلده على تحمل مشاق السفر ؛ وحذف وجه الشبه والأداة .

(٣) المنايا جمع منية : ومي الموت ؛ والقلائد جمع قلادة : ومي ما يزين به العنق . ومعنى البيت أن المنايا ملازمة للناس ملازمة القلائد للأعناق ؛ فهي معها في كل وقت .

ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية : حيث شبه ذنو الموت من الإنسان جداً بالصعبة بمجامع القرب والملازمة في كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه على طريق الاستعارة التصريحية .

العلم ، وَعَلَى بَابُهَا ، وَلَنْ تُدْخَلَ الْمَدِينَةُ إِلَّا مِنْ بَابِهَا » . وهذا القول مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام شبه علمه بالمدينة المحصنة التي لا يطمع طامع في دخولها ، ولا الوصول إليها إلا من بابها ، وأقام عليها أمير المؤمنين عليه السلام لتلك المدينة ، مقام الباب الذي يفتتح من جهته ، ويوصل إليها من ناحية ^(١) .

١٦٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِيكُلْ شَيْءَ وَجْهِ ، وَوَجْهُ دِينِكُمُ الصَّلَاةُ ، فَلَا يَشِينَنَّ أَحَدُكُمْ وَجْهَ دِينِهِ ، وَإِكْلُ شَيْءٍ أَنْفٍ ، وَأَنْفُ الصَّلَاةِ التَّكْبِيرُ » ، وهذا القول مجاز ، والمراد أن الصلاة يعرف بها جملة الدين ، كما أن الوجه يعرف به جملة الإنسان ؛ لأنها أظهر العبادات ، وأشهر المفروضات ، وجعل أنفها التكبير ، لأنه أول ما يبدو من أشراطها ، ويسمع من أذكارها وأركانها ^(٢) .

(١) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهان بليغان ؛ حيث شبه الرسول عليه السلام نفسه بمدينة العلم بجامع اشتغال المدينة على ما فيها واشتغاله صلى الله عليه وسلم على العلم الكثير ؛ حتى صار كأنه يعلو المدينة ؛ وشبه علياً عليه السلام بباب هذه المدينة بجامع التوصل في كل . فالباب يوصل إلى المدينة ؛ وعلي عليه السلام يوصل إلى علم الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وحذف وجه الشبه والأداة .

(٢) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهان بليغان ؛ حيث شبهت الصلاة بالوجه بجامع الأظهرية في كل كما قال الشريف ، وشبه التكبير بالأنف لأنه أبرز شيء فيها ، كما أن الأنف أظهر شيء في الإنسان ، وحذف وجه الشبه والأداة .

١٦٨ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَطْعِمُوا اللَّهَ يُطْعِمَكُمْ » وهذا القول مجاز لأنه سبحانه قال : « وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ » ، والمراد أطعموا فقراء الله الذين أمركم بإطعامهم ، وجعلكم سبباً لأرزاقهم ، يجازكم على ذلك بجزيل الثواب ، ويكثر لكم من الأخلاف ^(١) والأغواض ^(٢) .

١٦٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْعِلْمُ خَزَائِنُ وَمِفْتَاحُهَا السُّؤَالُ ، فَاسْأَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَإِنَّهُ يُؤْجِرُ أَرْبَعَةً : لِسَائِلٍ ، وَلْمُجِيبٍ ، وَلْمُسْتَمِيعِ ، وَلْمُحِبِّ أَمْرِهِمْ » وهذا القول مجاز ، والمراد تشبيه العلم في قلوب العلماء بالخزائن المستبهمة ، والأبواب المستغلفة ، وإنما تستفتح بسؤال السائلين ، ويستخرج ما فيها يبحث الباحثين ^(٣) .

(١) الأخلاف جمع خاف : وهو ما يخلفه الله على المنفق بدل ما أنفق ، والأغواض جمع عوض : وهو ما يعوض الله للمنفق عما أنفق ، وكانت واو العطف ساقطة في الطبعتين السابقتين على هذه الطبعة .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه لإرضاء الله بإطعام الفقراء بإطعامه تعالى بجامع أن في كل ما يجلب السرور ، واشتق من الإطعام بمعنى الإرضاء ، أطعموا بمعنى أرضوا على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه العلم بالخزائن بجامع أن كلا منهما مغلق لا يفتح إلا بفتح ، ففتح الخزائن معروف ، وفتح العلم السؤال ، وشبه السؤال بالفتح بجامع أنه يوصل إلى العلم كما يوصل مفتاح الخزانة إلى ما فيها ، وحذف وجه الشبه والأداة .

١٧٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْمَوْتُ رَيْحَانَةٌ ^(١) الْمُؤْمِنِ » وهذا القول مجاز ، والمراد أن المؤمن يستروح إلى الموت تَفَوُّثًا ^(٢) من كروب الدنيا وهو معها ورؤعاتها وخطوبها كما يستروح ^(٣) الإنسان إلى طيب المشمومات ، ونظر المستحسنات ^(٤)

١٧١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ وَعُمُودُ الدِّينِ » وهذا القول مجاز ، والمراد أن المؤمن يستدفع بالدعاء كيد الكائدين ، وظلم الظالمين ؛ فيقوم له مقام السلاح الذي يريق الدماء ، وَيَقْلُ الأعداء ، وجعل عليه الصلاة والسلام الدعاء عمود الدين ، لأنه لا يصدر إلا عن قلب الخالص الأواب لا الشاك المرتاب ، والإخلاص قطب الدين الذي عليه المدار وإليه المَحَار ^(٥) .

(١) الريحانة : واحدة الريحان ، وهو نبات ذو رائحة عطرة محبوبة .

(٢) التفوت : طلب الفوت والإنقاذ .

(٣) يستروح : يجرد الراحة ، وهي مثل يستريح ، كما أن استروح ، مثل استراح ، غير أنه حصل لإعلال بالقلب في الكلمتين فقلبت الواو في الأولى ياء ، وفي الثانية ألفاً .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الموت بالريحانة بجامع استراحة النفس عند لقاء كل . فالؤمن يستريح إلى الموت كما يستريح من يشم الريحانة ، وحذف وجوب الشبه والأداة .

(٥) المحار : المرجح ، وأصلها : المحور : بفتح الميم والواو ، فقلبت الواو ألفاً حسب القواعد الصرفية ، وفعله حار يحور : بمعنى يرجع . ومن ذلك قوله تعالى : (لَئِنْ ظَنَنْتُ أَنْ لَنْ يَحُورَ ؟ بَلَى إِنْ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) .

١٧٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من كلام في وصف النساء : « وَمِنْهُنَّ رَبِيعٌ مُرْبِعٌ ^(١) ، وَغُلٌّ قِلٌّ » وهذا القول مجاز ، والمراد تشبيه المرأة الحسنة المستوفقة ^(٢) بالربيع المزهر ، والروض المنور ، وتشبيه المرأة الشوهاء المستنقطة بالغُل ^(٣) الذي يُثقل الرقاب ، ويطوّل العذاب . وجعله عليه السلام قِلاً ^(٤) ليكون أعظم لعذابه ، وأبلغ في مكروهه المبتلى به ^(٥) .

١٧٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الْمَسْجِدَ

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهان بليغان : حيث شبه الدعاء بالسلاح في أن كلا منهما يدفع عن صاحبه ، فالسلاح يرد الأعداء مادياً ، والدعاء يردهم معنوياً ، لأن الله يرد به كيد الكافرين وظلم الظالمين ، وشبه الدعاء أيضاً بعمود الدين ، في أن الدعاء لا يصدر إلا عن الإخلاص ، والاعتقاد بأن الله هو القوى القادر فهو علامة الإيمان ، ولذلك شبه بالعمود الذي يقوم عليه البناء ، بجامع أنه إذا ذهب انهدم البناء ، وإذا ذهب الإيمان ذهب الدين .

(١) مربيع : منبت مثمر .

(٢) المستوفقة : التي توافق زوجها وتعاشره بإحسان .

(٣) الغل : القيد في الرقبة لافي الرجل ، أما في الرجل فيسمى القيد أو الحجل

وقد يستعمل في اليد .

(٤) قلاً : أى ذا قِل ، وذلك إذا كان الغل من شمر فإن القمل يتولد فيه فيصير عذاب المفلول عذابين ، وألمه أَلَمَيْنِ : ألم القيد وألم القمل الذي يأكل جسده .

(٥) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهان بليغان : الأول تشبيه المرأة الحسنة الموافقة بالربيع المثمر . بجامع حسن المنظر والمنفعة ، والثاني تشبيه المرأة الشوهاء أى سيئة الخلقة غير الموافقة بالغُل الذي يولد فيه القمل ، بجامع سوء المنظر والإيلام ، وحذف وجه الشبه والأداة .

لَيَنْزَوِي مِنَ الدُّخَانَةِ^(١) كَمَا تَنْزَوِي الْجِلْدَةُ فِي النَّارِ ، يقال
انزوت الجلدة إذا انقبضت واجتمعت . وهذا الكلام مجاز ، وفيه
قولان : ﴿ أحدهما ﴾ أن المسجد ينزعه عن الدُّخَانَةِ ، وهي البصقة ،
بمعنى أنه يجب أن يكرم عنها ، وألاًّ يبتذل بها . فإذا رؤيت عليه
كانت شائفة له ، وزارية^(٢) عليه ، فكان معها بمنزلة الرجل ذى
الهيئة يشمئز مما يهجنه^(٣) ، وينقبض عما يدنسه ، وأصل الانزواء :
الانحراف مع تقبض وتجمع . ﴿ والقول الآخر ﴾ : أن يكون المراد
أهل المسجد ، فأقيم المسجد في الذكر مقامهم لما كان يشتمل لميهم ،
وعلى ذلك قول الشاعر :

* واستبَّ بعدك يا كَلَيْبُ المَجَالِسِ^(٤) *

والمراد أهل المجلس ، لأن الاستبَاب لا يكون بين القاعات
والجدران ، وإنما يكون بين الإنسان والإنسان . فالمعنى أن أهل
المسجد ينقبضون من الدُّخَانَةِ إذا رأوها فيه ذهاباً به عن الأدناس ،

(١) يقال تنغم : إذا دفع بشيء من صدره أو أنفه ، والأول البلغم والثاني
الخطأ . فالنخامة تشمل الاثنين ، وقد خصها الشريف بالبصقة وهي النوع الأول
من النخامة .

(٢) يقال زرى عليه : عابه ، أى تكون عيباً فيه .

(٣) يهجنه : ينقص قدره .

(٤) الاستبَاب : افتعال من السب ، والمراد بالمجلس أهل المجلس ، أى تشام
أهل المجلس بعدك يا كَلَيْب ، لأنك كنت رئيسهم الذى تحفظ كرامة المجالس .

وصيانة له عن الأدران^(١) .

١٧٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنِ الْقَتَلَ رَجُلًا قَرَفَ^(٢) عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَتِلْكَ مَضْمَضَةٌ^(٣) تَحْتَ ذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهُ ، إِنَّ «السَّيْفَ مَحَالًا لِلْخَطَا» . وهذا الكلام مجاز ، لأن السيف على الحقيقة لا يمحو شيئاً من الذنوب ، ولكن القتل بالسيف لما كان سبباً للشهادة التي يُستحق بها دخول الجنة ، وحقيقتها شهادة الملائكة للقتيل بأنه من أهل الجنة إذا بذل مهجته في طاعة الله مجتهداً ، وَوَطَّنَ نفسه على ألم الجراح والثبات للقاء صابراً محتسباً ، كان السيف كأنه قد محاه ما سلف من ذنوبه . وليس يبلغ الإنسان إلى هذه المنزلة في طاعة الله تعالى ، من بذل النفس للقتل ، وتوطئها على الهلاك في الأغلب الأكثر ، إلا وهو تائب من جميع الذنوب التي توجب العقاب ، وتحبط الثواب ؛ فتكون الشهادة حينئذ دالة على أنه من أهل الجنة ، وسببها السيف ، فكأنه قد محاه ذنوبه ، أى أزالها وأبطلها ، وعلى ذلك قول الشاعر :

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه أثر النخامة في المسجد بالانزواء وهو القبض والتجمع خوفاً على نفسه منها ، وبجامع الإيذاء في كل ، واشتق من الانزواء بمعنى التأذى ، يزوى بمعنى يتأذى على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) قرف على نفسه : بنى عليها وظلمها .

(٣) المضمضة : تحريك الماء في الفم وغسل الإناء وغيره وفي كل منهما تنظيف .

فَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الضُّجَاجَ^(١) فَإِنَّهُ

مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ^(٢) أَجْمَعًا

أى أزاله وأبطله . وقوله عليه الصلاة والسلام : « فتلك مضمضة
محت ذنوبه » مجاز آخر ، كأن القتل غسله من دَرَن الذنوب . قال
ابن السَّكَيْت : يقال : مضمضت الإنياء ومضمضته بالصاد والضاد إذا
غسلته . ويقال أيضاً : ماص^(٣) الثوب بالصاد غير معجمة إذا غسله^(٤) .

١٧٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه :
« اتَّبِعُونِي تَكُونُوا بِيُوتًا » وهذا القول مجاز ، لأنه عليه الصلاة
والسلام لم يرد بيوت الشَّعْر وبيوت المَدَر^(٥) على الحقيقة . وإنما أراد
أنكم تكونون لعلو أقداركم ، واشتهار أخباركم بيوتاً ، أى شعوباً
تقف نسبة أولادكم عندهم ، ولا تتجاوزكم إلى مَنْ فوقكم ، وهذا
لا يكون إلا لقباهة الأب الأدنى ، واستغفائه بالقباهة عن الأب الأعلى ،
كما يقال لمن ينسب إلى أمير المؤمنين على عليه السلام : علوى ،

(١) الضجاج بكسر الصاد : المشاغبة والمشاركة .

(٢) ابن داره : شاعر هجاء قوماً فقتلوه فحما قتله كل ما قاله في هجائهم .

(٣) الموص : الفصل اللين والدلك باليد ، ويقال منه ماص يموص .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهه ببلغ ، حيث شبه قتل النفس في الجهاد بالمضمضة التي تنظف
القم والإنياء بجامع المحو والإذهاب في كل . فالقتل يمحو الذنوب ، والمضمضة تمحو
الدرن والقدّر ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٥) المدر بفتح الميم والدال : قطع اللطين اليابس .

ويستغنى أن يقال : هاشميّ أو مَقَافِيّ ، وكما يقال لمن كان من ولد عمر :
مُحَمَّرِيّ ، ولا يقال : عَدَوِيّ^(١) . ونظائر تلك كثيرة . وإنما سميت
المناسب^(٢) المخصوصة بيوتاً ، لاشتغالها على ضروب الرجال المتصلين بها
والمضافين إليها ، تشبيهاً بالبيت المبني في اشتغاله على الدعائم والعماد ،
والأوتاد والأطناب^(٣) لشهرته ونجافته . ونظير الخبر المذكور من
الشعر قول الطائي الأَكْبَر^(٤) في صفة الفرس :

هَذَّبَ فِي جِذْبِهِ وَنَالَ الْمَدَى بِنَفْسِهِ فَهُوَ وَخْدَهُ حِذْسُ
أَرَادَ أَنْ نَسْلَهُ يَنْسَبُ إِلَيْهِ ، ولا يتجاوز به إلى من وراءه من آبائه
وأُمَماته^(٥) ، كما يقال : هذا الفرس من نسل ذِي الْعُقَالِ^(٦) ، ومن نتاج
ذِي الْجَمَازَةِ^(٧) ، وما أشبههما^(٨) .

-
- (١) نسبة إلى عدى بتشديد الباء : قبيلة عمر رضى الله عنه .
(٢) المناسب جمع منسبة : وهى الأنساب .
(٣) الأطناب جمع طنْب : بفتح الطاء والنون وهى الخيال التى تشد بها أطراف
البيت من الجلد والشعر ونحوها من بيوت العرب .
(٤) هو حاتم الطائي .
(٥) الأُمَمَات : جمع أم .
(٦) العقال بشد القاف وضم العين : فرس حوط بن أبى جابر ، وهو فرس
مشهور من جياد الخيل العربية .
(٧) الجمَازة : فرس عبد الله بن حنتم أكرم خيول العرب .
(٨) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم من الناس
بالبُيُوت ، فى الارتفاع وعلو الشأن ، غير أن الرفع فى البيوت حسية ، وفى الأنساب
معنوية ، وحذف وجه الشبه والأداة .

١٧٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الكلام الذي تكلم به يوم الغدير^(١) : « وأسئلكم عن ثَقَلِي^(٢) كَيْفَ خَلَفْتُمُونِي فِيهِمَا ، فَقِيلَ لَهُ : وَمَا الثَّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : الْأَكْبَرُ مِنْهُمَا كِتَابُ اللَّهِ سَبَبُ^(٣) ، طَرَفٌ مِنْهُ بَيْدُ اللَّهِ ، وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ . هَذِهِ رِوَايَةُ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ . وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : « حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَالْأَصْفَرُ مِنْهُمَا عِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، لِيُهْمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَى الْخَوْضِ » . وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى : « حَبْلَانِ مَمْدُودَانِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ » ، فَإِنَّ الْكَلَامَ يَعُودُ عَلَى الثَّقَلَيْنِ . وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَبَّهَ كِتَابَ اللَّهِ بِالْحَبْلِ الْمَمْدُودِ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، بَعْضُ مِنْهُمْ مِنْ اعْتَصَمَ بِهِ ، وَيَسْتَنْقِذُ مِنَ الْمَهَاوِي وَالْمُعَاطِبِ مَنْ اعْتَلَقَ بِطَرَفِهِ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ يَدٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ نَعَصَمِ الْمُتَعَلِّقِ بِهَا ، وَتَسْتَشِيلُ^(٤) الْمُتَوَرِّطُ ، وَلِإِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى التَّمْثِيلِ

(١) يَوْمُ الْغَدِيرِ : يَوْمَ خُطْبِ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً ذَكَرَ فِيهَا فَضْلَ آلِ بَيْتِهِ وَمِنْهُمْ الْإِمَامَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ .

(٢) ثَقَلَى : ثَنِيَّةُ ثَقَلٍ : بَفَتْحِ التَّاءِ وَالْقَافِ وَهُوَ الشَّيْءُ الْثَقِيلُ . وَالثَّقَلَانِ الَّذِينَ سِيسَأَلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عَنْهَا ، هُمَا : الْقُرْآنُ وَآلُ بَيْتِهِ وَعِثْرَتُهُ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَاتَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعِثْرَتِي » .

(٣) سَبَبٌ : حَبْلٌ

(٤) أَيْ ثَرَفَهُ إِلَى أَعْلَى مِنْ وَرَطْنَتِهِ ، وَالْوَرَطَةُ : الْأَرْضُ الْمُنْخَفِضَةُ وَالْبُتْرُ ، وَالْمَلَكَةُ ، وَالتَّوَرُّطُ : الْوَاقِعُ فِي الْوَرَطَةِ .

والنسيبه ، لأن المستنقذ من الورطة ، وأُنْهَضَ من السقطة في الأكثر إنما يجتذب بيده ، ويستمع بسببه ؛ فأخرج عليه الصلاة والسلام كلامه على العرف المعروف والأمر المأمور . ومن روى حبلان ممدودان وأراد بأحد الحبلين العترة ، فالمعنى أنه عليه الصلاة والسلام أقام عترته مقام الحبل الممدود الذي يكون عصمة المستمع ، ونجاة المستسلم ، كما قلنا في القرآن .

وهذا الخبر بتمامه هو خبر يوم الغدير الذي يقول فيه صلى الله عليه وآله : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَمَنْ مَوْلَاهُ . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، واخذل من خذله ، وانصر من نصره . وقد رواه من مشهورى الصحابة عشرة ، أولهم أمير المؤمنين عليه السلام وهو الصادق المصدق ، وزيد بن أرقم ، وحذيفة بن أسيد ، والبراء بن عازب ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبد الله ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، وأنس بن مالك ، وبريدة بن الحُصيب الأسلمى . فأما زيد بن أرقم ، وبريدة بن الحُصيب ، فقد روى عنهما في هذا الخبر : « مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهِ فَعَلِيَ وَلِيُّهُ » ، ووافقهما ابن عباس على ذلك . وأخبرنا بهذه الرواية خاصة - وهى أشهر الروايات - أبو عبيد الله محمد بن عمران الكَرْزُبَانِيّ ، قال : أخبرنا إبراهيم بن محمد ابن عرفة الواسطى ، قال : حدثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة ، قال : حدثنا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قال : حدثنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا الوليد (م - ١٤)

ابن صُبَيْحٍ عن ابن امرأة زيد بن أرقم عن زيد بن أرقم، أخبرنا بذلك أبو عبيد الله المرزُبَانِيُّ في جملة ما أخبرنا به من رواياته ومصنفاته .

وعلى هذه الرواية تخرج اللفظة من الاحتمال ، وتكون أقرب إلى المعنى المراد ، لأن وليَّ النبي صلى الله عليه وسلم أولى به من غيره ، وأحق بالاستيلاء عليه من كلِّ من لم يضرب فيه بمثل حقه .

وقد رَوَى عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « علىَّ وليُّ كلِّ مؤمنٍ بعدى » . وفي هذا الخبر تصريح بأنه من بعده وليُّ الأمر وواليه ، والقائم مقامه فيه ، كما قال الكُمَيْت ابن زيد في ذلك :

وَنِعَمَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بَعْدَ وَلِيِّهِ وَمُمْتَجِعُ التَّقْوَى وَنِعَمَ الْمُؤَدَّبُ
وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَعْنَى يَطُولُ . وليس كتابنا هذا من مظان استقصائه ، ومواضع استيفائه .

وفي هذا الخبر أيضاً مجاز ، وذلك تسميته عليه الصلاة والسلام الكتاب والعترة بالثَمَلَيْنِ ، وواحدهما ثَمَلٌ ، وهو متاع المسافر الذي يصحبه إذا رحل ، ويستترِّقُ به إذا نزل ؛ فأقام عليه الصلاة والسلام الكتاب والعترة مقام رفيقه في السفر ، ورفاقه في الحضر ، وجعلهما بمنزلة المتاع الذي يُخَلِّقه بعد وفاته ، فلذلك احتاج إلى أن يُوصى بحفظه ومراعاته . وقال بعض العلماء : إنما سميا ثَمَلَيْنِ لأن الأخذ بهما

فيل . وقال بعضهم : إنما سميا بذلك لأنهما العدتان اللتان يُموَّل في دين عليهما ، ويقوم أمر العالم بهما ، ومنه قيل للإنس والجن ثَقَلَانُ لثقلهما اللذان يَعْمُرَانِ الأرض وَيُنْقِلَانِهَا . ومن ذلك قول الشاعر :

قَوْمُ الْأَرْضِ مَا عَمَّرَتْ فِيهَا وَتَبَقِيَ مَا بَقِيَتْ بِهَا تَهْمِلَا
لَكَ مَوْضِعَ الْقِسْطَاسِ ^(١) مِنْهَا فَتَمْنَعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَزُولَا ^(٢)

١٧٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لبعض أزواجه :
أَحْسِنِي جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهَا قَلَّمَا نَفَرَتْ عَنْ قَوْمٍ فَكَادَتْ
تُجِيعُ إِلَيْهِمْ » . وهذه استعارة ، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل
تدعيم المتفاضلة على الإنسان بمنزلة الضيف الفازل ، والجار المجاور ،
فإنه يجب أن يُمدَّ قِراه ، ويُكرَّم مثواه ، وتُصَفَّى مشاربه ،

(١) القسطاس : أقوم الموازين أو ميزان العدل .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في قوله صلى الله عليه وسلم ثَقُلَى : إذا جعل الثقل هو متاع المسافر استعارة
مريحية ، حيث شبه القرآن والعقرة بالمتاع الذي يتوارث بعد موت صاحبه بجامع
الانتفاع به ، وحرص الوارث عليه أو تضييعه ، واستعار لفظ المشبه به للمشبه .
ما على جعل الثقل هو الشيء النفيس فليس فيه استعارة .

وفيه أيضاً تشبيه بليغ في قوله صلى الله عليه وسلم : كتاب الله سبب ، فشبه
قرآن بالحبل الذي طرفه بيد الله وطرفه بيد الناس ، بجامع شدة الاتصال وإمكان
الانقضاء به في كل ، وحذف وجه الشبه والأداة .

وقد بين الشريف أن لا يد هناك وإنما هو على التمثيل والتشبيه ، وهذا رأى
تأخرين الذين يؤولون يد الله بقدرته ونحوها ، أما السلف فيقولون إن لله يدأ
كأيدينا ، وهذا أفضل ووقوف عند حدود الله وعند قوله في وصفه لنفسه ،
إلى الله عن الشبه والتمثيل .

وَتُؤَمِّنُ مَسَارِبَهُ ^(١) ، فَإِنْ أُخِيفَ سِرْبُهُ ، وَرُنَّتْ ^(٢) سِرْبُهُ ، وَضُمِعَ قَوَاصِيهِ ^(٣) ، وَاعْتُمِّتْ ^(٤) مَقَارِبُهُ ، كَانَ خَالِقًا بِأَنْ يَنْتَقِلَ ، وَجَدِيرًا بِأَنْ يَسْتَبْدِلَ ، فَكَذَلِكَ النِّعَمُ إِذَا لَمْ يَجْعَلِ الشَّكْرَ قِرَى نَازِلَهَا وَالْحَدُّ مِهَادَ مَنْزِلَهَا ، كَانَتْ وَشِيكَةً بِالْإِنْتِقَالِ ، وَخَلِيقَةً بِالزِّيَالِ ^(٥) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَحْسَنُوا جَوَارِ نِعَمِ اللَّهِ فَإِنَّهَا وَحْشِيَّةٌ . وَبِالْخَبْرِ عَلَى لَفْظِهِ . فَعَمِلَى هَذِهِ الرِّوَايَةُ كَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَبِهَ النِّعَمَ بِأَوَابِدِ الْوَحْشِ ^(٦) الَّتِي تَقِيمُ مَعَ الْإِبْهَاسِ ، وَتَفْقَرُ مَعَ الْإِيحَاشِ ، وَيَبْصُرُ رَجُوعَ شَارِدِهَا إِذَا شَرِدَ ، وَدُنُوَ نَافِرِهَا إِذَا بَعُدَ ^(٧) .

-
- (١) السرب : القطيع من الأطباء والنساء وغيرهما ، والطريق والبال والقمل والنفس ، والمراد هنا قطيعه الذي يرعى في مساربِهِ .
- (٢) رنق : أى كدر ، والشرب : الماء الذى يشرب منه ، أى كدر ما الذى يردده للشرب .
- (٣) القواصى جمع قاصية : وهى البعيدة ، والمراد بتضييع القواصى عدم المخافة على ما يغيب عنه من ماله .
- (٤) يقال اعتنى واعتام : بمعنى قصد واختار ، والمقارب جمع مقربة : أى ماله القريب ، أى استصنى ماله القريب ولم يرد عليه ماله البعيد .
- (٥) الزيال : أصله الزئال أو الزول ، مصدر زال يزول . ثم سهلت الهمزة على الياء وقلت الواو ياء لوقوعها بعد كسرة وقد أعلت في الفعل .
- (٦) الأوابد جمع آبد : وهى الحيوانات المتوحشة .
- (٧) ما فى الحديث من البلاغة :

فِي الْحَدِيثِ اسْتِعَارَةُ بِالْكُنَايَةِ ؛ حَيْثُ شَبِهَ نِعَمَ اللَّهِ بِالْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ اسْتِثْنَاءُ وَحْدِهَا وَرَمْزُهَا بِهَا بِقِيٍّ مِنْ لَوَازِمِهَا وَهُوَ الْفَنَارُ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِنَفَرَتْ بِجَمَاعٍ بِقَائِمًا أَدَّى شُكْرَهَا وَذَهَابَهَا إِذَا أَنْكَرَ جِيلَهَا ؛ وَفِي نَفَرَتْ اسْتِعَارَةُ تَبْعِيَّةٌ ؛ حَيْثُ شَبِهَ الذَّهَابَ بِالْفَنَارِ بِجَمَاعٍ الْبَعْدِ وَالزَّوَالِ فِي كُلِّ وَاشْتَقَّ مِنَ الْفَنَارِ بِمَعْنَى الذَّهَابِ نَفَرَتْ بِمَعْنَى ذَهَبَتْ وَزَالَتْ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ وَلِإِسْنَادِ نَفَرَتْ إِلَى ضَمِيرِ النِّعَمِ تَرْشِيحٌ

١٧٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد سمع مؤذناً يقول : « أشهد أن لا إله إلا الله » فقال : صَدَقَكَ كُلُّ رَطْبٍ يَابِسٍ ، وهذا الكلام مجاز ، لأن الرطب واليابس من الشجر والأعشاب والماء والتراب لا كلام لهما ، ولا رُوح فيهما . وإنما راد عليه الصلاة والسلام أن تصديقهما بلسان الخلق لا بلسان النطق فجميع المخلوقات شاهدة بأن لا إله إلا الله سبحانه بما فيها من تأثير المصنفة^(١) وإتقان الصنعة ، وشواهد الصانع الحكيم ، والمقدر العليم ، هي من هذه الوجوه متكلمة ، وإن كانت خرساء ، ومفصصة وإن كانت عجاء . وعلى هذا المعنى خرّج قول الشاعر :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَه آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(٢)

١٧٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الحَسَدُ بِأَكُلِ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْخُطْبَ » ، وهذه استعارة ، المراد أن الحسد يخرج بصاحبه إلى الإقدام على المعاصي ، والارتكاس

(١) الصبغة : الحلقة ؛ ومن ذلك قوله تعالى : « صبغة الله ومن أحسن من صبغة الله » .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ؛ حيث شبه دلالة الرطب واليابس بما فيهما من حسن لصنعة وإتقان الحلقة بالتصديق على وحدانية الله تعالى بحجابه لإفادة ذلك في كل ؛ غير أنها في الرطب واليابس دلالة معنوية وفي التصديق دلالة لفظية ؛ واشتق من لتصديق بمعنى الدلالة ؛ صدق بمعنى دل على طريق الاستعارة التبعية .

فى المهاوى ، فَيَلْدَغ فى الدماء الحرام ، ويحتطب فى حبال الآثام ،
ويشرع فى نقل النعم من أماكنها ، وإزعاجها عن مواطنها . فيكون
عقاب هذه المحظورات مُحْبِطاً لحسناته ، ومُسْقِطاً لثواب طاعاته ،
على المذهب الذى أُنْمِرنا إليه فيما تقدم . فيصير الحسد الذى هو السبب
فى استحقاق العقاب ، وإحباط الثواب ، كأنه يأكل تلك الحسنات ،
لأنه يذهبها وَيُفْنِيها ، ويسقط أعيانها وَيُعَفِّيها . وإنما شبهه عليه
الصلاة والسلام فى أكله الحسنات بالنار التى تأكل الحطب ، لأن
الحسد يجرى فى قلب الإنسان مجرى النار لاهتياجه ، واتقاده
وإرماضه^(١) وإحراقه . ومن هناك قال بعضهم : مارأيت ظالماً أشبه
بمظلوم من الحاسد ، نَمَسَ بِتَصَعَّد ، وزَفِيرٌ يتردد ، وحُزْنٌ
يَتَجَدَّدُ^(٢) .

١٨٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى عهد كتبه
لعماله على اليمن : « فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ، فِيهِ إِقَامَةٌ

(١) الإرماض : شدة الحرارة .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه إذهاب الحسد للحسنات بأكل النار
للحطب بجامم الإفناء فى كل ؛ واشتق من الأكل بمعنى الإفناء ؛ يأكل بمعنى يفنى ؛
على طريق الاستعارة التبعية . وفيه أيضاً استعارة مكنية فى تأكل النار ؛ لأن النار
لا تأكل وإنما شبهت بحيوان يأكل وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو
الأكل ؛ وإسناد تأكل إلى ضمير النار ترشيح ؛ وفى تأكل أيضاً استعارة تبعية
مثل السابقة : فى الحسد بأكل الحسنات .

الْعَدْلِ ، وَيَبْأَيِّعُ الْعِلْمَ ، وَرَبِّيعُ الْقُلُوبِ » ، وفي هذا الكلام ثلاث استعارات : (أولاهن) قوله عليه السلام : « فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ » ، وقد تقدم كلامنا على نظيرها^(١) وبيننا لأى معنى شبه القرآن بالحبل الممدود بين الله سبحانه وبين خلقه فى أنه عصمة المستعصمهم ومُسْكَةٌ لِمُسْتَمْسِكِهِمْ . (والاستعارة الثانية) : قوله عليه الصلاة والسلام فى صفة القرآن « يَبْأَيِّعُ الْعِلْمَ » وذلك أنه صلى الله عليه وآله شبه ما يفتح القرآن لمُتَفَهِّمِهِ ، وبينه للناظرين فيه ، من أبواب العلم وطرقه ، وَيَفْتَقَهُ مِنْ أَكْمَتِهِ^(٢) وَغُلْفِهِ ، يَبْأَيِّعُ لِمَاءِ الْمُنْجَرَّةِ ، وعيونه المسنبطة ، ولأن العلم أيضاً ينفق الغليل بعد الشك المُحَيِّرِ ، كما يُبْرِدُ الْمَاءُ الْغُلَّةَ بعد العطش المبرِّحِ . فلذلك شبهه عليه الصلاة والسلام بعيون الماء ، وَيَبْأَيِّعُ الرِّوَاءَ^(٣) . (والاستعارة الثالثة) : قوله عليه الصلاة والسلام ، « وَرَبِّيعُ الْقُلُوبِ » ، وذلك أنه جعل القرآن للقلوب الواعية ، بمنزلة الربيع للإبل الراعية ؛ لأن القلوب تنفع بتدبر القرآن وتأمله ، كما تنفع الإبل بتحمُّض^(٤) الربيع

(١) سبق ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث رقم ١٧٦ « كتاب الله سبب ، طرف منه بيد الله وطرف بأيديكم » .

(٢) الأكمة جمع كامة بوزن كتابة : وهى غطاء النور الذى يخرج النبت ، والغلاف جمع غلاف : وهو غطاء الشئ .

(٣) الرواء بوزن سماء : الماء الكثير المروى .

(٤) الحمض : ما ملح ومر من النبت وهو كفاكهة الإبل .

وتنقله^(١) ، فهذا غذاء للأرواح ، كما أن ذلك غذاء للأجسام . وقد يجوز أن يكون المراد أن القلوب تنفرج بحكم القرآن وآدابه ، كما تنفرج العيون بأنوار الربيع وأعشابه . والربيع : اسم للغيث في الأصل ، ثم صار اسماً عندهم لما ينبت عن الغيث من أفنانين^(٢) النور والمشب ، ألا ترى إلى قول الشاعر ، وهو يريد الغيث :

أَنْتَ رَبِّيعِي وَالرَّبِّيعُ يُذْتَنَزَّرُ وَخَيْرُ أَنْوَاءِ الرَّبِّيعِ مَبَكَّرُ
وهذا كما سموا الغيث سماء ، لأن نزوله يكون من جهة السماء . قال الشاعر :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَاءً
أراد إذا سقط الغيث ، ثم قال : رعيناه ، فرد الكلام على ما ينبت عن الغيث من الرعي الجميم^(٤) ، والكلاء العميم ، ومثل هذا في كلامهم كثير مستفيض ، والربيع أيضاً : النهر الصغير ، وفي الحديث : وما سقى الربيع ، وجمعه أرابعاء^(٥) على وزن أنصباء .

- (١) تنقل الربيع : أي انتقل الإبل من مكان إلى مكان فيه حيث تكثر المراعى
(٢) الأفنانين جمع أفنان : والأفنان جمع فن : وهو النوع .
(٣) الأنواء جمع نوء : وهو في الأصل النجم الذي يطلع في السماء ، فيصعد طلوعه ربيع مطرة والمراد به هنا المطر ، وبكر : جاء مبكراً في أول الربيع ، لأنه يجيء على حاجة إليه وشوق بعد طول جفاف .
(٤) الجميم : الكثير ، يقال شيء جم وجميم : بمعنى كثير والرعي بكسر الراء : النبات الذي يرعى .
(٥) هذا الذي ذكره الشريف أحد قولين في جمع الربيع ، وقيل يجمع على أربعة ورباع ، والذي ذكره الشريف قوى .

١٨١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في هذا العهد هو يذكر أوقات الصلاة : « وَالْعَصْرَ إِذَا كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ ، وَكَذَلِكَ مَا دَامَتِ الشَّمْسُ حَيَّةً ، وَالْعِشَاءَ إِذَا غَابَ الشَّفَقُ لَى أَنْ تَمْضِيَ كَوَاهِلُ اللَّيْلِ » وهاتان استعارتان : أولاهما قوله عليه الصلاة والسلام : « مَا دَامَتِ الشَّمْسُ حَيَّةً ، والمراد بحياة الشمس باهنا كونها في بقية من الاحرار ، من قبل أن يُفْضَى إلى الحؤول^(١) الاصفرار ، ومن هناك قالوا : شمسٌ مريضة إذا ولى احمرارها ، أقبل اصفرارها ، وعلى هذا قول الشاعر :

رَنْ غُذْوَةٍ — حَتَّى تَزْعَنَ عَشِيَّةً

وَقَدْ مَاتَ شَطْرُ الشَّمْسِ وَالشَّطْرُ مُذْنَبٌ (٣)

جَعَلَ نِصْفَهَا مِيتًا لَمَّا أَتَصَرَّمُ^(٣) أَكْثَرُ ضِيَائِهَا، وَجَعَلَ نِصْفَهَا
مُتَدَنِّفًا، لَمَّا كَانَ مِنَ التَّصَرُّمِ عَلَى شَقَا^(٤)، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّاجِزِ :

* وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنِفًا *

(١) الحؤول مصدر حال : بمضى تحول وتغير

(٢) انشطر : النصف ، وقد كان هذا البيت في الطبعتين السابقتين على هذه الطبعة «والشمس مدنف» ولكن الصحيح ما ذكرناه هنا ، والمدنف : المريض . وكانت كلمة نصفها في الطبعتين السابقتين « يصفها » بالياء أولها مع وضع ضمة على الفاء ، باعتبار الكلمة فعلا مضارعاً ، وهذا غير صحيح ، والصحيح ما ذكرناه جعل الشاعر نصف الشمس الذي غاب ممتاً ونصفها الباقي الأصفر مرصفاً .

(۳) تصرم : ذهب وانتقضى .

(٤) شفا كل شيء : حرفه ونهايته أى لما كان نصفها الآخر على حافة القروب .

أى قد قاربت أن تُشفى على الغروب ، كما يُشفى الدنف المريضُ
على الخُفوت ، فجعلها دنفًا مبالغة في وصفها بنقصان اللون وحؤول^(١)
الضوء على أصل وصفهم لها بالمرض ، ولو وصفهم الشمس بالموت في
أشعارهم وجه آخر ، وهو أنهم إذا أرادوا أن يصفوا يوم الحرب
باشتداد الحر ، واسوداد الأفق للقتام^(٢) المتراكب والنقع المتماثل^(٣)
يقيمون تغيب الشمس ، واحتجابها ، مقام انقراضها وزهاها ،
و (الاستعارة الأخرى) قوله عليه الصلاة والسلام « إلى أن تمضى
كواهل الليل »^(٤) ، والمراد إلى أن تمضى أوائله ، فسمّاها كواهل تشبيهاً
لليل بالمطايا السائرة التي تتقدم أعناقها وهواديه ، ويتبعها أعجازها
وتواليها ، ومن هناك قلّوا في السارى ليلاً : اتخذ الليل جَمَلاً ، ويقولون
ركب الليل ، وامتنى الليل لما جعلوه بمنزلة الظهر المركوب والبعير
المرحول^(٥) .

(١) حؤول الضوء : تغيره واستحالته من الاحمرار إلى الاصفرار .

(٢) القتام : الغبار ، والمتراكب : المتراكم .

(٣) النقع : الغبار ، والتعاظم : المتشابك .

(٤) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارتان الأولى تبعية في قوله حية حيث شبه قوة الشمس بالحياة .
بجامع ظهور الأثر وشدته في كل ، واشتق من الحياة بمعنى القوة حية بمعنى قوة
على طريق الاستعارة التبعية ، والثانية تصريحية في قوله : كواهل الليل ، حيث شبه
أوائل الليل بكواهل الإبل بجامع الأسبقية في كل ، واستعمل لفظ المشبه به
في المشبه .

(٥) المرحول : المتخذ راحلة مركوبة عليها الرجل .

١٨٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » وهذه استعارة ، والمراد أن هذا القول به يوصل إلى دخول الجنة ، فجعله عليه الصلاة والسلام بمنزلة المفاتيح التي يُستفتح بها الأغلاق ويُستفرج^(١) الأبواب ، وأراد عليه الصلاة والسلام هذه الكلمة وما يتبعها من شعائر الإسلام ، وقوانين الإيمان إلا أنه صلى الله عليه وآله عبر عن جميع ذلك بهذه الكلمة ، لأنها أول تلك الشعائر ، وسائرها تابع لها ومتماق بها ، فهي لها كالزمام القائد ، والمتقدم الرائد ، وذلك كما يعبر عن حروف المعجم ببعضها فيقال ألف با تا ثا والمراد جميعها ، وكذلك يقولون : هو في أبجد ويريدون سائر هذه الحروف ، إلا أن هذه الحروف لما كانت أولاً لباقيها ، ومتقدمة لما يليها ، حسن أن يعبر بها عن جميعها^(٢) .

١٨٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في وصية لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ لما بعثه إلى اليمن : « وَصَلْ الظُّهْرَ بَعْدَ مَا يَدْنَقَسُ الظُّلُّ وَتَبْرُدُ الرِّيحُ » . وهذه استعارة ، والمراد بعد ما يزيد امتداد الظل

(١) يستفرج ، أى يستفتح ، لأن الفرجة : هى الفتحة فى الجدار ونحوه ، واستفراج الأبواب معناه : استفتحها .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه قول « لا إله إلا الله » بالمفاتيح فى أنها سبب الدخول ، فالفتاح سبب دخول البيت ، وكلمة التوحيد سبب دخول الجنة . وحذف وجه الشبه والأداة .

من قولهم : تنفّس النهار ، إذا أخذ بالطول ، ومنه قوله تعالى : « والصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ » ، أى إذا زاد ضياؤه ، وانتشرت أنواره . وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتاب تلخيص البيان عن مجازات القرآن . وأصل هذه مأخوذ من تنفّس الحيوانات ، وهو امتداد الريح الحارة من تجاويف صدورها ، عند ترويح رئاتها عن قلوبها ، بانقباضها وانبساطها ، وانضمامها وانفراجها^(١) .

١٨٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَقِيلُوا ذَوَى الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ ، فَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَعْتَرُ وَإِنَّ يَدَهُ بِيَدِ اللَّهِ يَرْفَعُهَا » وهذا القول مجاز ، والمراد بذكر يد الله هاهنا معونة الله تعالى وتقدّس ونصرته ؛ فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن أحدهم ليعتر ، وأن معونة الله من وراءه ، تُنهضه من سقطته ، وتُقيله من عثرته ، إلا أنه عليه الصلاة والسلام لما جاء بلفظ العثار أخرج الكلام بعده على عرف العادات ، لأن العادة جارية أن يكون المنهض للعثار ، والمقيم للواقع ، إنما يستنهضه بيده ، ويستعين عليه بجملده . والمراد بذوى الهيئات هاهنا ذوو الأديان ، لا ذوو الملابس الحسان ، كما يظن من

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية فى قوله يتنفّس الظل ، حيث شبه استطالة الظل بتنفّس الحيوان ، بجامع أن فى كل منهما استطالة . فالحيوان إذا تنفّس تنسع رئاته وتمتد ضلوعه . والظل يطول ، وفيه أيضاً استعارة بالكناية حيث شبه الظل بحيوان يتنفّس ، وحذفه ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو التنفّس ، ولإثبات التنفّس إلى الظل ترشيح .

لا علم له ، لأن هيئة الدين وظاهره أحسن الهيئات والمظاهر ، وأنغم المعارض والملابس ^(١) .

١٨٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « جِبْرَائِيلُ نَامُوسُ اللَّهِ » وهذا القول مجاز ، وأصل الناموس المكان الذي يستجِنُ فيه الصائد عن الوحش لئلا تراه فتزفر منه ، ومن ذلك سمي من يجعله الإنسان موضع سره ، ومستودع نَفْثِه ناموساً ، يقال منه : نَمِسَ يَنْمَسُ نَمْساً ونامسه منامسة ^(٢) ، فكأنه عليه السلام إنما شبهه بذلك ، لأنه يستخفى بما يؤديه عن الله سبحانه إلى الأنبياء عليهم السلام من أوامر الله ، التي تقيد القلوب بحبائل الخوف والرجاء ، وتجتذبها بعلائق الوعد والإبعاد ، تشبيهاً بالصائد الذي يختل صيده حتى يصيب غرته ، ويقترحم غفلته .

وقد قال بعضهم : إن الناموس في كلام بعض العرب اسم للتمام ، فكأن جبرائيل عليه السلام هو الذي يظهر أمر الله لأنبيائه لا على الوجه المذموم الذي يقصده لسان التمام ، ويعتمده ناقل الكلام .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث على رأى الشريف استعارة تصريحية ، حيث شبهت قدرة الله تعالى وعونه باليد ، بجامع المساعدة في كل ، واستعمل لفظ التشبه به في التشبه ، أما على رأى السلف ، فليس فيه استعارة ولا تشبيه ، لأن يد الله حقيقة ، لله تعالى يد لا كأيدينا .

(٢) نامسه منامسة : ساره مسارة ، أى تكلم معه سرّاً .

وقال بعضهم : الفاموس من أسماء العلم^(١) ، فيكون في الخبر إذا حملناه على هذا الوجه تقدير مضاف حذف لدلالة الكلام عليه ، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : جبرائيل حامل علم الله ، أو صاحب علم الله ، والحذف إنما يحسن في الكلام إذا كان فيما يبقى دليل على ما يليق ، كقوله تعالى : « واسأل القرية التي كنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها » ، فلما كانت القرية ، والعير : لا تُسئلان ، ولا تبييان علم أن المطلوب غيرهما ، وأنه المضاف إليهما ، ولا يجوز على هذا : جاء زيد وأنت تريد غلام زيد ، لأن المجيء قد يكون من الغلام ، كما يكون من صاحب الغلام ، فلا دليل في مثل هذا على المحذوف كما كان في الوجه الأول^(٢) .

١٨٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « بَلَغَنِي عَنْ فُلَانٍ كَلَامٌ تَشَدَّرَ لِي^(٣) عَنْ إِبَاعِدٍ » ، فوصف الكلام بالتشذّر

(١) العلم : المراد به هنا الراية التي تدل على حاملها ومن على طريقته ، والتي يحملها المحارب في الحرب ومثل ذلك .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث على التفسير الأول استعارة تصريحية حيث شبه جبريل بالمكان الذي يستجن فيه الصائد لأنه يخفيه كما يخفي جبريل عليه السلام مأوحى الله به إلى أنبيائه ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه ، وعلى التفسير الثاني فيه مجاز بالحذف .
(٣) قال في الفاموس : تشذرت الناقة : رأت رعيًا غركت رأسها فرحًا ، وتشذر الرجل : تهدد وتغضب ، وتهب للقتال وتوعد ، وتسرع إلى الأمر . ولكن المعنى الذي ذكره الشريف أليق بالحديث . والإبعاد : التوعد والتهديد .

مجاز ، وأصل التشذر : أن الناقة إذا ألقت عَقَدَت ذنبها ، ونصبته على عجزها ، قال الشاعر :

لَهَا ذَنْبٌ كَالْقَنُوِ قَدْ مَذَلَتْ بِهِ وَأَسْمَحَ لِلتَّخْطَارِ بَعْدَ التَّشْذِرِ^(١)

فـكأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن الكلام الذي سمعه أعرب له عما في ضمنه من الوعيد ، كما أن تشذر الناقة بذنبها دليل على لقاح بطنها ، ويجوز أن يكون المراد صفة ذلك الكلام ، بالارتفاع والعلو ، والاشتطاط والغلو ، تشبيهاً بذنب الناقة إذا عقدته لاقحة ، ورفعته شامدة^(٢) .

١٨٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْإِيمَانُ

هَيُوبٌ »^(٣) وفي هذا الكلام مجاز ، لأن فيه تقدير كلام محذوف ، فـكأنه عليه الصلاة والسلام قال : « صاحب الإيمان هيوب » ،

(١) القنو : الكباسة ، وهي الشمروخ يكون فيه البلح ، ومذلت ضجرت ، وأسمح : لان ، التخطار : الضرب يمينا وشمالا ، والتشذر : التعقد كالحلقة كما قال الشريف . والمعنى أن هذه الناقة لها ذنب كثيف ضجرت منه وقد لان وأصبح غير معقد صالحاً للضرب به يمينا وشمالا بعد أن كان معقوداً كالحلقة .

(٢) لاقحة ، أى رفعت ذنبها حال كونها لاقحة ، أى رفعت ذنبها دليلا على أنها ألقت ومعنى شامدة لاقحة .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية في تشذر ، حيث شبه دلالة الكلام على التوعد والتهديد بالتشذر الذي يدل على اللقاح بجامع الدلالة في كل ، واشتق من التشذر بمعنى الدلالة ، تشذر بمعنى دل على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) هيوب : صيغة مبالغة على وزن فعول من الهيبة : وهي الخشية والخوف .

والعرب تقول : البابُ نُذِيمٌ ، أى مُغْلِقُ الباب دون الأضياف ، والمراد أن صاحب الإيمان بما معه من حواجز إيمانه ، وبصائر إيقانه يهاب تطرق الخُوب^(١) ، ومواقعة الذنوب ، فلا يقدم عليها إقدام المُرْتَكِسِ الهاوى ، والضالِّ الفاوى^(٢) .

١٨٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الاستغفارُ مَهْدَمَةٌ^(٣) لِلذُّنُوبِ » ، فوصفُ الاستغفار بأنه يَهْدِمُ الذنوب مجاز ، لأن المعاصى الكثيرة لما كانت كالبناء فى تراكب أجزائها ، واستفلاظ جرابها ، كان استغفار القادم ، وإقلاع التائب ، كأنهما هدم لذاك البناء من أساسه ، وكَبَّ له على أم رأسه^(٤) .

(١) الخوب : الذنب والإثم ، قال تعالى : « إنه كان حوباً كبيراً » أى لئماً كبيراً .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :
فى الحديث مجاز بالحذف والأصل صاحب الإيمان غذف صاحب وأقيم المضاف إليه مقامه .

(٣) المهدمة : مفعلة من الهدم ، فهى مصدر ميمي ، أى هدم للذنوب .

(٤) ما فى الحديث من البلاغة :
فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الاستغفار فى إزالته للذنوب بالهدم بمجامع الإزالة فى كل ، وحذف وجه الشبه والأداة .

بسم الله الرحمن الرحيم

١٨٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَا أَذِنَ ^(١)

اللَّهُ لشيءٍ كَأَذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَفَعَّلَنِي بِالْقُرْآنِ » وهذا القول مجاز ، والمراد ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبيّ يداوم تلاوة القرآن ، فيجعله دأبه وديدنه ، وهجّيره ^(٢) وشغله ، كما يجعل غيره الغناء مُسْتَرْوَح ^(٣) حزنه ، ومُسْتَفْسَح قلبه ، ليس أن هناك غناء به على الحقيقة . وهذا كما يقول القائل : قد جعل فلان الصوم لذّته : والصلاة طرّبه ، إذا أقامهم مقام شغل غيره بالذّات ، وطرّبه إلى المستحسنات . وقد قيل إن المراد بذلك تحزين القراءة ليكون أشجى للسامع ، وآخذ بقلب العارف ، فسَمِيَ هذه الطريقة غناء على الانساع لأنها تقود أزمة القلوب ، وتستميل نوازع النفوس . وإلى ذلك ذهب عليه الصلاة والسلام بقوله : « زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ » في حديث آخر . وليس المراد بذلك تلحين القراءة وأطربها ، فإن الأخبار قد وردت بدم هذه الطريقة ، حتى ذكر عليه الصلاة والسلام في أشرط الساعة أموراً عددها ، ثم قار : وَأَنْ يَتَّخِذَ الْقُرْآنُ مَزَامِيرَ . وقال بعضهم :

(١) أذن كفرح : استمع للشيء مجباً به والأذن كالفرح : الاستماع بإعجاب وعلى ذلك فتضبط « كأذنه » بفتح الهمزة والذال لا بكسر الهمزة وسكون الذال ، خلافاً لما ذهب إليه الأستاذ محمود مصطفى .

(٢) المهجّيرى : العادة .

(٣) المستروح : مصدر بمعنى الرارة ، والمستفسح مصدر بمعنى الفسحة .

معنى يتغنى بالقرآن : أى يذكر القرآن ، من قولهم : تغنى فلان بفلان إذا ذكره فى شعره ، إما هجاء وإما مدحاً . فأما الحديث الآخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ » . فليس المراد به هذا المعنى ، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يستغنى بالقرآن عما سواه ، وتغنى هاهنا بمعنى استغنى ، وهو تفعلٌ من الاستغناء لا من الغناء . قال العجاج :

أرى الغوانى قد غنّين عَنِّي وقلن لى عليك بالتغنى
أى استغنين عني وقلن لى : استغنى عنا كما استغنيننا عنك . وهذا عند موت الشباب ، وانقضاء الآراب^(١) . ويؤكد ذلك الحديث الآخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أُعطي أفضل مما أُعطي فقد عظم صغيراً وصغر عظيمًا » . ولو كان المراد بالتغنى فى هذا الخبر ترجيع الصوت بالقرآن لكان من لم يقصد هذه الطريقة فى تلاوته ، ويعتمدها فى صلاته ، داخل تحت الذم ، ومقارفاً للذنب ، لأنه عليه الصلاة والسلام قال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن . فبان أن المراد به الاستغناء لا الغناء^(٢) .

(١) الآراب : جمع أرب ، وأصلها أرب فقلبت الهزرة الثانية مدة من جنس حركة ما قبلها .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية فى « ما أذن الله لشيء » وتصريحية فى « كأذنه » حيث شبه فى الأولى رضى الله عن النبي الذى يتلو القرآن بالسمع والإعجاب ، بجماع الرضى فى كل ، واشتق من الأذن بمعنى الرضى ، أذن بمعنى رضى على طريق الاستعارة =

١٩٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تَسْبُوا
الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ » ، وهذا مجاز . وذلك أن العرب كانت
إذا قرعتها القوارع ونزلت بها النوازل ، وحطمتها السنون الحواطم ،
وسُلبت كرائم أعلامها من مال مضمّر ، أو ولد مؤمّل ، أو حميم^(١)
مُرَجَّب . ألفت اللام على الدهر ، فقالت في كلامها وأسجاعها ،
وأرجازها وأشعارها ، استقاد^(٢) منا الدهر ، وجار علينا الدهر ،
ورمانا بسهامه الدهر ، كقول القائل منهم وهو عديّ بن زيد .
ثم أَمَسُوا لَعِبَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُودِي^(٣) بِالرَّجَالِ
وكقول الآخر :

* أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَشَرِبَ *

وكقول الآخر :

* وَالْدَّهْرُ غَيْرَنَا وَمَا يَتَغَيَّرُ *

والأشعار في ذلك أكثر من أن نحيط بها ، أو نأتى على جميعها .

== التبعية ، وشبه في الثانية الرضى بالسماع مع الإعجاب ، واستعمل لفظ المشبه به
في المشبه ، وفيه أيضا استعارة تبعية في « يتغنى » ؛ حيث شبه القراءة المرتلة
الحاشعة بالتغنى ، بجامع اسمالة القلوب في كل ، واشتق من التغنى بمعنى القراءة
بخشوع يتغنى بمعنى يقرأ بخشوع على طريق الاستعارة التبعية .

(١) الحميم : الصديق ، والمرجب : المعظم .

(٢) استقاد : أى أخذ منا القود وهو القصاص ، كأنهم فعلوا جرماً وهو قد

اقتص منهم .

(٣) يودى بالرجال : يهلكهم .

فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : لا تدموا الذى يفعل بكم
 هذه الأفعال ، فإن الله سبحانه هو المعطى والمقتزع ، والمغير والمرتبج
 والرائش^(١) والهائض^(٢) ، والباسط والقابض ، وقد جاء فى التنزيل
 ما هو كشف عن هذا المعنى وهو قوله تعالى : « وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا
 حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْدِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ
 مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ » ، فصرح تعالى بذمهم على اعتقادهم
 أن الدهر يُمَلِّكُهُمْ ، ويعطيهم ويسلبهم ، ودل بمفهوم الكلام على
 أنه سبحانه هو المالك للأموال ، والمصرف للدهور^(٣) .

١٩١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الصُّومُ فى
 الشَّتَاءِ الْغَنِيْمَةُ الْبَارِدَةُ » . وهذه استعارة . وذلك أنهم يقولون
 هذه غنيمة باردة إذا حازوها ، من غير أن يَلْقَوْا دونها حرَّ السلاح
 وألم الجراح ، لأنه ليس كل الغنائم كذلك ، بل فى الأكثر لا تكاد
 تُنال إلا باصطلاء نار الحرب ومألم^(٤) الطعن والضرب ، فكأنه

(١) الرائش : أى معطى المال والمتاع ، لأن الريش هو المال والمتاع .
 (٢) يقال ؟ هاض العظم يهيضه : إذا كسره بعد أن كان سليماً ، والمراد أن
 الله هو الذى يصيب الناس بالمصائب .
 (٣) ماق الحديث من البلاغة :

فى الحديث كناية ، حيث كنى بالدهر عن لازمه فى أذهان العرب ، وهو الإعطاء
 والمنع ، والإحياء والإماتة ، والإعثار والإفقار ، والقرينة المانعة من إرادة المعنى
 الأصلى واضحة ، وهى أن الله تعالى ليس زمناً ولا غير زمن ، بل لا يعلم ذاته
 تعالى إلا هو . ويجوز أن يكون فيه مجاز بالمذهب لأن الله خالق الدهر .
 (٤) المألم : مصدر ميمى بمعنى الألم .

عليه الصلاة والسلام جعل صوم الشتاء غنيمة باردة ، لأن الصائم يحوز فيه الثواب الجزيل والخير الكثير ، بلا معاناة مشقة ولا ملاقة كلفة ، لقصر نهاره ، وعدم أواره ^(١) . وقد قيل أيضاً : إنما وصف الصوم في الشتاء بأنه غنيمة باردة لبرّد النهار الذي يقع الصيام فيه ، وأنه بخلاف نهار الصيف الذي يشتد فيه العطش وتطول الخماص ^(٢) ويقصر ليله عن القيام بوظائف العبادة التي تحمد عُقبى ، وتقرب إلى الله زانٍ . والشتاء على خلاف هذه الصفة ، لقصر نهار الصائم ، وطول ليل القائم ^(٣) .

١٩٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ فَإِنَّهُنَّ فِي أَيْدِيكُمْ عَوَانٍ » . وهذا مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل النساء عند أزواجهن بمنزلة الأسراء ، وذلك لأن المرأة تجرى على أحكام الرجل في الصدور والورود والوقوف والخفوف ، فهي راسفة ^(٤) في أقياد حصره ، وناشبة ^(٥) في حبائل نهيه وأمره .

(١) الأوار : الحرارة .

(٢) الخماص : جم نخصة ، وهي المجاعة : أى الجوع .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ حيث شبه الصوم في الشتاء بالغنيمة الباردة ، بجامع الحصول على الشيء بدون مشقة كبيرة أو بدون مشقة أصلاً . وحذف وجه التشبه والأداة .

(٤) راسفة : أى سائرة سيراً غير منطلق ، والأقياد جمع قيد ، والحصر : المنع ؛ فالرجل يمنع زوجته من الانطلاق في غير ما يراه نافعا لها ومصلحاً لامرها .

(٥) ناشبة : أى داخلية ، والحبائل جمع حباله ؛ وهى ما ينصبه الصياد للصيد ، والمراد بها هنا حدود الأمر والنهي .

ومن ههنا قيل : فلانة في حبال فلان ، إذا كان بعلمها ، للعلة المقدم ذكرها . والعانى الأسير والجمع عفاة ، والأسيرة عانية والجمع عوان . وقد يقال للأسير أيضاً الهدى . وقال المتأمن في قتل عمرو بن هند طرفة بن العبد بعد أن سجنه زماناً :

كطريقفة بن العبد كان هديهم ضربوا صميم قذاله بمهند^(١)

قيل إنما سميت المرأة المنقولة إلى زوجها هدياً ، لأنها بمنزلة الأسيرة عنده ، وقيل : بل سُميت بذلك لأنها تُهدى إلى زوجها ، فهي فعيل في موضع مفعول ، فهدي في مكان مهدي . يقال : هدبت المرأة إلى زوجها أهديها هداء ، وهو من الهداة وليس من الهدية ، لأنه لا يقال من الهدية إلا أهديت^(٢) .

وقد قيل : إن في بعض اللغات أهدبت المرأة ، واللغة الأولى هي المعتد بها ، والمعول عليها^(٣) .

١٩٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « استعيزوا بالله من طمع يهدي إلى طبع^(٤) » ، وهذا مجاز ، والمراد أن الطمع

(١) القذال : جماع مؤخر الرأس ، والمهند : السيف .

(٢) يقال : هدبت المرأة وأهديتها بمعنى واحد ، وهو إهداؤها إلى زوجها .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه النساء بالأسيرات ، في خضوعهن لرغبات أزواجهن وامتناعهن لأوامرهم ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٤) الطمع : الوسخ الشديد من الصدأ والشين والعيب .

يصير بصاحبه إلى معائب الأفعال ومدانستها ، ويوقعه في مذامها ومناقصها . والطَّبَع : الدَّئِس والعيب . يقال : فلان طبع كدِّيس وجَشِيع ، فلما كانت عواقب الطبع صائرة إلى مدَّارِن^(١) الطَّبَع جعل عليه الصلاة والسلام الطَّبَع كأنه هادياً إليها ، ودليلاً عليها ، على المجاز والاتساع . والطَّبَع على ماسمعة من شيخنا أبي الفتح النحوى رحمه الله مأخوذ من الطابع ، وهو الخاتم ، كأنه يسم صاحبه بالمعائب ، ويشهره بالمثالب ، فيكون كالخاتم الذى يظهر رسمه ، ويؤثر وشمه^(٢) .

١٩٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث مشهور للرجل الذى تفوت^(٣) ابنه عليه فى ماله فقرَّقه وبذَّره : « ارْدُدْ^(٤) على ابْنِكَ مَالَهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ سَهْمٌ مِنْ كِنَانَتِكَ » . وهذه استعارة ، لأنه عليه الصلاة والسلام جعل ابن الرجل بمنزلة السهم الذى فى كِنَانَتِهِ . ولذلك وجهان :

(١) المدارن : الأوساخ جمع مدرن ، مصدر ميمى من الدرن بمعنى الوسخ

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تيمية حيث شبه توصيل الطعم إلى الطبع بالهداية بجامع الإيصال فى كل ، واشتق من الهداية بمعنى الإيصال يهذى بمعنى يوصل على طريق الاستعارة التيمية .

(٣) تفوت عليه فى ماله : تصرف فيه بغير إذنه وعلى غير رغبته . والمعنى أن الابن كان له مال فتصرف فيه بغير إذن أبيه فى وجوه التبذير ، فالضمير فى ماله للابن لا للأب وكانت هذه الجملة فى الأصل بفوت ابنه عليه ماله . . إلخ ، والصحيح ما أثبتناه .

(٤) المعنى : اجمع المال الذى بذره ابنك وردده عليه ، لأن المال قوة للابن ، والابن قوة لأبيه ، فهو كالسهم فى كِنَانَةِ الأب كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم

﴿أحدهما﴾ : أن يكون إنما شبهه بالسهم من سهامه ، لأن الأب سبب نشئه وتربيته ، وَوَلَّى تَنْقِيْفَهُ وتَأْوِيلَهُ ، كما أن النابل ^(١) باري السهم ورائثه ^(٢) ، ومثقفه ومقومه .

﴿والوجه الآخر﴾ : أن يكون المراد أنه بمنزلة السهم في كثرته من حيث كان في حصنه ، وحاصلاته تحت ضيقه ^(٣) ، وأنه متى شاء صرفه في آرائه ، كما أن صاحب السهم متى شاء رمى به في أغراضه ^(٤) . ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام : « اردد على ابنك » أى استرجع ما فرقته من ماله في وجوه التبذير ومظانّ التبديد ، فرُدّه إلى مِلْكِهِ استظهاراً له ، وإشبالاً ^(٥) له ، إذ ليس له أن يفتات عليك بمال ، ولا يعصيك في حال ^(٦) .

(١) النابل : صانع النبل وهو السهم ، وهو قطعة من خشب لها رأس مدبب في آخرها نصل ، ومعنى باري السهم الذى يريه : أى يدبب رأسه ويضع فيها النصل .
(٢) رائث السهم : الذى يضع فيه الريش ، وكان العرب يضعون في السهام ريشاً حتى يكون ذلك أسرع لوصولها إلى الغرض ، لأن الهواء يدخل في الريش فيجعل السهم فيسرع به إلى غرضه ، كما يدخل الهواء في شراع السفينة فيدفعها في سيرها ، ومثقفه هو مقومه ومعدله ، لأن الحشب الذى تصنع منه السهام قد يكون فيه عوج أو نتوء فيثقفه النبال ويقومه .

(٣) الضبن بكسر الصاد وفتحها مع سكون الباء هنا : المكان الذى يغطيه العضد من الذراع : لأن كثانة السهام يجمعها الرامى في هذا المكان .

(٤) الأولى أن يراد أن الولد سهم من كثانة أبيه وأنه قوة له ، كما أن السهم قوة لصاحبه وراميه يدافع به عن نفسه ويردى به عدوه كما سبق أن بينا ذلك .

(٥) استظهاراً له : أى تقوية الابن قوة للأب ، والإشبال : العطف والإعانة .

(٦) ما في الحديث من البلاغة :

١٩٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اَخْلَقَ عِيَالُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ » أخبرنا بهذا الحديث أبو القاسم عيسى بنُ عليّ بن عيسى بن داود بن الجراح في جملة ما أخبرنا به من الأحاديث . قال : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي^(١) في سنة سبع وثلثمائة قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصليّ قال : سمعت المأمون في الشَّامِسيّة^(٢) ، وقد أجرى الحُلْبَة^(٣) ، فجعل ينظر إلى كثرة الناس ، فقال ايحيي ابن أكرم : أما ترى إلى هذه الأمم ، ثم قال : حدثنا يوسف ابن عطية عن ثابت عن أنس أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : « اَخْلَقَ عِيَالُ اللَّهِ فَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ » . وقد حدثنا بهذا الحديث أيضاً سهل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجيّ عن محمد ابن يحيى الصُّوليّ فيما صنفه مما رضىه خلفاء بني العباس من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام على خلاف هذه الحكاية .

= في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الابن بالسهم من كنانة الأب ، فإن صاحبه يصرفه كيف يشاء ، أو في أن السهم قوة لصاحبه ، كما أن الولد قوة لأبيه ، وحذف وجه الشبه والأداة .

- (١) البغوي : من حفاظ الحديث وكان يحدث العراق في عصره ولد سنة ٢١٣ الموافق ٨٢٨ م ، وتوفى سنة ٣١٧ هـ ، الموافقة سنة ٩٢٩ م ، وهو غير البغوي صاحب المسند ، وبينهما قرابة ، فكلاهما ابن عبد العزيز بن المرزبان .
 (٢) الشَّامِسيّة : قال في القاموس هي موضع قرب رصافة بغداد .
 (٣) الحُلْبَة : الموضع الذي تجرى فيه خيل السباق ، والمراد هنا الخيل التي تجرى فيها .

وهذا القول مجاز ، لأن عيال الإنسان من يعوله ^(١) ثقلهم ،
 ويهيمهم أمرهم ، والله سبحانه وتعالى لا تشوده ^(٢) الأثقال ، ولا تهيمه
 الأحوال ، ولكيه سبحانه وتعالى لما كان متكفلاً بمصالح عباده ،
 يدير عليهم حلب الأرزاق ، ويلم لهم شعث الأحوال ، ويعود
 عليهم بمرافق الأبدان ، ومرشد الأديان ، شبهوا من هذه الوجوه
 بالعيال الذين في ضمان العائل ، وكفاية الكافل ، على طريق الاتساع ،
 وعلى معارف العادات ^(٣) .

١٩٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الخمر أُمُّ
 الخبائث ، ومن شربها لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً ، فإن
 مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية » ، سمعنا هذا الحديث من عمر
 ابن إبراهيم بن أحمد المقرئ ^(٤) ابن حفص السكّاني في جملة ما رواه
 لنا من الأحاديث ، قال : حدثنا أبو بكر الفيسابوري ، قال : حدثنا
 هلى بن إشكاب ^(٥) ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة ، قال : حدثنا

(١) قال في القاموس : عال الشيء فلاناً غلبه ، ونقل عليه وأهمه .

(٢) أى لا تتعبه الأثقال ، يقال : آده الأمر أوداً وأووداً : بلغ منه الجهد
 ومن ذلك قوله تعالى : « وسع كرسيه السموات والأرض ولا يشوده حفظهما »
 أى لا يتعبه حفظهما . (٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهه ببلغ ، حيث شبه الخلق في احتياجهم إلى الله ، بالعيال الذين
 يحتاجون إلى من ينفق عليهم ويتولى أمرهم ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٤) المقرئ : بفتح الميم ، نسبة إلى مقرئ بوزن سكرى ، وهي قرية بدمشق .

(٥) هلى بن إشكاب : بكسر الهمزة وسكون الشين ممنوعاً من الصرف

وأحمد بن إشكاب محدثان .

الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيْم ، عن الوليد بن عُبَادَة ، قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الخمرُ أمُّ الخبائث ، وذكر ما في الحديث » ، وهذه استعارة ، وإنما سماها عليه الصلاة والسلام أمَّ الخبائث على تغليب النهي عن شربها ، وتعظيم قدر العقاب عليها ، فكأنها جماع الخبائث المُردية ، ومعظم الذنوب المُوبقة ، كما أن الأمَّ جامعة لأولادها ، ومتقدمة عليهم بميلادها ، والفائدة في تقديمها على غيرها من المعاصي ، أن الأغلب في شربها أن يكون طريقاً إلى ارتكاب الكبائر ، وجرت الجرائر ، فإن السكران قد يحمله سكره على القذف والافتراء ، وإراقة الدماء ، واستحلال الفروج والأموال ، وغير ذلك من مقاحم^(١) الذنوب ، ومعظم العيوب ، وكلُّ هذا فالسكر من أقوى أسبابه ، وأقرب أبوابه^(٢)

١٩٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كلُّ أمرٍ ذى بالٍ لا يُبْدَأُ فيه بحمد الله أقطع » ، وحدثننا بهذا الحديث عمر بن إبراهيم أبو حفص المقرئ قال : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد

(١) المقاحم جمع مقحمة : ومى مهالك الذنوب .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الخمر بالأم في كونها مصدر الخبائث ، كما أن الأم مصدر الأولاد ، وحذف وجه التشبه والأداة .

البَغَوِيُّ^(١) ابن بنت مَنِيْع قال : حدثنا داود بن رُشَيْد^(٢) قال : حدثني الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن قُرّة عن ابن شِهَاب عن أبي سَلَمَةَ عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله أقطع » . وهذا القول مجاز ، وإنما شبه عليه الصلاة والسلام الأمر الذي تَهَمُّ الإفاضة فيه ، وتمسّ الحاجج إلى الكلام عليه ، إذا لم ينظر فيه حمد الله سبحانه وتعالى ، بالأقطع اليد من حيث كان قالصاً^(٣) عن السبوغ ، وناقصاً عن البلوغ . ومما يقوى ذلك ما رواه أبو هريرة أيضاً قال : قال عليه الصلاة والسلام « الخطبة التي^(٤) ليس فيها شهادة كاليد الجذماء »^(٥) فأقام عليه الصلاة والسلام نقصان الخطبة ، مقام نقصان الخلقة . ومما يشبهه هذا الخبر الحديث الآخر الذي ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه : « غريب الحديث » ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام « من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله سبحانه وهو أجذم » قال : والأجذ

(١) هو البغوي السابق .

(٢) هو بصيغة التصغير أحد المحدثين .

(٣) يقال قالصت شفته : إذا قصرت ، وقلص الظل : إذا انقبض وانحسر ، وقلص الثوب بعد الغسيل : إذا انكمش ، فعنى قالصاً هنا قاصراً وهو من باب ضرب يضرب ، وحسب يحسب ، بكسر عينه ، والسبوغ الشمول والستر .

(٤) كانت في الطبعتين السابقتين على هذه الطبعة (الخطبة التي) ، وقد صححناها هنا .

(٥) اليد الجذماء : التي ذهبت أناملها .

المقطوع اليد^(١) ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

وما كنتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَه أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمَا

واعترض هذا القول عبد الله بن مسلم بن قتيبة قادحا فيه وطاعنا

عليه ، فقال : إنما أتى أبو عبيد في فساد هذا التفسير من قِبَلِ البيت

الذي استشهده ، وليس كل أجزم أقطع اليد ، وإذا نحن حملنا الحديث

على ما ذهب إليه أبو عبيد رأينا عقوبة الذنب لانشا كل الذنب ،

لأن اليد لا سبب لها في نسيان القرآن ، والعقوبات من الله سبحانه

وتعالى تكون بحسب الذنوب ، كقوله تعالى وتقدس : « الَّذِينَ

يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ

مِنَ الْمَسِّ » ، يريد أن الربا الذي أكلوه أثقل بطونهم ، فهم يقومون

ويسقطون كما يصيب من يتخبطه الشيطان ، ويقول رسول الله صلى

الله عليه وآله : « رَأَيْتُ كَيْلَةَ أُمِّ رِيٍّ بِي قَوْمًا تَقْرُضُ شَفَاهِمَ

بِالْمَقَارِضِ كُلَّمَا قَرَضَتْ وَفَتْ^(٢) » ، فقال جبرائيل : هؤلاء خطباء

أمتك الذين يقولون مالا يفعلون . لأنهم قالوا بأفواههم فعوقبوا

فيها : ومثل هذا كثير قال : والأجزم ههنا المجذوم^(٣) ، يقال :

(١) في القاموس : الأجزم : المقطوع اليد أو الأنامل .

(٢) وفَتْ : أى تبقت وعادت كما كانت .

(٣) المجذوم : هو المصاب بداء الجذام ، وهو مرض يسود منه العضو

رجل أجذم وقوم جُذَماء مثل : أحق وحقاء ، وأنوك^(١) ونوكاء ،
إلا أن يكون روى في حديث آخر : « إنه يحشر أقطع اليد » ، أو
ما يدل على ذلك فيقع التسليم منا . وإنما سمي من به هذا الداء أجذم
لأنه يقطع أصابع يديه وينقص خلقه ، والجذم : القطع ، وكل شيء
قطعته فقد جذمته وجذوته ، ولهذا قيل للمقطوع اليد أجذم ، كما قيل
له أقطع ، أشبه بالعقوبة ، لأن القرآن كان يدفع عن جسمه كلمة
العامة ويحفظ عليه الصحة ، ولما نسيه فارق ذلك ، فدالته الآفة
في جميعه ، ولا داء أشمل لليد من الجذام ولا أفسد للخلقة . انقضى
كلام ابن قتيبة :

قلت أنا : وقد خلط هذا الرجل في اعتراضه هذا تخليطاً كثيراً
لأنه أنكر غير مُنكر وطعن في غير مَطعن . وذلك أن أبا عبيد
إنما فسر الأجذم في الحديث بأنه المقطوع اليد على أصل صحيح ،
وهو ما ذكرناه في الخبر الأول من أن الأقطع هناك كالأجذم ها هنا
والمراد به أنه يلقي الله تعالى بعد نسيان القرآن ناقصاً بعد تمامه ،
كالذي قطعت يده فظهرت نقيصة أعضائه ، وإن كان أبو عبيد لم
يبين هذا البيان ، فإنه لم يرد غير هذا المراد . فأما قول ابن قتيبة : إن
عقوبة الذنب يجب أن تكون مشاكلة للذنب وتعلقه بالثأين اللذين
أوردهما فقد غلط فيما ظنّه ، وَوَمَ فيما توهمه ، لأن العقوبات لا يجب

(١) الأنوك : الأحمق ، والجمع نوكى مثل سكرى ، وكذلك حتى .

أن تكون مقصورة على الأعضاء المباشرة للذنوب ، وإنما المعاقب بها جملة الإنسان ، ولو كان الأمر على ما ظنه لكان الزاني إذا زنى غير مُحْصَن يضرب ذَكَرُهُ ، والقاذف إذا قَذَفَ يجلد لسانه ، لأنهما واقعاً المعصية وباشرا الخطيئة . فلما رأينا هذين المذنبين يعاقب منهما غيرُ الموضع التي باشرت الذنب وواقعت الجُرم ، علمنا أن المقصود بالعقوبة جملة الإنسان دون أعضاء الجسم ، فأما يد السارق فلم تكن علة قطعها أنه باشر بها السرقة ، ألا ترى أنه لو دخل حرزاً فأخرج منه بغمه دون يده ما يجب في مثله القطع قطعت يده ، ولم يعتبر أخذه الشيء المسروق بغمه . وأيضاً فلو أخذ في أول مرة بيده اليسرى قطعت يده اليمنى ، وإذا سرق ثانية بعد قطع يده اليمنى قطعت رجله اليسرى ولم تقطع يده اليسرى وإن باشر السرقة بها . وذلك على مذهب من يرى استيفاء الأعضاء الأربعة في تكرير السرقة وهو مذهب الشافعي ، فبان أنه لا يعتبر بقطع ما باشر أخذ السرقة من أعضاء الإنسان ، وسقط ما اعتمد عليه ابن قتيبة من تشقيق^(١) الكلام^(٢) .

(١) يقال شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج ، والمراد ما اعتمد عليه ابن قتيبة من لإخراج الكلام مخرجا حسناً يأخذ بالباب سامعه .

(٢) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الكلام الذي لا يبدأ فيه بالحمد ، بالشخص الأقطع المقطوع اليد ، بجامع النقصان في كل ، وحذف وجه الشبه والأداة .

١٩٨ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام حين قال له حذيفة بن اليمان ، وقد ذكر الفتن : « أَفَبَعَدَ هَذَا الشَّرُّ خَيْرٌ يَارَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ ^(١) وَجَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءٍ ^(٢) » وفي هذا الكلام استعارتان :

﴿ إحداهما ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : « هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ » وقيل : إن الدَّخَنَ في الأصل اسم للون الذي فيه كدروة ، والصحيح أنه مأخوذ من الدخان لكدر أجزائه وارتداد ألوانه ، فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه الهدنة التي تؤذن بالفتنة والسلم ^(٣) الذي يكشف عن المحاربة بالدخان الذي تؤذن سواطعه ^(٤) بالنار الموقدة ، وتجلى عن الجواحم ^(٥) المتضرمة . ويقال : دُخان ودَوَاخن ، وعُثان ^(٦)

(١) الهدنة : السكون ، والدخن : الحقد ، ومعنى هدنة على دخن : سكون على حقد ، وفي القاموس : هدنة على دخن : سكون لغلبة لا يصلح له . وهذه يكون الحقد دفيناً فيها .

(٢) الأقْدَاء جمع قذى : وهو مايقع في العين فيقذها ، وفي الشراب فيفسده . وأصل أقْدَاء : أقْدَى ، وقعت الياء بعد ألف أفعال فقلبت همزة . ومعنى جماعة على أقْدَاء : اجتماع على غير صفاء كإغماض العين على القذى .

(٣) السلم : يذكر ويؤنث ، ومن تأنيثه قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم : فاجنح لها » .

(٤) السواطع جمع ساطعة : أي المرتفعات من قطع الدخان ، يقال سطع الغبار إذا ارتفع .

(٥) الجواحم جمع جحيم : وهي النار الشديدة التأجج ، والمتضرمة : الشديدة الاشتعال .

(٦) العُثان : الدخان ، وقد قال في القاموس : الدخان : العُثان .

وعَوَانِ ، وهما جَمْعَانِ عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ ^(١) . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالذَّخَنِ هَاهُنَا قَسْطَلٌ ^(٢) الْحَرْبُ ، لِأَنَّهُ يَشْبَهُ بِالذَّخَانِ فِي الْحَقِيقَةِ ، فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ : هَدَنَةٌ تَنكَشِفُ عَنْ رَهَجِ الْقِرَاعِ ^(٣) ، وَغُبَارِ الْمِصَاعِ . وَإِنَّمَا قَالَ : عَلَى دَخَنِ ، أَيْ أَنَّ تِلْكَ الْهَدَنَةُ كَأَنَّهَا غَطَاءٌ تَحْتَهُ هَيْعَةٌ ^(٤) الْحَرْبِ ، وَزَلْزَالَ الْخُطْبِ ، وَلَيْسَ بَاطِنُهَا كَظَاهِرِهَا ، وَشَاهِدُهَا كَغَائِبِهَا .

﴿وَالِاسْتِعَارَةُ الْأُخْرَى﴾ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « وَجَمَاعَةٌ عَلَى الْأَقْدَاءِ » ، فَكَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَبَّهَ الْجَمَاعَةَ عَلَى فُسَادِ الْغُيُوبِ ^(٥) وَتَقَلُّلِ ^(٦) الْقُلُوبِ ، بِالْعَيْنِ الْمَغْضِيَةِ عَلَى الدَّاءِ ، الْمَغْمُضَةِ عَلَى الْأَقْدَاءِ . فَالظَّاهِرُ سَلِيمٌ ، وَالْبَاطِنُ سَقِيمٌ . وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى زِيَادَةٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فِيهَا مَجَازٌ آخَرٌ ، وَهِيَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « وَفِتْنَةٌ عَمِيَاءَ صَمَاءَ ، وَدُعَاةٌ ضَلَالَةٍ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ »

-
- (١) لِأَنَّ جَمْعَهُمَا الْقِيَاسِيُّ عَلَى أُنْعَمَةٍ فَيُقَالُ أَدَخْنَةُ وَأَعَشْنَةُ ، وَقَدْ وَرَدَ الْجَمْعُ الْقِيَاسِيُّ فِي الْإِسْتِمْعَالِ الْعَرَبِيِّ مَعَ هَذَا الْجَمْعِ غَيْرِ الْقِيَاسِيِّ ، وَوَرَدَ أَيْضاً دَوَاخِينُ فِي جَمْعِ الذَّخَانِ .
 (٢) الْقَسْطَلُ وَالْقَسْطَالُ وَالْقَسْطَلَانُ وَالْقَسْطُولُ : بَضْمُ الْقَافِ الْقَبَارِ .
 (٣) الرَّهَجُ : الْقَبَارُ ، وَالْقِرَاعُ : الْمَقَارِعَةُ وَالْمُضَارِبَةُ ، وَالْمِصَاعُ : النَّزَالُ وَالْحَارِبَةُ .
 (٤) هَيْعَةُ الْحَرْبِ : أَصْوَاتُهَا الْمَفْرُوعَةُ .

- (٥) الْغُيُوبُ : الشُّكُوكُ ، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُجْتَمِعِينَ يَشُكُّ فِي صَاحِبِهِ وَلَا يَأْمَنُ لَهُ ، وَهَذَا سَبَبُ الْفُسَادِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ الشَّرِيفُ عَلَى فُسَادِ الشُّكُوكِ .
 (٦) تَقَلُّلُ الْقُلُوبِ : امْتِلَاؤُهَا بِالْحَقْدِ حَتَّى يَكَادُ يُوَثِّرُ فِيهَا .

قَدْ فُوهَ فِيهَا . فَوْصَفُ الْفَتْنَةِ بِالْعَمَاءِ وَالصَّمِّ حِجَازٌ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ أَهْلَهَا تُعْمَى عَنْ الْمُرَاشِدِ ، صُمُّ عَنْ الْمَوَاعِظِ ، فَلَمَّا كَانَتْ الْفَتْنَةُ سَبَبًا لِعَمَاهُمْ وَصَمِّهِمْ جَازَ أَنْ يَنْسَبَ الْعَمَى وَالصَّمُّ إِلَيْهَا دُونَهُمْ . وَقَدْ يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهَا تُعْمَى الْأَبْصَارَ بِرَهْجِ غِبَارِهَا ، وَتَصْمُ الْأَسْمَاعَ بِزَجَلِ^(١) أَصْوَاتِهَا ، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ ، وَأَشْبَهُ بِمَقَاصِدِ الْكَلَامِ^(٢) .

١٩٩ — وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِرَجُلٍ حَلَبَ نَاقَةً : « دَغَّ دَاعِيَ اللَّبَنِ » وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ ، وَالْمُرَادُ أَصْرُهُ أَنْ يُبْقَى فِي خِلْفِ^(٣) النَّاقَةِ شَيْئًا مِنْ لَبَنِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَفْرِغَ جَمِيعَهُ ، لِأَنَّ مَا يَبْقَى مِنْهُ يَسْتَنْزِلُ عُقَاقِثَهَا^(٤) ، وَيَسْتَجِمُّ^(٥) دِرَّتَهَا ؛ فَكَأَنَّهُ يَدْعُو

(١) الزجل : الجلبة وارتفاع الأصوات .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

فِي الْحَدِيثِ اسْتِعَارَتَانِ تَصْرِيحَتَانِ ؛ حَيْثُ شَبَّهَ الْحَفْدَ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْمُتَهَادِنِينَ بِالْذَخَانِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى النَّارِ ، بِجَمَاعٍ دَلَالَةٍ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى مَا بَعْدَهُ ، فَالْحَفْدُ يَدُلُّ عَلَى نَقْضِ الْهُدْنَةِ ، وَالذَخَانُ يَدُلُّ عَلَى اشْتِعَالِ النَّارِ ، وَحَيْثُ شَبَّهَ الشُّكَّ الَّذِي بَيْنَ الْمُجْتَمِعِينَ بِالْفُزْدَى الَّذِي يَكُونُ فِي الْعَيْنِ وَهِيَ مَغْمُضَةٌ عَلَيْهِ غَيْرُ ظَاهِرٍ ، بِجَمَاعٍ الْإِفْسَادِ فِي كُلِّ ، فَالْفُزْدَى يَفْسُدُ الْعَيْنَ ، وَالشُّكُّ يَفْسُدُ الْجَمَاعَ وَيَسَبِّبُ الْفِرْقَةَ .

وَفِيهِ حِجَازٌ مُرْسَلٌ ، حَيْثُ اسْتَعْمَلَ عَمِيَاءَ وَصَمَاءَ ، وَهُوَ وَصَفُ الْفَتْنَةِ فِي النَّاسِ ، لِأَنَّ الْفَتْنَةَ سَبَبُهُ ، فِإِسْنَادِ عَمِيَاءَ وَصَمَاءَ إِلَى ضَمِيرِ الْفَتْنَةِ حِجَازٌ مُرْسَلٌ عِلَاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ .

(٣) خِلْفُ النَّاقَةِ : بِكَسْرِ الْخَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ ، تُدْيِيهَا .

(٤) الْعُقَاقِثُ : بَقِيَّةُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ بَعْدَ مَا حَلَبَ أَكْثَرَهُ .

(٥) يَسْتَجِمُّ دِرَّتَهَا : يَكْثُرُ إِدْرَارُهَا وَإِنْزَالُهَا لِلْبَنِ .

بقية اللبن إليه ويكون كالمثابة له ، وإذا استنفد الحالب ما في الخلف أبطأ غزّره ^(١) ، وقلص دَرّه ^(٢) .

٢٠٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « ما نَزَلَ من القرآن آية إلا ولها ظَهْرٌ وبَطْنٌ ، ولكلٌّ حَرْفٌ حَدٌّ ، ولكلٌّ حَدٌّ مَقْطَعٌ » وفي هذا الكلام استعارتان :

﴿ إحداهما ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : « ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن » . وقد قيل في ذلك أقوال : منها أن يكون المراد أن القرآن يتقلب وجوهاً ، ويحتمل من التأويلات ضرباً كما وصفه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في كلام له ، فقال : القرآن حَمَالٌ ذو وجوه ، أى يحتمل التصريف على التأويلات ، والحمل على الوجوه المختلفة . وقد ذكرنا هذا الكلام في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة . ومن ذلك قول القائل : قلبت أمسى ظهراً لبطن ، أى صرفته وأدرته ، ليميّز لى منه وجه الرأى فأتبعه ، وطريق الرشد فأقصده . وأنشدنا أبو الفتح ^(٣) الذحوى رحمه الله قول الشاعر :

-
- (١) الغزر : الكثرة ، وقلص : قل ، والدر ، نزول اللبن في الضرع .
(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه إبقاء بعض اللبن في الضرع بدعوة اللبن بجامع حصول اللبن بسببه ، واشتق من الدعوة داع بمعنى جالب على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) هو أبو الفتح بن جنى ، وقد سبق للشريف أن تكلم عنه في هذا الكتاب .

أَمَّا تَرَانِي قَالِبًا بِحِجَّتِي ^(١) أَقْلِبُ أَمْرِي ظَهْرَهُ لِلْبَطْنِ
* قَدْ قَبِلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي *

وكان رحمه الله يقول في قوله : « قَدْ قَبِلَ اللَّهُ زِيَادًا عَنِّي » سر
لطيف ، وهو أنه أقام قَبْلَهُ مقامَ عَزَلَهُ ، فكأنه قال : قد عزل الله
زياداً عني ، لأنه إذا قَبِلَ فقد زال سلطانه ، وَأَمِنَتْ سَطَوَاتُهُ .

وقال آخرون : الظهر تنزيل القرآن وكلامه ، والبطن تأويله
وإحكامه . وقال بعضهم : معنى الظهر هاهنا ما قصه الله سبحانه علينا
في القرآن من أنباء القرون وأخبار الملوك ، وما أوقعه بهم من سطواته
وأنزله بهم من نِقَمَاتِهِ ، لَمَّا جَمَحُوا فِي أَعْنَةِ الطُغْيَانِ ، وَأَبْعَدُوا فِي
مَذَاهِبِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ .

وجميع ذلك أحاديث قصّها سبحانه علينا ، فهي في الظاهر
إخبار منه لنا ، وأما المراد بالباطن فإنه سبحانه جعل تلك الأنباء
المقصودة ، والأمثال المضروبة ، عِظَةً يَنْبَغِي بِهَا عَلَى طَرِيقِ الرِّشْدِ ،
ويحذّر معها مصارع البغي ، فَيُتِمَّنَاهِي عَمَّا كَانَ السَّبَبُ فِي إِهْلَاكِ الْقُرُونِ
لِلْمَاضِيَةِ ، وَالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ . وَذَلِكَ مَثَلٌ يُخْبِرُ أَخْبَرْنَا عَنْ إِيقَاعِ السُّلْطَانِ
بِجَمَاعَةٍ مِنَ الْجَنَازَةِ ؛ فَيَقُومُ قَتْلَهُمْ لَمَّا قَتَلُوا ، وَيَقُومُ قَطْعَهُمْ لَمَّا مَرَقُوا ، وَيَقُومُ

(١) الحِجْنُ : الترس الذي يستجن به المحارب من ضربات عدوه ، والمراد
هنا تغيير الحال ، يقال قلب مجنه وقلب له ظهر الحِجْنُ إذا تغير حاله عليه .

جلدهم لما سكروا ؛ فظاهر ذلك أنه أنقال^(١) لنا عن هذه الأفعال الواقعة بمستحقها من الحياة ، والباطن أنه وعظ وتنبيه لعقولنا . على أن من أقدم منا على مثل تلك المحظورات ، أنزل به مثل تلك العقوبات . وقد مضى فيما تقدم من كتابنا هذا كلام مختصر على نظير لهذا الخبر^(٢) ، إلا أننا في هذا الموضع شرحنا ذلك فضل شرح ، وبسطناه فضل بسط .

﴿ والاستعارة الأخرى ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : « وإِكْلٌ حَرْفٍ حَدٌّ وَإِكْلٌ حَدٌّ مَطْلَعٌ »^(٣) . قال بعضهم : معنى المطلع هاهنا يطلع قوم يعملون به . وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : ما من حرف - أو قال آية - إلا وقد عمل بها قوم ، أو لها قوم سيعملون بها . وقال بعضهم : المراد بالمطلع هاهنا المأني الذي يؤتى منه حتى يُعلم تأويل القرآن من جهة . وقال بعضهم : المطلع هو المنجدر من المكان المشرف إلى المكان المنخفض ، وقد يكون أيضاً المصعد من المكان المنخفض إلى المكان المشرف ، فهو من الأضداد على هذا التقدير ، فكأن الإنسان يكون في التوصل إلى علم تأويل القرآن بمنزلة الراقى إلى الذروة ، والصاعد إلى النجوة^(٤) ، أو يكون في

(١) أنقال : جهر نقل بمعنى المنقول ، أى أخبار منقولة لنا عن السابقين .
 (٢) مضى في ذلك في كلام الشريف على حديث مرور النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء على جماعة تقرض شفاههم وكلا قرضت نبتت . الحديث .
 (٣) الذى سبق في الحديث « وإِكْلٌ حَدٌّ مَطْلَعٌ » ولعل لفظة مطلع وردت في رواية أخرى غير الرواية السابقة . (٤) النجوة : المكان المرتفع .

التَّوَلَّجَ^(١) على غوامضه بمنزلة الهابط من المكان المشتط^(٢) ، إلى المكان المنحط^(٣) . وقال بعضهم : الحد هاهنا الفرائض والأحكام ، والمطلع الثواب والعقاب ؛ فكأنه تعالى جعل لكل حد من حدوده التي حدّها من الحرام والحلال مقداراً من الثواب والعقاب ، يلاقيه الإنسان في العاقبة ، ويطلع عليه في الآخرة . ومن ذلك ما يكثر على الألسنة من ذكر هول المطلاع وإنما يراد به ما يشرف الإنسان عليه بعد الموت من أعلام الساعة ، وأشرط القيامة .

وعندي في ذلك وجه آخر : وهو أن يكون المراد أن لكل حرف حد يجب على التالي أن يقف عنده ، ويقعّر مغزاه ومغيبه^(٤) فإنه إذا فعل ذلك أفضى به ذلك الحد إلى مطلع يشرف منه على حقيقة المعنى وجليّة المفزى . فكأن الوقوف عند تلك الحدود والتمهل عليها والتثبت فيها ، يفضي بالإنسان إلى مطالع معرفتها ، ومفاتيح أكتمتها^(٥) ، فيكون كطالع الثنية^(٦) في الإشراف على ما تحتها ، والإدراك لما استجّن عن الناظر قبل الإيفاء^(٧) عليها . وهذا القول

(١) التولج : الدخول .

(٢) المشتط : البعيد والمراد هنا المرتفع .

(٣) المنحط : المنخفض .

(٤) هذا المعنى مناسب لرواية « مقطع » الواردة في أول الحديث .

(٥) الأكمة جمع كأم : وهو غطاء الزهر ، وقد سبق بيانها في هذا الكتاب .

(٦) الثنية : الأرض المرتفعة .

(٧) الإيفاء عليها : الارتفاع فوقها .

من استنباطى وما أظن أحداً قرَعَ^(١) بابه وطلع نقابه^(٢) قبلى^(٣) .

٢٠١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « من أحميا أرضاً مَپَّيَّةً^(٤) فهى له وَلَيْسَ لِعِرْقٍ^(٥) ظالمٍ حَقٌّ » ، وهذا مجاز ، والمراد به أن يحىء الرجل إلى أرض قد أحمياها نُحْيِي قبله فيغرس فيها غرساً ، أو يحدث فيها حدثاً^(٦) ، فيكون ظالماً بما أحدثه ، وغاصباً لحق لا يملكه ، وإنما أضاف عليه الصلاة والسلام الظلم إلى العِرْق ، لأنه إنما ظلم بغرس عِرْقَه ، فنسب الظلم إلى العرق دون صاحبه . ذلك كما قال : ليل نائم ، ونهار صائم ، أى ينام فى هذا ، ويصام فى هذا . وروى سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن

(١) قرع باب الشيء : أراد دخوله فدخله ، أى لا أظن أحداً وصل إلى هذا المعنى .

(٢) طلع نقابه : ارتقى ، لأن النقب جمع نقب وهو الطريق فى الجبل ، وقد سبق هذا التفسير فى هذا الكتاب فى قوله صلى الله عليه وسلم فى الطاعون « أرجو ألا يطلع إلينا نقابها » أى نقاب المدينة المنورة .

(٣) مافى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارتان نصر محبتان : الأولى فى قوله ظهر وبطن ، حيث شبه المعنى الظاهر بالظهر ، والمعنى الخفى بالبطن ، بجامع الظهور والخفاء فى كل ، والثانية فى قوله مظم ، حيث شبه جهة فهم الحرف بالمظم الذى يطلع منه الإنسان إلى الجبل ونحوه ، بجامع كون كل منهما طريقاً للوصول إلى المطلوب .

(٤) الأرض الميتة : التى لا تنبت ، ولحياؤها سقيها ورعيها وتعهدا حتى تنبت أو البناء فيها حتى تصير ذات منفعة بعد أن كانت عديمها .

(٥) العرق ؛ هو الشجر ويطلق على النبات ، والبناء فى الأرض .

(٦) كأن يضع عليها سوراً ، أو يحفر فيها حفراً لوضع الجدار ، أو يكون غيره قد سواها ومهدا وحفر للجدار ، فيأتى هذا ويضع الجدار أو غير ذلك .

الزبير قال : العروق أربعة ، عِرْقَان ظاهران ، وعِرْقَان باطنان .
أما الظاهران : فالفرس والبناء . وأما الباطنان : فالتَّبَرُ والمَعْدِن .
وربما روى هذا الخبر على الإضافة ، فيكون ليس لعرق ظالم حق ،
فإن كانت هذه الرواية صحيحة فقد خرج الكلام من حيز الاستعارة
ودخل في باب الحقيقة^(١) .

٢٠٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم أَلْهَمْ
شَعَثَنَا » ، وهذه استعارة ، والمراد : اللهم اجمع كلمتنا ، وانظِّمْ
ما تشتت من أمرنا ، وتبدد من شملنا ؛ فأقام عليه الصلاة والسلام
تفرق الكلمة ، وانصداع الأمور الملتزمة ، مقام العود^(٢) المتشعث الذي

(١) لأن الظالم حينئذ هو صاحب العرق وهو الشخص ، والظلم يتأتى منه
فيكون حقيقة بخلاف رواية التنوين ، فالظلم فيها منسوب إلى العرق ، والظلم
لا يتأتى منه .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث على ما ذكره الشريف مجاز مرسل في إسناد ظالم إلى ضمير العرق ،
والعلاقة السببية ، لأن العرق هو سبب الظلم ، حيث غرسه على غرس غيره ، أو
بناه على بناء غيره ، وترك الشريف استعارة مكنية وتبعية في قوله صلى الله عليه
وسلم « أحيا أرضاً » حيث شبهت الأرض بالإنسان الذي يحيا ويموت ، وحذفه
ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإحياء ، وفي أحيا استعارة تبعية حيث شبه
زرع الأرض أو البناء فيها بإحيائها بجمام حصول المنفعة منها ، لأن الحى ينتفع
بحياته ، واشتق من الإحياء بمعنى إحداث النفع ، أحيا بمعنى أحدث النفع ، على
طريق الاستعارة التبعية .

(٢) العود : قطعة الخشب ، وقوله الذي كثر تشظيه أى الذى ذهب منه قطع
واحدة بعد الأخرى حتى أصبح له شظايا ، أى قطع منفصلة عنه ، ولم للشعث : جم
المتفرق ، وقد استعمل هذا في جمع شمل المسلمين .

كثُر تَشْطِيه ، واستطارت الصدوع فيه . وقد مضى الكلام على نظير هذه الكلمة ^(١) .

٢٠٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « قَلِّدُوا ^(٢) الْخَيْلَ وَلَا تَقْلُدُوهَا الْأَوْتَارَ ^(٣) » ، وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو أن يكون المراد النهى عن طلب أوتار الجاهلية على الخيل بشن الغارات ، وشبّ الدائرات . ومعنى لا تقلدوها : أى لا تجعلوها كأنها قد قلت دَرَكَ الوتر فتقلدته ، وَضُمَّتْ أَخَذَ الثَّارِ فَتَضَمَّتْهُ . وذلك عبارة عن فَرْطِ جِدْتُمْ فِي الطَّلَبِ ، وحرصهم على الدَرَكَ ؛ فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : « قلّدوا الخيل طلب أعداء الدين ، والدفاع عن المسلمين ، ولا تقلدوها طلب أوتار الجاهلية ، ودخول مصارع الحميّة » . وإذا حمل الخبر على التأويل الآخر خرج عن أن يكون مجازاً ، وهو أن يكون المراد النهى عن تقليد الخيل أوتار القسي . وقيل في وجه النهى عن ذلك قولان :

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة أصريحية في شعثنا حيث شبه تفرق الكلمة واختلاف الرأى بتفرق العود وتشطيه بجامع التفرق في كل واستعبر لفظ المشبه به للمشبه .

(٢) تقليد الخيل ، وضع شيء في أعناقها أو وضع شيء تعلم به أنها خيل كذا أى خيل فلان ، أو خيل الجهاد أو نحو ذلك . ومعنى الحديث أن وضع القلادة في أعناق الخيل جائز ما عدا الأوتار .

(٣) الأوتار : يجوز أن تكون جمع وتر بكسر الواو وسكون التاء ، بمعنى الثأر ، ويجوز أن تكون جمع وتر بفتح الواو والتاء ، وهو الحيط أو السير الذى يشد به القوس ، وقد ذكر الشريف المعين .

﴿أحدهما﴾ أن يكون عليه الصلاة والسلام إنما نهى عنه ، لأن الخيل ربما رعت الأكلاء^(١) والأشجار ، فَنَشِبَتْ^(٢) الأوتار التي في أعناقها ببعض شُعَب ما ترعاه من ذلك ، فَنَحَقَتْها أو حبستها على عدم المأكل والمشرب حتى تقضى نحبها .

﴿والوجه الآخر﴾ أنهم كانوا في الجاهلية يعتقدون أن تقليد الخيل بالأوتار يدفع عنها حُمَة عين العائن^(٣) وشرارة نظر المستحسن ، فيكون كالعوذ^(٤) لها ، والأحرار عليها ؛ فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعلمهم أن تلك الأوتار لا تدفع ضرراً ، ولا تصرف حذراً ؛ وإنما الله سبحانه وتعالى الدافع الكافي ، والمعيد الوافي . ومما يقوى هذا التأويل ما روى من أمره عليه الصلاة والسلام بقطع الأوتار من أعناق الخيل . ولتقليد الخيل وجه آخر ، وهو أن العرب كانت إذا قَدَرَتْ وظَفِرَتْ قَلَدَتْ الخيل المائم . وَذَكَرَ أن معاوية بن أبي سفيان لما تغلب على الأمر ودخل السكوفة بعد صلح الحسن بن عليّ عليهما السلام فعل ذلك بخيله ، فقالت أم الهيثم بنت الأسود :

(١) الأكلاء جمع كلاء : وهو الحشيش الذي ينبت في الأرض فترعاه الخيل .

(٢) نشبت : أى اشتبكت وتعلقت .

(٣) العائن : الحاسد ، وحة عينه : أثر عينه الحامى .

(٤) العوذ جمع العوذة : بضم العين وفتحها مع سكون الواو ، التيممة التي توضع لإفساد أثر الحسد ، والأحرار : جمع حرز بكسر الحاء وسكون ، الرء وهو هنا بمعنى العوذة السابقة ، فهو من عطف المرادف .

أَقْرَّ عَيْنِي أَنْ جَاءَتْ مُقْلَدَةٌ خَيْلُ الشَّامِيِّينَ فِي أَعْنَاقِهَا الْخَرْقُ^(١)

٢٠٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقُ النَّارِ » ، وهذا مجاز ، لأن الضالَّة على الحقيقة ليست بحرق النار ، وإنما المراد أخذ ضالَّة المؤمن ، والاشتغال عليها ، والحول بينه وبينها ، يُستحق به العقاب بالنار ؛ فلما كانت الضالَّة سبب ذلك حسن أن تُسمَّى باسمه ، لأن عاقبة أخذها يؤول إلى حريق النار ، ويفضى إلى أليم العقاب . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أخذ ضوال الإبل وهواميها ، والهوامى : الضائعة . قال الشاعر :

هَمَّتْ بَغْلُهُمُ — بالسَّبَلَجَيْنِ وَأَوْفَضَتْ

بَوَادِي تَمِيمٍ عَنْ جَبِينِ مُشَيْدٍ^(٢)

(١) أقر عيني : سررتي ، وأصل قرار العين سكونها ، والشَّامِيُّ جمع شَامٍ ، وهو الرجل من أهل الشام ، وهم أنصار معاوية رضى الله عنه ، والخرق : القماش الذى وضع على أعناق الخيل كالعمائم على رؤوس الرجال .

ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية على المعنى الأول الذى ذكره الشريف فى قوله صلى الله عليه وسلم : « تقلدوها الأوتار » حيث شبه جدهم فى طلب الثَّأْرِ ، وحرصهم عليه بتقلد الخيل الثَّأْرَ ، وجعل الثَّأْرَ قلادة فى أعناق الخيل ، بمعنى أن الثَّأْرَ جعل علامة للخيل كأنها خصصت لطلبه ، بجامع الإعلام والإشعار فى كل ، واستعير التقليد للجد فى طلب الثَّأْرِ ، واشتق من التقليد بمعنى الجد فى طلب الثَّأْرِ ، تقلدوا بمعنى تجددوا وتحرصوا على سبيل الاستعارة التبعية .

(٢) همت : ضاعت ، بغلها : التبغيل فى السير : التوسط فيه ، السبلجين : مكان ، أوفضت : أسرع ، وادى تميم : مكان ، الجبين المشيد : الطويل المرتفع . والمعنى أن هذه الناقة ضاع سيرها التوسط فى المكان الأول لأنه مكان

أى ضاعت بغل هذه الدابة بهذا الموضع المذكور، وذلك لا يكون إلا عند تقطع هلبها^(١) وإجحاف السير بها^(٢).

٢٠٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى » ، ووصف الدين بالمتانة هاهنا مجاز ، والمراد أنه صعب الظهر ، شديد الأسر ، مأخوذ من متن الإنسان ، وهو ما اشتد من لحم منكبيه ، وإنما وصفه عليه الصلاة والسلام بذلك لمشقة القيام بشرائطه ، والأداء لوظائفه ؛ فأمر عليه الصلاة والسلام أن يدخل الإنسان أبوابه مترققاً ، ويرقى هضابه متدرجاً ، ليستمر على تجشم متاعبه ، ويمرّن على امتطاء مصاعبه . وشبه عليه الصلاة والسلام العابد الذي يُحْسِر^(٣) مُفْتَةً ، ويستنفد طاقته ، بالْمُنْبِتِّ ، وهو الذي يُغْذِ^(٤) السير ، وَيَكْدُ^(٥) الظهر ،

رملى يجهد السائر فيه ويعوقه عن الإسراع ، وأسّرت في المكان الثاني : رافعة جبينها عند الجرى .

(١) الهلب : بفتح الهاء وسكون اللام ، متابعة الجرى ، والمراد تقطع جريها وأجحف بها السير : أضر بها .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز بالحذف ، والأصل عاقبة أخذ ضالة المؤمن حرق النار .

(٣) يحسر : بفتح الياء وكسر السين وضمها وضم الياء : أعيا ، والمنة : القوة . والمعنى يمي قوته ويضعفها .

(٤) يغذ : يسرع .

(٥) بكد الظهر : يتعبه ، والمراد بالظهر الدابة .

منقطعاً من رُفْقته^(١) ، ومنفرداً عن صحابته ، فتَحَسَّرَ^(٢) مطيَّته ، ولا يقطع شُقَّته^(٣) . وهذا من أحسن التمثيلات ، وأوقع التشبيهات .
ومما يقوى المراد بهذا الخبر ما كشفناه من حقيقة الخبر الآخر عنه عليه الصلاة والسلام ، وهو فيما رواه بُرَيْدَةُ بْنُ الْخَطَّيْبِ الْأَسْلَمِيُّ قال : قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم هَذِيحاً قاصداً^(٤) فإنه مَنْ يُشَادَّ^(٥) هذا الدِّينَ يَغْلِبْهُ^(٦) » .

٢٠٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا سَأَفَرْتُمْ

(١) أى سابقاً لهم بسبب إسراره .

(٢) تحسّر مطيَّته : أى تعب .

(٣) لا يصل إلى غرضه .

(٤) الهدى : بفتح الهاء وكسرها مع سكون الدال : الطريقة والسيرة ، والقاصد : المستقيم ، والمراد به هنا الزموا طريقاً قصيراً في الوصول إلى أغراضكم ، ومن ذلك قوله تعالى : « لو كان سفراً قاصداً لاتبعوك » أى سفراً قصيراً .

(٥) في الطبعيتين السابقتين على هذه الطبعة ، يشار : يفاعل من الشر . وأصل المعنى يقابل الشر بالشر ، والمراد هنا من يجادل الدين يغلبه الدين ، والمعنى الأول هو الذى ذكره الأستاذ محمود مصطفى في تعليقه على الطبعة الثانية لهذا الكتاب ، ولفظ يشار محرف والصحيح يشاد بالدال بدل الراء ، بدليل الرواية الأخرى لهذا الحديث « إن الدين يسر ولن يهاد الدين أحد إلا غلبه » والمشادة مفاعلة من الشد وهو الجذب ، كما يشد شخصان حبلاً بينهما لاختبار قوتهما ، فالقوى يجذب الضعيف ناحيته ويغلبه ، فكذلك الدين يغلب من يقاويه ، ويحاول فعل جميع فروعه .

(٦) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية في «متين» ، حيث شبهت شدة أوامر الدين ونواهيها بالمتانة ، بجامع عدم القدرة على الاجتياز في كل ، واشتق من المتانة بمعنى الشدة ، متين بمعنى شديد على طريق الاستعارة التبعية .

فِي الْخُصْبِ فَأَعْطُوا الرُّكْبَ^(١) أَسِنَّتَهَا ، ، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى :
 « فَأَعْطُوا الرُّكْبَ أَسْنَانَهَا » ، وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ ، وَالْمُرَادُ بِالْأَسْنَةِ هَاهُنَا
 عَلَى مَا قَالَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْلُغَةِ : الْأَسْنَانُ ، وَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ ، لِأَنَّ
 الْأَسْنَانَ جَمْعُ سِنَّ ، وَالْأَسْنَةُ جَمْعُ الْأَسْنَانِ ، وَالرُّكْبُ جَمْعُ الرُّكَابِ ؛
 فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَمْكِنُوا رُكَابَهُمْ زَمَانَ
 الْخُصْبِ مِنَ الرَّعْيِ فِي طَرَقِ أَصْفَارِهِمْ ، وَعِنْدَ نَزْوِهِمْ وَارْتِحَالِهِمْ ،
 فَكُنِيَ عَنْ ذَلِكَ بِإِعْطَائِهَا أَسْنَانَهَا ، وَالْمُرَادُ تَمْكِينُهَا مِنْ اسْتِعْمَالِ
 أَسْنَانِهَا فِي اجْتِنَابِ الْأَكْلَاءِ ، وَامْتِشَاطِ^(٢) الْأَعْشَابِ ؛ فَكَأَنَّهُمْ
 بِتَمْكِينِهَا مِنْ ذَلِكَ قَدْ أَعْطَوْهَا أَسْنَانَهَا . وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لغيره :
 أَعْطِ الْفَرَسَ عِفَانَهَا ، وَأَعْطِ الرَّاحِلَةَ زِمَامَهَا ، أَيْ مَكْنَهَا مِنَ التَّوَسُّعِ
 فِي الْجَرَى ، وَمَدَّ الْعُنُقَ فِي الْخَطْوِ . وَعِنْدِي فِي ذَلِكَ وَجْهٌ آخَرٌ ، وَهُوَ
 أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : مَكْنُوا الرُّكَابَ فِي الْخُصْبِ مِنْ أَنْ تَسْمَنَ بِكَثْرَةِ
 الرَّعْيِ ، لِأَنَّهُمْ قَدْ عَبَرُوا فِي أَشْعَارِهِمْ عَنْ سِمَنِ الْإِبِلِ وَبَدْنِهَا^(٣)
 بِالسَّلَاحِ تَارَةً ، وَبِالْأَسْنَةِ تَارَةً . قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) الرُّكْبُ : جَمْعُ رُكُوبٍ ، فِعُولٌ بِعَنْ مَفْعُولٍ ، أَيْ الْمُرْكُوبِ ، أَيْ أَعْطُوا
 الدُّوَابَّ الْمُرْكُوبَةَ أَوْ جَمْعَ رُكَابٍ ، كَمَا قَالَ الشَّرِيفُ ، وَالرُّكَابُ جَمْعُ رُكُوبٍ بِعَنْ
 مُرْكُوبٍ ، فَيَكُونُ الرُّكَابُ جَمْعُ الْجَمْعِ .

(٢) امْتِشَاطُ الْأَعْشَابِ : رَعِيهَا ، كَأَنَّ الدَّابَّةَ تَدْخُلُ أَسْنَانَهَا بَيْنَ أَجْزَاءِ النَّبَاتِ
 فَتَمْسُطُهَا .

(٣) يُقَالُ بَدَنٌ : مِنْ بَابِ كَرَمٍ وَنَصَرٍ ، بَدَنًا يَفْتَحُ الْبَاءُ وَضَمُّهَا مَعَ سَكُونِ
 الدَّالِ إِذَا كَبُرَ جِسْمُهُ وَصَارَ بَدِينًا .

وَلَا تَأْخُذْ الْكُومُ الْجِلَادُ سِلَاحَهَا

لَهُ عِنْدَ صِرَّاتِ الشَّتَاءِ الصَّغَابِرُ^(١)

أى لم يمنعه سمن إبله وشارتها^(٢) فى عينه من أن ينجرها لأضيافه
وييذلها لطرافه ، فجعل السمن لها كالسلاح الذى تدافع به عن نجرها
وتماطل به عن عقرها . وقد قال الآخر فى مثل ذلك ، ويعنى الإبل :
* خَابَلْتُ فِيهَا وَلَمْ تَأْخُذْ أُسْنَتَهَا *^(٣)

ومن أبيات لإياس بن سلم الأسلمى يمدح بها النبی عليه الصلاة
والسلام :

وَأَبِيكَ حَقًّا إِنَّ إِبْلَ مُحَمَّدٍ عَزْلٌ تَنَاقُحُ أَنْ تَهُبَّ شَمَالُ
وَإِذَا رَأَيْتَ لَدَى الْغِنَاءِ قَرِيبَةً فَاضْتِ لَهْنٌ عَلَى الْخُدُودِ سِجَالُ
يقول : إن إبله مبدولة عند نزول النازل ، وطروق الطارق ؛
فلا يمنعه من عقرها رؤاؤها^(٤) وشارتها ؛ فكانها عَزْلٌ لا سلاح معها ،

(١) الكوم : جمع كوما ، وهى الناقة السمينة ، الجلاد ، جمع جلد يسكون
اللام ، أو جلدة بفتحها وهى الكبار من الإبل لا صغار فيها . والضمير فى له
لصاحب الإبل وهو المدوح ، والصرات : جمع صرة بكسر الصاد ، وهى شدة
البرد أو البرد فقط ، والمراد الأول ، وصنابر الشتاء : شدة برده ، والصنبر :
بتشديد النون المفتوحة وسكون الباء : الريح الباردة .

(٢) الشارة : الحسن والجمال هنا .

(٣) خايلت فيها : رجوت فيها الابن واستحقاق الذبح مع أنها لم تكبر ولم
تبلغ المدى الذى تذبح عنده .

(٤) الرواء : الحسن والزينة ، والشارة : الحسن والجمال كما سبق .

كما جعل الشاعر الأول هذه الحال بمنزلة السلاح لها . وأراد بقوله :
إذا رأين لدى الفناء قريبة ، أى رأين رُفقة قريبة بفناء الذي عليه
للصلاة والسلام بكنين وتفاوحن ، علماً بأنهن يُنحرن لها ، ويُعقرن
لأجلها . وكذلك إذا هبت الشمال في صميم الشتاء ، حاذرن العقر ،
وانتظرن النحر .

ومما يقوى ذلك ما جاء في الحديث المشهور عنه عليه الصلاة
والسلام ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الْجَفَاءَ وَالْقَسْوَةَ
فِي الْفَدَّادِينَ إِلَّا مَنْ أُعْطِيَ فِي نَجْدَتِهَا وَرِسْلَهَا » . والفدّادون هاهنا
على أصح الأقوال هم أصحاب الإبل الكثيرة ؛ فكأنه عليه الصلاة
والسلام قال : إلا من أعطى من إبله في حال كثرة شحومها وشارة
جسومها ، وسُمّي ذلك نَجْدَةً لها على ما قدمنا القول فيه ، لأنها إذا
كانت في تلك الحال كانت كالمانعة لصاحبها من نحرها ، نفاسة بها ،
وشحاً عليها ؛ فكانت شارتها كالمُنجدة لها ، والسلاح الذي تدفع
به عن أنفسها . وقد قيل في رِسْلها هاهنا قولان :

﴿ أحدهما ﴾ في حال كثرة ألبانها ، موافقة لقوله عليه الصلاة
والسلام : في نَجْدَتِهَا ، إذا كان ذلك بمعنى حسن شارتها .

﴿ والقول الآخر ﴾ أن يعطيها في حال يهون عليه إعطاؤها فيها ،
وهي حال نقصان شحومها ، وخفة جسومها ، من قولهم : تكلم فلان

بكذا على رسّله ، أى والكلام هَين عليه ، فهو متمهل فيه غير عجل وساكن غير غَلِق^(١) ، فكأن المعنى : إلا من أعطاهما فى حالتى كرامتها وهوانها ، واستقباحتها واستحسانها ، كقولك فى حال العسر واليسر ، وعند الطّوع والكُره . والقول الأول هو المعتمد^(٢) .

٢٠٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ مَعَ مُشْرِكٍ » ، قيل : ولِمَ يارسول الله ؟ قال : لَأَتَرَأَى نَارَاهَا ، وهذه استعارة ، وقد قيل فى ترائى النّارين قولان :

﴿ أحدهما ﴾ أن يكون المراد أن المسلم لا ينبغي له أن يساكن المشرك فى بلاد فيه - يكون منه بحيث إذا أوقد كل واحد ناراً رآه الآخر ، فجعل الترائى للنّارين وهو فى الحقيقة للموقدين . والأصل فى ذلك المسدانة والمقابلة يقول القائل : دُور بنى فلان تتناظر ، أى تتدانى وتتقابل ، ويقولون للمسترشد : إذا أخذت فى طريق كذا فنظر إليك الجبلُ فخذ عن يمينه أو عن يساره ، والمراد إذا قابلك الجبل فنظرت إليه ، فجعلوا النظر له ، لأنهم أقاموا الجبل مقام

(١) غير غلق : غير مكره ، والمراد هنا غير المعجل ، أو غير المدفوع إلى الإسراع فى الكلام .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ؛ حيث شبه تمكين الدواب من الرعى بإعطائها أسنانها التى تأكل بها ، بجامع إيجاد وسيلة الأكل فى كل ، واشتق من إعطاء الأسنان بمعنى التمكين ، أعطوا بمعنى مكنوا على طريق الاستعارة التبعية .

الرَّئِيَّةُ^(١) الناظر ، والرفيق أسير . وقال الشاعر :

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنْبِي حَبِيرٌ فَوَاهِبٌ

إِلَى مَا رَأَى هَضْبَ الْقُلَيْبِ الْمُضَيِّحِ^(٢)

وهَضْبُ الْقُلَيْبِ وَالْمُضَيِّحُ : موضعان متقاربان ، فجعلهما لتجاذبهما

كأنهما يتراءيان . ومثله قول الآخر : حيث يرى الدَّيْرَ المنار .

﴿ والوجه الآخر ﴾ أن يكون المراد بالنار هاهنا نار الحرب ،

لأنهم يَسْكُونُ عن الحرب بالنار ، لما فيها من رَهَجِ الْمِصَاعِ ، وَوَهَجِ

لِلْقِرَاعِ^(٣) . ومن ذلك قول الشاعر :

مُحَا حَيَّانٍ يَصْطَلِمِيَانِ حَرْبًا رِدَاءَ الْمَوْتِ بَيْنَهُمَا جَدِيدًا

وعلى هذا المعنى جاء التنزيل بقوله تعالى : « كَلِمًا أَوْ قَدُوا نَارًا

لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ » ، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : « وناراها

مختلفان » أى حرباهما متباينان . هذه تدعو إلى الهدى والرشاد ،

وهذه تدعو إلى العمى والضلال .

وقد يجوز في ذلك عندي وجه آخر ، وهو أن يكون المراد :

(١) الرئية : فعيلة بمعنى فاعلة ، أى الرائية الناظرة .

(٢) حبر وواهب : مكانان ، وهضب القلب : جبل لبنى عامر ، والمضيق : المختلط فيه الدماء بالحصى والتراب بعد الحرب .

(٣) سبق بيان معانى الرهج والمصاع والقراع قريباً ، والوهج : شعاع النار ونحوها .

لا يجتمع سِرِّبَاهُمَا^(١)، ولا يختلط سَرَّحَاهُمَا^(٢)، والنار عندهم اسم لِسِمَاتِ
الإِبِلِ، يقولون على هذه الإِبِلِ: نار بنى فلان، أى وسمهم. وعلى
هذا قول بعض خُرَّاب^(٣) الإِبِلِ فى ذكر أذواد^(٤) استلبها، وأراد
عرضها لبييعها:

بَسَأَلْنِي الْبَاعَةَ مَا نَجَارُهَا إِذْ زَعَزَعُوهَا فَسَمَتِ أَبْصَارُهَا^(٥)
فَكُلُّ دَارٍ لِلنَّاسِ دَارُهَا وَكُلُّ نَارٍ الْعَالَمِينَ نَارُهَا
أى هى مأخوذة من قبائل شتى؛ فوسمها غير مُتَّسِقٍ، ونجارها
غير متفق. وهذا الوجه يعود إلى معنى الوجه الأول، لأن المراد أن
المسلم والمشرِك لا يجوز اجتماعهما فى دار حتى تجتمع أذوادهما فى الرعى
وأورادهما^(٦) فى الوِرْدِ^(٧)، فقوله عليه الصلاة والسلام على هذا

(١) السرب: الجماعة، أى لا تختلط جماعة كل منهما بجماعة الآخر.

(٢) السرح: المال السائم، أى لا يقتربان فى الرعى.

(٣) الخراب: جم خارب، كسارق وسراق، وزناً ومعنى.

(٤) الأذواد: جم ذود، وهو الجماعة من الإِبِلِ.

(٥) الباعة: جم بائع، وهو السمسار الذى يشتري لبييع، وكان يسمى المستام
الذى يسوم الإِبِلَ ليشتريها ويبيعها لغيره، والنجار: الأصل، وزعزعوها:
حركوها ومشوا بها بسرعة ليروا هل فيها عيب أو لا. وسمت أبصارها: ارتفعت
كأنها تنظر ل ترى أحداً من أصحابها، ونار العالمين: المراد بها الوسم بالنار والتعليم
بها، كما استدل به الشريف على ذلك.

(٦) الأوراد جم ورد: وهم الذين يردون الماء لسقى دوابهم.

(٧) الورد هنا: مصدر ورد الماء بمعنى قصده للسقيا.

الوجه : لا يترأى نارهما ، أى لا يختلط وسماهما^(١) . وأما الحديث الآخر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تستضيئوا بنار أهل الشرك » فقيل إن المراد لا تستشيروهم في أموركم ، فتعملوا بأرائهم ، فترجعوا إلى أقوالهم . وهذا أيضاً مجاز آخر ، لأنه عليه الصلاة والسلام شبه الاسترشاد بالرأى بالاستضيء بالنار إذ كان فعله كفعلمهم في تبين المبهم ، وتنوير المظلم^(٢) .

٢٠٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُونُ أَبِيهِ » ، وهذه استعارة ، والمراد أن أصلهما من مثبت واحد ، فهما كالمختلطين من الصنوان ، يجتمع أصلهما ويفترق رأساهما ، فيكونان اثنين في الرؤية ، والأصل واحد في الحقيقة . يقال : صنو ، والجمع صنوان ، مثل قنو ، والجمع قنوان ، قال سبجانه : « صنوان وغَيْرُ صنوان » ، وقيل أيضاً : الصنوان المجتمع ، وغير الصنوان غير المجتمع^(٣) .

(١) أى لا تختلط إبلهما الموسومة بوسمها .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث كناية : حيث كنى بعدم رؤية نار أحدهما لنار صاحبه عن ابتعادهما ، والقرينة هنا أن عدم رؤية النار للنار لا يتعلق به غرض ، وإنما المراد بعد المسلم عن المشرك في العقيدة ، بحيث لا يقترب المسلم من المشرك في عقيدته فيجمله ذلك على الخروج من الإسلام ، أما قرب الدار وقرب الأوطان فلا مانع منه ، ولم يرد في الشرع نص بتحريمه .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه عم الرجل بالصنو في أن أصلهما واحد ، لأن

٢٠٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تَمَسَّحُوا
بِالْأَرْضِ فَإِنَّهَا بِكُمْ بَرَّةٌ » ، وهذه استعارة ، والمراد بقوله : « فَإِنَّهَا
بِكُمْ بَرَّةٌ » يرجع إلى أنها كالأم للبرية لأن خلقهم ومعانئهم عليها ،
ورجوعهم إليها ؛ فلما كانت الأرض تسمى أمنا لنا من الوجوه التي
ذكرناها كان قوله عليه الصلاة والسلام : « فَإِنَّهَا بِكُمْ بَرَّةٌ » يرجع
إلى وصفها بالأمومة ، لأنهم يقولون : الأرض ولود ، يريدون كثرة
إنشاء الخلق واستيلائهم عليها . وقال ذو الرثمة في وصف الأم بالبر ،
وهو يذكر فراخ النعام :

جاءت من البيض زُعراً لا لباس لها

إلا الدهاسُ وأمُّ بَرَّةٌ وأبٌ^(١)

والدهاس : الرمل . واقلوه عليه الصلاة والسلام : « تَمَسَّحُوا
بِالْأَرْضِ » وجهان :

﴿أحدهما﴾ أن يكون المراد التيمم منها في حال الطهارة وحال الجفابة .

﴿والوجه الآخر﴾ أن يكون المراد مباشرة ترابها بالجباه في حال

أباحتها واحد وحذف وجه الشبه والأداة .

(١) الزعر : جمع زعراء ، وهي قليلة الريش ؛ والدهاس : النبات الذي لم
ينحضر بعد ، شبه الريش القليل الذي لم يتلون بالنبات الذي لم ينحضر . والمعنى أن
فراخ النعام خرجت من البيض بعد فقسها قليلة الريش ، لا يكسوها إلا الريش الذي
لم يصل إلى درجة التلون وعطف أمها وأبيها . ويجوز أن يكون المراد بالدهاس
الرمل كما قال الشريف ؛ فتكون فراخ النعام بعد فقسها اختلطت أجسادها برمل
المكان الذي ولدت فيه .

السجود عليها ، وتعقّر الوجوه فيها ، ويكون هذا القول أمر تأديب لا أمر وجوب ، لأن من سجد على جلدة الأرض ومن سجد على حائل بينها وبين الوجه واحد في أجزاء الصلاة ، إلا أن مباشرتها بالسجود أفضل . وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يسجد على الحمرة ، وهي الحصير الصغير يعمل من سمف النخل ، فبان أن المراد بذلك فعل الأفضل لا فعل الأوجب .

ومما يقرب شبهاً من هذا الخبر ما روى من قوله عليه الصلاة والسلام : « نِعِمَّتِ الْعَمَّةُ لَكُمْ النَّخْلَةُ » ، فكأنها لانتفاعهم بها ، وتعويلهم على ثمرتها ، قد قامت مقام القرية الحانية ، وذات الرحم المتحفية ، ولم يجعلها عليه الصلاة والسلام بمنزلة الأم للناس كما جعل الأرض في الخبر الأول ، لأنهم في الحقيقة لم يخلقوا منها ، ولم ينسبوا إليها ، فجعلها من حيث الانتفاع بها بمنزلة أقرب الإناث القرائب من الإنسان بعد اللاتي ولدنه واللّاتي ولدن هو ، وتلك عمه الإنسان وخالته ، إلا أن أخت الأب أرفع منزلة من أخت الأم ، ولذلك جعلها عمه ، ولم يجعلها خالة^(١) .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه يلين ، حيث شبه الأرض بالأم البرة في نشأة الناس منها وعودهم إليها ، وحذف وجه الشبه والأداة . وهنا موصوف محذوف والتقدير فإنها أم برة بكم .

٢١٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في دعاء كان يدعو به : « رَبِّ تَتَبَّلْ تَوْبَتِي وَاغْسِلْ عَنِّي حَوْبَتِي » وهذه استعارة ، والخوبة والخوب ^(١) : المأثم ، والمراد احطط عني وزري ، وتعمد ذنبي وخطيئتي ، واسكن العصية لما كانت كالدرن ^(٢) الذي يصيب الإنسان ، فيفحش أثره ، ويقبح منظره ، أقام عليه الصلاة والسلام إمطة وزرها ، وإسقاط إثمها مقام غسل الأدران ، وإمطة الأدناس لأن الإنسان بعدها يعود نقي الأثواب ، طاهراً من العاب ^(٣) . وهذا الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام على وجه التعبد والخضوع ، والنظام والخشوع ، لا أن له عليه الصلاة والسلام حوبة يستحيط وزرها ، ويستفسل درننها ، أو يكون قوله عليه الصلاة والسلام ذلك على طريق التعليم لأئمة كيف يتوب المعاصي ، وينيب الغاوي ، ويستأمن الخائف ، ويستقيم الجانف ^(٤) . والسبب الذي لأجله قلنا إن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز أن يوقعوا المعاصي ، ويقدموا على المغاوي ، أن الحكيم تعالى إذا أرسل رسولا جفبه كل ما يُنفّر عنه ،

(١) الحوب : بضم الحاء الذنب والإثم ، قال تعالى « إنه كان حوباً كبيراً » أى إثمًا ؛ وكذلك الحوب بفتح الحاء وسكون الواو ؛ والمأثم : مصدر ميمي بمعنى الإثم ؛ وهو ارتكاب الذنب .

(٢) الدرن : الوسخ والقذر .

(٣) العاب والمعاب والمعابة : العيب .

(٤) يقال جنف : من باب ضرب فهو جانف ؛ أى ماله وجار من الطريق

المستقيم ، فهو جائر .

وَيَصْرِفُ عَنِ الْقَبُولِ مَعَهُ ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَقْطَعُ عَلَى أَنَّهُ مُنْفَرِّ مَأْخُوذٍ مِنْ عَادَاتِ النَّاسِ ، وَكِبَائِرُ الْمَعَاصِي كُلِّهَا مُنْفَرَةٌ لِأَنَّهَا تُخْرِجُ مِنْ وَلَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى عِدَاوَتِهِ ، وَتُوجِبُ عَاجِلَ مَقْتِهِ وَعَقُوبَتِهِ . وَفِي الصِّغَائِرِ خِلَافٌ لَيْسَ كِتَابُنَا هَذَا مَوْضِعَ بَيَانِهِ ، وَاسْتِقْصَاءُ حِجَابِهِ ، وَقَدْ بَسَطْنَا السِّكَّالِمَ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابٍ مُفْرَدٍ مِنْ جُمْلَةِ كِتَابِنَا السَّكْبِيرِ فِي مِثْلَابَةِ الْقُرْآنِ ، فَمَنْ أَرَادَ اسْتِيعَابَ مَعَانِيهِ ، وَمَعْرِفَةَ الْخِلَافِ فِيهِ . فَلْيَقْصِدْ مَطَالَعَتَهُ مِنْ هُنَاكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ ^(١) .

٢١١ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنْ وَحَرٍ صَدْرِهِ فَلْيَصُمْ شَهْرٌ ^(٢) الصَّبْرِ وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ » ، فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « وَحَرٍ صَدْرِهِ » اسْتِعَارَةٌ ، وَالْمُرَادُ غَشَهُ وَدَغَلَهُ ، وَفَسَادَهُ وَنَفْغَهُ ^(٣) ، وَذَلِكَ

(١) مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ اسْتِعَارَةٌ مَكْنِيَّةٌ وَتَبْعِيَّةٌ . الْأَوَّلَى : فِي تَشْبِيهِ الذَّنْبِ بِالْوَسْخِ وَالْقَذْرِ بِجَمَاعِ الْأَثَرِ السَّيِّئِ وَالشَّنْعَةِ فِي كُلِّ ؛ وَحَذْفُ وَرَمَزَ لِمَا بِهِ بَشَىءٌ مِنْ لَوَازِمِهِ وَهُوَ الْفُسْلُ ؛ وَالثَّانِيَّةُ : فِي اغْسِلْ ؛ حَيْثُ شَبِهَ غُفْرَ الذَّنْبِ وَعَدَمَ الْمُؤَاخَذَةَ عَلَيْهِ بِغُسْلِ الْوَسْخِ بِجَمَامِ لِمَا زَالَهُ الْأَثَرُ فِي كُلِّ ، وَاشْتَقَّ مِنَ الْفُسْلِ بِمَعْنَى الْفُفْرَانِ ، اغْسِلْ بِمَعْنَى اغْفِرْ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ .

(٢) شَهْرُ الصَّبْرِ : هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ ، وَصِيَامُهُ وَاجِبٌ ؛ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَوَّلِهِ أَوْ مِنْ آخِرِهِ أَوْ وَسْطِهِ ؛ وَهَذَا صِيَامُ نَفْلِ وَلَيْسَ وَاجِبًا .

(٣) يُقَالُ نَفَلَ الْجَرَحَ : لَمَّا فَسَدَ ؛ وَنَفَلَتْ نَيْتُهُ : سَاءَتْ ؛ وَقَلْبُهُ عَلَى ضَعْفٍ : (حَقْدٌ) وَهُوَ مِنْ بَابِ فَرَحَ ؛ فَالْنَفْلُ هُنَا مَصْدَرٌ .

أخوذ من أَسْم دَوِيْبَةٌ يقال لها الوَحَرَةُ وجمعها وَحَرٌ^(١) ، وهي
 بيهية بالحَرْباء . وقال بعضهم : هي تشبه العِظاء^(٢) ، إذا دَبَّت^(٣)
 على اللحم فأكل منه إنسان وَحَرَ صدره ، أى اشتكى داء فيه^(٤) ،
 يقال : إنها شبيهة باليعسوب^(٥) الأحر تسكن القَلِيب والآبار .
 قال الراجز :

فِي كُلِّ يَوْمٍ قَرِيبَةٌ مُوَكَّرَةٌ يَشْرِبُهَا مَرِيَّةٌ كَالْوَحَرَةِ^(٦)
 فشبه عليه الصلاة والسلام ما يسكن في صدر الإنسان من الغش
 والبلابل ، ويحتمل في قلبه من مذبذوبات الخواطر ، بهذه الدويبة
 المنعوتة ، فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه القلب بالقَلِيب ، وشبه
 ما يستجِنُّ فيه من نَفَلِه ، بما يستجِنُّ في القَلِيب من وَحَرِه^(٧) .

-
- (١) قال في القاموس : « الوحرة محركة وزغة كسام أبرص ؛ أو ضرب من
 العِظاء لا تطأ شيئاً إلا سمته » اه .
 (٢) العِظاء : بفتح العين جمع عِظاية ؛ وهي دابة كسام أبرص ؛ وسام أبرص :
 هي ما يسميه الناس البرص أو البريصة على اختلاف التسمية في البلاد .
 (٣) دبت على اللحم : مشت عليه .
 (٤) أى تسمم من سم الوحرة ؛ فيقال وحر .
 (٥) اليعسوب : ذكر النحل ؛ أو أميرها أو كبيرها .
 (٦) الموكرة : الملوثة ؛ يقال وكر الإناء ووكره بتشديد الكاف : إذا
 ملأه ؛ والمرية : السهلة السائفة ؛ والوحرة : الدويبة المروفة ؛ وهي تأكل من
 كل شيء ؛ فهو صرى عندها .
 (٧) مافي الحديث من البلاغة .

في الحديث استعارة تصريحية في وحر صدره ، حيث شبه ما يكون في الصدر
 من الضيق والحقد بسم الوحرة ؛ بجامع الإفساد في كل ؛ واستعمل لفظ المشبه
 به في المشبه .

٢١٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ . فقيل يارسول الله ماهمزه ونفثه ونفخه ؟ فقال : أما همزه فالموتة ^(١) ، وأما نفثه فالشعر ، وأما نفخه فالكبرُ » ، وفي هذا الكلام استعارات ثلاث : الأولى منها الاستعارة من همز الشياطين ، وأصل الهمز الغمز والدفع وكل شيء دفعته فقد همزته ، ويروى بيت القطامي :
 تَرَأُهمْ يَهْمَزُونَ مِنْ اسْتَرَكَوا وَيَجْتَذِبُونَ مِنْ صَدَقِ الْمِصَاعَا ^(٢)
 ويروى يغمرون ، فالهمز على ما فسرہ النبي عليه الصلاة والسلام هاهنا الموتة وهي الجنون على الحقيقة ، فإن الشيطان لاسلطان له على الإنسان ولا يصصره ويوسوس له ويفزعه ، وقد صرح التنزيل بذلك ، فقال تعالى : « وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي » الآية ، فعلمنا أنه لاسلطان له على الإنسان إلا بالوساوس والتخايل ، وضروب

(١) الموتة : الإغماء والجنون .

(٢) يهمزون : يدفعون ويضربون ، من استركوا : من استضعفوه ، مأخوذ من الرك وهو الضعف ، والمصاع : النزال والجلاد في الحرب ؛ ومن صدقه : من كان فيه قوياً شديداً فهم يجتنبونه خوفاً منهم .

التهاويل ، فلما كان ما يلحق المجنون من الأفزع ، يأخذه من العرواء^(١) والانزعاج ، عن وساوس الشيطان جاز أن ينسب ذلك إلى همزه وغمزه على طريق المجاز والانساع في نظائره . « والاستعارة الثانية » الاستعارة من نفث الشيطان ، وهى الشعر على ما فسره النبي عليه الصلاة والسلام ، وذلك مخصوص فى شعر المشركين الذى كانوا يهجون به رسول الله صلى الله عليه وآله وخيار المسلمين ، أو ما يجرى مجراه من أشعار المسلمين الإسلاميين ، لأنه عليه الصلاة والسلام قد قال : « إن من الشعر حكماً » ، فلا يجوز أن يكون هذا القول متناولاً لجميع الشعر عموماً ، وموضع الاستعارة أن الشيطان لما كان يزّين للمشركين الطعن فى أعراض المسلمين ، وكان الشعر مما تلفظ به ألسنتهم ، شبهه عليه الصلاة والسلام بالشئ الذى تنفث^(٢) به أفواههم ، ونسبه إلى الشيطان لأن تزيينه مازين لهم كان سبباً لما نفثت به ألسنتهم ، وقد يجوز أن يكون إنما نسبته إلى نفثه لأن الشيطان كان نفثه فى أفواههم ، وتسكلم به على ألسنتهم ، كما يقولون للمتكلم بالكلمة الفاوية : ما نطق على لسانك إلا شيطان . قال الفرزدق فى قصيدته التى يهجو فيها إبليس ، وهى مشهورة :

(١) العرواء : قوة الحمى ومسها فى أول رعدتها ؛ وقد شبه الرضى ما يحدث لمن يهمزه الشيطان بالرعدة التى تحدث للمجموم .

(٢) النفث : إخراج النفس مع بعض الريق ؛ فهو نفث ضعيف وأقل من التفل .

وإنَّ ابنَ إبليسَ وإبليسَ ألبنا لهم بعذابِ الناسِ كلِّ غلام^(١)
 هما نفثا في فيٍّ من فَمَوَيْهِما^(٢) على النابجِ العاوى أَشدَّ رِجام^(٣)

ويروى لجام ، يريد بقوله : ألبنا كل غلام ، أى سقيه الابن ،
 فكأنهما غذياه بذلك فدَرَبَ به ونشأ عليه وتعوده ، « والاستعارة
 الثالثة » : الاستعارة من نفخ الشيطان ، وهو على ما فسرهُ عليه
 الصلاة والسلام الكبر والعجب ولا نفخ هناك على الحقيقة ، وإنما
 المراد به ما يَسُوِّله الشيطان للإنسان من تعظيم نفسه واستحقاق غيره ،
 وتصغير الناس في عينه ، فكأنه بهذا الفعل ينفخ في رُوعه ما يستشعر
 به أنه أحقّ من غيره بالتعظيم ، وأولى بالتفخيم ، تشبيهاً بالشيء
 الأجوف كالزَّقِّ^(٤) وما في معناه ، لأنه إذا نفخ فيه انتفخ بعد
 ضمِّره^(٥) ، وعظم بعد صِغَرِهِ ، ومن قولهم للمتكبر إذا أسرف في
 الكبر ، واستطار من العُجْب : قد نفخ الشيطان في مناخره ،

(١) أى أن إبليس وابنه أرضعا كل غلام بعذاب الناس .

(٢) فمويهما : أصلها فموان لهما تثنية فم ، وكان حقّه أن يقول فمّان ، ولكن
 لما كان ميم فم أصلها واو ، أتى بالواو بعد الميم وهو شاذ .

(٣) النابج العاوى : يريد به من يهجوّه ، والرجام : الحجارة التى يرمى بها ؛
 وقد شبه الفرزدق هجوه لأعدائه بالرمى بالحجارة بعد أن شبههم بالكلاب
 النابجة العاوية .

(٤) الزق : القربة الجوفاء التى تمتلئ بالهواء إذا نفخ فيها .

(٥) الضمر : الهزال والنحافة ، والمراد هنا انتفخ ، وصار كبيراً بعد أن
 كان صغيراً .

يريدون به المعنى الذى قدمنا ذكره (١) .

٢١٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْعَيْنُ وَكَاهِ السَّهِّ » (٢) ، فإذا نامت العين استطلق الْوِكَاهُ (٣) ، وهذه من أحسن الاستعارات . والسَّهُّ : اسم للسَّهِّ . قال الشاعر :

شَأْنُكَ قُعَيْنٌ غُثُّهَا وَسَمِيحُهَا

وَأَنْتَ السَّهُّ السُّفْلَى إِذَا دُعِيَتْ نَصْرُ (٤)

فكانه عليه الصلاة والسلام شبه السَّهِّ بالوعاء ، وشبه العين بالوكاه ، فإذا نامت العين انحلت صرار (٥) السَّهِّ ، كما أنه إذا زال الْوِكَاهُ دَسَع (٦) بما فيه الوعاء ، إلا أن حفظ العين للسَّهِّ على خلاف

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث ثلاث استعارات تصرىحية .

١ - حيث شبه لإغواء الشيطان للانسان بالجنون بجامع عمل مالا ينفى فى كل .

٢ - حيث شبه الشعر السىء بنفث الشيطان ، بجامع الاستقباح فى كل .

٣ - حيث شبه الكبر بنفخ الشيطان ، بجامع أن المتكبر يظن نفسه - كبيراً وهو غير ذلك ، فكأن الشيطان نفخ فيه ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه فى الجميع .

(٢) السه ، والسَّهِّ ، والاسْت : الدبر ، والوكاه : الرباط الذى يربط به الشيء المفتوح كالسكيس والفرارة ونحوهما .

(٣) استطلق : أى أصبح صالحاً لإطلاق ما فيه .

(٤) شَأْنُكَ : أتعبتك ، وقعين : قبيلة والفت : الردىء ، السمين : الجيد ، والسَّهِّ السفلى هى الدبر ووصفها بالسفلى مع أنها كذلك لزيادة التحقير ، ونصر : النصرة والدفاع عن الحمى .

(٥) الصرار : الرباط ، لأن الصر هو الربط .

(٦) أى دفع بما فى داخله .

حفظ الوكاء للوعاء^(١) ، فإن العين إذا أُشْرِجَتْ^(٢) لم تحفظ ستمها ،
والأوكية إذا حُلَّت لم تضبط أوعيتها .

ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين عليّ عليه
السلام ، وقد ذكر محمد بن يزيد المبرّد في الكتاب المقتضب في باب
اللفظ بالحروف ، وفي الأظهر الأشهر أنه للنبي عليه الصلاة والسلام^(٣) .

٢١٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وهو يسأل عن
سحابة عَرَضَتْ^(٤) : « كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعِدَهَا وَبَوَاسِقَهَا ، وَكَيْفَ
تَرَوْنَ رَحَاهَا ؟ » في حديث طويل .

وفي هذا الكلام استعارات ثلاث :

فإنه عليه الصلاة والسلام شبه أصولها ومناشئها ، وطوالها

(١) يريد بيان الاختلاف حتى يشرح التشبيه

(٢) أُشْرِجَتْ : ينبغي أن تكون الهمزة في أشرح هنا للازالة كما في أعجم
الحرف أي أزال عجمته ، فإنه يقال شرح الخريطة إذا ربطها ويكون هنا أشرح
الخريطة بمعنى أزال رباطها ، وأشرح العين بمعنى أزال رباطها وهو يقظتها ، حتى
يستقيم كلام الشريف .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ حيث شبه العينين اليقظتين بالرباط لسه بجامع عدم خروج
شيء من المشبه والمشبّه به ؛ فالسه مع يقظة العين لا يخرج منه شيء ، والكيس
ونحوه لا يخرج منه شيء إذا كان مربوطاً ، وحذف وجه الشبه والأداة ، ويلاحظ
أن في التشبيه وصفا محذوفاً تقديره العينان اليقظتان . بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك « فإذا نامت العين استطلق الوكاء » .

(٤) عرضت : ظهرت في السماء .

ومبادئها ، بقواعد البيت التي هي أصل بنائه وأول إنشائه .

وشبه فروعها المستطيلة إلى أوساط السماء ، وأعالها البعيدة عن الآفاق ، بفروع الشجرة الباسقة التي هي ملتف أوراقها ، ومزدحم أفنانها . ويقال : **بَسَقَتِ الشَّجَرَةُ** والفخلة **تَبْسُقَاتٍ** **بُسُوقًا** إذا طالتا ، وكلُّ باسق طويل . وفي التنزيل : « **وَالْفَخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ** » .

وشبه مُسْتَدَارَها في السماء عند استوائها ، بالرحا المستديرة على قطبها . ومن ذلك قيل : رحا الحرب ، وهو الموضع الذي يستدار فيه للمعاركة والجلاد ، والتفاف الرجال بالرجال .

ومنه قول سليمان بن صُرَدٍ الخُزَاعِيّ في حديث له : أتيت عليّاً عليه السلام حين رفع يده عن مرعى ^(١) الجمل ، يريد عن مجيئ ^(٢) تلك الحرب بالمكان المخصوص الذي دارت به رحاها ، وبلغت فيه مفتهاها . وعلى ذلك قول السكيت بن زيد يصف السحاب :

كَأَنَّمَا الزَّجَرُ وَالصَّهِيلُ بِهِ مَرٌّ حَتَّى مَرَّاسِ الْحُرُوبِ ذَوِ اللَّجَبِ ^(٣)

(١) الجمل : المراد بها وقعة الجمل التي كانت بين أنصار الإمام علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ومرحها : مدارها أي المكان الذي دارت فيه ، كأنها الرحى التي تدور والعرب تشبه ، الحرب والقتال فيها بدوران الرحى .

(٢) المجثم : اسم مكان من جثم بمعنى برك شبهت الحرب بالجمل ونحوه .

(٣) الزجر والصهيل : المراد بهما الأصوات التي تنبعث من السحابة من حفيف حبات المطر أثناء سقوطها وزجرة الرعد الذي يصاحب المطر . والمرحى : مصدر

يريد بالزجر والصهيل خفيف وذقه ، وأزيز رعدده . ويحتمل قولهم : رجا الحرب ، وجهين :

﴿ أحدهما ﴾ : أن يريدوا به اللبث والاستقرار .

﴿ والآخر ﴾ : أن يريدوا به الجَوْلان والمدار ، وقد يجوز أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام في السحابة : « كيف ترون رَحَاهَا » . يريد به صوت رَعْدِهَا ، كما سألم عن لَمَع برقها ، وكثيراً ما تشبه أصوات الرعد القاصفة بقعقة أصوات الأرحاء^(١) الدائرة ، ولا يمتنع أن يعتبر عما تسمعه الأذن بعبارة ما تشاهده العين كما يقول القائل لغيره إذا سأله عن سماع الغناء المطرب ، والحداء المعجب : كيف ترى هذا الغناء ، وكيف ترى هذا الحداء ؟ ، وذلك شائع عند أهل اللسان^(٢) .

ميمى بمعنى دوران الرحى ، والمراس : مصدر مارس ، والمراد قتال الحروب ، والجب : الضوضاء والأصوات المرتفعة . يقول الشاعر كأن الأصوات العالية والقعقة دوران الحروب وما يصاحبها من ضوضاء .

(١) الأرحاء : جمع رحى ، وأصلها أرحاى وقعت الياء طرفاً لإنز ألف زائدة فقلبت همزة .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث ثلاث استعارات تصريحية :

١ - حيث شبه مبادئ السحابة بالفواعد ، بجامع كونها موضع الاستقرار ومنشأ البناء في كل .

٢ - حيث شبه فروع السحابة المبتوثة في السماء بفروع الشجر الباسقة العالية بجامع الطول والارتفاع في كل .

٣ - حيث شبه امتدادتها في السماء بالرحى ، بجامع الاستدارة في كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه في الجميع .

٢١٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كَلِّكُمْ
بَنُو آدَمَ طَفٌّ^(١) الصَّاعِ » لم تملئوه ، وليس لأحد على أحد فضلٌ
إلا بالتَّقْوَى » في حديث طويل ، فقوله عليه الصلاة والسلام :
« طَفٌّ الصَّاعِ » هاهنا استعارة . والمراد أن كلَّ من كان من ولد آدم
عليه الصلاة والسلام ، فهو ناقص لا يوصف بالتمام ، ولا يعطى مزيدَ
الكمال ، وإنما يتفاضل الناس بأعمالهم ، ويفضَّلون بكثرة فضائلهم .
وإنما يوصف الإنسان بأنه فاضل إذا أُضيف إلى الناقص ، وإلا فلا بد
من نقائص تتخلل فضائله ، ومساوٍ^(٢) تتوسط محاسنه . إما بأن يكون
فاضلاً في حال ، وناقصاً في حال ، وإما بأن يكون قاصراً عما فوقه ،
وزائداً على مَنْ دونه . وقوله عليه الصلاة والسلام : « طَفٌّ الصَّاعِ
لم تملئوه » من العبارات العجيبة عن هذا المعنى ، يريد أن كلَّكم
قاصر عن غاية الكمال ، تشبيهاً بطفِّ المكِّيال ، وهو أن يقارب
الامتلاء من غير أن يمتلئ . يقال : طَفَّ المكِّيال وطِفَّاه إذا أُريدَ
به هذا المعنى ، وهو ضدُّ الطَّلَاعِ^(٣) والظَّفَاح ، لأن هاتين اللفظتين

(١) الصَّاع : مكِّيال تـكـال به الحبوب ، وهو قدحان مصريان عند أكثر
الفقهاء ، وطف الإناء وطففه وطفافه : بفتح الطاء وكسرهما ، ما ملأ حافته
وجوانبه ، ولم يصل إلى رأسه وغايته ، وهو ملؤه أيضاً ، ولذلك قال الرسول
صلَّى الله عليه وسلم : « لم تملئوه احترازاً من طف الكيل » بمعنى ملئه .
(٢) مساو : جمع مساواة ، وأصلها مساوئ ، سهلت الهمزة بقلبها ياء ،
فصارت مثل جوارى م حذفت الياء للتنوين .
(٣) طلاع الشيء : بكسر الطاء ملؤه ، وطفاح الشيء ملؤه أيضاً ، ومن

يعتبر بهما عن بلوغ غاية الامتلاء ، واللفظة الأولى يعبر بها عن الوقوف دون حدّ الامتلاء . ويقال : إناء طَفَأَنَ إذا بلغ الماء أكثره ولم يبلغ غايته ، ولو قال عليه الصلاة والسلام : أنتم بنو آدم كطَفَّ الصاع خرج الكلام عن أن يكون مستعاراً ، لأن دخول كاف التشبيه في الكلام يخرج عن باب المجاز ، مثل قوله عليه الصلاة والسلام في حديث : « خرجت حين بزغ القمر كأنه فِلَقُ ^(١) جِفْنَةٍ » . ومثل قوله عليه الصلاة والسلام في حديث : « فإن الساعة كالحامل المُتِمِّ ^(٢) التي لا يذري أهلها متى تَفْجَوْن بولادها ليلاً أو نهاراً » ، ولو قال : والقمرُ فِلَقُ جِفْنَةٍ ، والساعة حاملٌ متم ، كان الكلام من حيز الاستعارة .

ومن هذا القبيل قوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمنون كالبُنيان يشدُّ بعضُهُ بعضاً » ، ولو قال : بنيان ، لكان من قبيل المجاز . ومثله أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام لقوم كانوا يرفعون أيديهم في الصلاة : « مَالِي أَرَأَيْكُمْ يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ كَأَنَّهُمْ أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمُسٍ ^(٣) »

ذلك طفاح الأرض ذهباً : أى ملؤها ذهباً .

(١) فلق الجفنة : نصفها ، والجفنة : القصعة ، وهى تكون بيضاوية الشكل ومثلها يكون مثل الهلال أى متقوساً دائر الوسط دقيق الأطراف .
(٢) التّم : التى بلغت تمام أشهرها وتهيأت للولادة ، ولكن لا تعلم ساعة ولادتها بالضبط .

(٣) الشمس : بضم الشين والميم وبسكين الميم جمع شامس ، وشموس بفتح

ولو قال : أيديهم أذئاب خيل شمس ، لكان الكلام مستعاراً .
ولذلك نظائر كثيرة يطول بذكرها الكتاب ^(١) ، ولم يرض عليه
الصلاة والسلام بقوله : « طَفُّ الصَّاع » في إرادة القرض الذي
تكلمنا عليه في الخبر ، حتى قال : « لم تملئوه » فزاد المعنى إيضاحاً ،
والكلام إفصاحاً .

وفي ضمن هذا القول نهى عن الافتخار على الناس إلا بالفضائل
الدينية ، دون الفضائل الدنيوية ^(٢) ، وهو معنى قوله عليه الصلاة
والسلام : « ليس لأحدٍ على أحدٍ فضلٌ إلا باليتقوى » لأن فضائل
الدِّينِ وَصَلٌ ^(٣) يتوصل بها إلى النعمم الباقى ، والدَّرَج العوالى ،
وفضائل الدنيا لانعدو غايتها ، ولا توصل إلى ما بعدها ؛ فهي كالفرس
الذى لا يُثْمِر ، والزاد الذى لا يُبَلِّغ ^(٤) .

الشين : وهو الفرس يحمى ظهره من أن يركب ، فهو دائماً متوتر الأعصاب يرفع
ذيله مع التواء .

(١) هذه الأمثلة التى ذكرها الشريف وجعلها مع الكاف تشبيهاً ومع
عدمها استعارة ، يؤيد ما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب من أن الشريف يعتبر
التشبيه البليغ استعارة ، والاصطلاح البلاغى ليس كذلك ، بل يسمى ما ذكر فيه
طرفاً للتشبيه وحذف منه وجه الشبه والأداة تشبيهاً بليغاً .
(٢) هذا أحد الأوجه الجائزة في النسب إلى دنيا ، ويجوز فيها أيضاً
دنيوى ، ودني .

(٣) الوصل : جمع وصلة ، والوصلة والصلة بمعنى واحد ، لأن الواو حذفت
من « صلة » جوازاً حملاً على حذفها في مضارع الفعل ، إذ يقال : وصل يصل ،
أما حذفها في المضارع فواجب لوقوعها بين الياء والكسرة .

(٤) الزاد الذى لا يبلغ : هو الزاد الذى لا يكنى المسافر حتى يصل إلى غايته .

٢١٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْإِبْهَمَيْنِ » ، قيل : إنهما السيل والحريق ، وقيل : بل هما السيل والجمل الصَّئُولُ^(١) . وتسمية كل واحد من هذه الثلاثة^(٢) بالإبهم مجاز ، وذلك أن الإبهم هاهنا اسم للشيء لا يملك دفعه ، ولا يستطاع رده ، ولا له نطق فيكلم ، ولا سمع فيُجْهَج^(٣) ، ولا معقول^(٤) فيُسْتَعْتَب^(٥) . ومن ذلك قيل للفلاة : بهماء ، إذا كانت عمياء المسالك ، لا يمتدى بآياتها^(٦) ، ولا يُستدل بأعلامها^(٧) وقال الأعشى :

وبهماء بالليل غَطَشَى الفلاة ةِ بُؤْسُنِي صَوْتُ فَيَّادِهَا^(٧)

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية حيث شبه عدم الكمال الخلق والدين بطف المكيال بجامع عدم الوصول إلى الغاية في كل ، واشتق من الطنف طف بمعنى ناقص ، على طريق الاستعارة التبعية .

(١) الصَّئُول : فعول من صال يصول بمعنى عدا وهجم ، وأصلها صوول ، قلبت الواو الأولى همزة لتخفيف ثقل النطق بالواوين المضمومتين متجاورتين .

(٢) الثلاثة : السيل والحريق والجمل .

(٣) يهجهج : يزجر بالصياح عليه وتخويفه برفع الصوت .

(٤) المعقول : مصدر ميمي ، أي ، عقل ، ويستعقب : أي يزال سبب عتبه ،

كما يزال سبب عتب الإنسان العاقل .

(٥) الآيات : العلامات .

(٦) الأعلام : جم علم ، وهو العلامة .

(٧) وبهماء : الواو واو رب ، بهماء : المراد بها الأرض المبهمة التي ليس

بها آيات ولا أعلام . وغطشى : مظلمة ، والفلاة : الأرض المقفرة الحالية من

والفيّاد : اسم طائر ، وقيل إنه ذكر البوم . ومثل تسميتهم الشيء بهم إذا كان على الصفة التي ذكرناها ما أنشدنا شيخنا أبو الفتح عثمان بن جني النحوى رحمه الله ، وأظنه من أبيات الكتاب ^(١) :

وداهية يتقيها الرّجا لمرّهوبة الحدّ لا فالها ^(٢)

قال : والمراد بقوله : لا فالها ، أى ليس لها جهة واحدة تتقى منها كما يتقى الحيوان العادى من جهة أنيابه ، أو ناحية أظفاره ، بل كل جهاتها محذور ، وكل نواحيها مخوف .

وقد روى فى هذا الخبر مكان التعموذ من الأبهمين التعموذ من الأعميين ، والمعنى فيهما متقارب ، لأن الأبهم هو الذى لا يعلم كيف يدفع ، ومن أى وجه يضبط ، والأعمى هو الذى لا يعلم علام يرد ، لا لأى وجه يقصد ^(٣) .

ناس ، والفيّاد : الطائر الذى ذكره الشريف . يقول الشاعر : إنه شجاع ؛ كثير من الأراضى المتاهة المظلمة الموحشة قطعها وخرج منها سالماً .

(١) هو كتاب سيدييه وإذا أطلق الكتاب ينصرف إليه .

(٢) الحد : الشدة ، أى شدتها وقسوتها . ولا فالها : أى لا فم لها ، وكان يقها لا فم لها ، لأن الفم لا تعرب بالمروف إلا إذا أضيفت ، وهى هنا غير مضافة المراد بالفم هنا المدخل .

(٣) ماق الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تصرّحية ، حيث شبه السيل والحريق بالأبهمين ، أى شيتين المبهمين اللذين ليس لهما مكان يفتحان منه ، ولا مدخل يدخل إليهما به ، ناعم عدم فائدة المحاولة فيهما ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

٢١٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُجْشُ » ^(١) وَالْبُخْلُ ، وَيَخُونُ الْأَمِينُ ، وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ ، وَتَهْلِكَ الْوُءُولُ ، وَتَظْهَرَ التُّحُوتُ » ، قال : الوعول : وجوه الناس وأشرافهم ^(٢) ، والتحوت : الذين كانوا تحت أقدام الناس ^(٣) لا يؤبه لهم . فقوله عليه الصلاة والسلام : لوعول والتحوت ، مجازان على التفسير الذى ذكره صلى الله عليه وآله ، لأنه شبه عليه الصلاة والسلام الناس وجلتهم بالوعول ، لأنها تعلو قلل الجبال ، وتكون فى شَعَف ^(٤) الهضاب ، فهى أبدأ عالية المنازل ، بعيدة عن المتناول . وقوله : التحوت ، وهو جمع تحت ، يريد به الخاملين للمغمورين ، والقليلين الذليلين ، لأنهم الطبقة السفلى من الناس ، وهم الذين نزلوا عن غايات العلية ، وقعدوا بمهابط الذلة ؛ فكأنهم تحت أجلة الناس وأشرافهم ، والأشراف والوجوه فوق لهم . وتفسيره عليه الصلاة والسلام التحوت بأنهم الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم مجاز آخر ، وليس المراد أنهم كانوا تحت مواطئ

(١) الفجش : ما يشتد قبحه من الذنوب .

(٢) الوعل فى الأصل : التيس الجبلى الذى يسكن أعلى الجبال ، وشبه به الشريف من الناس فى أنه بعيد المنال .

(٣) فالتحوت : جمع تحت ، وهو مقابل فوق ، فجعل الناس الذين لا يؤبه لهم نفس التحت وعين السفلى .

(٤) شعف الجبال : بالعين والغين أعاليها .

الأقدام على الحقيقة ، وإنما المراد أنهم كانوا من خول الذكر ، وغموض القدر ، بحيث يشبهون بالشيء الموطوء لذاته ، والمنبوذ لبيذلته ^(١) .

٢١٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الكتاب الذى كتبه لصاحب دومة ^(٢) ، وهو المعروف بأبي كيدر منصرفه ^(٣) صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك : « إِنَّ لَنَا الضَّاحِيَةَ مِنَ الْبَعْلِ ، وَلَكُمْ الضَّامِنَةُ مِنَ النَّخْلِ » ، وفي رواية أخرى : « إِنَّ لَنَا الضَّاحِيَةَ مِنَ الضَّحْلِ ، وَلَكُمْ الضَّامِنَةَ مِنَ النَّخْلِ » . والضحل : الماء القليل ، والرواية الأولى أصح : والضاحية من البعل : هى النخيل التى فى ضواحي البلدة وصحاريها ، والبعل : اسم لما شرب الماء بعروقه من الأرض ولم يتعمده كغيره بالسقى . قال عبد الله بن رَوَاحَةَ :

هُنَالِكَ لَا أَبَالِي طَلَعَ بَعْلٌ وَلَا سَقَى وَإِنْ عَظَّمَ الْإِنَاءُ
ويروى : نَخْلٌ بَعْلٌ ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « وَلَكُمْ

(١) البذلة والمبذلة : بوزن مكثسة ، الشيء الذى لا يسان ، والبذلة هنا مصدر بمعنى الابتذال ، أى لا يتذاله .

ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارتان تصريحيتان :

١ — حيث شبه كرام الناس وأشرفهم بالوعول فى امتناعها وعدم الوصول إليها
٢ — حيث شبه أصاغر الناس وأراذلهم بأسفل المكان فى ابتذاله ، وكونه فى متناول كل أحد ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

(٢) هى دومة الجندل ، وهى مكان قرب تبوك .

(٣) منصرف : اسم زمان من انصرف : أى وقت انصرافه من غزوة تبوك .

الضامنة من النخل « مجاز . والمراد بالضامنة هاهنا ما تضمنته القرى والأمصار من النخل ، فسميها عليه الصلاة والسلام ضامنة ، وهي في الحقيقة مضمونة ، وهذا موضع المجاز ، ومثل ذلك قول الشاعر :

وَمُحْتَرِشٍ ضَبَّ الْعَدَاوَةِ مِنْهُمْ

بِحُلُوِّ الْخَلَا حَرَّشَ الضُّبَابِ الْخَوَادِعَ ^(١)

فجعل الضباب خوادع ، وهي في الحقيقة مخدوعة ؛ لأنها تخدع بضروب من الحيلة حتى تخرج من مجاحرها ، وتُسْتَدْلَقُ ^(٢) من مكانها . والخلا مقصوراً : اسم من أسماء الحشيش ، وهو أيضاً اسم إحسن الكلام ، وهو المراد في هذا المكان ، يقال إنه يحسن الخلا : إذا كان حسن الكلام ^(٣) .

٢١٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث : « وَاسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُمْ أَشَدُّ تَفَضُّلاً مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنْ

(١) المحترش : الصائد من قوله : حرش الضب صاده ، ومن ذلك المثل : « أَتَمَلَنِي بِضَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ » أي أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَنَا أَوَّلُ مَنْ عَلِمَ بِهِ ، وضب العداوة : أي العداوة التي كالضب في أنه يخرج إلى صائده بالحيلة ، فيصب الصياد الماء في جحر الضب فيخرج فيجرشه الحارث أي الصائد ، والخلا : الكلام الحسن كما ذكر الشريف .

(٢) تستدلق : أي تستخرج ، وذلك بصب الماء في ججورها كما سبق .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز مرسل علاقته الاشتقاق ، حيث استعمل اسم الفاعل في معنى اسم المفعول ، والقرينة المانعة أن الضب مخدوع وليس بخادع .

النَّعَمَ مِنْ عَقْلُهَا » كَذَا رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ ، وَرَوَاهُ أَبُو عُبَيْدَةَ « حَادِثُوا
الْقُرْآنَ بِالْدَّرْسِ ، فَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صَدْرِ الرِّجَالِ مِنَ الْإِبْلِ الْمُعَقَّلَةِ
تَنْزَعُ إِلَى أَوْطَانِهَا » . فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « فَهُوَ أَشَدُّ تَفْصِيًّا
مِنْ صَدُورِ الرِّجَالِ » . مُجَازٌ ، وَالْمُرَادُ بِالتَّفْصِيِّ هَاهُنَا الذَّهَابُ وَالتَّفَلُّتُ .
قَالَ الشَّاعِرُ :

يَا حَفْصُ مَا لَيْلُكَ ذَا التَّفْعَى وَالْأَثَرِ الْبَيِّنِ الْمَفِصِّ (١)

فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شَبَّهَ تَفَلُّتَ الْقُرْآنِ وَذَهَابَهُ مِنَ
الصَّدْرِ مَا لَمْ يُحَادِثْ بِالتَّلَاوَةِ وَيَتَعَمَّدُ بِالْقِرَاءَةِ ، بِتَفَلُّتِ النَّعَمِ الْمُعَقَّلَةِ (٢)
مِنْ عَقْلُهَا ، إِذَا لَمْ يُسْتَظْهَرِ بِأَحْكَامِ عَقْلُهَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
الاسْتِكْنَارَ مِنْ دَرَسِ الْقُرْآنِ فِي أَنَّهُ يَجْمَعُ مُشْتَتَتَهُ وَيَضْبُطُ مُتَفَلِّتَهُ مَقَامَ
الاسْتَظْهَارِ بِعَقْلِ النَّعَمِ فِي أَنَّهُ يَقْصُرُ (٣) مُتَسَرِّعُهَا ، وَيَحْجِسُ
نَوَازِعَهَا (٤) ، وَالْكَلَامُ هَاهُنَا يَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ هُوَ
الْمُتَفَعِّصِيُّ عَنِ الصَّدُورِ ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْقُلُوبَ هِيَ الْمُتَخَلِّيةُ مِنْهُ وَالتَّارِكَةُ
لَهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ جَازَ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ أَنْ يُقَالَ : إِنْ

(١) التَّفْعَى : الْإِنْفِصَالُ ، وَالْمَفِصِّ : مَرِيدُ الْفَصْلِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ ، فَيُقَالُ فَعِصَى
الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ وَفَصَصَهُ ، وَفَصَاهُ : إِذَا فَصَلَهُ .

(٢) الْمُعَقَّلَةُ : أَيْ الَّتِي رُبِّطَتْ بِهَا بِالْعُقَالِ .

(٣) يَقْصُرُ : يَحْجِسُ مُتَسَرِّعُهَا : عَنِ الْإِسْرَاعِ .

(٤) النَوَازِعُ : جَمْعُ نَازِعَةٍ ، وَهِيَ الْمَشْتَاقَةُ إِلَى الْمَشْيِ وَالرَّجُوعِ إِلَى أَوْطَانِهَا ..

القرآن هو التارك لها ، والمتفصى منها^(١) .

٢٢٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : وقد سئل عن الإبل فقال : « أعنان^(٢) الشياطين لا تقبل إلا مؤليّة ولا تدبر إلا مؤليّة^(٣) ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم^(٤) » ، فقوله عليه الصلاة والسلام : « أعنان الشياطين » مجاز ، والأعنان : النواحي^(٥) . ومنه قولهم : أعنان السماء . أى نواحيها . وقال بعضهم الصحيح أن عنان الشيء نواحيه ، فالأول قول البصريين ، والثانى قول الكوفيين . والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « نواحي الشياطين » على القولين جميعاً الميالة فى وصف الإبل بالأخلاق السيئة ، والطباع المستعصية ، فـسكان الشياطين تحتها وتنفقها ، وتنهاها وتأسرها . ومما يقوى ذلك الحديثان الآخران فى نعت الإبل ، فأحدهما قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الإبل خلقت من الشياطين » والحديث الآخر قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تصريحية فى كلمة « تفصياً » حيث شبه نسيان القرآن وعدم وجوده فى ذاكرة القارئ بتفلى الإبل وانفصالها من عقلها ، بجماع عدم القرار فى كل ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

(٢) أعنان الشياطين : أخلاقها ؛ أى أن أخلاق الإبل كـأخلاق الشياطين .

(٣) مؤلية : معرضة ونافرة : أى أنها فى جميع أحوالها نافرة .

(٤) الجانب الأشأم : هو الشمال .

(٥) الأولى تفسيرها بالأخلاق ، أما النواحي : فتفسر بها أعنان السماء ، وإذا

فسرت أعنان الشياطين هنا بنواحيها لم يكن لها معنى يصح أن يقصد .

على ذِرْوَةٍ^(١) كلِّ بعيرٍ شيطاناً ، وهذا أيضاً مجاز ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام بالغ بذلك في وصف الإبل بالحِرَّان^(٢) والنَّفَّار والاستصعاب واللجاج ، فكأنه لإفراط نفارها وشماسها^(٣) ، قد امتطت الشياطين ذراها ، فهي تؤزُّها^(٤) وتَجْوِسُها^(٥) . وقيل إن المراد بقوله عليه الصلاة والسلام : لا تقبل إلا مولاة المثل الذي يقال فيها : إنها إذا أقبلت أدبرت ، وإذا أدبرت أدبرت : أى أن إقبالها إذا كان بمنزلة الإدبار ، فإدبارها إذا غاية الإدبار . وقوله عليه الصلاة والسلام : « ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأُشَام » . يريد أنها لا تحلب ولا تتركب إلا من جهات شمائلها ، ويقال لليد الشمال : الشؤمى . ومنه قوله تعالى : « وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ » يريد أصحاب الشمال . والدليل على ذلك قوله تعالى في الآية الأخرى : « وَأَصْحَابُ الشَّامِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ » . فلما قال سبحانه في الآية الأولى : « فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ » . قال : « وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ » . ولما قال سبحانه في الآية الأخرى « وَأَصْحَابُ اليمِين » قال : « وَأَصْحَابُ الشَّامِ مَا أَصْحَابُ الشَّامِ » ، والمراد فى الآيتين واحد

(١) ذروة الشيء : أعلاه .

(٢) الحران : مصدر حرنت الدابة إذا امتنعت عن المشى ، والنفار : مصدر

فقرت الدابة إذا هاجت .

(٣) الشماس : مصدر شمس الدابة إذا منعت نفسها من أن يركبها أحد .

(٤) توسوس لها ، وأصل الأز التحريك والدفع ، ويجوز لإرادة المعنى الحقيقي

(٥) تجوسها : تدخلها ، كأنها تلبس أجسادها .

لأنه سبحانه طلب المقابلة في الكلام تأليفاً لأجزائه ، وملاحظة بين أعضائه^(١) ، ويقال للجانب الأيمن الإنسى ، وللجانب الأيسر الوحشى هذا على قول البصريين ، وقال بعض الكوفيين الإنسى : هو الأيسر . وهو الذى تأتبه الفاس عند الاحتلاب والركوب ، والوحشى هو الأيمن ، وإنما سمي وحشياً لأن الركب والحالب لا يأتیان منه وإنما يأتیان من الأيسر دونه ، ومنه قول زهير :

فجالت على وحشيتها وكأنها مسرّبة من رازقٍ معصّد^(٢)
أراد جانبها الأيمن ، لأنها إذا فزعت حاصت^(٣) من جانبها الإنسى الذى تخاف أن تؤتى منه ، وهو الشمال إلى جانبها الوحشى الذى تأمل الإنسيان من ناحيته وهو اليمين . والخائف إنما يفرّ من موضع الدعر والخافة إلى موضع الأمن والسلامة^(٤) .

٢٢١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مِنْ شَرِّ

(١) جعل للكلام أعضاء تشبيهاً بالإنسان والمراد بالأعضاء الأجزاء .

(٢) جالت : دارت ، وحشيتها : جانبها الأيمن ، مسرّبة : لابس ، رازق : ثوب من الكتان الأبيض ، والمعصّد : ثوب له علم في موضع العصد ، أى أن هذه البقرة الوحشية ، دارت على جانبها الأيمن نافرة حال كونها ، كأنها تلبس ثوب كتان أبيض فيه علامة عند العصد .

(٣) حاصت : رجعت وعادت .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه أخلاق الإبل بأخلاق الشياطين في السوء ، وحذف وجه الشبه والأداة والمشبه ، إذ الأصل أخلاقها أخلاق الشياطين .

مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ شَيْءٌ هَالِكٌ أَوْ جَبْنٌ خَالِيعٌ ، وَالْهَالِعُ : الْخَفِيفُ الْمَفْرُوعُ وَالْأَسْمُ مِنْهُ الْهَلَعُ ، وَهُوَ أَشَدُّ الْجَزَعِ ^(١) . وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « أَوْ جَبْنٌ خَالِعٌ » مَجَازٌ : أَيْ يَخْلَعُ قَلْبَ الْجَبَانِ ، وَهَذَا عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِهِ بِوَهْلٍ ^(٢) الرَّوْعِ ^(٣) ، وَنَحْبٍ الرَّوْعِ ، وَلَيْسَ يَبْلُغُ الْجَبْنُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى أَنْ يَخْلَعُ قَلْبَ الْجَبَانِ مِنْ مَنَاطِهِ ، وَيَزْعِجُهُ عَنْ قَرَارِهِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا يَعْضُ فِي الْقَلْبِ عِنْدَ الْخَوْفِ مِنْ نَوَازِغِ الْأَفْكَارِ ^(٤) ، وَنَوَازِغِ الْحِذَارِ ^(٥) . وَعَلَى ذَلِكَ ^(٦) قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ » . وَقَدْ أَوْضَحْنَا الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِ (مَجَازَاتِ الْقُرْآنِ) ^(٧) .

(١) فِي الْقَامُوسِ : الْهَلَمُ أَخْشُ الْجَزَعِ .

(٢) الْوَهْلُ : الضَّعْفُ وَالْفَزَعُ .

(٣) الرَّوْعُ بَفَتْحِ الرَّاءِ : الْخَوْفُ ، يُقَالُ هَدِىءَ مِنْ رَوْعِكَ : أَيْ قَلَّ مِنْ خَوْفِكَ ، وَالرَّوْعُ : الْقَلْبُ وَالنَّفْسُ ، يُقَالُ أَلْقَى اللَّهُ فِي رَوْعِي كَذَا ، أَيْ فِي قَلْبِي وَنَفْسِي . وَالنَّحْبُ بَفَتْحَتَيْنِ : الْجَبْنُ . فَالْمَعْنَى وَصْفُهُ بِفَزَعِ الْخَوْفِ وَجَبْنِ النَّفْسِ أَوْ الْقَلْبِ .

(٤) نَوَازِغِ الْأَفْكَارِ : أَيْ الْأَفْكَارُ الْبَاطِلَةُ ، لِأَنَّ النَّزْغَ هُوَ الْوَسْوسَةُ وَالْإِفْسَادُ .

(٥) الْحِذَارُ هُوَ الْحَذَرُ وَنَوَازِعُهُ مَيُولُهُ جَمْعُ نَازِعَةٍ ، أَيْ الْمِيلُ إِلَى الْحَذَرِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَى الشَّيْءِ .

(٦) وَعَلَى ذَلِكَ أَيْ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ الْخَوْفِ .

(٧) مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ تَشْبِيهُهُ بِبَلِغٍ فِي قَوْلِهِ : جَبْنٌ خَالِعٌ ، حَيْثُ شَبَّهَ الْجَبْنَ الشَّدِيدَ بِخَلْعِ الْقَلْبِ ، وَالْمُرَادُ جَبْنٌ شَدِيدٌ كَأَنَّهُ لَشَدِيدُهُ يَخْلَعُ الْقَلْبَ مِنْ مَكَانِهِ .

٢٢٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا وَهُوَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ حَتَّى يَكُونَ عَمَلُهُ الَّذِي يُطْلِقُهُ أَوْ يُوتِغُهُ » ، وهذه استعارة ، لأن العمل على الحقيقة لا يطلق المرء من وَثَاقٍ ، ولا يُوتِغُهُ بعد إطلاقٍ ، وإنما المراد أنه يجيء مغلولاً يده إلى عنقه ، فإن كان عمله صالحاً أطلق الله عنه رِبْقَةً وَثَاقَهُ ، وإن كان عملاً طالحاً زاده الله خِفَاقًا إِلَى خِفَاقِهِ ، وإنما أضاف عليه الصلاة والسلام الإطلاق والإيثاق للعمل ، لأنه سببهما ، وصلاحه وفساده مؤثر فيهما . وقوله : « يُوتِغُهُ » المراد به يُسَلِّمُهُ وَيُهْلِكُهُ ، يقال : وَتَغَ الرَّجُلُ يَوْتِغُ وَتَغًا إِذَا هَلَكَ ، وقد أوتغته غيره إِذَا أَهْلَكَهُ . ومنه قولهم : أَوْتِغَ فُلَانٌ دِينَهُ إِذَا ثَلَمَهُ وَأَفْسَدَهُ ، ويروى : أَوْ يُوتِغُهُ ^(١) ، والمعنيان متقاربان ^(٢) .

٢٢٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كتاب كتبه لِثَقِيفٍ : « وَإِنْ مَا كَانَ لِمَنْ مِنْ دِينٍ إِلَى أَجَلٍ فَيَبْلُغُ أَجَلُهُ فَإِنَّهُ لَيَاطُ مُبْرَأٌ مِنَ اللَّهِ » ، وهذه استعارة ، والمراد باللياط هاهنا : الربا المضاف إلى رءوس الأموال ، كأنه عليه الصلاة والسلام شبهه بالشئ الملتصق بالشئ والمضاف إليه ، وكل شئ ألتصق بشئ فقد لِيِطَ به ، ومنه لياط

(١) يوتغ : يهلك .

(٢) ماق الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز عقلي علاقته السببية : حيث أسند يطلق ويوبق إلى ضمير العمل ، والذي يطلق ويهلك إنما هو الله تعالى ، أما العمل فهو سبب الهلاك .

الحوض وهو ما يصدق به بعض أحجاره إلى بعض عند بنائه أو إصلاحه من طين ، أو ما يقوم مقامه ، يقال : قد لاط فلان حوضه : إذا رمه وأصلحه ، وفي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام مع الفرزدق : إن أباه غالباً جاء به إليه صلى الله عليه وآله ، وهو يُلُوط حوضاً له ^(١) ، وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « مبرأ من الله » سرّ لطيف ، وهو أنه لما جعل الربا ملصقاً إلى أموالهم على الوجه المذموم جعله مبرأ من الله سبحانه ، فكان ذلك الإلصاق بالأموال سبباً للتبرئة من الله تعالى . والمراد مبرأ من رضا أو من دين الله أو من ثواب الله ، لا بدّ من تقدير واحد من هذه المضافات ، لأن الله سبحانه لا يجوز أن يتّصل به شيء على الحقيقة ، لأن ذلك من صفات الأجسام المكيّفة ، والأبعض المؤلفة التي يجوز عليها أن تقداني فتلتصق ، وأن تنفد أي فتفترق ، تعالى الله على ذلك علواً كبيراً . وليس هذا من مواضع استقصاء الكلام عن هذا المعنى ، وقد يجوز أن يكون المراد باللياط هاهنا القشر ، يقال : ليّط ^(٢) وليّاط . قال الشاعر يصف قوساً عربية :

(١) فيكون المعنى على ذلك أن الدين الذي بلغ أجله واستحق الربا المشروط في عقد الدين فإن الربا ليّاط ، أي ملوط وملتصق بالدين ، فعبّر بالمصدر عن اسم المفعول ، وفي هذا مجاز بالاشتقاق ، ولكنه مع التصاقه بأموالهم منفصل من الله ويبعد عنه ، والمراد بانفصاله من الله وبراعة الله منه بعده عن الحل ودخوله في باب المحرمات المحقرات ، كما في قوله تعالى : « إن الله يرى من المشركين ورسوله » . (٢) في القاموس : ليّط كل شيء قشره ، وليّاطه كذلك .

فَمَلَكَ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهَا

كَفَرْتِي، بِيض كَدِّهِ الْقَيْضُ مِنْ عَلٍ^(١)
 فقوله ملك : أى شدد بترك قشر النبعة عليها ماتحته من عودها
 فقويت بانضمام القشر إليها . وذلك مأخوذ من قول القائل : مَلَكَتِ
 العجينة ، أى أحكمت عجنه ، وموضع الذى هاهنا نصب بملك كأنه
 قال : فقوى بالليط عود القوس ، والغريق^٢ : القشر الرقيق الذى
 بين جسم البيضة وبين قشرها الأعلى ، والقشر الأعلى هو القَيْضُ
 والليط أيضاً الجلد ، والجمع ألياط ، والليط أيضاً كون الشيء^(٣)
 ذكر ذلك أبو عبيد فى الغريب المصنّف ، فيكون الربا المضاف
 إلى ردوس الأموال على هذا القول مشبهاً بالقشر المضاف إلى العود
 فى أن العود هو القائم بنفسه ، والقشر كالتبع له والمنفوط به^(٣) .

٢٢٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنْ لِلشَّيْطَانِ
 نَشُوقًا وَلَعُوقًا وَدِسَامًا » ، وهذه الكلمات الثلاث محمولة على المجاز ،

(١) الليط هنا القشر وقد تركه القواس عليها تقوية للعود الذى تحت القشر ،
 ومعنى كنهه القَيْض : ستره ، القَيْض الذى هو القشرة اليابسة للبيضة ، وهى حامية
 للغرقى ، كما أن قشر القوس حامية لها .
 (٢) أى وجوده .
 (٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيهه بليغ ، حيث شبه الربا المضاف إلى المال باللياط الذى يضم بعض
 أجزاء البناء إلى بعض فى تقويته للمال ، كما أن اللياط يقوى البناء ، هذا على المعنى
 الأول ، وعلى المعنى الثانى شبه الربا بقشر البيضة اليابس ، الذى هو القبض فى أنه
 يحمى المال الأصل ، كما أن القبض يحمى الغرقى . وحذف وجه الشبه والأداة .

لأنَّ النشوق ما استنشقه الإنسان بأنفـه ، والأعوق ما لعقه بلسانه ، والدَّسام هاهنا الشئ الذى يجعله سِداداً لأذنه ، يقال منه : دَسَمَتِ الشئ . أدُسِمَ دَسْماً : إذا سدّدتَه . والمراد بهذه الكلمات قريب من المراد بالحديث الذى تقدّم كلامنا عليه فى هذا الكتاب ، وهو استعاذته عليه الصلاة والسلام من هَمَزَاتِ الشيطان ونَفَقَتِهِ ونَفَخِهِ . فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه ما يسوّله الشيطان للإنسان من العُجْب بنفسه ، والإضرار على غيره حتى يشمخ بأنفه ، وينأى بعِطْفِهِ ، بالنشوق الذى يَنشِقُهُ إياه ، فيحدث له هذا الخلق الذميم ، والطبع اللثيم ، وقوى ذلك بذكر الأعوق ، فكأن الشيطان يُلْعِقُهُ بهذا التسويل لَعَوْقاً إذا وصل إلى جوفه أحدث له خيلاء الكبر ، ومَدَّ له فى غُلّوَاه العُجْب . وشبه عليه الصلاة والسلام صرف الشيطان الإنسان عن مرأشده ، وإصمامه عن سماع قول مرشده بالدَّسام ، وهو الصَّمّ الذى تَسَدُّ به الأذن ، فتُحجِب عن سماع الأصوات ، وزواجِر العظّات ^(١) ،

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث ثلاث استعارات تصريحية :

- ١ - حيث شبه وسوسة الشيطان بالنشوق الذى ينشقه الإنسان فيؤثر فيه .
- ٢ - وحيث شبه الوسوسة أيضاً بالأعوق ، وهو ما يلعه الإنسان فيتأثر به فى عقله أو جسمه .
- ٣ - وحيث شبه لإبعاد الشيطان الإنسان عن سماع الحق بالدَّسام ، وهو السداد الذى يسد به الشئ ، بجامع الحيلولة بين وصول شئ من خارج المسدود إليه ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

٢٢٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في مرضه الذي مات فيه : « أَغْبَطْتُ عَلَى الْحَمَى »^(١) وهذه استعارة ، وربما قيل : أَغْمَطْتُ^(٢) بالميم . قال الواقدي في هذا الحديث : أصابته حتى مُغْمِطَةٌ بالميم ، وقال الأصمعي : أغبطت علينا السماء إذا دام مطرها ، وقال أبو عبيد : هما لغتان بالميم والباء قد سمعناهما . وهذا كقولهم : سَبَدَ الرجل رأسه وسمَّده إذا استأصل حلقه^(٣) ، وأشبه ذلك كثيرة . وَأَغْبَطْتُ الحمى بالباء أكثر في كلامهم ، والأصل في ذلك إلزام الرجل ظهر البعير ، يقال : أغبط فلان رحله على مطيقه : أى أطال مكثه عليها ولزَّامه لها . ومن ذلك قول الراجز : (إغباطنا الميس^(٤) على أصلابه) .

وقول الآخر :

وَأَلْزَمَنَهُ قَتَبًا تَوَسَّطُهُ فَقَرُبْتُ فِيهِ عَالَيْنَا نَغْبِطُهُ^(٥)

(١) أغبطت : دامت .

(٢) دامت ولازمت .

(٣) في القاموس : التسييد : حلق الشعر ، والتسييد استئصال الشعر . فالعنى واحد إلا أن في التسييد زيادة على التسييد ، وهى الحلق مع الاستئصال في التسييد .

(٤) الميس . شجر عظام تعمل منه الرجال . وإغباط : لإدامة وضع الرجل ، وأصلابه : أصلاب البعير : أى ظهره .

(٥) القتب : للبرذعة ، توسطه : أى تجعله في وسط ظهر الدابة ، ونغطيع : أى تعطيل لإبقائه .

ومنه سُمِّي الغبيط ، وهو مركب من سرا كب النساء ، فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه لزوم الحمى له بلزوم القَتَب ظهر الراحلة ، لأنه إذا أُلِزم ظهرها عَقَرَه ، وأكثَر دَبَرَه ^(١) ، ويقال : قَتَبٌ مُعَقِّرٌ ^(٢) : إذا عض الغارب ، وأدَمَى المفاكِب ^(٣) ، فكذلك الحمى إذا دام لبثها على الإنسان هاضت ^(٤) مقتنه ، وحَسَرَتْ قُوَّتَه ^(٥) .

٢٢٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « خَيْرُ النَّاسِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الرَّجُلُ النَّوْمَةُ » ^(٦) وهذا مجاز ، والمراد بالنَّوْمَةُ هاهنا : الرجل الخامل الشأن الخفي المكان ، لا الكثير النَّوْمِ على الحقيقة . ومثله الحديث الآخر : « رَبَّ ذِي طِمْرَيْنِ لَا نَوْمَةَ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبَرَّ قَسَمِهِ » ^(٧) . لأن الخاشع العابد ، والمنقطع الزاهد ، كثيراً

(١) عقره : جرحه ، والدبر : أثر الجراح .

(٢) معقر : جراح .

(٣) عض الغارب : الغارب هو ما بين السنام إلى العنق ، وعضه التأثير فيه تأثيراً شديداً ، والمفاكِب : جمع منكب وهو الكنف ، وإدماؤها جرحها حتى تدبى .

(٤) هاضت : أضعفت ، والمثنى : الظهر ، والمراد به هنا الجسم كله أو قوته

(٥) حسرت قوته : قللتها .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استمارة تبعية ، حيث شبه دوام الحمى بإغباط الرجل على ظهر البعير يجامع التأثير الشديد وإحداث الضرر ، واشتق من الإغباط بمعنى الإدامة ، أغبطت بمعنى دامت .

(٦) النومه : النائم أو كثير النوم .

(٧) الطمر : الثوب البالي ، والنومة : المرة من النوم ، والمراد أنه فقير

لا يجد مكاناً ينام فيه نومة واحدة ، وقد فسرت النومه في الطبعة السابقة بنحول =

ما يكون حامل الشخص ميت الذكر لخفائه على الفواظر ، وانقطاعه
عن الجامع ، ومن ذلك قولهم : نام جد^(١) آل فلان ، أى خمل
بعد اشتهاؤه ، وسقط بعد ارتفاعه . قال الشاعر :

نَامَتْ جُدُودُهُمْ وَأُسْقِطَ نَجْمُهُمْ وَالذَّجْمُ يَسْقُطُ وَالْجُدُودُ تَنَامُ^(٢)

٢٢٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ خَافَ
الْجَمَاعَةَ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ » وهذه استعارة ،
والرَّبْقَةُ : حبل يربط بين عودين ، ثم تجعل فيه عُرَى فترَبِّقُ فيه
السَّخَالَ^(٣) ، أى تربط فيه ، ويقال فى إبل الصدقة : عِقَالُ عامٍ
واحِدٍ لأن الإبل تُعْقَلُ ، وفى الغنم رِبَاقُ عامٍ واحدٍ ، لأن الغنم تُرَبِّقُ ،
والمراد بذلك صدقة عام من الإبل أو الغنم ، فشبه عليه الصلاة والسلام

= الذكر ، وهذا التفسير لا يطابق معنى الحديث ، لأن المعنى يكون هكذا .
« رب ذى طمرين لا خول ذكر له لو أقسم على الله لأبر قسمه » فنحن خول الذكر
لا يناسب المعنى الذى ورد فيه الحديث ، والمناسب ما ذكرناه . وقد ورد فى اللغة
« ماله نيمة ليلة » أى ماله موضع مبيت ليلة ، ومعنى لو أقسم على الله لأبر قسمه :
أى لو دعا الله ملجأ فى الدعاء لأجابه إلى ما يطلب .
(١) الجد : الحظ .

(٢) نامت جدودهم : تعثرت حظوظهم ، وأسقط نجمهم : خمل ذكرهم ، لأن
العرب تعبر عن علو الذكر بعلو النجم ، وخول الذكر بسقوط النجم .
ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه خول الذكر بالنوم ، بجامع عدم الأثر
فى كل ، واشتق من النوم بمعنى خول الذكر ، نومة بمعنى حامل الذكر على طريق
الاستعارة التبعية .

(٣) السخال : جمع سخلة ، وهى بنت الشاة .

ما في عنق الإنسان ، من لوازم الإسلام ومعاقد الإيمان ، بالبرقة التي في عنق السَّخْل^(١) ، لأنها تصدّه إذا هم بالشروع ، وتمسكه إذا جاذب إلى النزوع ، وكذلك الإسلام بمنع صاحبه من الارتكاس في المحظورات ، والتهوُّك^(٢) في الضلالات^(٣) .

٢٢٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث طويل : « تُؤَخَّرُونَ الصلاة إلى شَرَقِ الْمَوْتَى » ، وقد قيل في ذلك أقوال كلها بعيدة عن الحجّة^(٤) ، ومع ذلك فيخرج الكلام من حيز الاستعارة ، غير قول واحد^(٥) ، وهو أن يكون المراد أنهم يؤخرون الصلاة إلى ألا يبقى من النهار إلا بقدر ما بقي من نفس الميت الذي قد شَرِقَ^(٦) بريقه ، وغَرَّغَر^(٧) ببقية نفسه ، فشبه عليه الصلاة والسلام

(١) السَّخْل : جمع سَخْلَة .

(٢) الارتكاس : السقوط ، والتهوُّك : التهور ، وقد سبق تفسير اللفظين في هذا الكتاب .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصرّحية ، حيث شبه تعاليم الإسلام وأوامره ونواهيه ولزومها للمسلم بريقة الدابة التي تربطها فتمنعها من الفرار ، كما تمنع تعاليم الإسلام المسلم من الخروج عليها ، بمجامع المنع من الضرر في كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(٤) بعيد عن الصواب وأصل الحجّة ؛ الطريق المستقيم .

(٥) أي كل الأقوال يخرج عليها الكلام من حيث الاستعارة إلا قولاً واحداً وهو ما ذكره الشريف .

(٦) شرق بريقه : غص به حتى لا يكاد يتنله .

(٧) غرَّغَر : تردد نفسه في حلقة كما يتردد ماء الفرغرة .

تلك البقية بِشَفَافَةٍ^(١) الذَّماء التي قد قُرُب انقضاؤها ، وحان فناؤها^(٢) .

٢٢٩ --- ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ » ، وهذا القول مجاز على أكثر الأقوال ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام لم يرد الضرب بالعصا على الحقيقة ، لأن ذلك مكروه عنده ، ومذموم فاعله . ألا تراه عليه الصلاة والسلام يوصي أمته بأن يرفقوا بمن مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، حنوا عليهم ، ورأفة بهم ، ونظراً إليهم ، فكيف بالأحرار من الأهل والولد الذين حقهم أوجب ، والحنو عليهم أولى ؟ . وإنما المراد لا ترفع التأديب عنهم ، ولا تُغَيَّبَ التقويم لهم ، فكفى عن ذلك بالعصا ، حملاً للكلام على عرف العرب ، لأن المتعارف بينها أن التأديب في الأكثر لا يكون إلا بقرع العصا ، وقد يجوز أن يكون المراد بذلك الاجتماع والائتلاف من قولهم : فلان قد شق عصا المسلمين إذا فترق جماعتهم وبدد ألفتهم ، ومنه قول صِلَةَ بن أَشِيم^(٣) لأبي السَّيْلِيل^(٤) : إياك

(١) الشفافة : بضم الشين : بقية الماء في الإناء ، والذَّماء : بقية الروح ، فقد شبه الشريف بقية الروح ببقية الماء . والمعنى على كلامه بقية بقية الروح ، أي آخر آخرها .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه آخر وقت الصلاة ، التي لا يستطيع الإنسان إتمامها فيه أداء وهو وقت الحرمة يشرق الموتى ، بجماع عدم القدرة على العمل النافع في كل من الحالتين ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(٣) في القاموس : بنو أشيم كأحد : قبيلة ، وصلة بن أشيم : تابعي .

(٤) هو ضريب بن ثقيف بصيغة التصغير فيهما كما في القاموس : أحد التابعين .

وقَتَلَ العصا ، يقول : إياك أن تكون قاتلاً أو مقتولاً في شق عصا المسلمين .

ومنه قول جرير :

فلما التقى الحيَّان أُلْقِيَتِ العصا ومات الهوى لما أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ

يقول : لما التقى الحيَّان وقع الائتلاف والدنوة ، وزال النفع والنبوة^(١) ، فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد بقوله : « لا ترفع عصاك عن أهلك » ، أى احملهم أبداً على الصلاح والائتلاف ، وامنعهم من الفساد والخلاف . ويقال للرجل ، إذا كان رقيق السيرة جميل الإيالة^(٢) : إنه للَّين العصا ، قال معن بن أوس المَزَنِي :

عَلَيْهِ ثَرِيبٌ وَادِعٌ لَّيْنُ الْعَصَا يُسَاجِلُهَا جُمَّاتُهُ وَتُسَاجِلُهُ^(٣)
وقد تكلمنا على نظير هذا الحديث فيما تقدَّم^(٤) .

(١) النبوة : البعد .

(٢) آل على القوم أولاً وإيالة : تولى عنهم .

(٣) الشريب : من يستقرى معك أو من يشاركك ، والمراد هنا الأول لأنه يصف حوضاً يستقى منه الناس ، ويساجلها : يقاسمها ، وأصل المساجلة أن تملأ سرجلاً ، أى دلوأً وتأخذ غيرك سرجلاً ، وجات : جمع جمة ، وهى معظم الماء .

(٤) ما فى الحديث من البلاغة .

فى الحديث استعارة تبعية : حيث شبه استدامة تقويم الأهل باستدامة العصا ، بجامع الإخافة والحمل على السير المستقيم فى كل ، واشتق من رفع العصا بمعنى استدامة التقويم ، لا ترفع بمعنى لا تترك ، أو استدم على طريق الاستعارة التبعية .

٢٣٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه :
 « كَيْفَ تَصْنَعُ فِي فِتْنٍ تَنْجُمُ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صِيَاصِي
 بَقَرٍ » وفي هذا الكلام مجاز على بعض الأقوال ، وهو أن يكون
 المراد تشبيه الفتن الناجمة من أطراف الأرض بنجوم^(١) صياصي البقر
 وهي قرونها ، وإنما سميت صياصي تشبيهاً لها بالصياصي التي هي
 الحصون ، فكأنها تحتمي بقرونها ، كما تحتمي الرجال بحصونها ،
 فأراد عليه الصلاة والسلام أن الفتن تنجم صفاراً ثم تعظم وتبدو
 سحابة^(٢) ثم تُبْرَم كنجوم قرون البقر لأنها تبدو هنات ضئيلات ،
 ثم تكون شبكة^(٣) ككناكيات^(٤) . وقد يجوز أن يكون المراد بتشبيه
 الفتن هاهنا بقرون البقر ، المبالغة في وصفها بالحدة والشدة ، وكثرة
 العديد والعدة . وقد يجوز أيضاً أن يكون تشبيهاً بقرون البقر لكثرة
 ما يشرع فيها من الأسنة ، ألا ترى إلى قول بعض العرب : الأسنة
 قرون الخيل ، لأنها توضع منها مكان القرون من ذوات القرون ،
 وصدم الخيل^(٥) بعواليها ، كمنطع البقر بصياصيها ، وليس موضع

(١) نجوم هنا مصدر : بمعنى الطلوع والظهور .

(٢) السجيل : الحبل المفتول على خيط واحد ، والمبرم : المفتول على أكثر
 من خيط . والمراد تكون ضعيفة ثم تقوى .

(٣) الشكك : بكسر الشين جمع شبكة بكسرها أيضاً ، وهي السلاح ،
 والناكيات : جمع ناكية ؛ بمعنى جارحات أو قاتلات ، يريد الشريف أن قرون
 البقر بعد قوتها تكون كالسلاح القاتل أو الجارح .

(٤) المراد بصدم الخيل : صدم راكبها وهم الفرسان ، لأنهم يسكون الرماح
 التي فيها الأسنة .

المجاز من هذا الكلام قوله عليه الصلاة والسلام كأنها صياصي ،
لأننا قد ذكرنا فيما تقدم أن دخول كاف التشبيه في الكلام يخرجها
من باب المجاز^(١) ، ولكن الموضع الذي يكون فيه هذا القول من
حيز المجازات قوله عليه الصلاة والسلام في فتن تنجم من أطراف
الأرض ، فجعلها بمنزلة النبات الذي يكون خافياً فيظهر ، والقرون
الداشئة التي تكون صفاراً فتكبر^(٢) .

٢٣١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث
يذكر فيه أشراط الساعة : « فَمِنْ ذَلِكَ تَقِيهِ الْأَرْضُ أَفْلاذَ
كَبِدِهَا » ، وهذه من الاستعارات العجيبة ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام
شبه الكفوز التي استودعها بطون الأرض بأفلاذ الكبد ، وهي
شعبها وقطعها ، لأن شعب الكبد من شرائف^(٣) الأعضاء الرئيسة

(١) هذا الرأي خاص بالرضي كما ذكرنا في المقدمة ، فإنه يجعل التشبيه البليغ
مجازاً ، وتارة يسميه استعارة ، فإذا دخل فيه أداة التشبيه جعله تشبيهاً ، ولكن
الاصطلاح البلاغي أن التشبيه الحالى من الأداة والوجه تشبيه بليغ ، والذي فيه
الأداة تشبيه مرسل ، والذي فيه الأداة والوجه تشبيه مبتذل .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية وتشبيه مرسل ، أما الاستعارة فحيث شبه ظهور الفتنة
في أطراف الأرض بنجوم النبات منها ، أى ظهوره بعد أن كان مخبئاً تحتها ،
بمجامع الظهور بعد الحفاء في كل ، واشتق من نجم بمعنى ظهر ، تنجم بمعنى تظهر
على طريق الاستعارة التبعية ، وأما التشبيه المرسل : فهو تشبيه الفتن بصياصي
البقر ، وذكر أداة التشبيه وعى كأن .

(٣) شرائف : جمع شريطة .

فكذلك الكنوز من جواهر الأرض النفيسة ، ولما شبهها عليه الصلاة والسلام بأفلاذ الكبد من الوجه الذى ذكرناه جعل الأرض عند إخراجها كأنها تقيأت ودسعت^(١) بما استودعته منها . وفى قوله عليه الصلاة والسلام : « تقيت الأرض أفلاذ كبدها » زيادة فائدة فى المعنى المراد ، وهو وصف الأرض بالمبالغة فى إخراج كنوزها حتى لا ينجفى منها خافية ، ولا يبقى باقية ، وذلك كما يقول القائل : قد تقيأ فلان كبده إذا أراد المبالغة فى وصفه باستيعاب جميع ما فى جوفه^(٢) وذلك معروف فى كلامهم ، وموضوع على قاعدة العرف بينهم^(٣) .

٢٣٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث : « مَنْ قَالَ كَذَاً وَكَذَاً^(٤) غُفِرَ لَهُ وَلَوْ كَانَ عَلَيْهِ طِفَاحُ^(٥) الْأَرْضِ ذُنُوبًا » وهذه استعارة ، والمراد : ولو كان عليه ملء الأرض ذنوباً ،

(١) دسعت : دفعت وأخرجت ، وقد سبق مثلها قريباً .

(٢) ومثل ذلك ما يقوله الناس الآن عن الذى يتقيأ كثيراً حيث يقولون : « رى لحم بطنه » مبالغة فى كثرة القيء ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « تقيت الأرض » إشارة إلى أنها تخرج كنوزها بأمر الله تعالى .
(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه إخراج كنوز الأرض بالتقيؤ ، بمجامع الإخراج الاضطرابى فى كل ، واشتق من التقيؤ بمعنى الإخراج الاضطرابى ، تقيء بمعنى تخرج مضطرباً ، على طريق الاستمارة التبعية .

(٤) كذا وكذا : كناية عن القول الذى يقوله المؤمن فتغفر له ذنوبه ، وهذا القول هو (لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله) فى بعض الأحاديث و (سبحان الله وبحمده) مائة مرة فى بعض الأحاديث البخارى . والجامع الصغير (٥) قال فى القاموس : طفاح الأرض بالكسر : ملؤها .

فجعل الأرض كالإباء الذي طَفَحَ ماؤه ، وبلغ الغاية امتلاؤه ، وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « طَفَاحُ الْأَرْضِ » زيادة معنى على قوله : ملء الأرض أو طِلَاعُ الْأَرْضِ لِأَنَّ الطَّلَاعَ وَالْمِلَاءَ : يَفِيدَانِ بُلُوغَ الْحَدِّ فِي الْإِمْتِلَاءِ ، وَالطَّفَّاحُ : يَفِيدُ مَجَاوِزَةَ الْحَدِّ فِي الْإِمْتِلَاءِ ^(١) . وقدمضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم من هذا الكتاب ^(٢) .

٢٣٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الْقُرْآنَ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَمَا حَلُّ مُصَدَّقٍ » وهذا القول مجاز ، والمراد أن القرآن سبب لثواب العامل به ، وعقاب العادل عنه ، فكأنه يشفع الأول فيشفع ، ويشكو من الآخر فيصدق ، والمأحل ها هنا : الشاكي ^(٣) ، ويكون أيضاً بمعنى الماكر ، يقال : حَلَّ فلان بفلان : إذا مكربه : قال الشاعر :

(١) لعل الشريف أخذ هذا المعنى من قولهم : إماء طفحان ، إذا كان يفيض من جوانبه ، أى أنه امتلأ حتى سال ما فيه على جوانبه .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالكناية ، حيث شبه الأرض بالإماء بجامع كون كل منهما مكاناً للشيء يوضع فيه ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الطفاح ، لأن الإماء هو الذي يطفح ويسيل ما فيه على جوانبه ولإضافة الطفاح إلى الأرض تخييل .

(٣) في القاموس : المحال : المسكر والكيد ، وهذا هو المعنى الثانى الذى ذكره الشريف ولم يذكر القاموس المعنى الأول ، ولعل الشريف أخذ معنى الشكاية من قول بعضهم إن القرآن يسعى بمن لا يعمل به إلى الله ومن قوله عليه السلام « مصدق »

أَلَا تَرَى أَنَّ هَذَا النَّاسَ قَدْ نَصَحُوا

لَنَا عَلَى طُولِ مَا غَشَوْا وَمَا مَحَلُّوا^(١)

٢٣٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يكونوا

مُغَوَّيَاتٍ لِمَالِ اللَّهِ »^(٢) وهذه استعارة ، والمُغَوَّاةُ في الأصل : زبية تحفر للسباع والذئاب ، ويموه^(٣) رأسها ليخفي قعرها ، ويجعل فيها سَخْلًا^(٤) يستدعى به السباع والذئاب إليها ، فتكون مهلكة له إذا وقع فيها ، فأراد عليه الصلاة والسلام بهذا القول : لا يكونوا كالمالكة لِمَالِ اللَّهِ بَأَن يَأْخُذُوهَا بِالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ ، وَيَنْفِقُوهَا فِي الْفُسُوقِ وَالضَّلَالِ ، فَيَكُونُوا لَهَا كَالْمُغَوَّيَاتِ الَّتِي تَخْدَعُ ظُؤَاهُهَا ، وَتُهْلِكُ بَوَاطِنَهَا ، وَقَالَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ ، يَعْنِي الدَّهْرَ : إِلَى مُغَوَّاةِ الْفَتَى بِالْمِرْصَادِ^(٥) . كَأَنَّهُ

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه القرآن بالكائد بمعنى أنه يكون سبباً لعقاب من لا يعمل به كما يكون الكائد سبباً لضرر من يكيد له ، بجامع حدوث الضرر من كل ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٢) ورد هذا الحديث في كتاب النهاية في غريب الحديث هكذا « إن قريشاً تريد أن تكون مغويات لمال الله » بصيغة اسم الفاعل ، ولكن المعنى على تشديد الواو وفتحها (مغويات) كما شرحه الشريف أى لا يكونوا مصائد للمال .

(٣) يموه رأسها : يوضع عليه شيء يخفيه ، كما يطفى الشيء بالذهب فيخفيه الذهب .

(٤) السخل : جمع سخل ، وهى ولد الشاة (الحروف الصغيرة) .

(٥) يريد الشاعر أن الدهر واقف مترصد للناس ، يجرهم إلى مغواتهم ، أى إلى مهالكهم .

قال : يسوق الفتى إلى مهلكته ، تشبيهاً بالزُّبْيَةِ التي ذكرنا حالها ، ووصفنا الحيلة فيها^(١) .

٢٣٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِيَّاكُمْ وَالْمَغْمِضَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ » وهذه استعارة ، والمراد بالمغمضات هاهنا على ما فسرهُ الثقات من العلماء الذُّنُوبُ العظام يركبها الرجل وهو يعرفها ، فكأنه يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ تعاشياً عنها وهو يبصرها ، ويتفكرها اعتماداً وهو يعرفها ، ومثل ذلك قول أبي النجم يصف ناقة :

* يُرْسِلُهَا التَّغْمِيزُ إِنْ لَمْ تُرْسَلِ *

وذلك أن الناقة إذا غَشِيَتْ الحوض الذي تذاذ عنه حملتها شدة العطش على الاقتحام عليه ، فغَمَضَتْ عَيْنَهَا ، وحملت على عَصِيٍّ الذَّادَةِ^(٢) حتى تَرَدَّه ، وربما روى هذا الخبر بفتح الميم من الْمَغْمِضَاتِ^(٣) ، فيكون المراد به على هذا الوجه ضدُّ المراد به على الوجه الأوَّل ، لأنَّ المغمضات بالكسر كما قلنا : الذُّنُوبُ العظام ، والمغمضات بالفتح : للذنوب الصغار ، وإِذْ سَمِيتْ مَغْمَضَاتٍ لَأَنَّهَا تَدِرُّقُ وَتَخْفِي ،

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بلوغ ، حيث شبه قريشاً في أخذها المال بطرق الغش والخداع وإنفاقها له في المفاسد بالمغويات ، وهي الحفر التي تحفر لاصطياد السباع ، بجامع الخداع الذي يؤدي إلى الهلكة في كل .

(٢) الذَّادَةُ : جمع ذائد ، وهو المانع الذي يمنع النوق من ورود الماء .

(٣) المغمضات : المستغفيات من الذنوب .

فيركبها الإنسان بضرب من الشبهة ، ولا يعلم أنه عاصٍ بفعلها ، ولا معاقبٌ من أجلها^(١) .

٢٣٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد أتاه رجل فقال : « السلام عليك يا نبي الله ، فقال : وعليك ورحمة الله ، ثم أتاه رجل آخر ، فقال : السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته ، فقال : وعليك ، فقليل له : يا رسول الله لم لم تقل لهذا كما قلت للذي قبل ؟ فقال : إنه تشافها » فقوله عليه الصلاة والسلام : « إنه تشافها » استعارة ، والمراد استفرغ جميع التحية ، فلم يدع منها شيئاً يزداد به على لفظه ، ويردّ عليه جواباً عن قوله . والأولان أبقيا من تحيتهما بقية ردت عليهما ، وأعيدت إليهما ، وأصل ذلك مأخوذ من التشاف ، وهو تتبع بقية الإناء والحوض حتى يستنفد جميع ما فيه ، وتلك البقية تسمى الشفافة .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث على المعنى الأول استعارة تبعية ، حيث شبه لإتيان الذنوب العظيمة مع معرفة ضررها ، بإغماض العين عنها حتى لا ترى ، بجامع لإهمال الحذر في كل ، واشتق من الإغماض بمعنى لإهمال الحذر ، مغمضات بمعنى مهملات الحذر على طريق الاستعارة التبعية وفي استعمال المغمضات في الذنوب مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن الذنوب ليست هي المغمضة ، وإنما فاعلها هو المغمض عينه عن ضررها لشدة لذتها عنده ، وحرصه على الوقوع فيها كما تغمض الناقة العطشى عينها وتحمل الضرب في سبيل الشرب لشدة حاجتها إليه . وعلى المعنى الثاني استعارة تصريحية أيضاً ، غير أن المعنى يختلف ، فإن الذنوب هنا مغمضة ، أى مستترة ، فشبهت الذنوب الصغيرة بالشئ المغمضة عليه العين .

قال الشاعر :

أخو فقراتٍ دبَّبتْ في عظامه

شَفَافَاتُ أَعْجَازِ الْكَرَى فَهُوَ أَخْضَعُ^(١)

يريد بقايا الكرى وصُباباته ، ودليل ذلك قوله : أَعْجَازِ الْكَرَى ، أى أواخره وعقائيله^(٢) ؛ ومن أمثال العرب : ايس الرئى عن التشاف . يقولون : ليس يُرَوَى العطشانَ تدبَعُ بقية الماء حتى يستفرغ جميع ما في الإناء^(٣) .

٢٣٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ » وهذا القول مجاز ، والمراد أن ليوم الجمعة شرفاً ونباهة يَبِينُ بهما من سائر الأيام ، فيكون مقدماً لها ، وعالياً عليها لما يختص به من صلاة الجماعة التي يُنشر ذكراها ، ويعظم أجرها كما يتقدّم السيد على من دونه بعلوّ القدر ، ونباهة الذكر^(٤) .

(١) الأخضع : الراضى بالذل .

(٢) العقابيل : جمع عقبولة ، وهى بقية العلة والمداوة والعشق ، وقد أطلقها الشريف على بقايا النوم .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه تتبع ألفاظ التحية إلى آخرها بتشاف الماء ، وهو تتبع بقيته ، بجامع الوصول إلى آخر الشيء فيها ، واشتق من التشاف بمعنى الوصول إلى آخر الشيء ، تشاف التحية بمعنى وصل إلى آخرها على طريق الاستعارة التبعية .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه يوم الجمعة بالسيد من الناس ، بجامع التعظيم والشرف في كل ، وحذف وجه الشبه والأداة .

٢٣٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تَزَوَّجُوا الشَّوَابَ فَإِنَّهُنَّ أَغْرٌ ^(١) أَخْلَقَا » وفي هذا الكلام مجاز لأن وصف الخلق بأنه أغر إنما يراد بياضه ، والبياض هاهنا عبارة عن الحسن ، كما أن السواد في قولهم : فلان أسود الخلق عبارة عن القبح ، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : « فإنهن أحسن خلقاً كما أن الغر من الخليل أحسن خلقاً ^(٢) » .

٢٣٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : وقد سمع ناساً من أصحابه يتذاكرون القضاء والقدر : « إنكم قد أخذتم في شعبين ^(٣) بعيدَي الغور ^(٤) » وهذا القول مجاز ، لأنه عليه الصلاة والسلام شبه القضاء والقدر ، وحقيقة علمهما ، ومعرفة كنههما ، بالشعبيين اللذين غورهما بعيد ، واقتحامهما شديد ، وطالب غابتهما مجهود ^(٥) يقول عليه الصلاة والسلام : « إن علمهما لا يدرك كالماء

(١) الأغر : الذي في وجهه غرة وهو خاص بالخليل ، وهو البياض الذي يكون في وجهها عندما تكون سوداء أو حمراء أو بقاء .

(٢) مافى الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية : حيث شبه حسن الخلق بالغرة التي تكون في جبهة الفرس ، بجامع الحسن في كل ، واشتق من الغرة بمعنى الحسن ، أغر بمعنى أكثر حسناً على سبيل الاستعارة التبعية .

(٣) الشعب : الطريق بين الجبلين ، ومسيل الماء في بطن الأرض .

(٤) الغور : قعر كل شيء وأسفله ، والمراد هنا سرتم في طريقين كل منهما

بعيد المنتهى .

(٥) مجهود : متعب مكدود .

للفائر الذي لا يُقدَّر عليه ، ولا يُهتَدَى إليه ^(١) .

٢٤٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث طويل : « ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ عِضٌّ بِسُجُلِ الْفَرْجِ وَالْحَرِيرِ » وفي هذا الكلام مجازان : أحدهما قوله عليه الصلاة والسلام : « مُلْكٌ عِضٌّ » والعِضُّ في الأصل هو الرجل الداهية المنكر . وربما سمي أيضاً بذلك الرجل السيء الخلق المنكر ^(٢) . قال حسان بن ثابت : وَصَلَتْ بِهِ رُكْنِي وَخَالَطَ شَيْمَتِي وَلَمْ أَكْ عِضًّا فِي الْقَدَامِي مُلَوَّمًا ^(٣) فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه الملك الذي أومأ إليه في السطوة والقسوة والطَّمَّاح والنَّزْوَةُ بذى الدهاء والنُّكْر . أو بذى الشموخ والكبر . والمجاز الآخر قوله عليه الصلاة والسلام : « يستحل الفرج والحري » ، وإنما أراد أن أهله يستحلون ذلك ، فحسنت إضافته إلى الملك لما كان الاستحلال واقعاً في الملك ، ونظائر ذلك كثيرة ، وقد جاء في رواية أخرى لهذا الخبر : ثم يكون : « مُلْكٌ عَاضٌ » ،

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه القضاء والقدر بطريقين إذا خفر فيهما لاستخراج الماء احتاج ذلك جهداً شديداً ، أو إذا أراد سالكهما بلوغ غايتهما لم يمكنه إلا بعد جهد جهيد وتعب شديد ، بجامع بعد الغاية في كل والجهد في الوصول لهما ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(٢) في القاموس : العِضُّ : السيء الخلق ، والبلغ المنكر .

(٣) الركن : الجانب ، والمراد تقويت به ، والشيمة : الطبيعة ، والتداني : خلطاء الشراب ، الموم : الذي يأتي ما يلام عليه .

وهذه أيضاً استعارة ، وذلك كقول القائل : قد عضنى الدهر : إذا أثرت فيه نوابه ، واشتدّت عليه مصائبه ، فوصف هذا الملك بالعضاض ، لتأثيره فى الناس بوقائع الغشم^(١) ، وقوارع الظلم . وقد جاء فى أشعارهم من ذكر عض الزمان وعض الأيام ، ماهو أشهر من أن يتكلف التنبيه عليه ، والإيماء إليه^(٢) .

٢٤١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الصَّوْمُ جُنَّةٌ^(٣) ما لم يَخْرِقْهَا »^(٤) وهذه استعارة وذلك أنه عليه الصلاة والسلام شبه الصوم الذى يُجَنِّى صاحبه من لواذع العذاب ، وقوارع العقاب ، إذا أخلص له النية وأصلح فيه السريرة ، فجعل عليه الصلاة والسلام من اعتصم فى صومه من الزلل ، وتوقى جرأثر القول والعمل ، كمن صان تلك الجُنَّة وحفظها ، وجعل من أتبع نفسه هواها ، وأوردها رداها ، كمن خرق تلك الجنة وهتكها ، فصارت بحيث لا تُجَنِّى من جارحة ، ولا تعصم من جانحة^(٥) ، وذلك من أحسن التمثيلات ،

(١) الغشم : الظلم .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فالحديث تشبيه ببلغ ومجاز عقلى : الأول فى قوله ملك عض : أى ملك كالرجل السىء الخلق ، أو كالرجل المتكبر أو الداهية المنسكر ، والمجاز العقلى فى إسناد يستحل إلى ضمير الملك ، والمستحل لئما هو أهل الملك ، فالعلاقة الظرفية ، لأن أهل الملك فى الملك .

(٣) الجنة : كل ما بقى الإنسان .

(٤) خرق الثوب والجدار : ثقبه .

(٥) الجانحة : الضربة التى تصيب الضلوع .

وأوقع التشبيهات^(١) .

٢٤٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى الْخَمْسَ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَرَقُ » وهذه استعارة ، والمراد أن الله تعالى يكفر عنه خطاياه بسرعة ، فتسقط عنه أضرارها^(٢) ، وتدحط أوزارها ، كما تساقط الأوراق عن أغصانها إذا هزتها الريح^(٣) ، أو زعزعتها الريح^(٤) ، ولا بد أن يكون في الكلام مضمرة مراد جعلت الصلاة مخبراً عنه وعلماً عليه ، وهو اجتناب الكبائر ، والقيام بسائر الفرائض ، فاكتمى عليه الصلاة والسلام بذكر الصلاة عن ذكر جميع ذلك ، لأن الصلاة أفضل شعائر الإسلام ، وأظهر معالم الإيمان ، وليس لسائر الأوامر والعبادات ، والفرائض الواجبات من التأكيدها . وذلك لأن من للفرائض ما أوجبه تعالى على الأغنياء دون الفقراء ، ومنها ما ينوب

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهه ببلغ واستعارة تبعية : الأول في قوله : الصوم جنة ، فقد شبه الصوم بالجنة التي تقي الإنسان مما يصيبه من السهام ونحوها . والأصل الصوم كجنة في الوفاة ؛ فحذف وجه الشبه والأداة ، والاستعارة في قوله « ينحرقها » فقد شبه فعل المحرمات في الصيام بنحرق الجنة بجامع الإفساد في كل ، واشتق من الحرق بمعنى الإفساد ، ينحرق بمعنى يفسد على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) الأضرار جمع إضرار : وهو الذنب ، وأصلها أضرار ، وقعت همزتان ثانيتهما ساكنة فقلبت همزة من جنس حركة ما قبلها .

(٣) هزتها : حركتها ، والراح : اليد .

(٤) زعزعتها الريح : حركتها تحريكاً شديداً .

عنه غيرُه^(١)، ومنها ما ينوب عن كلِّه بعضُه^(٢)، وجميع العبادات تختصّ إما بالفعل، أو بالذكّر. والصلاة قد جمعت أفعلاً وأذكراً من القيام والقعود والركوع والسجود والقراءة والتسبيح، والشأن على الله سبحانه والصلاة على الرسول وعلى آله، والاستغفار للمؤمنين ولأنها واجبة في اليوم واللييلة خمس مرات على كلِّ عاقل بالغ قادر عليها، لا يؤدّيها عنه غيره، ولا يسقطها عنه فقره، ولا يتولاها وليه وباقي العبادات يتعلق بزمان مخصوص، ووقت معلوم، كالصوم الذي يفعل في السنة دفعة، والزكاة التي تجب في الحول مرة، والحج الذي في العمر دفعة واحدة. ولهذا كانت عامّة وصية النبي عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت بالصلاة. وفي حديث أنس: أن عليه الصلاة والسلام ما زال يكرّر قوله: «الصلاة وما ملكت أيمانكم، حتى جعل يُفرغُ بها صدره وما يكاد يفيض»^(٣) أي يبين وفي الأكثر أن الإنسان إذا أدّى الصلاة على شرائطها، وفعلها في أوقاتها، وقام بجميع واجباتها، وهي التي تكرر في الليل والنهار وتعمل على الدوام والاستمرار، كان أجدر بتأدية الفروض في سائر

(١) يصدق ذلك على العبادات الخيرة كالكفارات: من عتق الرقبة والإطعام والصيام؛ فأى واحد منها ينوب عن الآخر.

(٢) مثل فروض الكفاية: كصلاة الجماعة، فإذا فعلها بعض الناس سقط

عن باقيهم.

(٣) يفرغ بها صدره: تتردد في صدره كما يتردد ماء الفريضة في الفم.

العبادات ، والقيام ببواقى الطاعات التى هى أخفّ تحميلاً ، وأسهل مُتعمّلاً ، فأراد عليه الصلاة والسلام أن من قام بهذه الواجبات التى عدّ ذنابها ، واجتنب الكبائر التى توعد بالعقاب عليها ، سقط عنه عقاب معاصيه الصفائر ، كما ينساقط الورق المتناثر ، ويقال : انحتّ الورق وتحتّ : إذا انسلت من أغصانه ، وانحسر عن أفنائه^(١) .

٢٤٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لرجل أقبل إليه ممن بُتّهم فى دينه : « أرى عليه سُفْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ » وهذا القول مجاز ، والسُّفْعَةُ : السواد ، وقيل هو السواد المشربُ حُمْرَةً ، فكأنه عليه الصلاة والسلام رأى بوجهه أثراً يدلّ على نَعَلِ^(٢) الضمير وفساد اليقين ، فنسب ذلك إلى الشيطان ، لأنه مُسَوَّلُ^(٣) المعاصى ، ومُطَرَّقُ^(٤) المغاوى ، وفى الأكثر أن يقال لمن خبثت عقيدته وساءت سريرته : وجهه فلان مسودّ ، يراد لهظيم كفره ، وفساد سرّه .

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية وتشبيه مرسل ، أما الاستعارة : فى قوله صلى الله عليه وسلم « تحتات » حيث شبه زوال أثر الخطايا بتحات أوراق الشجر بجامع السقوط والزوال فى كل ، واشتق من التحات بمعنى زوال الأثر ، تحات بمعنى زال أثرها ؛ على طريق الاستعارة التبعية . وأما التشبيه فى قوله : كما يتحات الورق ؛ فشبه تحات الخطايا بتحات الورق ؛ وذكرت أداة التشبيه وهى الكاف . والتشبيه الذى يذكر فيه الطرفان والأداة يسمى فى الاصطلاح تشبيهاً مرسلًا .

(٢) نعل الضمير : سوءه وفساده .

(٣) مسول : مزين .

(٤) مطرق : ممهد الطريق .

وقد يجوز أن تكون السَّفْعَةُ هاهنا بفتح السين مأخوذة من قول القائل : سَفَعْتُ رأس فلان : إذا ضربه بالعصا فأثرت فيه ، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : « أرى عليه أثرًا من الشيطان » ، وقد يكون السَّفْعُ أيضًا بمعنى الأخذ والقبض ؛ ومنه قوله تعالى : « لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ » أى لناخذنَّ بها وانقبضنَّ عليها . فإن حمل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أرى عليه سَفْعَةٌ من الشيطان » جاز ، وجميع الوجوه المذكورة في هذا الكلام قريب بعضها من بعض ^(١) .

٢٤٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « خَيْرُ النَّاسِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ أَخَذَ بِعِمَّانٍ فَرَسِهِ يَطْلُبُ الْمَوْتَ مَطَانَةً » وهذا القول مجاز ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام جعل الرجل المجاهد في سبيل الله الذى يتبع قِراع الأعداء ومواطن اللقاء ، كطالب الموت في معادنه ، والمنقَّب عنه في مكانه ، وإن كان غير طالب له على الحقيقة وإنما يطلب نُصْرَةَ الدِّينِ ، ووَقْمَ ^(٢) المحادِّينَ ، واسكن ذلك لما كان فى الأكثر مفضيًّا إلى الموت القاصي ^(٣) والأجل الدانى ، كان كأنه

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه ما فى عقيدته من التغير ، بالسواد الذى يكون فى الوجه ونحوه ، بجامع السوء فى كل ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

(٢) الوقم : القهر والإذلال ، والمحادِّينَ : المخالفين والمعادين .

(٣) القاصي : القاطم للحياة .

انتجع مظنة حتفه ، ونقب عن هلاك نفسه ، والمظان : الأماكن التي
إذا طلب الرجل وجد فيها ، يقال : موضع كذا مظنة من فلان :
أي معلم منه ومكان يوجد فيه . قال الشاعر :
وإن بك عامر قد قال جهلاً فإن مظنة الجهل الشباب
كأنه قال : إن الشباب موضع للجهل ، فيه تسرح سارحته ، وفيه
تُشد ضالته . وأراد عليه الصلاة والسلام : يطلب الموت في مظانّه .
فلما خدع الجار وصل الفعل إلى المظان فنصبها^(١) ، وذلك أقرب
في الفصاحة ، وأضرب في مذاهب البلاغة^(٢) .

٢٤٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أعوذ بك
من شرّ الجوع فإنه يئس الضجيع » . وهذا القول مجاز ، وإنما
جعل عليه الصلاة والسلام الجوع بمنزلة الضجيع ، لأن الإنسان إذا
بات طاوياً كان كأنه مضجع للجوع في مهاد ، ومبايته على فراش ؛
لأنه يخلو في الليل به ، ويفرد بمعاناته ومكابدته^(٣) .

(١) يريد أنه منصوب على نزع الخافض ، والأصل يطلب الموت في مظانه ،
خذفت في نصب الاسم ، لأن المجرور موضعه في الواقع نصب .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه الجهاد في سبيل الله باستمرار طلب
الموت ، لأن الجهاد قد يؤدي إلى الموت ، ووجه الشبه ، السير إلى مظنة الهلاك ،
واشتق من طلب الموت بمعنى الجهاد ، يطلب بمعنى يجاهد على سبيل الاستعارة التبعية
(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه ملازمة الجوع للإنسان بالمضاجعة وهي النوم
بحوار الشخص ، بجامع الملازمة في كل ، واشتق من المضاجعة ضجج بمعنى ملازم
على طريق الاستعارة التبعية .

٢٤٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ والدَّرْهَمِ ، تَعَسَّ عَبْدُ الْحُلَّةِ وَالْخَمِيصَةِ ^(١) ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ . تَعَسَّ فَلَا انْتَعَشَ ^(٢) ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَعَشَ » ^(٣) ، وفي هذا الكلام مجاز . وذلك أنه عليه الصلاة والسلام جعل الرجل القويَّ الطمع الشديد الجشع ، الذي يرضى بإعطاء ما سأل ، ويسخط بمنع ما طلب بمنزلة العبد للدینار والدرهم ، والثوب والعرض ؛ لأنه بإعطاء هذه الأشياء يُسْتَرَقُّ وَيَمْلِكُ ، وَيُمْتَهَنُ وَيُسْتَبْذَلُ . فجعله عليه الصلاة والسلام عبداً لها على المجاز ، وهو في الحقيقة عبد لباذلها . ومن معروف كلامهم : فلان عبد الطمع ، وخادم الأمل ، إذا كان ذليلاً لمن وجه أمله إليه ، وضارِعاً لمن علَّق طمعه به ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَعَشَ » من صلة الدعاء عليه . يقول : وإذا دخلت في قدمه شوكة ، فلا قدر على مِفْقَاشٍ يَنْتَقِشُهَا حتى يدوم مكثها في أنخَصه ، فيكون ذلك أطول لآلِه ^(٤) .

(١) الحلة : الثوب ، وهو لزار ورداء ، قال في القاموس : ولا تكون حلة إلا من لزار ورداء برد أو غيره ، ولا تكون حلة إلا بثوبين أو ثوبه بطانة ، والخميصة : كساء أسود مربع له علمان .

(٢) انتعش : ارتفع بعد تعاسته ، أو جبر بعد فقره .

(٣) انتعش : أخرج الشوكة بالمنقاش ، وقد بين الشريف المراد من ذلك .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه الرجل الذي يستذله الدينار والدرهم بالعبد بجامع الذل والاستكانة في كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

٢٤٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا حرجَ
إلا على رجلٍ اقترضَ عرضَ أخيه بظلمٍ » وهذه استعارة ، والمراد
بالاقتراض هاهنا : القَدْح في العرض ، والحزُّ فيه والنيل منه ، فهو
افتعال من القرض الذي هو القطع ، ومنه قول ذى الرُّمة :

إلى ظمُنٍ بقرضٍ أقوازٍ مُشْرِفٍ

شمالاً وعن أيمانهنّ الفوارس^(١)

يقول : يقطعن أوساط هذا الموضع المذكور بطي شُقَّتِه ، وتجاوز
مسافته ، وقولهم : أقرض فلان فلاناً مالاً راجع إلى هذا المعنى .
والمراد أنه اقتطع له من ماله قطعة فسلّمها إليه ، وقوله عليه الصلاة
والسلام في أوّل الخبر : « لا حرج إلا على رجلٍ اقترضَ عرضَ أخيه
بظلمٍ » لا يدلّ على أن من فعل غير ذلك من الأفعال التي يستحقّ
عليها الذمّ ، ويعظم بها الإثم . لا حرج عليه في الحقيقة ، ولكنّه عليه
للصلاة والسلام كأنه قال : « لا حرج في فعل مالا إثم فيه إلا على
رجلٍ اقترضَ عرضَ أخيه »^(٢) ، وهذا التقدير في الكلام كأنه

(١) الظمن : جمع ظمنية ، وهي المرأة في المودج ، والأقواز : جمع قوز ،
وهو المستدير من الرمل ، مشرف : مكان صرمل بالدهناء ، والفوارس : رمال
ضويلة كالجبّال بالدهناء أيضاً .

(٢) الأولى تقدير وصف محذوف بعد حرج ، والتقدير لا حرج عظيماً إلا
على رجل . الحديث ، كأن الحرج العظيم كله خاص بهذه الفعلة ، وهذا تبشيع لها ،
وتحذير شديد منها .

معلوم بفحواه ، ومفهوم بمعناه . وإن كان ظاهر اللفظ غير دال عليه^(١) .

٢٤٨ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ السَّقْطَ لَيَجْرُءُ أُمُّهُ إِلَى الْجَنَّةِ بِسَرَرِهِ » وهذا القول مجاز ، والمراد أن المرأة إذا أسقطت الولد عن حادث أصابها ، واتفق أن يكون ذلك الإسقاط سبب مَنِيَّتِهَا ، كان لها بذلك أجر تستحق به دخول الجنة إذا كانت سليمة من الكبائر الموبقة ، والمعاصي المُرْهقة ، فلما كان ذلك السقط سبباً لوصل أمه إلى دار النعيم ، والبقاء المقيم ، حسن أن يقول عليه الصلاة والسلام : « إِنَّهُ يَجْرُءُهَا إِلَى الْجَنَّةِ بِسَرَرِهِ » وهو الجلد الرقيق المتصل منها به^(٢) . يقال : قطع سُرَّةَ وَسُرُرَهِ ، والسرة : اسم لما يبقى بعد القطع منه^(٣) .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالكناية واستعارة تبعية ، الأولى حيث شبه العرض بشيء بقرض بالمقراض كثوب أو جلد أو نحو ذلك ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو القرض . والثانية حيث شبه نقصان العرض بالدم فيه بقرض الثوب ونحوه ، بجامع النقص في كل ، واشتق من القرض بمعنى النقص ، اقترض بمعنى انتقص ، على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) وهو الذي تقطعه القابلة من المولود بعد ولادته ، حيث كان ينقل الغذاء من أمه إليه بواسطته

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه تسبب السقط في إدخال أمه الجنة بجره لها إلى الجنة ، بجامع الإيصال إلى الجنة في كل ، واشتق من الجر بمعنى التسبب ، يجر بمعنى يتسبب على طريق الاستعارة التبعية .

٢٤٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَا يَمْنَعَنَّكُمْ
 مِنْ سَحُورِكُمُ الْفَجْرُ حَتَّى يَسْتَطِيرَ » . وفي هذا القول استعارة ،
 والمراد حتى ينتشر ضوء الفجر ، فيكون كتحليق الطائر ، وكالشرار
 المتطاير ، والفجر عندهم فجران : مستطيل ، ومستطير ؛ فأما المستطيل
 فهو الأول ، ولا يُحرّم على الصائم الطعام والشراب . وأما المستطير
 فهو الثاني ، ويُحرّم الشراب والطعام ، ويسمى الأول ذنب السرّحان
 لدقة خيطه وغموض سمّته ^(١) . قال الكميّ بن زيّد :

ولما علا شمطه ^(٢) المِضْبَائِنِ من ليّلة الذّنب الأشعل ^(٣)
 وأطلع منه الياح ^(٤) الشّميّطُ خدوداً كما سُلّت الأنصل ^(٥)

فجعله أشعل لكثرة البياض فيه . والمضباين : ثنية مضباً ، وهو
 المكان الذي يضبأ الإنسان به : أى يلزمه ويلطأ فيه . والياح :
 الأبيض ، ويقال : بكسر اللام وفتحها . والشميط : الكثير البياض ،

(١) يسمى الفجر الأول عند الفقهاء بالفجر الكاذب ، وهو نور يظهر قبل
 الفجر ثم يذهب ، كما يسمى الفجر الثانى بالفجر الصادق ، لأنه نور يظهر في موعد
 الفجر ثم يبقى وينتشر حتى تطلع الشمس .

(٢) الشمط : بفتح الشين والميم ، بياض الرأس يخالط سواده ، وقد شبه
 الكميّ بياض الصبح في سواد الليل بالشمط ، وسكن الميم للوزن .

(٣) الذنب الأشعل : الفجر الكاذب .

(٤) الياح : الصبح .

(٥) الأنصل جمع نصل ، وهو السلاح الأبيض ، يريد أن الصبح انتشر في كل
 مكان كما تضيء الأسلحة المسلوطة .

يقال : ذَنَبَ شَمِيطٌ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَشْمَلِ ، وَالْمُرَادُ هَاهُنَا الصَّبْحُ ، وَجُمِلَ لَهُ خَدُودًا بَارِزَةً عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ كَمَا يُقَالُ : طَرَّةُ الصُّبْحِ . وَحَاجِبُ الشَّمْسِ ، وَبِسْمِ الْفَجْرِ الثَّانِي الْمُسْتَطِيرِ لَا نَتَشَارُهُ وَوَضُوحُهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَمَّا نَ عَلَى سَرَّاءِ بَنَى أُؤَيِّ حَرِيقٌ بِالنَّوْزَةِ مُسْتَطِيرٌ
أَرَادَ حَرِيقًا قَدْ انْتَشَرَ شَرَارُهُ ، وَعَظُمَ أَوَارُهُ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ :
أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ : « لَيْسَ الْفَجْرُ الْمُسْتَطِيلُ الْأَبْيَضُ
وَلَكِنَّهُ الْمَعْتَرِضُ الْأَحْمَرُ » ^(١) .

٢٥٠ — وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي صِفَةِ أَهْلِ
الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : « يَبْلُغُ الْعَرَقُ هُنَاكَ مَا يُلْجِئُهُمْ » ، وَفِي هَذَا
الْقَوْلِ مَجَازٌ ، وَلَهُ وَجْهَانِ .

﴿ أَحَدُهُمَا ﴾ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ الْعَرَقَ يَزِيدُ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى
يُضْعَفُوا عَنِ الْكَلَامِ فَلَا يُجِيرُوا جَوَابًا ، وَلَا يَبْتَدِئُوا مَقَالًا كَمَا يَقُولُ
الْقَائِلُ : حَاجَجْتَ فَلَانًا فَأَلْجَمْتَهُ بِالْحُجَّةِ : إِذَا أَسْكَنْتَهُ بِهَا عَنْ مِرَاجَعَتِهِ ،
وَقَطَعَ لِسَانَهُ عَنْ مَنَاقَلَتِهِ . فَشَبَّهَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِضْعَافَ الْعَرَقِ

(١) مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ اسْتِعَارَةُ تَبْعِيَّةٍ ، حَيْثُ شَبَّهَ سُرْعَةَ انْتِشَارِ ضَوْءِ الْفَجْرِ بِالِاسْتِطَارَةِ ،
بِمَجَامِعِ السَّرْعَةِ فِي كُلِّ ، وَاشْتَقَّ مِنَ الْاسْتِطَارَةِ بِسُطَّيرٍ بِمَعْنَى يَسْرِعُ انْتِشَارُهُ ، عَلَى
طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ .

لهم ، وبلوغه إلى أن يملك عليهم نطقهم باللَّجُم التي تملأ أفواه الخليل
تغتمنمها من تحريك ألسنتها تَمَطُّقًا^(١) بالمشرب ، أو تَلَمُّظًا^(٢) بالمطعم .

﴿ والوجه الآخر ﴾ أن يكون المراد أن العرق يكثر منهم حتى
يَخُونُوا فيه فيبلغ إلى أن يدخل أفواههم . فيكون بمكان اللُّجُم
لهم . ومن روى هذه الكلمة بالتشديد فقال : ما يلجُّمهم ، فالمراد
بذلك أن العرق يبلغ اللَّجَم من كل واحد منهم ، وهو ما يلي الرأس
من الرقبة ، وقيل له : الملاجِم لأنه مكان اللجام من رأس الفرس كما
قيل : المقلد والمُسَوِّر والمخلخل والمؤزَّر ، لموضع القلادة والسَّوار
والمِزَر والخلخال^(٣) .

٢٥١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لما قسم غنائم
حُنَيْن فأعطى المؤافَّة قلوبهم ولم يعط الأنصار في كلام طويل :
« يامعشر الأنصار أوجدتم^(٤) في قلوبكم من لَمَاعَةٍ^(٥) من الدنيا

(١) التمطق : التصويت باللسان أى لا تستطيع تحريك ألسنتها من ملء العرق
لأفواهها .

(٢) التلمظ : لإخراج اللسان على الشفتين عند الأكل .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه منع العرق للناس من الكلام بالإلجام ،
بجامع منع اللسان من الحركة في كل ، واشتق من الإلجام يلجم بمعنى يمنع من تحريك
اللسان على طريق الاستعارة القبعية .

(٤) وجد عليه بفتح الجيم وكسرهما ، يجد بكسر الجيم وضمها : بمعنى غضب
عليه أو حقد ، وحذف هنا كلمة على مع وجودها في الروايات الأخرى .

(٥) اللعاعة : واحدة اللعاع ، بضم اللام فيهما ، وهو ثبت ناعم في أول =

قَالَتْ بِهَا قَوْمًا لِّسْلِمُوا وَوَكَّلْتُكُمْ إِلَى إِيْمَانِكُمْ ، وهذه استعارة .
واللّعاة : البقل أول ما يبدو وهو ناعم رقيق ، وقيل : هى بقلة
ناعمة تعرف بعينها^(١) ذكر ذلك أبو عبيد فى الغريب المصّنف . ومن
قول الغريب ، خرجنا نتلعّع : أى نتبع هذه البقلة فى منابتها ،
ونجتنيها من مقاطعها . قال الشاعر :

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بَيْنَ وَرَاقِهِ لُعَاعٌ تَهَادَاهُ الدَّعَادِغُ^(٢) وَاعِدُ
يريد بواعدها هنا : أن هذا النبات كثير يعد راعيّه الشّبع منه
والاكتفاء به . فشبه عليه الصلاة والسلام حلاوة المال المبذول ،
وتعلق القلوب به ، وتتبع النفوس له بهذه البقلة الناعمة التى تستطاب
بجانبيها ، ويتبعها جانبيها ، ويجرى ذلك مجرى قوله عليه الصلاة والسلام
فى الخبر الآخر لحكيم بن حزام : إن هذا المال حلوة خضيرة^(٣) ،

== ما يبدو ، هى أيضاً الهندباء ، وهى نبات معروف يكون مع (الشكوريا) وهى
« السريس » ، والجرعة من الشراب ، والكلاء الخفيف . والمناسب فى الحديث حل اللعاة
على واحدة اللعاع السابق أو الجرعة من الشراب ، أو الكلاء الخفيف ، لأن
الرسول صلى الله عليه وسلم يقلل من شأن ما أعطاه لمن تألف قلوبهم ، ويكون
شبه ما أعطاه من الغنائم بالجرعة من الشراب أو الكمية القليلة من الكلاء .
(١) هى الهندباء كما سبق ذكره .

(٢) الدعادع : الأرض الجرداء ، وتهاداه : تميله أى تنبته مائلا .

(٣) أرى أن تشبيه ما أعطاه النبى صلى الله عليه وسلم لمن تألف قلوبهم
باللعاة ، إنما هو لقلته وعدم عظم قيمته حتى إنه يعتب عليهم أنهم غضبوا عليه فى
هذا الشئ القليل الذى أعطاه لغيرهم ولم يعطه لهم . واللعاة : نبات ضعيف أو كلاء
خفيف ينبت بالأراضى الجرداء غير الحصبة قليلة الرى ، كما أن من معانى اللعاة
الجرعة من الشراب وهى قليلة ، فالقلة ملحوظة فى كل المعانى التى تحتلها اللعاة .

وقد ذكرناه فيما تقدم من كتابنا هذا ^(١).

٢٥٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تُحَنَّنُ
الْمُؤْمِنُ الْمَوْتُ » ، وهذه استعارة ، وأصل التَّحَنُّنِ : طَرَفُ الْفَوَاكِهِ
الَّتِي يَتَهَادَاهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ ، فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَعَلَ الْمَوْتَ
الْوَارِدَ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَالْتَحَنُّنَةِ الْمَهْدَاةِ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يُسَرَّ بِمُعْجِلِ مَمَاتِهِ ، كَمَا
يُسِرُّ الْكَافِرُ بِتَنْفِيسِ حَيَاتِهِ ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يُخْرَجُ مِنْ عِقَالٍ إِلَى مَجَالٍ ^(٢)
وَالْكَافِرَ يُخْرَجُ مِنْ مَجَالٍ إِلَى عِقَالٍ ^(٣).

٢٥٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ
يَقْفِرُ لِعَبْدِهِ مَا لَمْ يَقَعِ الْحِجَابُ » ، وهذا القول مجاز . والمراد
أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مِنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي مَا دَامَ فِي نَفْسِ
الرَّجَاءِ ، وَفُسْحَةِ الْبَقَاءِ ، فَإِذَا بَلَغَ حَالَ انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ ، وَوُقُوعِ
الْأَمْرِ بِالْخَوْفِ ، لَمْ تَنْفَعِهِ التَّوْبَةُ ، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الْإِنَابَةُ . فَكَأَنَّهُ قَدْ حُجِبَ

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ؛ حيث شبه ما أعطى للمؤلفة قلوبهم من غنائم
خفيفة باللعاعة في قلته ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(٢) المجال : المكان المتسع الذي يحول فيه الإنسان ويطوف بأنعامه ،
والعقال : الحبل الذي تربط به قوائم الدابة ، والمراد المكان الضيق الذي يقيد
حركة من فيه .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الموت بالتحفة في لإدخال السرور على من
تهدى إليه ، وحذف وجه الشبه والأداة .

عن طريق الاستغفار ، وأخذ على حال الإصرار . وقد يجوز أن يكون المراد بالحجاب هاهنا ضد المراد بالوجه الأول ، وهو أن يكون وقوعه بمعنى^(١) انكشافه وسقوطه كما يقول القائل : وقيل للستر المضروب ، وسقط الفدام الممدود : أى زال ، وانتهدك وانكشف وانفرج ، والمراد بانكشاف الحجاب : أن تظهر للمرء أشرام الآخرة التى لا تضام^(٢) التكليف ، فبراها بادية بعد أن كانت خافية ، وظاهرة بعد أن كانت باطنة ، فيكون الحجاب هناك على ضربين : حجاب مهتوك عما كان خافياً من أعلام الآخرة ، وحجاب مضروب دون ما كان ممكناً من أحوال التوبة^(٣) .

٢٥٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْمَعْرُوفُ وَالْمُنْكَرُ خَلِيفَتَانِ يُنْصَبَانِ لِلنَّاسِ ، فَيَقُولُ الْمُنْكَرُ لِأَهْلِهِ

(١) الفدام : بكسر الفاء وفتحها ، شئ يضعه الجوس على أفواها عن السفر ، وإذا سقط انكشف ما تحته كما ينكشف الحجاب عن المؤمن عند موته .
(٢) تضام التكليف أى تجامعه أى لا تكون . وجوده مع وجود التكليف على المؤمن ، وعند موته يسقط التكليف فتتكشف له أشراف الساعة أى علاماتها .
(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه الموت بوقوع الحجاب ، وضربه بالشئين مجامع الحيلولة بين المحجوب والمحجوب عنه ، والمحجوب هنا المؤمن والمحجوب عنه التوبة ، والحجاب الموت . واشتق من وقوع الحجاب بمعنى الموت يقع الحجاب بمعنى يموت المؤمن على طريق الاستعارة التبعية ، وهكذا على المعنى الثانى الذى ذكره الشريف غير أن المحجوب عنه فى هذا المعنى الثانى كان أشراف الساعة ، فلما سقط الحجاب ظهرت ، والتشبيه هنا بسقوط الحجاب لا بوجوده

كُمُ إِلَيْكُمْ^(١) وَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُ إِلَّا لُزُومًا . وهذا القول
 ز ، والمراد أن الله تعالى جعل للفعل المعروف علامات ، وعلى
 بل المنكر أمارات ، ووعد على فعل للمعروف حلول دار النعيم ،
 ووعد على فعل للمنكر خلود دار الجحيم ، فكان بين الأمرين الحِجَازُ
 بين والفرقان البَير ، فكان للمعروف يدعو إلى فعله لما وعد عليه
 الثواب ، وكان للمنكر ينهى عن فعله لما وعد عليه من العقاب
 ذلك قال عليه الصلاة والسلام « فَيَقُولُ الْمُنْكَرُ لِأَهْلِهِ إِلَيْكُمْ
 كُمُ » على طريق الانساع والحجاز ، وقوله عليه الصلاة والسلام
 بعدُ : وما يستطيعون له إلا لزوما ، المراد به أنهم مع قوارع
 نذر ، وصوادع الغير ، وزواجر التحذير ، وبوالغ الوعيد ، يتنازعون
 فعله ، ويتسارعون إلى ورده ، وليس المراد أنهم لا يستطيعون له
 لزوماً على الحقيقة ، وإنما قيل ذلك على طريق المبالغة في صفتهم
 نزوع إليه والإصرار عليه كما يقول القائل : ما أستطيع النظر إلى فلان
 لا أستطيع الاجتماع مع فلان : إذا أراد المبالغة في نفسه بشدة
 بغاض لذلك الإنسان ، والاستئغال لرؤيته ، والنفور من مقاعدته ،
 أن كان على الحقيقة مستطيعاً لذلك بصحة أدواته^(٢) ، والتمكن

(١) إليكم إليكم : معانها ابتعدوا عني .

(٢) صحة الأدوات : أي وجود الموصلات إلى الشخص المذكور ، فجعل أسباب
 اتصال كأدواته .

من تصريف إراداته^(١) ، ولو لم يكن هؤلاء المذكورون في الخبر قادرين على الانفصال من فعل المنكر لما كانوا على موافقة مذمومين ، وبجريته مطالبين^(٢) ، وذلك أوضح من أن نستقصي الكلام فيه ، ونستكثر من الحجاج عليه^(٣) .

٢٥٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى تَنْفِي الْخَبَثَ^(٤) » كما يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ » يريد عليه الصلاة والسلام الهجرة إلى المدينة ، فقوله « أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى » مجاز ، والمراد أن أهلها يقهرون أهل

(١) أى أن مرید الاجتماع بإنسان يستطيع تصريف إراداته ، وتغييرها حتى يمكنه الاجتماع به .

(٢) أى لو كان فاعلو المنكر لا يستطيعون حقيقة الابتعاد عنه بمقتضى طبيعتهم لما كان عليهم لثم في فعله ، ولم يلحقهم ذم في ملازمته . لأن الله تعالى عادل لا يعاقب على ذنب يجبر الإنسان على فعله .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه المعروف والمنكر بخليفتين ، والخليفة هو السلطان الأعظم ، ينصبان للناس أى يكون كل منهما خليفة عليهم ، فاحدهما هو المنكر يطرد الناس عنه ، ووجه الشبه الاعتراف والتابعة والإقبال . ففي الخلاف تبعية وإقبال ، وفي المعروف والمنكر إقبال ووافق كما في التبعية ، وحذف وجه الشبه والأداة ، وفيه أيضاً استعارة تبعية ، حيث شبه حالة المنكر وما عليه من عيب وتهديد ، وذم وعذاب ، بالقول الذى يدل على الأمر بالابتعاد عنه ، فشبه دلالته الحال بدلالة المقال ، واشتق من القول بمعنى الدلالة ، يقول بمعنى يدل ، على طريق الاستعارة التبعية .

(٤) أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ : أى بسكنى قرية أو بالهجرة الى قرية .

(٥) الخَبَثُ : القذر والوسخ والضرر .

القرى فيملكون بلادهم ، ويغتنمون أموالهم ، فكانهم لهذه الأحوال يأكلونهم ، وخرج هذا القول على طريقة للعرب معروفة ، لأنهم يقولون : أكل فلان جاره إذا عدا عليه ، فانتكح حرمة ، واصطفي حرّيته ، وعلى ذلك قول علقمة بن عقيّل بن علقمة لأبيه في أبيات :
أَكَلْتُ بَنِيكَ أَكْلَ الضَّبِّ حَتَّى وَجَدْتُ مَرَارَةَ السَّكَلَاءِ الْوَبِيلِ
ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في غزوة الحُدَيْبِيَةِ :
« وَيَحْ قَرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ » يريد أنها قد أفنت رجالهم ، وانتهبت أموالهم ، فكانت من هذا الوجه كأنها آكلة لهم . قال ذلك عليه الصلاة والسلام في حديث طويل ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : « تنفى الخبث كما ينفى الكبير خبث الحديد » أن أهلها يَتَمَحَّصُونَ فينتفي عنها الأشرار ، ويبقى فيها الأخيار ، ويفارقها الأخلاط والأوشاب^(١) ، ولا يصبر عليها إلا الصميم واللُّبَابُ ، فتكون بمنزلة الكبير الذي ينفى الأخبيث والأدران ، ويخلص المصاص^(٢) والنضار . وهذا أيضاً مجاز ثانٍ . وقد ورد هذا الخبر بلفظ آخر ذكره عمر بن عبد العزيز ، قال : سمعنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « الْمَدِينَةُ تَنْفِي خَبَثَ الرَّجَالِ كَمَا بَنَفِي »

(١) الأوشاب : الأخلاط ، والأوشاب : جمع وشب ، بكسر الواو وسكون الشين .
(٢) المصاص : خلاصة الشيء ، والنضار : الذهب الخالص أو خالص الجواهر .

الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ « والمعنى في اللفظين واحد ^(١) .

٢٥٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الرَّحِمُ لَهَا حُجْنَةٌ كَحُجْنَةِ الْمَغْزَلِ » وهذه استعارة ، والحُجْنَةُ : هي الحديدة الْمُعَقَّنَةُ ^(٢) في رأس المغزل ، ومنه المِخْجَنُ وهي العصا المَعْوَجَّة الرأس . قاراد عليه الصلاة والسلام أن الرحم لها علائق يُعْتَلَقُ بها ، وشوابك تجتذب بوصلها ، فكأنها تستعطف للمعرض عنها وتردُّ الشارد إليها كما يجتذب الإنسان الشيء بالحجن إلى جهته ، أو يستثنى ^(٣) به الذاهب عن وجهته ^(٤) .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبمية وتشبيه مرسل ، أما الأولى : فحيث شبه قهر المدينة وأهلها لأهل القرى الأخرى بالأكل ، بجامع الاستيلاء وإفناء الشخصية في كل ، واشتق من الأكل بمعنى القهر تأكل بمعنى تقهر وتستولى ، على طريق الاستعارة التبعية ، ومع التبعية مكنية ، حيث شبه المدينة بالحيوان الذي يفترس الحيوانات الأخرى ويأكلها ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الأكل ، وإسناد تأكل إلى ضمير المدينة تخييل ، وأما التشبيه فهو تشبيه نقي المدينة لحبها بنقي الكبير ، وهو المنفاخ الذي يؤجج نار الحداد لحب الحديد مع ذكر أداة التشبيه ، ومي السكاب . وفي الحديث أيضاً مجازان عقلي ومرسل ، علاقتهما المحلية : الأول : قوله تأكل فأسند الفعل إلى المحل وهو المدينة والذي يأكل أهلها لا مي ، والثاني : في قوله القري . فإن للمأكل أهل القرى وليس القرى ، فاستعمل المحل وأريد الحال ، وهو مجاز مرسل .

(٢) المعقفة : الملوية المثنية (٣) يستثنى : يلويه ويثنيه ناحيته .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريرية : حيث شبه صلة الرحم التي تعطف أهلها بالحجنة بجامع الجذب والتعلق في كل ؛ واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

٢٥٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ ^(١) تَغَضَّبُ لِفَضْبِهِ وَتُقَاتِلُ لِعَصْبَتِهِ ^(٢) فَقَتَلَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ ^(٣) » . وفي رواية أخرى : « يَفْضَبُ غَضْبَتَهُ وَيُقَاتِلُ عَصْبَتَهُ » . فقوله عليه الصلاة والسلام « تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ » ، مجاز لأنه جعل الراية عَمِيَّةً ، والمراد الحرب التي رفعت تلك الراية فيها ، وإنما حسن وصفها بالعمى وهو في الحقيقة للحرب ، لأن الراية علم لها ، ودليل عليها ، والحرب العمياء هي المشبهة التي لا يهتدى فيها إلى القصد ، ولا يقين فيها وجه الرشد ، فهي كالعمياء النافسة ، والعشواء الخاطبة ، ومن ذلك قولهم : نحن في عمياء ، إذا كانوا في أمر مختلط ، أو على رأى مشتبهِ ، وربما روى لفظ الخبر على الإضافة ، وذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « تَحْتَ رَايَةٍ عَمِيَّةٍ » كأنه قال : تَحْتَ رَايَةٍ حَرْبٍ عَمِيَّةٍ ، والمعنيان متقاربان ^(٤) .

(١) العمية : بكسر العين وضمها وتشديد الميم والياء : السكبر والضلال .

(٢) العصبة هنا : قوم الرجل الذين يتعصبون له .

(٣) أى لا ثواب له فيها ويماقب عليها ، وهذا تنفير عن فعل مثل هذا العمل والمعنى من حارب بسبب السكبر ، والضلال والتعصب لقومه فقتل كانت نفسه هدرًا وكان فعله مذمومًا لا ثواب له فيه ، بل عليه عقاب وله عذاب .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز مرسل حيث نسب السكبر والضلال للراية ، وليست هي صاحبة السكبر والضلال ، وإنما الحرب هي صاحبتها ، ولكن الراية دليل الحرب والعلامة عليها ، فكانت سببها .

٢٥٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَرَا
 أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَكِيدُهُمْ أَمَاعٌ ^(١) » كما يَمَاعُ الْمَاعُ فِي الْمَاءِ . وهذا
 استعارة ، والمراد أنه يمحى كيدده ويضمحل أمره ، فيكون كالمهبط
 المتلاشي والبناء المتداعي ، فلا يثبت له عماد ، ولا يدعُعه سِنَاد . فعنه
 عليه الصلاة والسلام عن هذه الحال بالأمياع ، لأنه لا يَمَاعُ إلا الجسد
 المتخلخل الذى لم تَسْتَحْصِفْ جِبِلَّتَهُ ^(٢) ، ولا استَحْجَرَتْ طِينَتَهُ ^(٣)
 وتوصف أيضاً الأجسام الرقيقة بمثل ذلك ، فيقال ماع الماء إذا جرى
 على وجه الأرض ، وكذلك الدم ، واماع السمن : إذا ذاب
 وكذلك الرُّبُّ ^(٤) ويفرق بينهما بأن يقال للجسم الذى لا يماسك
 إذا خلى عنه ماع كالماء والدم . ويقال للجسم الذى إذا أطلق عنه
 تماسك بعض التماسك أماع كالسمن والرُّبُّ قال الشاعر :
 كَأَنَّهُ ذُو إِبْدٍ ذَلَّهِمْسُ بِسَاعِدَيْهِ جَسَدٌ مُورَسُ ^(٥)
 * من الدِّماءِ مائعٌ ومُلْبَسٌ *

(١) اماع : ذاب .

(٢) الجبلّة : الطبيعة ، وتستحصف : تستحكم وتقوى .

(٣) أى لم تقو طينته وتجمد حتى تصير حجراً .

(٤) الرب : ما يبقى ثخيناً بعد عصر الفاكهة ونحوها ، ونفل السمن .

(٥) اللبد : الشعر الذى يكون على كتفى الأسد ، وذو اللبد : هو الأسد

والدهس : الأسد ، والساعدان : ثنية ساعد ، وهو جزء اليد من الرسغ إلى
 المرفق ، والجسد : الدم ، والمورس ، شبه الورس ، وهونبات كالسمسم يزرع
 جيبه في اللبن ورديته في الحبشة . والمعنى أن الدم أصفر ، والملبس : المختلط كال
 الدم اختلط بالماء .

والجسد هاهنا اسم من أسماء الدم ^(١) .

٢٥٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « سَلَمَانٌ

الْفَارِسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : سَلَمَانُ ابْنُ الْإِسْلَامِ ، سَلَمَانٌ جِلْدَةٌ بَيْنَ قَتْمَيْنِ » . وفي هذا الكلام مجازان : أحدهما قوله عليه الصلاة والسلام

« سلمان ابن الإسلام » ولهذا القول وجهان :

﴿ أحدهما ﴾ أن يكون المراد به أن سلمان يتعرف بالإسلام كما يتعرف الناس بأبائهم ، وينتمون إلى أجدادهم ، لأنه كان عبداً غير معروف الأب ولا مشهور النسب ، وإنما بالإسلام سمي وإليه انتمى .

﴿ والوجه الآخر ﴾ أن يكون المراد أن الإسلام دعمَ ظهره وشدَّ زُرَّه ، فقام له مقام الحاضن الكافل ، والأب العائل ، والمجاز الآخر

قوله عليه الصلاة والسلام : « سَلَمَانٌ جِلْدَةٌ بَيْنَ عَيْنَيْنِ » وجلدة بين العينين هاهنا كناية عن الأنف ، فكأنه عليه الصلاة والسلام جعله في العزة والقرب منه كالأنف الكريم على صاحبه والعزيز على مفارقه ،

وهذا القول أصبح معنى من قول الشاعر :

(١) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه هزيمة من يكيد أهل المدينة واضمحلال أمره بالامبياع ، وهو التفكك والتحلل في الماء ، بجامع تغير الحال إلى الضعف وحصول الضرر والنقصان . واشتق من الامبياع بمعنى الاضمحلال ، لمبياع بمعنى اضمحل ، على طريق الاستعارة التبعية ، وفيه تشبيه مرسل حيث شبه تحلل كائد أهل المدينة بتحلل الملح في الماء في سرعته وعدم قدرته على المقاومة ، وذكر أداة التشبيه وهي الكاف .

* وَجِلْدَةُ بَيْنِ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ *

لأنه لاجلدة بين العين والأنف مذكورة يُقصد قَصْدُهَا ، وبشار
نَحْوَهَا ، كما قلنا في جلدة بين العيدين إنها الأنف الكريمة موقعه ،
والمشهور موضعه ^(١) .

٢٦٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مُعْتَرِكُ
الْمَنَآيَا بَيْنَ السَّتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ » وهذا القول مجاز ، والمعترك موضع
الحرب وسمى معتركا لالتفاف الرجال ، واعتراك الأبطال . وقد قال
عليه الصلاة والسلام في خبر آخر : أعمار أمتي بين الستين والسبعين ،
وقال صلى الله عليه وآله : لَا خَيْرَ لِمُؤْمِنٍ فِي عُمُرٍ يَتَجَاوَزُ عُمُرِي ،
فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه هذا العمر لكثرة الذاهبين فيه ،
وقلة المجاوزين له بمعترك المنايا تكافح فيه الأرواح ، وَتَضَطَّلَ ^(٢) الْأَجَالُ
فَلَا يُفْلِتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ إِلَّا مَنْ أَشَدَّهُ حَائِلَهَا ^(٣) ، وَتَخَطَّاهُ نَائِلَهَا ^(٤) .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهان بليغان : الأول تشبيه سلمان رضى الله عنه بابن الإسلام
في قوته به وشد أزره والثاني تشبيه سلمان رضى الله عنه بأنف النبي صلى الله عليه
وسلم في علو الشأن وكرم المنزلة ، وحذف وجه الشبه والأداة فيهما .

(٢) تصطلم : تستأصل وتبحث .

(٣) أشدّه : نجاه وأبعده ، وحائلها : الذى يحول بينها وبين الشخص .

(٤) نائلها : النائل الآخذ ، والمراد هنا تخطفه المنايا لأن نيلها هو أخذها

ولإزهاق أرواح من تنالهم .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه العمر في السن الواقعة بين الستين =

٢٦١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَا تَسُبُّوا
الإِبِلَ فَإِنَّهَا رَقُوءٌ ^(١) أَلَدَمَ » . وهذا القول مجاز ، لأن الإبل على
الحقيقة ليست بِرَقُوءٍ الدم ، وإنما المراد أنها إذا أعطيت في الديات
كانت سبباً لانقطاع الدماء المطلولة ^(٢) والثرات المطلوبة . فشبه عليه
الصلاة والسلام تلك الحال بالعِرْق ^(٣) العائد ، والدم للسائل الذي إذا
ترك لَجَ واستشرى ، وإذا عولج انقطع وَرَقاً ، وعلى هذا المعنى
قول الكُمَيْتِ بن زَيْدٍ .

وَالسَّكَنِيُّ رَقُوءٌ دَمٍ وَرَاقٍ لِأَدْوَاءِ الضَّفَائِنِ وَالذَّحُولِ ^(٤)
ويروى هذا الخبر على لفظ آخر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام :
فَإِنْ فِيهَا رَقُوءٌ أَلَدَمَ ^(٥) .

= والسبعين يمكن الوقعة الحربية لأنه مظنه الموت غالباً ولا ينجو منه إلا القليل ،
واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(١) رَقُوءٌ : فعول من رَقَأَ الدم بمعنى انقطع ، ورقاه بمعنى قطعه ووقف
سيلانه ، فهو صيغة مبالغة من الرقء وهو القطع .

(٢) المطلولة : المسفوكة المراقبة .

(٣) عند العرق : سال ، ولم يرفأ كعند ، فالعرق العائد السائل الذي

لا ينقطع دمه .

(٤) راق : فاعل من الرقية ، وهي العوذة التي يعوذ بها الإنسان المريض أو
المسوس من الجن ، فيذهب مرضه أو مسه . وأدواء : جمع داء ، والضفائن :
الأحقاد ، والذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر ، والثأر تسيل فيه الدماء .

(٥) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهه بليغ حيث شبه الإبل في أنها تعطى في الدية فيأخذها ورثة القاتل
فيستكتوا عن المطالبة بالثأر ؛ فيمتنع سيلان دماء من كان سيقتل في الثأر بالرقوء =

٢٦٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : إِنْ ذَا
الْوَجْهَيْنِ^(١) خَلِيقُ الْأَلْأَيْكُونِ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا^(٢) ، وهذا القول
مجاز لأنه عليه الصلاة والسلام لم يرد تثنية الوجه الذى هو العضو
المخصوص على الحقيقة ، لأن استحالة ذلك فى الإنسان معلوم ضرورة ،
ولمّا أراد ذم المنافق الذى ظاهره يخالف باطنه ، وحاضره يُضادّ غائبه ،
فكانه يلتقى أخاه فى مشهده بصفحة المودّة ، ويتناولوه فى مغيبه بلسان
الذم والعصبية ، فشبه عليه الصلاة والسلام هاتين الحالتين لاختلافهما
بالوجهين المختلفين لتباين ما يذنبهما^(٣) .

٢٦٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْإِيْمَانُ
يَمَانٍ^(٤) وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ » وهذا قدر ما أورده أبو عبيد فى كتابه

وهو الشيء الذى يوضع على الدم فيجف أو على العرق المقطوع فيسكت سيلان
دمه ، وحذف وجه الشبه والأداة ، أما على الرواية الأخيرة التى ذكرها الشريف
ومى (فإن فيها رقوء الدم) فى الحديث استعارة تصرّيجية حيث شبه الإبل بالشيء
الذى يمنع الدم ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

(١) ذو الوجهين : المنافق .

(٢) وجيهاً : ذاجاه ، أى لا يكون محترماً ولا ينظروا إليه نظرة لكبار .

(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تصرّيجية ، حيث شبه المنافق الذى يظهر غير ما يطن ،
والذى يقول فى الحضرة غير ما يقوله فى الغيبة بنى الوجهين ، الذى يضع أحدهما
على رقبته مرة والآخر مرة أخرى ، والمراد بنى الوجهين المختلفين ، بجامع تغير
الحال فى كل ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

(٤) يمان : أى يمنى ، نسبة إلى اليمن ، فيقال يمنى ويمنان كما يقال : شامى
وشام .

من هذا الخبر ، وقد ذكر غيره زيادة كثيرة ، وهي قوله عليه الصلاة والسلام بعد الكلام المتقدم « رَحَا الْإِسْلَامَ دَائِرَةٌ فِي قَحْطَانٍ ، فَخَيْرُ رُءُوسِ الْعَرَبِ وَبَهَاوُهَا ، وَالْأَسَدُ ^(١) كَاهِلُهَا وَبُحْجَمَتُهَا ^(٢) ، مَذْحِجُ هَامَتِهَا ^(٣) وَغَلَصَمَتُهَا ^(٤) » . في حديث طويل ، وفي هذا الحديث عدة مجازات : أحدها قوله عليه الصلاة والسلام : الْإِيمَانُ الْإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ ، والمراد أهل الإيمان وأهل الحكمة يَمَانُونَ ، أمثال ذلك في الكلام معروف كثير . ويدخل في هذا الوصف أهل مكة وأهل المدينة . فأما مكة فهي جهة من جهات اليمين مَفْضَى ^(٥) إلى ذلك الشق والسَمْت . وأما المدينة فمعظم أهلها لأنصار وهم من أهل اليمين بالأصل وإن كانوا من أهل الحجاز بالدار ، قد قيل إنه عليه الصلاة والسلام قال هذا الكلام بَبَيُوكَ وهي من أرض الشام ، وكانت مكة والمدينة حينئذ بينهما وبين اليمين ، فأشار إلى جهة اليمين ، وهو يريد مكة والمدينة . والمجاز الآخر : قوله عليه الصلاة والسلام : رَحَا الْإِسْلَامَ دَائِرَةٌ فِي قَحْطَانٍ . والمراد أن أمر الإسلام يدور عليها كما تدور الرحا على قطبها ، وقد مضى في صدر

(١) الأسد : مى الأزد ، والسين والزاي يتعاقبان في اللفظة العربية ، والكاهل : الكتف .

(٢) الجمجمة : عظم الرأس الذى فيه المخ .

(٣) الهامة : الرأس .

(٤) الغلصمة : اللحم بين الرأس والعنق .

(٥) مفضى : موصل ومنفذ .

هذا الكتاب من الكلام على ربح الإسلام مافيه كفاية ، و
الآخر : قوله عليه الصلاة والسلام : حمير رؤوس العرب وبهاؤهم
والأسد كاهلها وججمتها ، ومذحج هامتها وغلصمتها . وال
أن حمير في التقدم كالرؤوس الأعظم ، والأسد في الاشتغال
والاجتماع كالسكواهل والجماجم ، ومذحج في السمو وال
كالهامات . والغلام^(١) .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث كنيان وثلاثة تشبيهات بليغة ، الكناية الأولى : في قوله صلى
عليه وسلم « الإسلام يمان والحكمة يمانية » ، فهذا كناية عن أن أهل
متصفون بحسن الإسلام ، ويفهم هذا من أن الدالة على الكمال ، ومتصف
بالحكمة لأن الأرض لا تنصف بالحكمة وإنما أهلها الذين يتصفون بذلك ، والك
الثانية : في قوله « ربح الإسلام دائرة في قحطان » فهذا كناية عن اشتغال
بالإسلام وتماليه ، دائرون في فلسك كما تدور الرحى . وأما التشبيهات فهي :
١ - حمير : رؤوس العرب وبهاؤها .

٢ - الأسد : كاهلها وججمتها ، مذحج : هامتها وغلصمتها . حيث
كل قبيلة من القبائل المذكورة بما أخبر عنها به بجامع الرفعة والقوة والشهرة في ك
وحذف وجه الشبه والأداة .

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٦٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « يُنَادِي مُنَادٍ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَلْحَقَنَ كُلِّ أُمَّةٍ بِمَا كَانَتْ تَعْبُدُ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ صَنَمًا إِلَّا ذَهَبَ حَتَّى يَقَعَ فِي النَّارِ وَيَبْقَى غُفَرَاتٌ ^(١) أَهْلِ النَّارِ » فقوله عليه الصلاة والسلام : غُفَرَاتُ أَهْلِ النَّارِ استعارة ، والمراد عقابياهم وبقاياهم ، وذلك مأخوذ من غُفَرِ اللَّبَنِ وَغُفْرِهِ بالتشديد والتخفيف ، وهو بقيته في الخلف والضَّرْع ، وَغُفَرِ اللَّيْلِ : آخره ، مأخوذ من ذلك . قال الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ - فِي الْغُبَرِ مُثَقَّلًا .

فَيَا صُبْحُ كَمْشَ ^(٢) غُفَرِ اللَّيْلِ مُصْعِدًا
بِمَ - ^(٣) وَنَبَّهَ ذَا الْعَفَاءِ ^(٤) الْمَوْشِحَ -

يريد الديك . وقال آخر في الغُفَرِ مخففاً .

متفلق أنساؤها عن قاني كالقَرَضِ صافٍ غُفْرُهُ لَا يُرْضَعُ ^(٥)

- (١) الغبرات : بتشديد الباء وسكونها جمع غبرة بالتشديد والتسكين ، وهي بقية الشيء ، وغابت على بقية اللبن في الضرع ، وبقية دم الحيض ، والمراد بغبرات أهل النار بقاياهم بعد عبدة الأصنام الذين وقعوا في النار ، وهذا يدل على أن المشركين هم كثرة أهل النار ومن عداهم قليل .
(٢) كمش : أعجل بقايا الليل حتى تذهب .
(٣) بم : بلد بكرمان .

(٤) العفاء : كثرة الريش ، والمراد كما قال الشريف الديك ، والموشح : الذي فيه بياض مع سواد أو حمرة أو غيرها .

(٥) المتفلق : المتشقق ، والأنساء : جمع نساء وهو عرق في الفخذ معروف =

قال الأخفش : هو بالتخفيف لا غير ، وأنشد هذا البيت شاهداً على قوله (١) .

٢٦٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الرؤيا على الرجل طائرٌ ما لم تُعبرْ ، فإذا عُبِّرَتْ وَقَمَتْ فَلَا تُحَدِّثَنَّ بِهَا إِلَّا حَبِيبًا أَوْ لَيْبِيبًا » روى هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله أبو رزَيْنَ الْعُقَيْلِي ، وهو لَقِيْطُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْمُنتَفِقِ ، وفي عدا الكلام مجاز . والمراد بالطائر هاهنا الأمر الذي يُتَطَيَّرُ بِهِ ، ومنه قوله تعالى : « وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ » يريد ما يتطير منه ، ويخاف وقوعه به من جزاء أعماله السيئة وأوزاره المثقلة ، وذلك مأخوذ من زَجَرَ الطير على مذاهب العرب ، وكانوا يقيمون بآيامنها (٢) ويتشاءمون بأشائنها (٣) ، وعلى ذلك قول الشاعر :

وَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ
فَإِذَا الْأَشَائِمُ كَالْأَيَّامِ وَالْأَيَّامُ كَالْأَشَائِمِ
وَالوَاقُ : بكسر القاف الصَّوْرَةُ ، كأنهم سموه بحكاية صوته .

= والقائيء : الأحمر ، والقرظ : حب أحمر يدبغ به الجلد ، والغبر : البقية ، يريد أن هذه الشاة يظهر لحمها أحمر كالقرظ لا ترضع ببقية .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه بقايا أهل النار بعد عبدة الأصنام ببقايا اللبن ونحوه ، بجامع القلة في كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(٢) الأيَّام : جمع أيمن ، وهي جهة اليمين .

(٣) الأشائم : جمع أشأم ، وهي جهة الشمال .

قال الشاعر :

ولستُ بهَيَّابٍ إِذَا شَدَّ رَحْلَهُ يقول عداني اليومَ واقٍ وحاتمُ
والحاتم : الغراب ، فكأنه عليه الصلاة والسلام جعل رؤيا
الإنسان التي يَتَرَوَّعُ لها ويخاف ضررها ، بمنزلة الشيء الذي يتطير به
وقد يجوز أن يكون ويجوز ألا يكون ، فإذا عبَّرها فعبَّرت له على
ما يكره وقع متوقعها ، وخلص للشر مجوزها^(١) . ويشبه ذلك
ما حكى عن بعض المتقدمين أنه قال : علم النجوم فال فلكى ، كأنه
يشير إلى أن يتفاهل بالسعود^(٢) تعرضاً لها ، ويتطير بالنحوس تباعداً
منها . وجميع ذلك ما يجوز أن يقع ، ويجوز ألا يقع ، ولما جعل عليه
الصلاة والسلام الرؤيا بمنزلة الطائر المتطير به جعل تعبيرها على الأمر
المكروه بمنزلة وقوع الطائر موافقة بين أنحاء الكلام حتى تقع
مواقعها ، وتطبق مفاصلها ، وقوله عليه الصلاة والسلام من بعد : فلا
تُحَدِّثَنَّ بِهَا إِلَّا حَبِيباً أَوْ لَيْبِياً ، يريد به النهي عن قصتها إلا على
محب ناصح ، أوليب راجح ، لأن الحب للإنسان يتعمد حمل أموره
على أجملها ، ويتوخى مسرته بتحسين ما يحسن منها . وبخلاف ذلك
يكون البغض للباعد ، والكاشح للموارب^(٣) . وأما اللبيب وهو

(١) أى الذى يجوز أن يكون خيراً ، ويجوز أن يكون شراً .

(٢) السعود : جمع سعد ، والنحوس : جمع نحس .

(٣) الموارب : المداهن المحتال الذى لا ينصح ، والكاشح : البغض .

العاقِل فهو يعبّر بها على الوجه الصحيح الذى لا يُوطى فيه عَشْوَةٌ^(١) ، ولا يطلب مضرة . وبخلاف ذلك يكون الأخرق الجاهل ، والغبي الغافل^(٢) .

٢٦٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام . « إِنْ الشَّيْطَانُ ذَنْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الْقَاصِيَةَ وَالشَّاذَّةَ » . وفي رواية أخرى ، « فَإِذَا كُنَّ وَالشَّعَابَ وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعِمَامَةِ »^(٣) . وهذه من أحسن الاستعارات . وذلك أنه جعل الشيطان للإنسان بمنزلة الذئب للشاة يأخذ البعيدة المتفرّدة ، ويختلس الشاذة الشاردة ، ويكون لجماعتها أهيب ولفرّادها^(٤) أقرب . وكذلك الشيطان يقوى طمعه في الفذ الفريد ، والشارد الوحيد ، فيستهو به بهواه ، ويجعله غرضاً رجيماً^(٥) لوساوسه ، ويكون في جماعة الناس أضعف طمعاً ، وبهم أقل تولّعاً . وفي هذا الكلام حث للناس

(١) يقال أوطأه عَشْوَةٌ : أركبه على غير هدى ، والمعنى هنا : لا يفسر بغير علم .

(٢) مافى الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الرؤيا بالطائر المحتمل أمره للخير والشر على ما كانت تعتقد العرب من أنه إذا طار من جهة اليمين كان خيراً ، وإذا طار من جهة الشمال كان شراً وحذف وجه الشبه والأداة .

(٣) العمامة : الكتيرة .

(٤) الفراد : جمع فريد .

(٥) رجيماً : مذموماً ، لأن من معانى الرجم الشتم .

على لزوم الجماعة في طاعة السلطان العادل والإمام الفاضل ، ويجوز أيضاً أن يكون فيه حثٌ لهم على لزوم الدين القويم والصراط المستقيم وترك الانفراد بالمذاهب ، وسلوك الولاة^(١) والعوادل^(٢) .

٣٦٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَيَنْقُضَنَّ الإسلامُ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ كَمَا يُنْقِضُ الْحَبْلُ قُوَّةَ قُوَّةٍ »^(٣) هذه رواية فيروز الدبلي^(٤) . وفي رواية أبي أمامة الباهلي : « عُرِيَ الإسلامُ عُرْوَةَ عُرْوَةٍ »^(٥) ، فكلمتا انتقضت عروة كان تشبث الناس بالتي تليها ، فأولهنَّ نقضاً الحُكْمُ^(٦) ، وآخرهن لتتقضى الصلاة ، وهذه استعارة .

(١) الولاة : جمع وليجة ، ومى الكهف ومنعطف الوادى ، والمراد هنا الطرق غير الواضحة .

(٢) العوادل : جمع عادلة ، ومى الطريق المعوجة .

ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيهان أولهما بليغ وثانيهما مرسل . الأول الشيطان ذئب الإنسان أى كذئب الإنسان فى الاغتيال . فغذف وجه الشبه والأداة ، والثانى كذئب الغم شبه الشيطان بأنه كذئب الغم فذكر أداة التشبيه ، ووجه الشبه الاغتيال .

(٣) قوة قوة : القوة هى الحبل الواحد الذى يفتل مع غيره حتى يتكون منه الحبل .

(٤) فيروز الدبلى : صحابى روى عنه أبناؤه : الضحاك وسعيد وعبد الله .

(٥) العروة : العقدة ؛ لأن النسيج يكون له عقد عند نسجه ، بكثرتها يصير النسيج متيناً ويقطعها يصير غير متين ، فجعل الإسلام كالنسيج ذى العقد .

(٦) الحكم : أى الخلافة ، وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأول ما نقض من الإسلام هو الحكم إذ صارت الخلافة ملكاً يتوارثه أبناء الخلفاء من عهد معاوية إلى ما بعده .

والمراد لِقَتْرُ كُنَّ العمل بشرائع الإسلام التي أُحْكِمَ عَقْدُهَا ، وَوُكِّدَ العمل بها حتى تكاد تنمحي مراسمها ، وتعفو معالِمها ، فيكون الإسلام كالحبل الملتصق من أطرافه ، والمنتكِث بعد استحصافه والقوى : الطَّاقَاتُ التي يفشل منها الخَيْطُ ١ والواحدة قوة ، وجعل عليه الصلاة والسلام شرائع الإسلام كالعُرَى له من حيث كانت رِبْقاً^(١) للرقاب ، وكان التعلق بها أماناً من العذاب ، ونظير هذا الخبر الخبر الآخر الذي رواه البراء بن عازب عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : أئِىْ عُرَى الإسلام أوثق ؟ فعَدَّدَ الحاضرون شيئاً شيئاً من شرائع الدين ، فقال عليه الصلاة والسلام . أوثقُ عُرَى الإسلام أن يُحَبَّ في الله وَيُبْغَضَ في الله^(٢) .

٢٦٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَا مِنْ آدَمِيٍّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ » . وهذا النوع من جملة الأخبار التي توهم التجسيم وتقضى للتشبيه ، قد ذكرناها في

(١) رِبْقاً : جمع رِبْقَةٍ وهي القيد .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية حيث شبه ترك العمل بتعاليم الإسلام بنقض عقد الحبل بجامع الإفساد في كل ، واشتق من النقص بمعنى ترك العمل لتنفض بمعنى تتركون العمل ، على طريق الاستعارة التبعية ، وفيه استعارة بالكناية حيث شبه الإسلام بالنسيج في تكون كل منهما من أشياء تحصل بانضمامها إلى بعضها جلته ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه ؛ ونسبة النقص للإسلام تخيل ، وفيه تشبيه مرسل حيث شبه نقض الإسلام بنقض الحبل وذكر أداة التشبيه وهي الكاف .

أول كتابنا هذا أنا نفعل الكلام عليها لأن جماعة من علماء الشريعة
واللغة قد سبقونا إلى استقصاء القول فيها ، وإنما نذكر منها ما له
دخول في باب الاستعارة بجهة من الجهات ، إلا أنا نتكلم على هذا
الخبر هاهنا لضرب من الاستظهار ، فنقول : إن كان نقله صحيحاً فله
وجه في كلام العرب يَسُوغُ حمله عليه وردّه إليه مما يوافق صفات الله
سبحانه الذي لا يشبه الخلق التي خلقها ، والبرايا التي براها ، وصورها
وهو : أن الإصبع في كلام العرب اسم للأثر الحسن التي تظهر سمته
وتشهر علامته ، يقال لفلان في ماله إصبعٌ حسنة أى قيام محمود وأثر
جميل . وعلى ذلك قول الراعي ^(١) يصف راعياً لإبله .

ضَعِيفُ الْعَصَا بَادِي الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ

عَلَيْهَا إِذَا مَا أُجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعًا

أى ترى له عليها أثراً حسناً ، وقد قيل أيضاً : إن المراد بذلك
إشارة الناس إليها بالأصابع لحسنها وشارتها . وقوله : ضعيف العصا ،
يريد أنه لا يكثر ضربها ، ولا يعتنف بها ، وذلك أجدر بأن تشحّم
أبدانها ، وتغزُر ألبانها ، ومثل هذا قول الشاعر الآخر ، وقد
تقدم ذكره :

عَلَيْهَا شَرِيبٌ وَادِعٌ لَيْنُ الْعَصَا يُسَاجِلُهَا جُمَّاتِهِ وَتُسَاجِلُهُ

وأنشد الخليل بن أحمد في كتاب العين لبعض العرب :

أَغْرُ كَضْوَاءِ الْبَدْرِ فِي كُلِّ مَنْكِيبٍ مِنَ النَّاسِ نُعْمَى بِحَمْدِهَا وَإِصْبَعُ

يَحْذِيهَا هَاهُنَا : يَعْطِيهَا ، كَأَنَّهُ يَفْتَعِلُهَا مِنَ الْحَذَى ^(١) ، كَمَا تَقُولُ
يَصْطَلِعُهَا ، وَالْمَنْسَكِبُ عِنْدَهُمْ : اسْمٌ لِكُلِّ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عِرَافَةً ^(٢) ،
وَيُسَمَّى الرَّجُلُ الَّذِي يَلِي ذَلِكَ مَنْسَكِبًا ^(٣) ، وَهُوَ مِنْ يَدَبَرُ هَذِهِ الْعِدَّةُ
مِنَ الْعُرَفَاءِ ، وَقَالَ شَاعِرٌ آخَرُ فِي مَعْنَى الْإِصْبَعِ أَيْضًا :

مَنْ يَجْعَلِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِصْبَعًا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ يُصَادِفُهُ مَعَا
أَيُّ مَنْ يَجْعَلُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَثَرًا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ :
أَوْ مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ يَصَادِفُ الْجَزَاءَ عَلَى كُلِّ الْفَعْلَيْنِ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ
وَنَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ ، وَذَلِكَ الْأَثَرُ الَّذِي يَجْعَلُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ هُوَ اسْتِحْقَاقُ الْحَمْدِ
مِنَ النَّاسِ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا ، أَوْ اسْتِحْقَاقُ الذَّمِّ مِنْهُمْ إِنْ كَانَ مُسِيئًا .

فَإِذَا تَمَهَّدَتْ ^(٤) الَّتِي قَرَّرْنَاهُ أَنَّ مَعْنَى لَفْظِ الْخَيْرِ : مَا مَنِ آدَمَى
إِلَّا وَقَلْبُهُ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ بَيْنَ نَعْمَتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا مَا مَنِ بِهِ
عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ خَالِقِهِ وَرَازِقِهِ ، وَالْأُخْرَى الْغَبْطَةُ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ

(١) الْحَذَى : كَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ مِنَ الْحَذْوِ ؛ لِأَنَّهُ يَقَالُ : هَذَا فَلَانٌ فَلَانًا إِذَا
أَعْطَاهُ عَطِيَّةً وَهِيَ الْحَذْوَةُ بِكَسْرِ الْحَاءِ ، وَيُقَالُ أَيْضًا : أَحْذَاهُ بِمَعْنَى أَعْطَاهُ ، وَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (مِثْلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَصَاحِبِ
الْمَسْكِ وَكَبِيرِ الْحَدَادِ ، فَصَاحِبِ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ أَوْ تَتَبَاعَ مِنْهُ) الْحَدِيثُ . أَيْ
لَمَّا أَنْ يَعْطِيكَ مَسْكًا .

(٢) الْعِرَافَةُ : جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ عَرِيفٌ ، أَيْ رَأِيسٌ بِعَرَفِهِمْ وَهُمْ
مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ .

(٣) أَيْ الَّذِي يَرَأْسُ الْعِرَافَاتِ الْإِثْنَتَيْنِ عَشْرَةٍ .

(٤) تَمَهَّدَتْ : قَبْلَتْهُ وَفَهَمَتْهُ .

تحسين خلقه وتوسيع رزقه ، وذلك يوجب عليه الخروج إليه تعالى من حق الشكر على منِّه ، وإحسان الجوار لنعمه ، وقد عبر بعضهم عن هذا المعنى بعبارة أخرى قال : المراد بذلك تقلب القلوب بين حسن آثار الله عليها ، وهذا القول مُجْمَلٌ ، والقول الذي ذكرناه من قبل مُفَصَّلٌ .

فأما ما تذهب إليه المشبهة من أن الإصبع هاهنا على حقيقتها ، وأن لله سبحانه أصابع ويدا وساقاً وقدماً إلى غير ذلك ، فهو من الجهالات التي تدفعها العقول بأوائلها ، وتقضى بفسادها قبل إعمال النظر فيها ، وكيف يصح هذا القول لهم ، ويقوم في عقولهم مع اعتقادهم أن الله سبحانه مستوٍ على العرش كاستواء القاعد في مقعده ، والمتمهّد على مهاده ، وأن بينه وبين المخلوقين من بنى آدم سبع سموات ، وما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام ، وسمك^(١) كل سماء مثل ذلك ، فكيف يسوغ أن تكون أصابعه (تعالى عن ذلك علواً كبيراً) واصله إلى قلوب خلقه مع هذا البعد العظيم ، والمدى الطويل ؟ ولو كان ذلك على حقيقته لوجب أن يكون له من الأصابع ما لا نهاية له حتى يختص قلب كل عبد من عبيده بإصبعين من أصابع يده . هذا لعمر الله القول المتفاسد ، والظن المتكاذب ، وبمثل هذا الجواب نجيب من سأل عن قوله تعالى : « مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ »

رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ » الآية . فنقول : أراد سبحانه أنه معهم بالعالم والإحاطة لا بالدنوّ والمقاربة ، لأن الأمر لو كان على ذلك لكان المعنى مستحيلاً ، وذلك أنه تعالى لا يجوز أن يكون مع كل ثلاثة ، ولا مع كل خمسة في حال واحدة على الحقيقة ، لأن الجسم لا يصح أن يكون في مكانين في حال واحدة ، تعالى الله عن تنقل الأمكنة وتقلب الأزمنة علواً كبيراً .

ومما يبين كذب قولهم ، وفساد تأويلهم ، ما رواه أبو معاوية الضَّرِيرُ وغيره عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : « أتى النبي عليه الصلاة والسلام رجلٌ من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم أبلغك أن الله يحمل السموات على إصبع ، والأرض على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، والخلائق على إصبع ؟ فضحك صلى الله عليه وآله من قوله ، وأنزل الله سبحانه عقيب ذلك - وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ - الآية . وقد روى أيضاً في حديث عبد الله بن عباس : أن من زعم أن الله خِنَصْرٌ وَبِنَصْرٍ فقد أشرك بالله سبحانه ، وبحال كتابنا هذا أضيق من أن نسير في أقطار الكلام على هذا الخبر أكثر من هذا المسير ، وقد استقصينا ذلك في كتاب حقائق التأويل ^(١) .

(١) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز مرسل على ما ذكره الشريف ، حيث استعمل الإصبعين في أثرى نعمة الله اللتين ذكرهما الشريف والعلاقة السببية لأن الأصابع هي معدنة الأثر =

٢٦٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « يَهْزَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَسْبُ مِنْهُ اِثْنَتَانِ . الْحِرْصُ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ » وفي رواية أخرى : « الْحِرْصُ وَالْأَمَلُ » . وهذه استعارة ، كأنه عليه الصلاة والسلام جعل زيادة هاتين الخلتين ^(١) في الإنسان مع نقصان عمره ، وتداني أجله ، بمنزلة الشباب المقبل ، والعمر المستقبل ، فكما ازدادت حوامل جسمه ضعفاً وانتقاضاً ، زادت جواذب أمله قوةً واستحصافاً ، فيكون أضعف ما كان بدنًا وشخصاً ، أقوى ما يكون أملًا وحرصاً . وروى هذا الخبر أبو هريرة على خلاف هذه الرواية قال : قال عليه الصلاة والسلام : « قَلْبُ الْكَبِيرِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اِثْنَتَيْنِ : حُبِّ الْحَيَاةِ وَحُبِّ الْمَالِ ^(٢) » .

== وأرى أن في الحديث تشبيهاً بليغاً ، حيث شبه قلب بني آدم في قدرة الله عليه وتصريفه حيث يشاء بالشئ الكائن بين أصبعين من أصابع الله ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(ملحوظة) يرى السلف أنه لا مانع من إثبات الأعضاء التي يثبثها القرآن والحديث لله تعالى ، بعد الحزم بعدم مشابقتها للحوادث ، ولكن التأويل كما ذهب إليه الشريف هو رأى المتأخرين ، ويراها العلماء أسلم في زماننا هذا .

(١) الخلّة : بفتح الحاء : الخلصة والطبيعة .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه شدة الحرص على المال وعلى الحياة بالشباب بجامع القوة في كل ، واشتق من الشباب بمعنى القوة ، يشب بمعنى يقوى ، على طريق التبعية .

٢٧٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ » وهذه استعارة ، والغض في كلامهم صفة للتمر ، أو النبت الذي لم يطل سكه بعد مُجْتَنَاه ، فيؤثر فيه الزمان ، ويدخله التغير والفساد . ويقولون : غَضٌّ وغضيض بمعنى واحد ، والغضيض أيضاً عندهم اسم من أسماء الطلع ، فأراد عليه الصلاة والسلام أن من يأخذ القرآن عن ابن أم عبد ، وهو عبد الله بن مسعود رحمة الله عليه ، أو يسلك في القراءة نهجه ، ويطلع فيجّه^(١) فقد أخذه سليماً من الفساد والتغير ، وبرئاً من التحريف والتبديل ، فهو كالنبات الغضّ لم يطل عمده جانيه ، ولا دبّ الفساد فيه^(٢) . وقد روى هذا الخبر على وجه آخر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَطْبًا كَمَا أَنْزَلَ . والمعنى في الروایتين واحد ، وروى أبو هريرة : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَرِيضًا كَمَا أَنْزَلَ ، والغريض : الطرى ، وهو أيضاً في معنى الروایتين الأوليين^(٣) .

(١) الفج الطريق .

(٢) أى هو طازج ، ما زال فيه الرواء والنضرة .

(٣) ما في الحديث من البلاغة : في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه قراءة القرآن على قراءة ابن مسعود بالفضاضة وهي كون الشيء في أول أمره (طازج) واشتق من الفضاضة غَضًّا بمعنى طازجاً على طريق الاستعارة التبعية ، ويجوز أن يجعل تشبيهاً بليغاً ، لأن غضا حال من القرآن فيكون على حد قولهم : « بدت قرأاً ومالت خوطبان » وحذف وجه الشبه والأداة .

٢٧١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه :
« لَمَّا أُمِرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنَّهُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَحْمِيَنَّكُمْ اللَّهُ كَأَلْحَيْتُ عَصَايَ هَذِهِ » لعود في يده . وفي هذا الكلام موضع استعارة ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : لَيَحْمِيَنَّكُمْ اللَّهُ ، والمراد لَيَنْقُصَنَّكُمْ اللَّهُ في النفوس والأموال ، ولا يصيبكم بالمصائب العظام فتكونون كالأغصان التي جُرِّدت من أوراقها ، وعريت من ألحيتها^(١) وألياطها فصارت قضباناً مجردة وعيداناً مفردة ، وهم يقولون لمن جَلَفَ^(٢) الزَّمان ماله ، أو سلبه أولاده وأعضاده^(٣) ، قد لحاه الدهر لحى العصا ، لأن ما كان ينضم إليه من ولده^(٤) وحفدته ، ويُسَمَّعُ عليه من جلايب نعمته ، بمنزلة اللحاء للقضب ، والورق للفصن الرطيب ، فإذا أخرج عن ذلك أجمع ، كان كالعود العارى ،

(١) الألحية : جمع لحاء ، وهو قشر الشجرة ، وفي قشرها قوة لها ، فإذا زال القشر تعرض جسمها الداخلى لأمور الجو فتؤثر فيها ، والأليات : جمع ليطه ، وهي قشر النخلة والعود من الخشب ونحوهما ، فهي بمعنى لحاء .
(٢) جلف الزمان ماله : أصل جلف قشر مثل لحاء ، والمراد هنا ذهب الزمان بماله ، شبه لإذهاب الزمان للمال بتقشير العود ونحوه ، لأن القشر ساتر وذهاب المال ذهاب للستر . ومثل ذلك الأولاد والأعضاء ، لأن فيها قوة كما أن في القشر قوة للعود ، ويمكن تجربة ذلك في عود القصب إذا حاولت كسره قبل تقشيره كان صعباً ، فإذا قشرتة وحاولت كسره انكسر بسهولة .

(٣) الأعضاء : جمع عضد ، بوزن رجل وكنتف ، هو ما بين المرفق إلى الكتف ، والإنسان يستعين بعضده ويقوى به ، والمراد هنا الأنصار والمساعدون تشبيهاً بالأعضاء .

(٤) الولدة : جمع ولد ، والولد يطلق على المفرد والجمع .

والقضيبي الذَّأوى^(١) .

٢٧٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنْ مِنْ أَرْبَى الرَّبَّاءِ اسْتَطَالَتْ الْمَرْءُ فِي عَرَضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ » وهذه استعارة ، لأنه عليه الصلاة والسلام شبه تفاوُل الإنسان من عرض غيره بالذم والوقيعة ، والطعن والعصبيَّة^(٢) أكثر مما تفاوله منه ذلك الذي قدَح في عَرَضه وأغرق في ذمِّه ، بالرِّبَا في الأموال ، وهو أن يعطى الإنسان القليل ليجر الكثير ، فإنه يَسْتَرِي المال بذلك الفعل : أى يطلب نماءه وزيادته ، وأصل الربا عندهم مأخوذ من الزيادة ، يقولون ربا الشيء في الماء إذا زاد وانفخ ، ومنه الرِّبَاوة والرِّبْوة ، وهى ماعلا من الأرض وارتفع ، ومن ذلك قوله تعالى : « وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ » أى رَطَبَ نراها وابل ، وكثر نبتها واتصل^(٣) .

(١) الذَّأوى : الذابل الذى قل غذاؤه ، أو قطع فذبل وضعف .

ما فى الحديث من البلاغة : فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه نقص الله للناس فى المال والولد بلعى الشجر وقشره ، بجماع النقص والإضعاف فى كل ، واشتق من اللعى بمعنى النقص يلعين بمعنى ينقصن على طريق الاستعارة التبعية ، وفيه استعارة بالكناية ، حيث شبه الناس بعيدان الشجر ، وحذفها ورمز إليها بشيء من لوازمها وهو اللعى ، ولانبات اللعى إلى الناس تخييل .

(٢) العصبية : الكذب والنميمة

(٣) ما فى الحديث من البلاغة : فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه غيبة المرء لأخيه المسلم بأبشع الربا ، والربا حرام والزيادة فيه أكثر حرمة فكأنه عليه الصلاة والسلام قال « استطالة المرء فى عرض أخيه المسلم من أحرم المحرمات » فوجه الشبه الحرمة وارتكاب الذنب ، وحذف وجه الشبه والأداة .

٢٧٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « في صفة الخوارج والخبر طويل : يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا يجاوز حناجرهم » ، وهذا القول مجاز . والمراد أنهم لا يعمَلون بأحكام القرآن وفرائضه ، ولا يأتون بأوامره ولا ينزجرون بزواجره وكأنهم ليس لهم منه إلا الصوت الخارج من حناجرهم . يقول عليه الصلاة والسلام لا يعرف القرآن عندهم إلا بهذه ^(١) وتلاوته ، دون العمل بأحكامه وواجباته . وقد روى أيضاً لا يجاوز راقيتهم ^(٢) ، والمعنى واحد ^(٣) .

٢٧٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لمخاطبين من أهله سألاه في حديث طويل : وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ كَمَا وَأَدْعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَنْظَوِي بُطُونَهُمْ لَا أَحَدٌ مَا أَنْفَقَ عَلَيْهِمْ » . وفي هذا القول مجاز ، وأهل الصُّفَّة هم فقراء المهاجرين ، فكأنه عليه الصلاة والسلام

(١) الهذ : سرعة القراءة ، يريد الشريف أن سرعة القراءة عندهم وكثرة ما يتلون من القرآن هي التي تهيمهم ، أما العمل بالقرآن وتدبر آياته فليسوا منه في شيء .

(٢) التراقي : جمع ترقوة ، وهي مقدم الحلق في أعلى الصدر ، حيثما يترقى فيه النفس ، ومعنى ولا يجاوز حناجرهم أو تراقيهم ، أن القرآن يخرج ألفاظاً من حلوهم وأفواههم ولا يجاوز حلوهم إلى الداخل ، فتتلقاه قلوبهم بالتدبر والقبول فهو ألفاظ فقط لا معاني لها في مفهومهم .

(٣) ما في الحديث من البلاغة : في الحديث كناية ؛ حيث كنى بعدم مجاوزة القرآن لحناجر الخوارج عن عدم تدبرهم له وعملهم به .

شبه بطونهم من الخَمَصَ (١) والمَهْضَمَ (٢) ، لقلة الزاد والمطعم ، بالأوعية الفارغة التي تنطوى لفراغها ، وتنضمّ لخلو أجوافها . وقد يجوز أيضاً أن يكون إنما شبهها بالبرود المُنْذِيَّة (٣) ، والخاص (٤) المطوية ، لانضمام بعضها على بعض من خلو الأحشاء ، وبعد العهد بالغذاء . وقد يجوز أيضاً أن يكون تنطوى بطونهم هاهنا تنفعل من الطوى وهو الجوع ، فكانه عليه الصلاة والسلام قال : تتجوع بطونهم . وهذا القول يُخرج الكلام من حيز الاستعارة ويدخله في باب الحقيقة (٥) .

٢٧٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْإِيمَانُ قَيْدُ الْفَتَكِ (٦) » وهذه استعارة . والمراد بذلك أن الإنسان المؤمن يمتنع لأجل إيمانه أن يسفك الدم الحرام طاعة لأمر الحميّة ، وركوبا

(١) الخمص : خلو البطن .

(٢) المهضم : هو الخمص .

(٣) الأنواب المطوية .

(٤) الخاص : جمع خيصة ؛ ومى كساء أسود صريح له علمان ، يريد الشريف كالأكسية المطوية .

(٥) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة مكينة وتبعية ، أما المكينة : فهي تشبيه بطون أهل الصفة بالشيء الذي ينطوى إذا فرغ منه الهواء كالقربة ونحوها ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو تنطوى ، ولانبات الانطواء إلى البطون تثيل ، وأما التبعية : فحيث شبه خلو البطون من الطعام بالانطواء والافتناء ، واشتق من الانطواء تنطوى بمعنى تجوع ، على طريق الاستعارة التبعية .

(٦) الفتك بتثليث الفاء وسكون التاء : فعل مأتدعو إليه النفس ، فالإسلام يقيد المسلم بقيود تمنعه من فعل جميع ما تشتهيه نفسه ، فلا تفعل إلا ما تشتهيه من الخير ، أما الشر فيمنعه منه .

لِسِنَّ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَانَ إِيمَانُهُ قَيْدَ فَتْكِهِ فَمَا سَكَّهُ، وَضَبَطَتْهَا لَكِهِ^(١).
ومثل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لِحَوَاتِ بْنِ جُبَيْرِ الْأَنْصَارِيِّ
وَكَانَ خَلِيعًا^(٢) قَبْلَ إِسْلَامِهِ : « مَا فَعَلَ شِرَادٌ »^(٣) بَعِيرِكَ يَا حَوَاتُ ؟
فَقَالَ : قَيْدَهُ الْإِسْلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . أَلَا تَرَى كَيْفَ شَبَّهَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فِي رِبْعَانِ خَلَاعَتِهِ ، وَعَنْفَوَانِ نَزَاقَتِهِ ، بِالْبَعِيرِ الشَّارِدِ الَّذِي قَدْ
فَارَقَ مَرَاحَهُ^(٤) ، أَوْ تَبِعَ ارْتِيَا حَهُ . وَكَيْفَ أَجَابَ هَذَا الْإِنْسَانُ عَنْ كَلَامِ
النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِمَا هُوَ مِنْ جَنْسِهِ ، وَمَاضٍ عَلَى نَهْجِهِ فَقَالَ :
قَيْدَهُ الْإِسْلَامُ ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا جَعَلَهُ بِمَنْزِلَةِ الْبَعِيرِ
الشَّارِدِ ، جَعَلَ هُوَ مَارِدَهُ^(٥) عَنْ ذَلِكَ الشِّرَادِ ، وَعَكَّسَهُ عَنْ تِلْكَ
الْحَالِ بِمَنْزِلَةِ الْقَيْدِ وَالْعِقَالِ . وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
أَيْضًا دَاخِلٌ فِي بَابِ الْمَجَازِ^(٦) .

(١) - هذا الذي ذكره الشريف بعض ما منع الإسلام منه من الفتك ، ولعل
الشريف خصه لعظم شأنه وكونه أجمل الفتك .

(٢) الخليع : هو الذي يؤخذ لا بجريته لعدم التعويل عليه والاعتداد به ،
فهو كالسائمة لا يؤبه له .

(٣) الشراد : مصدر شرد البعير ، إذا ند وهرب .

(٤) المراح : مكان مبيت الإبل والدواب .

(٥) الضمير لحوات رحمه الله ، وكذلك في عكسه .

(٦) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الإيمان بالقيد الذي يمنع النفس من فعل ما
نفسه ، والإسلام ليس قيداً طى الحقيقة وإنما لما منع النفس من مزاوله شهواتها
كان كالقيد . وحذف وجه المذهب والأداة .

٢٧٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » . وفي رواية أخرى : « الأجر عند الصدمة الأولى » . وهذا القول مجاز ، والمراد بالصدمة أول ما يطرق الإنسان من النوائب ، ويَبْدَهُه ^(١) من المصائب ، فشبه ذلك عليه الصلاة والسلام في شدة وقعته وعظيم روعته ، بصدمة الجسم الشديد ، أو صدمة الحجر الثقيل في أنه يُوهِن وَيُحْطِمُ وَيُرْمِضُ ^(٢) . فإذا صَبَرَ الإنسان لتلك الوقعة ، وتماسك تحت تلك الروعة ، وسَلِمَ للأقضية الفازلة والأقدار الغالبة ، ولم ينفذ في جواذب الجزع وَيَرْكُضْ في مضمار القلق أُعْطِيَ الأجر بِرُمَّتِهِ ^(٣) ، وقِيدَ إليه بِأَرْمَتِهِ ، لأن ما يطرق الإنسان وهو ذاهلٌ ، وَيَفْجُوهُ وهو غافل ، أعظم نكاية لقلبه وإجماعاً لنفسه مما يطرق وقد أخذ له أهْبِيته ، وأَعَدَّ له عُذَّتَهُ ^(٤) .

٢٧٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « وَاللَّيْ نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَبْدٌ حَتَّى يُسَلِّمَ قَلْبُهُ وَإِسَانُهُ » . في حديث

(١) يبدئه : يفجؤه ويقع له أول مره .

(٢) يوجع ويحرق .

(٣) جميعه .

(٤) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه وقع المصيبة المفاجئة على نفس الإنسان بالصدمة التي هي اصطكاك شيء صلب بآخر صلب ، وفي ذلك مباينة ، لأن اصطدام الصلب بالصلب أشد من اصطدام اللين باللين ، واللين بالصلب ، ووجه الشبه شدة التأثير في كل واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

طويل، وهذه استعارة ، والمراد بإسلام قلبه سلامته من الإخبات ^(١) ،
 وبإسلام لسانه تسلمه من الأرفاث ^(٢) ، فلا يعتقد قلبه شراً ولا يقول
 لسانه هجراً ، والدليل على إرادته عليه الصلاة والسلام هذا المعنى
 قوله في تمام الكلام : ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ، وقوله عليه
 الصلاة والسلام في حديث آخر : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ
 وَيَدِهِ » ، وكأنه عليه الصلاة والسلام جعل تمام إسلام العبد : أن
 يكفَّ قلبه عن اعتقاد المَقْبُحَاتِ ، ويده عن فعل المحظورات ، ولسانه
 عن قول المَقْدَعَاتِ ^(٣) .

٢٧٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ

(١) الإخبات : الخشوع والتواضع ، والمراد سلامة قلبه من الإخبات والخضوع
 لغبر الله سبحانه وتعالى فلا يخشع إلا له ولا يخضع إلا لأمره .

(٢) الأرفاث : جمع رَفَث ، وهو الفحش وقد وردت هذه الكلمة في الطبعة
 الأولى لهذا الكتاب (الأرفاث) بالناء ، وفي الطبعة الثانية الآفات جمع آفة ،
 وليس المراد الآفات ، وإنما المراد الأرفاث لأنها التي يتعلق بها اللسان ، ويدل على
 ذلك شرح الشريف لسلامة القلب واللسان بقوله فلا يعتقد قلبه شراً ولا يقول لسانه
 هجراً ، والهجر الفحش ، والفحش الرفث .

(٣) المقذعات : جمع مقذعة ، وهي الكلمة الفاحشة ، يقال قذعه وأقذعه
 إذا رماه بالفحش .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه عدم اعتقاد القلب شيئاً مخالفاً بالإسلام
 وعدم نطق اللسان بالفحش بالإسلام ، بجامع السير على التهج القويم في كل ،
 واشتق من الإسلام بمعنى السير على التهج القويم ، يسلم بمعنى يسير على التهج
 القويم ، على طريق الاستعارة التبعية .

سُبْحَانَهُ لَمْ يُحَرِّمْ حُرْمَةً إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَطْلُعُهَا مِنْكُمْ مُطْلِعٌ» ^(١) وهذا القول مجاز ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام لما حارمه الله تعالى من محارمه ، ونهى عباده عن تقصُّمه ^(٢) بالحي الذي يُحْمَى رِغِيهِ ^(٣) وَيُمْنَعُ رِغِيهِ ، وشبهه عليه الصلاة والسلام أَلْتَعَرَّضُوا لِحُرْمَةٍ مِنْ تِلْكَ الْحُرْمَاتِ بِنِجْمٍ فِي الْحَيِّ مُقَدِّمًا ، واطَّلَعَ فَجْأً مُتَقَرِّبًا . وقد مضى الكلام على نظير هذا الخبر فيما تقدم من كتاب هذا ^(٤) .

٢٧٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام طويل ذكر فيه بنى إسرائيل : « نَهَاكُمْ عَنْ أَعْلَائِهِمْ وَنَهَاكُمْ عَنْ أَعْمَامِهِمْ فَلَمْ يَنْتَهُوْا فَجَاءَ السُّوْهُمُ فِي مَجَالِسِهِمْ ، وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ ، فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ كَانَ تَعَالَى خَلَطَهَا بِأَنْ شَهِدَ عَلَى جَمِيعِهَا بِالضَّلَالِ ، وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ وَالْجُهَالِ إِذْ كَانَ الضَّلَالُ شَامِلًا لَهُمُ وَالْغَوَايَةُ ضَارِبَةً بِسِيَاجِهَا عَلَيْهِمُ

(١) اطلم مثل طلم ، يقال : طلع علينا واطلع وطلع الجبل واطلعه .

(٢) تقصم الشيء اقتصامه : والدخول فيه .

(٣) الرعى : بكسر الراء السكّان ، والرعى بفتح الراء : أكل السكّان .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه فعل المحرمات بطلوع الجبل ونحوه واقتصامه ، بجامع الدخول في الشيء واقتصامه في كل ، واشتق من الطلوع بمعنى الفعل اطلع بمعنى فعل على طريق الاستعارة التبعية .

ومن ذلك قول : القائل ضربت بعض بنى فلان ببعض إذا ألقى بينهم حرباً يختلطون فيها ، أو عداوة يتفاوشون عليها ، ونظير ذلك الخبر مسرور عنه عليه الصلاة والسلام وهو قوله : أبهَذَا أَمْرٌ تُمْ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بِمَعْضِهِ بِبَعْضٍ : أى أن تجعلوا حرَامَهُ حَلَالًا ، وحَلَالَهُ حَرَامًا ، فكانكم قد خلطتموه ، فجعلتم أعلاه أسفله ، ومفهومه مبهومه ^(١) .

٢٨٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الأَيْدِي ثَلَاثٌ : فَيْدُ اللَّهِ الْعُلَمَاءِ ، وَيَدُ الْمُعْطَى بَلَّغَ قَبَالًا ^(٢) الْوُسْطَى ، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى » . وقد مضى هذا الخبر فيما تقدم إلا أن فيه هاهنا زيادة لأجلها أعدنا الكلام عليه ، وهى قوله عليه الصلاة والسلام فَيْدُ اللَّهِ الْعُلَمَاءِ . وهذا القول مجاز ، ويد الله سبحانه هاهنا نعمته ، وهى أعلى النعم لأنها أصل لها وأم لجميعها ، لأن كل من أعطى عطاء

(١) المبهوم : الذى لا يدرك أوله من آخره ، أو الذى لا يدرك من أى مكان يوصل إليه .

ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه خلط القلوب بعضها ببعض وعدم التميز بينها بضربها بعضها ببعض ، بجامع الاختلاط فى كل . لأن ضرب الشيء ، بالشيء يصله به ويخلطه ، واشتق من الضرب بمعنى الخلط ، ضرب بمعنى خلط ، على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) القبال : بضم القاف : الناصية ، وقبال كل شيء أوله ، والمراد بقوله بَلَّغَ قَبَالًا : أى بلغ درجة من الارتفاع والعلو محدودة فكانت يده الوسطى لأنها لم تبلغ النهاية فى العلو .

أَوْ حَبَى حَبَاء ، فَإِنَّمَا أُعْطِيَ مِمَّا خَوَّلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَلَوْلَا ذَلِكَ
لَكَانَتْ كِفَّةً جَامِدَةً ، وَرِيحُ أَرْيَحِيَّتِهِ رَاكِدَةً ، وَلَأَجَلَ ذَلِكَ يَقُولُ
فِي الْحَيَاةِ إِنَّهَا أَوَّلُ النِّعَمِ ، وَيُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا أَوَّلُ فِي الرِّتْبَةِ ، لَافْتِقَارِ كُلِّ
نِعْمَةٍ إِلَيْهَا ، وَصِحَّةُ وجودِهَا مُتَفَرِّدَةً بِنَفْسِهَا ، غَيْرَ مُفْتَقِرَةٍ إِلَى غَيْرِهَا ،
فَصَارَتْ أَوَّلَى فِي الرِّتْبِ وَإِنْ جَازَ أَنْ يَوْجَدَ مَعَهَا غَيْرُهَا مِنَ النِّعَمِ ،
وَفِيمَا عُلِّقَتْهُ عَنْ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي الْحَسَنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ فِيمَا قَرَأْتَهُ
عَلَيْهِ مِنْ أَوَائِلِ كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِشَرْحِ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ : أَنَّ النِّعْمَةَ هِيَ
الْمَنْفَعَةُ إِذَا قَصِدَ بِهَا فَاعِلُهَا وَجْهُ الْإِحْسَانِ ، فَإِنْ قِيلَ : فَمَا الْمَنْفَعَةُ ؟ قِيلَ
الذَّاتُ وَالْمَسَارُّ وَمَا أَدَّى إِلَيْهَا ، إِذَا لَمْ يُعْقَبْ ضَرَرًا أَعْظَمَ مِنْهَا ، فَإِنْ
قِيلَ : فَمَا الذَّاتُ ؟ قِيلَ : مَا يَعْلَمُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ فِي إِدْرَاكِ مَا يَشْتَهِيهِ
مِنْ مَأْكَلِهِ وَمَشَارِبِهِ وَمَنْظَرِهِ وَمَلَابِسِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي
يَدْعُو الْعِلْمُ بِهَا إِلَى التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا . فَأَمَّا السَّرُورُ فَهُوَ اعْتِقَادُ ذَلِكَ ،
أَوِ الظَّنُّ لَهُ ، وَلَيْسَ بِمَعْنَى سِوَى مَا ذَكَرْنَاهُ ، وَمَا يُوْدِي إِلَى الذَّاتِ
فِي كَوْنِهِ نِعْمَةً كَالذَّاتِ . وَلِذَلِكَ نَعُدُّ مِنْ مَكَّنٍ غَيْرِهِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى
الْمَلَاذِ بِالْذَّنَانِيرِ وَالْدَرَاهِمِ مُنْعَمًا ، وَإِنْ كَانَتْ أَعْيَانُ الدَّرَاهِمِ وَالْذَّنَانِيرِ
لَا لَذَّةَ فِيهَا ، وَلِهَذَا الْوَجْهَ نَعُدُّ التَّسْكِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ نِعْمَةً حَتَّى
نَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ مُنْعِمٌ بِالتَّكْلِيفِ الَّذِي هُوَ وَصْلَةٌ إِلَى النِّعَمِ الْمَقِيمِ
وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ ، وَلَأَجْلِهِ أَيْضًا قُلْنَا فِي الْمَصَحِّحِ لِلنِّعَمِ إِنَّهُ نِعْمَةٌ ، كَمَا

نقول في الحياة والشهوة ، وإن كانا يترتبان ^(١) ، وقد عُدَّ في ذلك أيضاً دفع المضار والغموم ، وما يؤدي إليهما . ولذلك نقول : إن الله سبحانه لو عفا عن العصاة كان منعماً عليهم ، ولو سهل لهم السبيل إلى الفرار من النار كان محسناً إليهم ، وليس يحتمل كتابنا هذا أكثر من القدر المذكور في هذا المعنى ، وكأنه عليه الصلاة والسلام جعل يد الله العليا للعلّة التي ذكرناها ، وجعل يد المعطى الوسطى لأنها تليها ، وجعل يد السائل السفلى ، لأنها مصب فضلها ، وقرارة سيلها ، وقد تقدمت الإشارة إلى جملة هذا المعنى فيما تقدم من الكلام ^(٢) .

٢٨١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ غَرَاءٌ وَيَوْمُهَا أَزْهَرُ » . وهاتان استعارتان . والمراد أن ليلة الجمعة متميزة من سائر الليالي بتعظيم قدرها وتشريف العمل فيها ، فقد صارت لأجل ذلك كالفرس الغراء التي تبين من البهيم ^(٣) .

(١) يترتبان : أى الحياة أولى والعشوة ثانية ، لأن الحياة هي أولى النعم لأنها سبب لجمعها .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ؛ حيث شبه نعمة الله باليد ، بجامع أن كلا منهما سبب الإحسان ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه ، والقرينة المانعة أن الله تعالى ليس له يد ، هذا على رأى الشريف ، أما على رأى السلف الذين يرون أنه لا مانع من كون الله له يد ليست كأيدى البشر ، فليس في الكلام استعارة .

(٣) البهيم : جمع بهيم أو بهيمة ، وهو ما لا شبه فيه من الخيل ، كأن يكون أسود خالصاً أو أحر خالصاً ؛ والغراء : الفرس التي في جبهتها بياض وهي سوداء أو حمراء فلذلك تبين وتظهر من الأفراس البهيم .

والشهباء التي تتميز عن الدُّم (١) . وكذلك المراد يكون يومها
أزهر ، والأزهر : الشديد للبياض ، كأنه لتميزه من الأيام بمعظم القدر
وشرف الذكر ، قد زاد عليها إيضاحاً ، وكثرها (٢) غُرراً (٣)
وأوضحاً (٤) .

٢٨٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام طويل :
« أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزَنٌ » (٥) بِرَبْوَةٍ ، أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ
بِسَهْوَةٍ (٦) ، وَمَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ جُرْعَةٍ

(١) الدُّم : جسم أدم ؛ وهو الأسود ، والشهباء : البيضاء ، والفرس
البيضاء تتميز من الأفراس الدُّم .

(٢) كثرها : زاد عليها وغلبها في الكثرة لأن هذا الوزن المعقابية ، يقال
كأثرته في المال أو في الولد فكثرته : أى غلبته في هذا المعنى فزادت عليه فيه .

(٣) الغرر : جمع غرة ؛ وسبق بيانها ، والأوضح : جمع وضع بوزن قر ،
وهو بمعنى الغرة ، فهو من عطف المرادف .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهان بليغان ؛ حيث شبه ليلة الجمعة بالفرس الفراء التي في جبهتها
بياض ؛ مجامع الحسن والتميز على غيرها ؛ وحيث شبه يومها بالثوب الأزهر الشديد
البياض ؛ مجامع الحسن والتميز على غيره ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٥) الحزن من الأرض : الصعب الشديد الذي لا يستطيع الإنسان السير فيه
بسهولة لفظه واختلافه ارتفاعاً وانخفاضاً ، والربوة : الأرض المرتفعة وهي تحتاج
في صعودها إلى جهد ومشقة ؛ فكأن عمل الجنة مشقة مضاعفة ؛ فهو ذاته صعب
ومكانه عال .

(٦) السهل : من الأرض الذي لا يحتاج السير فيه إلى مشقة ؛ والسهوة : الأرض
اللينة الواطئة التي يسهل الانحدار إليها ؛ فكأن عمل النار سهولته مضاعفة ،
فالسير فيه سهل ومكانه منخفض يتأتى الانحدار إليه بل هو يجذب إلى فعله ؛ لأن
المنحدر يزلق الناس إليه .

غَيْظٍ يَكْظِمُهَا^(١) عَبْدٌ . وفي هذا الكلام مجازان .

﴿ أحدهما ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : ألا إن عمل الجنة حزنٌ برَبْوَةٍ . ألا إن عمل النار سهلٌ بِسَهْوَةٍ ، فجعل عليه الصلاة والسلام عمل الجنة كالْحُزْنِ من الأرض ، وهو ما غلظ منها ، لأنه يصعب تحشمه ، فكذلك عمل الجنة يشق تكلفه ، وزاد عليه الصلاة والسلام الكلام إيضاحاً بقوله : حزن برَبْوَةٍ ، فلم يرض بأن جعله حزنًا حتى جعله برَبْوَةٍ ، وهي الأكمة العالية ليكون تحشمه أشق وتكلفه أصعب ، ولم يرض عليه الصلاة والسلام بأن جعل عمل النار سهلاً وهو ضد الحزن حتى جعله بِسَهْوَةٍ ليكون أخف على فاعله وأهون على عامله .

﴿ والمجاز الآخر ﴾ قوله عليه الصلاة والسلام : وما من جُرْعَةٍ أحبُّ إلى الله سبحانه من جُرْعَةٍ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ . فكأنه عليه الصلاة والسلام جعل كظم الغيظ بمنزلة الجُرْعَةِ المؤثرة التي يُجَرِّعُها الإنسان ، فيجد مذاقها مرًا ويجد غيبتها^(٢) حلواً . ولهذا المعنى شبهوا ما يجده الإنسان من حرارة حُزْنٍ وحرارة هَمٍّ ، بالشجاء^(٣) المعترض في الخلق ، وشبهوا ما يلحقه من منظر يأباه ، وملحظ لا يهواه ، بالقذى

(١) يكظمها : يكتنمها في نفسه ولا ينفذ مقتضاها ، فلا ينتقم ممن غاظه .

(٢) غيها : عاقبها .

(٣) الشجاء : الشوكة .

العارض في الطَّرَف^(١) ، لأن الأول يحبس مجارى أنفاسه ، والثاني يمنع مجال الحَاظَهِ^(٢) .

٢٨٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « شِفَاءُ الْعِيِّ^(٣) السُّؤَالُ » ، وهذا القول مجاز . والمراد أن الشيء إذا عَيَّ الإنسان به ، ولم يُثَلَّجْ صدره بمعرفته ، كان في السؤال عنه بيانُ التَّبَاسُهِ وَتَرَاحُ احتباسه ، فأقام عليه اتصاله والسلام العِيَّ بمعرفة الأمر مقام الداء المطاول والكَرْبُ المماطل وأقام السؤال عنه إذا أَدَّى إلى العلم مقام الشفاء الْمَزِيحُ^(٤) ، والفَرَحُ الْمَرِيحُ^(٥) .

(١) القذى : القدر والوسخ ، والطرف : العين .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهات ثلاثة بليغة . الأول : تشبيه عمل الجعة بالمكان الحزن فوق ربوة عالية ، بجاعم صعوبة الوصول إليه في كل ، والثاني : تشبيه عمل النار بالمكان السهل في السهولة بجاعم سهولة الوصول إليه في كل ، وحذف وجه الشبه والأداة . أما الثالث : ففي قوله « جرعة غيظ » حيث شبه الغيظ بجرعة الدواء المر التي يتجرعها المريض ، ويحمل نفسه على قبولها ، ولكنه يجد أثرها حسناً ، شفاءً وعافية . وهذا التشبيه الأخير أضيف فيه المشبه به للمشبه على حد قولهم : « لجين الماء » و « ذهب الأصبل » .

(٣) العي : مصدر عى بالأمر وعي به : إذا لم يهتمد لوجهه ولم يعرف طريق الوصول إلى مخالفته .

(٤) المزيج : المبعد للعرض .

(٥) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالكناية ، حيث شبه الجهل بالمرض ، بجاعم الفساد والألم في كل ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشفاء ، وإضافة الشفاء إلى العي تخيل .

٢٨٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلمات قالهن لعبد الله بن عباس : « احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظْهُ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ » وفي رواية أخرى « تَجِدْهُ أَمَامَكَ » . وهذا مجاز ، لأنَّ الله سبحانه أمامنا وخلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا من طريق الحفظ لنا والإحاطة بنا ، فليس يختص ذلك مدناً بجهةٍ دونَ جهةٍ وبحالةٍ دونَ حالةٍ إلا أنَّ المراد بتجاهك وأمامك هاهنا أنك تجد حفظه ومعونته حيث توجهت وأى طريق سلكت . وذلك كقول الشاعر في التخويف بالله تعالى وهو نَظِيرٌ للحال التي كلامنا عليها :

* وَاللَّهُ يُضَيِّحُ مَنْ أَمَامَ الْمَذَلِّجِ *^(١)

أى لا يفوته هارب ، ولا يضل عنه شارد^(٢) .

٢٨٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْعَيْنُ حَقٌّ تَسْتَنْزِلُ الْخَالِقَ » . وهذا مجاز ، والمراد أن الإصابة بالعين من قوة تأثيرها وتحقق أفعالها ، كأنها تستهبط العالى من ارتفاعه ، وتستعلق^(٣)

(١) المذللج : السائر بالليل ، والمراد هنا الذى يستغنى من الله بفعل الحرمات

بينه وبين نفسه .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث مجاز مرسل علاقته المصدرية (المحلية) وعبرنا عنها بالمصدرية تأمناً ، لأن الله تعالى لا يحل فيه شيء ، وبيان المجاز أن عبر بضمير الجلالة فى قوله تجده التى تصدق على ذاته السكرية عن حفظه وصيانه وإتقاده فعنى تجده تجد حفظه .

(٣) تستعلق : أى ترحل وتتحرك ، والسین والتاء زائدتان للمبالغة . والمعنى تهلك وتتحرك .

الثابت بعد استقراره ، والخالق : المسكان المرتفع من الجبل وغيره ،
 فجعل عليه الصلاة والسلام العين كأنها تحيط ذروة الجبل من شدة
 بطشها وحدة أخذها ، وقد تفاصرت ^(١) الأخبار بأن الإصابة بالعين
 حق ، والذي يقوله أصحابنا ^(٢) أن الله سبحانه يفعل المصالح بعباده على
 حسب ما يعلمه من الصلاح لهم في تلك الأفعال التي يفعلها ، والأقدار
 التي يُقدِّرُها ، وإذا تقررت هذه القاعدة فغير ممتنع أن يكون تغييره
 تعالى نعمة زيد مصلحة لعمرو ^(٣) ، وإذا كان تعالى يعلم من حال
 عمرو أنه لو لم يسلب زيدا نعمته ، ويخفّض منزلته ، أقبل على الدنيا
 بوجهه ، ونأى عن الآخرة بعطفه ، وأقدم على المغاوى ، وارتكس
 في الهاوى ، وإذا سلب سبحانه نعمة زيد للعلة التي ذكرناها عوضه
 عنها وأعطاه بدلا منها عاجلا أو آجلا . وإذا كان ذلك كما قلنا ،
 وقد روى عنه صلى الله عليه وآله ما يدل على أن الشيء إذا عظم في
 صدور العباد وضع الله قدره ، وصغره أمره لم ينكر تغيير حال بعض
 الأشياء عند نظر بعض الناظرين إليه ، واستحسانه له وعظمه في
 صدره ، ونفحاته في عينه . كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : لما

(١) تناصرت : قوى بعضها بعضاً من كثرة ما وردت في هذا المعنى .

(٢) يريد بأصحابه المعتزلة ، ورأيهم في ذلك غير قوى ، لأن الله تعالى يفعل
 الصالح وغير الصالح ، وهو الضار النافم ، والمعطى المانع .

(٣) يريد أن الله تعالى يفعل المصلحة لعباده على وجه العموم لا على وجه
 الخصوص ، وهذا تعليل للمذهب المعتزلة حتى يكون مقبولا من جهة قولهم برعاية الله
 لمصلحة عباده .

سُبِقَتْ نَاقَتُهُ الْعَضْبَاءُ^(١) ، وكانت إذا سوبق بهما لم تُسَبِّقْ : مارفع العباد من شيء إلا وضع الله منه ، فيمكن أن يتأول قوله عليه الصلاة والسلام : العين حق على هذا الوجه ، ويجوز أن يكون ما أمر به المستحسن للشيء عند رؤيته له من إعادته بالله والصلاة على رسول الله قائماً في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن ، فلا تغير عند ذلك لأن الرأى قد أظهر الرجوع إلى الله سبحانه والإخبار له ، وأعاد ذلك المرئي به ، فكأنه غير راكن إلى الدنيا ، ولا مغتر بها ، ولا واثق بما يرى عليه أحوال أهلها . ولعمرو بن بحر الجاحظ في الإصابة بالعين مذهب انفرد به ، وذلك أنه يقول : إنه لا ينكر أن يفصل من العين الصائبة إلى الشيء المستحسن أجزاء لطيفة فتؤثر فيه وتجنى عليه ، ويكون هذا المعنى خاصاً ببعض الأعين كالخواص في الأشياء ، وعلى هذا القول اعتراضات طويلة ، وفيه مطاعن كثيرة لا يقتضى هذا الكتاب استيفاء ذكرها ، واستقصاء شرحها^(٢) .

٢٨٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الإسلام

(١) العضباء في اللغة : الناقة المشقوقة الأذن ، وكان هذا الاسم لقباً لناقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تكن مشقوقة الأذن .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه تأثير العين في الشيء المحسود من تغيير حاله من حسن إلى سوء باستئزال الشيء العالي من علو إلى سفلى ، واشتق من الاستئزال ، تستزل بمعنى تؤثر ، على طريق الاستعارة التبعية .

ذُلُولٌ^(١) لَا يَرُ كَبُّ إِلَّا ذُلُولًا . وهذه استعمارة، والمراد أن الإسلام سهل القياد لمن اقتاده وطمى الظهر لمن اقتعده ، لا بتوقُّص^(٢) براكبه ، ولا يتقاعس^(٣) على جاذبه ، فهو كالبعير الذلول الذى يسهل مَرَامُه^(٤) ويطوِّع^(٥) زمامه ، وقوله عليه الصلاة والسلام : لَا يَرُ كَبُّ إِلَّا ذُلُولًا : أى لا يستجيب له من الناس إلا من لانت للدين عرائكه ، وقربت عليه مآخذه ، وطاعت نفسه باحتمال أعبائه ، والصبر على لأوائه^(٦) . فأشبهه المسلم من هذا الوجه أيضاً الفرس الذلول الذى يُمكن راكمه ، ويطاوع فارسه ، وإنما جعل عليه الصلاة والسلام الإسلام فى الثانى بمنزلة الراكب بعد أن وصفه فى الأول بصفة المركوب ، لأن الإسلام كالمالك على الإنسان أمره ، والمبتاع منه نفسه ، فهو يقوده بزمامه ويصرفه على أحكامه ، وكان من هذا

(١) ذلول : لين سهل القياد .

(٢) يتوقص براكبه : لا يتعبه بشدة وطئه فى الأرض ، لأن شدة الوطاء تهز الراكب وتقلق مكانه .

(٣) يتقاعس : يرجع الى الوراء إذا جذبه الجاذب ، أى أنه مطاوع غير شرس .

(٤) المرام : الطلب .

(٥) يطوع : ينقاد زمامه ، أى لجامه كلما حركه راكمه فى ناحية تحرك فيها من غير إباء .

(٦) اللأواء : الشدة .

لوجه كأنه راكبٌ لظهره لما كان مالكا لأمره^(١) .

٢٨٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ شِبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَاعًا^(٢) ، وَمَنْ أَقْبَلَ إِلَى اللَّهِ مَاشِيًا أَقْبَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مُهْرًا وَلَا^(٣) . وهذا القول مجاز ، والمراد أن من فعل الشيء القليل من البرِّ عوضه الله الشيء الكثير من الأجر . فجعل عليه الصلاة والسلام التقرب من استحقاق الثواب ، كأنه تقرب من فاعل الثواب ، على طريق المجاز والانتساع ، وعلى هذا المعنى يُحمل كل ما جاء في القرآن والكلام من ذكر التقرب إلى الله سبحانه ، لأنه تعالى جدّه

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ واستعارة تبعية ومكنية . الأول : في قوله : الإسلام ذلول ، حيث شبه الإسلام بالركوب الذلول السهل الانقياد من الدواب ، بجامع المطاوعة للمسلم في كل ما يريد من الأعمال ، فإذا أراد تكثير العبادة أو تقليلها فهو على نهجه سائر وعلى تعاليمه مقيم ، كما أن راكب الذلول إذا أراد الإسراع أسرع ، وإذا أراد الإبطاء أبطأ .

والاستعارة المكنية ، حيث شبه المسلم بالدابة المركوبة للإسلام من حيث أن الإسلام يملك أمر المسلم فيصرفه كيف يشاء كما يصرف الراكب الدابة ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الركوب ولأثبات الركوب للمسلم تخيل ، والتبعية في تشبيه تصرف الإسلام أمر المسلم بالركوب ، بجامع التمكن والقدرة في كل ، واشتق من الركوب يركب بمعنى يصرف الأمر على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) الباع : قدر مديدين ، أى قدر المسافة التى بين اليدين مفتوحتين كل منهما في جهتها .

(٣) الهرولة : بين الجرى والمشي أو الإسراع في المشى .

لا يوصف بالقرب من طريق الدنوة بالمسافة ، وإن كان من حيث كان قريب الثواب من مستحقه ، ودانى الإحسان من راجيه ومؤمله ، فكانت صفة القرب متعلقة بإحسانه وثوابه لأنفسه وذاته . فأما قوله عليه الصلاة والسلام : ومن أقبل إلى الله ماشياً أقبل الله إليه مهرولاً ، فالمراد به أن من تقرب إليه سبحانه بطاعة ، وإن فعلها بطيئاً متضرعاً ، فإنه تعالى يجعل جزاءه عليها مُعَدَّاً مسرعاً . فالمشي هاهنا كفاية عن اللطاعة المبطئة ، والهرولة كفاية عن المثوبة المسرعة . فذكره عليه الصلاة والسلام على طريق ضرب المثل لفضل ما يفعله الرب تعالى على ما يفعله العبد ، وإن كان لا يجب في كل طاعة أن يكون جزاؤها عاجلاً ، وثوابها مُبادراً^(١) .

٢٨٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَا لِلشَّيْطَانِ مِنْ سِلَاحٍ أَبْلَغَ فِي الصَّالِحِينَ مِنَ النَّسَاءِ » وهذا القول مجاز ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أقام النساء لحسكهن على النفوس وتأثيرهن في القلوب مقام السلاح للشيطان الذي يقارع به قلوب

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث ثلاثة مجازات عقلية :

١ — إسناد تقرب الأولى إلى الله تعالى والمراد ثوابه .

٢ — إسناد تقرب الثانية إلى الله والمراد ثوابه أيضاً .

٣ — إسناد أقبل إلى الله ، والمراد ثوابه . والعلاقة المصدرية كما سبق في حديث

« احفظ الله تجده تجاهك » . لأن الله تعالى هو مصدر الثواب ، أو يقال العلاقة السببية ، لأن الله تعالى سبب الثواب .

صالحين ويقرع بحدّه ضمائر التماسكين ، فيملك به أزيمة رقابهم ،
ينقلهم به إلى طاعته عن طاعة ربهم . ونظير ذلك قوله عليه الصلاة
والسلام : النساء حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ . وقد مضى كلامنا عليه فيما تقدم
من هذا الكتاب ^(١) .

٢٨٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد سئل
من ضالة الإبل ، فقال للسائل : « مَا لَكَ وَلَهَا ، مَعَهَا حِذَاؤُهَا
سِيقَاؤُهَا ، تَرِدُ الْمَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ ، حَتَّى يَجِيءَ رَبُّهَا » ^(٢)
يَأْخُذُهَا . وهاتان استعارتان ، كأنه عليه الصلاة والسلام جعل
خَفَ الضَّالَّةِ بمنزلة الخداء ، ومُسْتَجَرَّهَا ^(٣) بمنزلة السقاء ، فليس يضرّ
بها التردّد في الفياض ، والتنقّل في المصايف والمشاتي ، لأنها صابرة
على قطع الشقة ^(٤) ، وتكالف المشقة ، لاستحصال ^(٥) مناسمها ،
واستغلاظ قوائمها ، ولأنها بطول عنقها تتمم كن من ورود المياه

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهه ضمّي ، حيث جعل أبلغ أسلحة الشيطان النساء في أنهن
يستولين على أبواب الصالحين ويؤثرن في نفوسهم فيجعلنهم يتركون عبادة الله ،
فكأنهن سلاح يضرب به الشيطان أفئدة الصالحين .

(٢) ربها : صاحبها .

(٣) مستجرها : مكان جرتها واجترارها ، أي بعض معدتها التي تخزن فيه
الطعام والماء ، وكان في الطبعتين السابقتين على هذه الطبعة « مستقرها » ولكن
لا معنى لها مناسب لما نحن بصدده .

(٤) الشقة : المسافة .

(٥) استحصال : متانة وإحكام ، والناسم : هي الأخفاف .

القائصة^(١) ، والتناول من أوراق الشجر الشاخصة^(٢) ، فهي لهذه الأحوال بخلاف الضالة من الشاة ، لأن تلك تضعف عن إدمان^(٣) السير ، والضرب في أقطار الأرض تضعف قوائمها ، وقلة تمكنها من أكثر المياه والمراعى بنفسها ، ومع ذلك فهي فريسة للذئب إن أحس حسنها^(٤) ، واستروح ريحها^(٥) ، ولأجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام للسائل عنها : خذها ، فإنما هي لك أو لأخيك أو للذئب^(٦) .

٢٩٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : في كلام طويل : « فَإِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَلَا تُصَلُّوا حَتَّى تَبْرُزَ ،

(١) القائصة : البعيدة المنال التي يصعب على غيرها ورودها ، وكانت في الطبيعة الأولى « العالصة » وغيرت في الطبيعة الثانية إلى « القائصة » ولكن هذا المعنى الذي ذكرناه أنسب .

(٢) الشاخصة : المرتفعة .

(٣) ادمان السير : مداومته .

(٤) الحس : الصوت الضعيف .

(٥) استروح : شم .

(٦) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارتان تصرّيحيتان :

١ — حيث استعمل لفظ الحذاء في الحف فقد شبه الحف بالحذاء ، بجامع السير عليه ووقاية القدم في كل .

٢ — حيث استعمل لفظ السقاء في جزء المعدة التي تخزن فيه الإبل الطعام والماء (المستجر) فقد شبهه بالسقاء بجامع حفظ الماء وخزنه في كل منهما ، لأن السقاء هو القربة التي تتخذ من جلد الماعز ونحوها لوضع الماء فيها .

وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَلَا تُصَلُّوا حَتَّى تَغِيبَ « وهذه استعارة ، والمراد بحاجب الشمس أول ما يبدو من قرصها ، فكأنه عليه الصلاة والسلام شبه الشمس عند صعودها من حَذَبَةِ^(١) الأرض بالطالع من وراء ستر يستره ، أو غيب يَطْمُرُهُ^(٢) ، فأول ما يبدو منه وجهه ، وأول ما يبدو من مخاطيط وجهه حاجبه ، ثم بقية وجهه ، ثم سائر جسده شيئاً شيئاً ، وجزءاً جزءاً ، فكأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن الصلاة عند ظهور بعض الشمس للعيون حتى يظهر جميعها ، وعند مغيب بعضها حتى تغيب جميعها ، وقلل القطامي في حاجب الشمس ، وصراده جانبها :

نَرَاءَتْ لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ

بَدَأَ حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَعَتْ بِحَاجِبِ

أى ظهر منها جانب ، وغاب منها جانب . وقد يجوز أن يكون لحاجب الشمس هاهنا معنى آخر ، وهو أن يراد به ما يبدو من شعاعها قبل أن يظهر جِرمُها ، وكذلك ما يغيب من شعاعها قبل أن يغيب قرصها ، فأقام ذلك عليه الصلاة والسلام لها مقام الحاجب لأنه يدل عليها ، ويظهر بين يديها ، فكأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن الصلاة قبل أن يظهر قرص الشمس ، وبعد الشعاع الغائب أمامه ،

(١) حَذَبَةُ الأرض وحديها : ما ارتفع منها .

(٢) يَطْمُرُهُ : يخفيه ويدفنه .

والصلاة المرادة هاهنا صلاة التطوع دون صلاة المفروضات ، وفي أول هذا الخبر ما يحقق القول الذي قلناه ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : لا تتحرروا^(١) بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها ، فإنها تطلع بين قرني شيطان . وقد اختلف الفقهاء في ذلك ، فقال أبو حنيفة : لا يجوز أن يتطوع بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ، ولا بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس . وقال الشافعي : يجوز أن يصلي في هذين الوقتين النفل الذي له سبب مثل تحية المسجد ، ولا يصلي النفل المبتدأ الذي لا سبب له^(٢) .

٢٩١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْمُؤْمِنُ بِأَكْلٍ فِي مِعَاءٍ^(٣) وَاحِدٍ ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ » ، وهذا القول مجاز ، والمراد أن المؤمن يقنع من مطعمه بالبلغ^(٤) التي

(١) تتحرروا : تقصدوا وتتبعوا ، وقد وردت هذه الكلمة في الطبعتين السابقتين على هذه الطبعة بالنون بدل التاء الثانية ، وفسرها الأسناذ المحقق بقوله لا تتحرروا بصلاتكم بمعنى الانتصاب ونهاد الصدر ، والصحيح ما ذكرناه هنا .
(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه شعاعها الأول بالحاجب في كونه أول ما يظهر من الإنسان الصاعد إلى علو من سفلى مستورا بالعلو ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(٣) المعاء والمعى : يوزن إلى والمعى يوزن شمس : واحد الأمعاء ، وهي المصارين التي يمر فيها الطعام من الفم إلى القولون ثم المستقيم .

(٤) البلغ : جمع بلغة ، وهي المقدار الذي يتبلغ به ، أى يصل به إلى حفظ حياته ولأساك رmqه .

تَمَسَّكَ الرَّمَقُ ، وَتَقِيمُ الْأَوْدُ^(١) ، دُونَ الْمَأْكَلِ الَّتِي يَقْصِدُ بِهَا وَجْهَ
الْمَلَذَةِ ، وَيَقْضِي بِهَا حَقَّ الشَّهْوَةِ ، فَكَأَنَّهُ يَأْكُلُ فِي مِعَاءٍ وَاحِدٍ لِفَرْطِ
الْاِقْتِصَارِ ، وَكَرَاهَةِ الْاِسْتِكَثَارِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ : فَإِنَّهُ لَيُجْبِجُهُ
فِي الْمَأْكَلِ ، وَتَنْقَلِبُهُ فِي الْمَطَاعِمِ ، وَتَوَخُّيهِ ضِدَّ مَا يَتَوَخَّاهُ الْمُؤْمِنُ مِنْ
إِحْرَازِ حَطَامِ الدُّنْيَا الَّتِي يَطْلُبُ عَاجِلُهَا وَلَا يَأْمُلُ آجِلُهَا ، فَهُوَ عَبْدٌ فِيهَا
لِلذَّنَةِ ، وَكَادِحٌ فِي طَاعَةِ شَهْوَتِهِ ، كَأَنَّهُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ ، لِأَنَّهُ أَكَلَهُ
لِلذَّةِ لَا لِلْبُلْغَةِ ، وَلِلشَّهْمَةِ لَا لِلْمُسْكَةِ^(٢) .

٢٩٢ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « جِيئُوا
بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ » فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ ،
« فَأَتَى بِهِ فَضَحَّى بِهِ وَذَبَحَهُ بِيَدِهِ » . وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ . وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : يَطَأُ فِي سَوَادٍ أَنْ أَظْلَافَهُ سَوْدٌ ، فَكَأَنَّهُ
يَطَأُ مِنْهَا فِي سَوَادٍ : أَيْ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ مِنْهَا إِلَّا مَا هُوَ أَسْوَدُ ،

(١) الْأَوْدُ : مُصْدَرُ أَوْدٍ بوزن فَرَحٍ ، بِمَعْنَى اِعْوَجَ ، فَالْأَوْدُ : الْعَوَجُ ، وَمَعْنَى
يَقِيمُ أَوْدَهُ : يَقِيمُ اِعْوَجَاجَهُ ، وَالْمُرَادُ يَقِيمُ صُلْبَهُ فَلَا يَعْوَجُ ، لِأَنَّ الْجَوْعَ وَالضَّعْفَ
يُحْنِي الظَّهْرَ وَيَطْوِي الْبَطْنَ .
(٢) الْمُسْكَةُ : هِيَ مَا يَمَسُّكَ الرَّمَقُ ، كَمَا سَبَقَ قَرِيباً .

مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ اسْتِعَارَةٌ تَبْعِيَّةٌ ، حَيْثُ شَبَّهَ الْأَكْلَ الْكَثِيرَ مِنَ الْكَافِرِ بِالْأَكْلِ
فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ ، بِجَامِعِ الْكَثَرَةِ فِي كُلِّ ، وَاشْتَقَى مِنَ الْأَكْلِ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ بِمَعْنَى
كَثَرَةِ الْأَكْلِ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ بِمَعْنَى يَكْثُرُ الْأَكْلُ عَلَى طَرِيقِ اسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ ،
أَوْ هُوَ تَشْبِيهُهُ بِلَيْغِ حَيْثُ شَبَّهَ الْكَافِرَ فِي أَكْلِهِ الْكَثِيرِ بِمَنْ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءَ ،
فَهُوَ يَأْكُلُ كَثِيراً فَيَعْمَلُ هَذِهِ الْأَمْعَاءَ السَّبْعَةَ ، وَحَذَفَ وَجْهَ الشَّبْهِ وَالْأَدَاةَ .

وهذه من محاسن الاستعارات . والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام :
وينظر في سواد أن حدقته سوداء أو مطارح نظره منها فكأنما
ينظر في سواد ، وهذا المعنى أراد كثيرٌ بقوله :

وَمِنْ نَجَلَاءَ ^(١) تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ
فالمراد بقوله تدمع في بياض أن دمعها يقطر على خدّها وهو أبيض ،
فيصير الدمع واقعا في بياض ، والمراد بقوله وتنظر في سواد المعنى
الذي قدمنا ذكره من وصف الحدقة بشدة الاسوداد ، وإذا كان
النظر منها فكأن النظر في سواد ^(٢) .

٢٩٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكر له
امرأة استحيضت ^(٣) : « لَيْسَتْ هَذِهِ بِالْحَيْضَةِ وَالْكِفِّ رَكْضَةٌ »

(١) النجلاء : واسعة العينين .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارتان تبعيتان . الأولى : يطا في سواد ، والثانية : ينظر
في سواد ، حيث شبه وضع الكبش رجله ذات الظلف الأسود على الأرض عند
المشي بالوطء في سواد ، بجماع الشكل في كل ، واشتق من الوطاء في سواد يطا
بمعنى يضع قدمه سوداء الظلف على طريق الاستعارة التبعية ، وحيث شبه نظر
الكبش ذى الحدقة السوداء بالنظر في السواد ، بجماع الشكل في كل ، واشتق
من النظر في السواد بمعنى نظر الكبش ذى الحدقة السوداء ينظر في سواد بمعنى
نظر حال كونه حدقته سوداء ، على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) استحيضت : معناها أنها حصلت لها الاستحاضة ، وهي من ينزل عليها
الدم ، لامن الحيض ، بل بسبب مرض يسمى الاستحاضة ينزل منه الدم على المرأة
باستمرار في غير أوقات الحيض ، ويقول الفقهاء : لأنه يسيل من عرق في الرحم
يسمى العاذل ؛ ومعنى ذكر له امرأة استحيضت سأله الناس عن هذه المرأة على =

مِنَ الرَّحِمِ» ، وهذه استعارة ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام : ركضة من الرحم أن الرحم نَفَحَتْ^(١) بهذا الدم من غير حيضة ، ولكن من حادث علة فأشبهت رَاحِمَةَ الفرس إذا رمح^(٢) بحافره ، أو ركضة^(٣) البعير إذا ركض بَمَذْسِمِهِ ، وهم يسمون الطعنة إذا عَنَدَ عَرَقُهَا^(٤) وفار دمها رَمَاحَةً^(٥) ورَمُوحاً ، ويقولون : رَمَحَتْ بالدم إذا كان قَرَأُهَا^(٦) رغبياً ، وجرحها رحيباً ، وذلك موجود في أشعارهم ، ومتعارف في لسانهم^(٧) .

= أنها نزل عليها الحيض على غير عادة النساء وهو نزوله في غير أوقاته ، فأجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن هذا الدم ليس حيضاً وإنما هو استحاضة ، وهو ما عبر عنه بقوله «ولكنها ركضة من الرحم» . وكانت هذه الكلمة في الطبعتين السابقتين «استحيضته» ولكنني أرجعتها إلى صحتها .

(١) في القاموس : نفح العرق : نزى منه الدم ، أى سال .

(٢) رمح الفرس بحافره : رفس .

(٣) ركض البعير : ضرب بخفه ، والمذسم : الخف .

(٤) عند العرق : سال دمه باستمرار ولم يكف عن السيلان .

(٥) الرماحة والرموح : صفتا مبالغة من الرمح ، وهو الدفع ، ويقال قوس رماحة : إذا كانت شديدة الدفع ؛ فشبهت الطعنة لشدة دفعها للدم بالقوس الشديدة الدفع .

(٦) الفرغ : مكان خروج الماء من الدلو بين العراقى ، كأنه يخرج من مسام القربة ، فإذا اتسعت المسام سميت رغبية ، أى واسعة . والمعنى إذا كان مكان خروج الدم منها واسعاً .

(٧) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه دفعة الدم في غير أوان الحيض بالركضة ، بمجامع شدة الدفع في كل ، وحذف وجه الشبه والأداة .

٢٩٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ بَنِي لِأَحَدِكُمُ التَّمَرَةُ وَاللُّقْمَةُ ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ وَفَصِيلُهُ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ أَحَدٍ » ، وهذه استعارة . والمراد أن الله سبحانه يجمع القليل إلى القليل من صدقاتكم والتزُّر من قُرْبكم وطاعاتكم حتى يعظم يسيرها ، ويكبر صغيرها ، فيكون عظيم الجزاء بحسبه وجزيل الثواب على قدره ، فجعل عليه الصلاة والسلام ذلك كترية الفلُو^(١) والفصيل ، وتربية الطفل الصغير ، لأنه تنقيط من حال الضعف والصغر إلى حال الاشتداد والكبر^(٢) .

٢٩٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَجْلِسَ ، فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا » ، وهذه استعارة . والمراد العبارة عن كثرة ما يختص به عائد المريض من الأجر الوافر ، والثواب الغامر ، فشبهه عليه الصلاة

(١) الفلو : بكسر الفاء وسكون اللام ، وبفتح انفاء وضم اللام وتشديد الواو ، وبضم الفاء : ولد الفرس (المهر) الصغير الذي له حول .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية وتشبيه مرسل . الأولى : حيث شبه حسابان الله تعالى للصدقات الصغيرة من المتصدق وضمها إلى بعضها حتى تصير كبيرة بالمعنى ، بجامع التعهد والتنمية إلى حال الكبر في كل ، واشتق من الترية بمعنى التعهد والتنمية ، يربي بمعنى يتعهد وينمى ، ويجمع على طريق الاستعارة التبعية ، والتشبيه المرسل ، حيث شبه تربية الصدقة بتربية المهر ، وذكر أداة التشبيه ومى الكاف .

والسلام لهذه الحال بخائض الغمر^(١) في مشيته ، والمفتمس^(٢) فيه عند جلسته^(٣) .

٢٩٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام طويل « لَا تُرْسِلُوا فَوَاشِيَكُمْ وَصِيبِيَانَكُمْ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ ، حَتَّى تَذْهَبَ فَحِمَةُ الْعِشَاءِ » ، فقوله عليه الصلاة والسلام : فحمة العشاء ، المراد ظلمة العشاء ، إلا أنه عليه الصلاة والسلام شبه الظلمة في هذا الوقت بالفحمة ، وهي الهنة السوداء التي أحرقت النار أجزاءها ، وإحالتها عن هيئتها^(٤) والجمع فحَم كسَعَفَة وَسَعَف^(٥) ، فكأنه عليه الصلاة والسلام أقام شمس النهار مقام النار المتوقدة ، فإذا انطفأ جاحها^(٦) وَخَدَ متضرّماً^(٧) أعقب منها الحُمَم^(٨) وخلّفها الفَحَم ،

(١) الغمر : الماء الكثير .

(٢) المفتمس فيه : الغمر به حتى يغطيه . (٣) ما في الحديث من البلاغة : في الحديث استعارة بالكناية واستعارة تبعية . الأولى : حيث شبهت الرحمة بالنهر بجامع النفع العميم في كل ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الخوض ، ولابنات الخوض إلى الرحمة تخييل ، والثانية : حيث شبه سير عائد المريض إلى عبادته بالخوض في الرحمة بجامع الحسن واليمن والبركة في كل ، واشتق من الخوض بمعنى السير ، يخوض بمعنى يسير ، على طريق الاستعارة التبعية . (٤) هي الجرة عند خود جذوتها واسوداد لونها ، وفي القاموس الفحم : الجمر الطافي .

(٥) هو اسم جمع ، وقوله جمع تجاوز عن الاصطلاح .

(٦) جاحها : شديدها ومتأججها .

(٧) خد : سكن ، والمتضرم : شديد الاشتعال .

(٨) الحُم : جمع حمّة بوزن « همزة » وهي الجرة الحامية الحارة ، والمراد بقى منها الحرارة .

والفَوَاشِي في هذا الخبر : اسم لما ينتشر من الحيوانات في الحى : كالإبل ، والغنم ، والحمر ، والبقر ، وما يجرى هذا الجرى ، وسميت فاشية لانتشارها وظهورها ، ومنه قولهم فشا الحديث إذا ظهر وانتشر ومن كلام العرب : ضَمُّوا فَوَاشِيَهُمْ ، وَرَدُّوا مَوَاشِيَهُمْ ^(١) .

٢٩٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أُعْطُوا الطَّرُقَ حَقَّهَا . قِيلَ : وَمَا حَقُّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ » . وفي حديث آخر : « لَا تَقْعُدُوا عَلَى الصُّعْدَاتِ إِلَّا مَنْ أُعْطَاهَا حَقُّهَا » ، والصُّعْدَاتُ ^(٢) : الطرق . وهذه استعارة ، كأنه عليه الصلاة والسلام جعل للطرق على القاعدين عليها حقاً يجب عليهم الخروج إليها منه ، والإعفاء ^(٣) لها به ، وهو مجموع الخلال المذكورة في أول الحديث ، فمن خرج من ذلك الحق الواجب ، وقام بذلك الفرض اللازم ، جاز له القعود على الطرق ، ومن لم يقم بذلك الحق ، ويؤدّ ذلك الفرض ، كان جلوسه عليها محظوراً ، وكان بمخالفة الأمر مذموماً ^(٤) .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه ظلمة أول الليل في سوادها بالفحمة واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(٢) الصُّعْدَاتُ : بضم الصاد والعين ، الطرقات .

(٣) الإعفاء لها ، الدفع لها به : أى دفعه لها .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه غرض البصر وكف الأذى والأمر =

٢٩٨ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْمَجَالِسُ ثَلَاثَةٌ سَالِمٌ وَغَانِمٌ وَشَاجِبٌ » . وهذا القول مجاز ، والمراد أن أهل هذه المجالس الثلاثة سالمون ، وغانمون ، وشاجبون ، والشاجب المالك ، والشَّجَبُ الملاك ، فجعل عليه الصلاة والسلام هذه الصفات للمجالس وهي على التحقيق لأصحاب المجالس ، ولاكنها لما كانت مشتملة على أهلها حسن إجراء صفاتهم عليها ، ومعنى هذا الخبر : المجلس الذي لا يذكر فيه الجليل ، ولا القبيح ، ولا المنكر ، ولا المعروف ، فأهله سالمون ، والمجلس الذي يذكر فيه الحسن من الأقوال ويتحاض من فيه على جميل الأفعال فأهله غانمون ، والمجلس الذي لا يسمع فيه إلا القبيح ، ولا يفعل فيه إلا المحذور فأهله هالكون ^(١) .

٢٩٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ أَبْنِي مَاتَ فِي النَّدَى ، وَإِنَّ لَهُ لَطِثَيْنِ ^(٢) يُكَمِّلَانِ رِضَاعَهُ فِي

= بالمعروف والنهي عن المنكر في لزومها ووجوبها على الجالس في الطريق بالحق الواجب أدائه ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(١) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث ثلاثة مجازات عقلية : في سالم وغانم وشاجب ، حيث أسند اسم الفاعل إلى ضمير المجلس ، والمراد أهله والعلاقة الظرفية أو المحلية .

(٢) الظئر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له ، ومعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إِنَّ لَهُ ظَيْرَيْنِ يَكْمِلَانِ رِضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ » ، أن إبراهيم عليه السلام مكرم من الله تعالى في الجنة بنعيم يعوض عليه ما فاته في الدنيا بعدم رضاع الثدي ، وجعل له مرضعتان بدل مرضعة واحدة ، وهذا كناية عن مضاعفة التعويض عما فاته في الحياة .

الْجَنَّةِ » . فقولہ علیہ الصلاۃ والسلام : مات فی الندی مجاز ، والمراد أن الموت أصابه وهو رَضَع ، فكأنه علیہ الصلاۃ والسلام قال : مات وهو فی الرَضاع ، وذلك كقول القائل : ابن فلان فی الصیاغة ، أو ولد فلان فی التجارة إذا أراد أنه قد دُفع إلى من یعلمه هذه الصنعة فهو مقصور علی ذلك ، ومأخوذ به ، ولم یفرغ بعدُ من تعلمه ، ومثل ذلك أيضاً قولهم : ابن فلان بعدُ فی أبجد أو فی ألف با تا تا : أى هو بعد فی تعلمه هذه الحروف المخصوصة ، ولم یستكمل علمها ، فینقل عنها إلى غيرها ، ولا بد من حمل الكلام علی تقدير مضاف محذوف وهو رضاع الندی ، فیکون المعنی صحیحاً ، فكأنه علیہ الصلاۃ والسلام قال : مات وهو فی رضاع الندی ، ولذلك نظائر كثيرة ، وأمثال مشهورة ، وبابه ما جاء فی التنزیل من قوله تعالى - واسئَلِ الْقَرْیَةَ - والمراد أهل القرية ، وما فی معنی ذلك ^(١) .

٣٠٠ - ومن ذلك قوله علیہ الصلاۃ والسلام : « إذا وَقَعَتِ ^(٢) الْحُدُودُ وَصُرِفَتِ الطَّرِيقُ فَلَا شُفْعَةَ » ، وهذا القول مجاز ، والمراد وحيزت الطرق فخرجت عن حال الاشتراك ، وطريقة

(١) ما فی الحديث من البلاغة :

فی الحديث مجاز بالحذف كما ذکر الشریف ، والتقدير لمن إبراهيم مات ورضاع الندی أى فی أثناء مدة رضاع الندی ، فالحذوف مضافان لا مضاف واحد ، والتقدير فی مدة رضاع الندی .

(٢) وقعت : ثبت .

الاختلاط ، فشبه عليه الصلاة والسلام ذلك بصرف الإنسان عن وجهته ، وهذا الخبر مما يستشهد به من قال : إن الشفعة إنما تجب للشريك الخاطط دون الجار المجاور ، وقال أهل العراق : إنما تجب للشريك الخاطط ، ثم للجار المجاور ^(١) .

٣٠١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُثَقِّقُونَ الْقُرْآنَ ، كَمَا يُثَقِّفُ الْقِدْحُ » ^(٢) في حديث طويل أخرجه مُخْرَجُ الذم لأهل ذلك الزمان ، وهذه استعارة ، والمراد أنهم يُعْمَنُونَ بإصلاح ألفاظ القرآن حتى يَقُومَ على المنهاج ، وتقوم بعد الاعوجاج ، فتكون كالسهم المثقف الذي يسرع في الإنباض ^(٣)

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبهت حيازة الطرق وتخصيص كل طريق لصاحبه بصرفها عما كانت عليه من الاشتراك ، بجماع التحول من حال إلى حال في كل ، واشتق من الصرف بمعنى التخصيص ، صرفت بمعنى حيزت وخصصت ، على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) القدح : السهم قبل أن يوضع فيه النصل (السلاح) والريش : الذي يسرع به إلى الغرض ، أى العود من الحشب الذي يصير سهماً ، ومعنى تثقيفه تقويمه وجعله مستقيماً لا عوج فيه حتى ينطلق بسرعة إلى غرضه ، والمراد بتثقيف القرآن لإصلاح لفظه من جهة المخرج والنطق والتعطيش والمد والفن وغير ذلك ، وهذا الزمان الذي ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم هو زمننا هذا ، فإنك لا تجد أقوم قراءة ولا أحلى تلاوة من قراءة القرآن بمصر ، وكثير منهم لا يتدبر ما يقرأ ، والمعلم والسامع لا يتدبر ما يقرأ ، نسأل الله ، صلاح الحال .

(٣) الإنباض : تحريك الوتر حتى يسمع له ونين .

وَيُقَرِّطِسُ فِي الْأَغْرَاضِ^(١) ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ مَا وراءَ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ مِنْ حُكْمٍ وَاجِبٍ ، وَأَمْرٍ لَازِمٍ ، وَفَرْضٍ مُتَعَيِّنٍ ، وَحَقٍّ مُبَيَّنٍّ^(٢) .

٣٠٢ — وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كَلَامِ أَطْلَقَ فِيهِ الشَّرْبُ فِي الْأَوْعِيَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ حَظَرَهُ^(٣) : « وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ الشَّرْبِ فِي الْأَوْعِيَةِ فَأَشْرَبُوا مَا شِئْتُمْ إِلَّا مَنْ أَوْكَى^(٤) سِقَاءَهُ عَلَى إِيْتِمِهِ » . وَهَذَا الْقَوْلُ مُجَازٌ ، وَالْمُرَادُ إِطْلَاقَ الشَّرْبِ فِي الْأَوْعِيَةِ الَّتِي وَقَعَ النَّهْيُ عَنْهَا كَالدُّبَاءِ^(٥) وَالْحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ وَالْمَرْفَتِ إِذَا كَانَ

(١) يَقَرِّطِسُ : يَصِيبُ ، وَالْأَغْرَاضُ : جَمْعُ غَرَضٍ ، وَهُوَ مَا يَنْصَبُ لِصَابِتِهِ بِالسَّهْمِ ، وَالْمُرَادُ يَقَعُ فِي الْهَدَفِ وَيَصِيبُهُ .

(٢) مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ اسْتِعَارَةُ مَكْنِيَّةٍ وَتَبْعِيَّةٍ وَتَشْبِيهِ مَرْسَلٍ ، الْأَوَّلَى : حَيْثُ شَبِهَ الْقُرْآنُ بِالْقَدْحِ وَحَذَفَهُ وَرَمَزَ لِيْلِهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ ، وَهُوَ التَّثْقِيفُ ، وَلِئَنبَاتِ التَّثْقِيفِ إِلَى الْقُرْآنِ تَخْيِيلٌ ، وَالثَّانِيَّةُ : حَيْثُ شَبِهَ تَحْسِينَ الْقُرْآنِ وَإِصْلَاحَ أَلْفَاظِهِ بِتَثْقِيفِ الْقَدْحِ بِجَامِعِ الْإِصْلَاحِ فِي كُلِّ ، وَاشْتَقَّ مِنَ التَّثْقِيفِ بِمَعْنَى الْإِصْلَاحِ ، يَثْقِفُونَ بِمَعْنَى يُصْلِحُونَ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ . وَالثَّالِثُ : حَيْثُ شَبِهَ تَثْقِيفَ الْقُرْآنِ بِتَثْقِيفِ الْقَدْحِ وَذَكَرَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ وَهِيَ الْكَافُ .

(٣) كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ الشَّرْبَ فِي الْأَوْعِيَةِ الَّتِي يَنْتَبِذُونَ فِيهَا ، أَيْ يَضَعُونَ فِيهَا التَّمْرَ وَالْبَلْعَ وَالْعَنْبَ وَنَحْوَهَا مَعَ الْمَاءِ فَتَتَخَمَّرُ وَتَصِيرُ خَرَأً مُسْكِرًا ، فَنَهَايَهُمْ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا إِطْلَاقًا مَنَعًا لِلخَمْرِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَاحَ اسْتِعْمَالَهَا فِي غَيْرِ الْإِنْبَادِ كَشَرْبِ الْمَاءِ . وَوَضَعَ الْأَطْعِمَةَ وَكُلَّ مَا لَيْسَ بِمَحْرَمٍ ، وَسَيَأْتِي تَمْثِيلُ لِهَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فِي كَلَامِ الشَّرِيفِ .

(٤) أَوْكَى : رَبَطَ وَأَغْلَقَ .

(٥) الدُّبَاءُ : الْقُرْعُ ، وَالْحَنْتَمُ : جَرَّةٌ مِنْ خَزْفٍ مَدْمُوءَةٌ ، وَالنَّقِيرُ : جَذَعُ

النَّخْلَةِ يَنْقَرُ وَيَقُورُ حَقٌّ يَصِيرُ كَالْإِنَاءِ ، وَالْمَرْفَتُ : الْمَطْلِيُّ بِالزَّفْتِ مِنْ خَارِجِهِ حَتَّى يَسُدَّ مَسَامَ الْإِنَاءِ فَيَكُونُ أَسْرَعَ لَتَخَمَّرَ مَا فِيهِ .

ما فيها من الأشربة ^(١) المطلقة غير المنوعة ، والمباحة غير المحظورة ، وموضع المجاز قوله عليه الصلاة والسلام : **إِلَّا مَنْ أَوْكَى سَقَاهُ عَلَى إِيْمٍ** . يقول : **إِلَّا مَنْ رَبَطَ سَقَاهُ عَلَى مَشْرُوبٍ مُحَرَّمٍ** فإن ذلك خارج من باب الإطلاق والإباحة ، وداخل في باب الحظر والكرهية ، وأراد عليه الصلاة والسلام **إِلَّا مَنْ أَوْكَى سَقَاهُ عَلَى مَشْرُوبٍ يُوْدَى إِلَى الْإِيْمِ** ، فأقام الإيم مقامه لأنه عاقبة أمره ، ووبال فعله ^(٢) .

٣٠٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : **« حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »** . وهذا القول مجاز ، والمراد أن جميع الأفعال التي توصل إلى الجنة يُتَجَشَّم فعلها على الكره والمشقة ، لأن طريقها وعُرٌّ ، ومذاقها مرٌّ . فلما كانت الطرق المُفْضِيَّة إلى الجنة كلها كما ذكرنا شاقة المسالك ، صعبة على السالك ، حسن أن يقال : **الجنة حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ** على طريق المجاز ، وسعة الكلام ، ولما كانت الأفعال المُفْضِيَّة إلى دخول النار في الأغلب الأكثر كثيرة الملاذِّ ملائمة للطباع ، لا تُؤْتِي من طريق مشقة ولا يُقَرَّعُ لها باب كُفَّة ، حسن أن يقال **إِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ**

(١) من الأشربة جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر كان .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز مرسل علاقته السببية ، حيث استعمل لفظ الإيم في المشروب الذي هو سببه .

على طريق الانساع والمجاز^(١) .

٣٠٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « وقد سُئِلَ عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثاً ، فتنوّجت بعده رجلاً فطلقها قبل أن يدخل بها هل تحِلُّ لزوجها الأول ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « لا ، حَتَّى يَكُونَ الْآخِرُ قَدْ ذَاقَ مِنْ عُسَيْلَتِهَا »^(٢) ، وَذَاقَتْ مِنْ عُسَيْلَتِهِ » . وهذه استعارة كأنه عليه الصلاة والسلام كنى عن حلاوة الجماع بحلاوة العسل ، وكأن^(٣) تخبر المرأة وتخبر الرجل كالعسلة المستودعة في ظرفها ، فلا يصح الحكم عليها إلا بعد الذوق منها . وجاء عليه الصلاة والسلام باسم العسلة مصغراً لسر لطيف في هذا المعنى ، وهو أنه أراد فعل الجماع دفعة واحدة ، وهو ما تحلُّ المرأة به للزوج الأول ، فجعل ذلك بمنزلة الذوق القابل من العسلة من غير استكثار منها ولا معاودة لأكلها ، فأوقع التصغير على الاسم ، وهو في الحقيقة للفعل وذلك بالعكس من التصغير في

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارتان تبعيتان في قوله حفت ، وهما في الواقع استعارة واحدة ، لأن اللفظ المستعمل واحد ولكنه تكرر في موضعين ، وذلك حيث شبه تقريب الطاعات للجنة ، والطاعات مكاره ، لأن النفس تكرهها ، لما فيها من الصعوبة عليها ، وتقبيد حريتها ، بحققها بها ، بجامع التقريب في كل ، واشتق من الحف بمعنى التوصليل ، حفت الجنة بمعنى توصل إليها على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) قال في القاموس : العسلة ، النطفة أو ماء الرجل أو حلاوة الجماع تشبه بالعسل للذته ، وقد اختار الشريف المعنى الأخير .

(٣) الخبر : اسم مكان أى مكان اختبار الرجل والمرأة .

البيت المشهور وهو من أبيات الكتاب وأنشدناه الشيخان أبو الفتح
عثمان بن جني وأبو الحسن علي بن عيسى الرّبعي ، وذلك قول الشاعر :
يَا مَأْمُوحَ غِرْ لَنَا شَدَنَ^(١) لَنَا
مِنْ هَاؤُلِيَاءِ كَنَّ الضَّالِ^(٢) وَالسَّمْرِ^(٣)

فأوقع الشاعر التصغير على الفعل في الظاهر وذلك غير جائز وإنما
أراد به على الحقيقة تصغيراً لاسم المصدر الذي هو الملاحه ، فهذا
الشاعر كما ترى صغر الفعل وأراد الاسم ، وهو عليه الصلاة والسلام
في الخبر صغر الاسم وأراد الفعل^(٤) .

٣٠٥ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَا يَتَطَهَّرُ
الرَّجُلُ فَيُحْسِنُ طَهُورَهُ^(٥) ، ثُمَّ يَأْتِي الْجُمُعَةَ فَيُنْصِتُ حَتَّى يَقْضِيَ
الْإِمَامُ صَلَاتَهُ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ كَغَفَارَةٍ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ
الْمُقْبِلَةِ ، مَا أُجْتَنَبَ الْمُقْتَلَةُ » ، فقوله عليه الصلاة والسلام
ما اجتنب المقتلة مجاز ، والمراد ما لم يواقع الخطيئة الكبيرة التي تكون

(١) شدن : قوين ، يقال شدن الظبي شدواً إذا قوى .

(٢) الضال : شجر الدر إذا كان غدياً .

(٣) السمر : شجر تأكله الإبل واحده سمرة ، والمراد التمتع من ملاحه
الفرلان التي تربت بين الضال والسمر حتى قويت .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه الجماع بالعسلة ، أى الشيء المعسول
بجامع اللذة في كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(٥) الطهور بالضم : التطهر ، وهو الوضوء والغسل وإزالة النجاسة .

سبباً لهلاكه ، وطريقاً إلى بواره ، فشبهها عليه الصلاة والسلام بالمقتل من مقاتل الإنسان الذي إذا أُتِيَ منه فقد أُتِيَ عليه ، وإنما أنث عليه الصلاة والسلام المقتل لأنه جعله في هذا الموضع عبارة عن الخطيئة ، وهي مؤنثة ، فأنته حملاً على المعنى ، ولذلك في كلامهم نظائر كثيرة^(١) .

٣٠٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى أَسْتَغْفِرَ اللَّهَ مِائَةَ مَرَّةٍ » . وهذا القول مجاز ، والمراد أن الغم ينفش قلبه عليه الصلاة والسلام حتى يستكشف غمته . ويستفرج كُرْبته بالاستغفار ، فشبه ما انفش قلبه من ذلك بغواشي الغيم التي تستر الشمس ، وتجلل الأفق ، والغيم والغين اسمان للسحاب وسواء قال : يغان على قلبي أو قال يُغَام على قلبي^(٢) .

٣٠٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « أَلْقُوبُ أَوْعِيَّةٌ بَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ » ، وهذه استعارة . والمراد تشبيهه

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز مرسل علاقته السببية ، حيث استعمل لفظ « المقتلة في الذنب الكبير الذي يسبب الهلاك » .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه الكروب والهموم التي تعترى الإنسان وتحيط بقلبه بالغيم الذي يحجب ضوء الشمس ، بجامع الحيلولة بين الشيء وصفائه في كل ، واشتق من الغيم بمعنى الحيلولة ، يغان بمعنى يحال ، على طريق الاستعارة التبعية .

القلوب بالأوعية ، وهى الظروف والعياب^(١) التى تَحَرَّزُ فيها الأمتعة وغيرها من الأشياء المحفوظة ، وهى كالآنية لإبداع الأشياء المائعة ، إلا أن الأوعية تختص بالجامدات ، كما أن الآنية تختص بالمائعات . فالقلب من حيث حَفِظَ وَوَعَى ، كالوعاء من حيث جمع وأوعى ، وربما نسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام على خلاف فى لفظه ، وقد ذكرناه فى جملة كلامه ، لَكُمَيْلُ بن زياد النَّخَعِيُّ فى كتاب نهج البلاغة^(٢) .

٣٠٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئًا مِنْ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَقُلَ^(٣) عَنْهُ^(٤) إِحَى سَبْعِينَ شَيْطَانًا » ، وهذا القول مجاز ، والمراد تعظيم الأمر فى مجاهدة الإنسان نفسه عند إخراج الصدقة لشدة تتبع النفس لها ، وكثرة الصوارف عنها ، ووساوس الشيطان بما يقتضى الامتناع منها ، فإذا غلب الإنسان بإخراجها نوازع جفائه^(٥) ، ونوازع شيطانه ، كان كأنه قد اقتلما^(٦) من أيدي الجاذبين ، وقُلَّ عنها لحي الشياطين ، وإما ذكر عليه الصلاة

(١) العياب : جمع عيبة ، وهى (الشنطة) ونحوها .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه القلوب بالأوعية بجامع حفظ ما يدخلها فى كل ، فهذه تحفظ المعانى وتلك تحفظ الماديات ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٣) يقل : يهزم ، يقال فل القوم هزمهم .

(٤) لحي : جمع لحية ، وهى شعر الذقن والحدين ، والمراد الشياطين أنفسهم .

(٥) الجنان : النفس .

(٦) اقتلما : استخلصها بعد فلهم وهزيمتهم .

والسلام هذا العدد المخصوص من الشياطين وهو السبعون على طريقا
للعرب مشهورة في ذكر ذلك إذا أرادت الكثير ، وقد ورد
التنزيل بسلوك هذا النهج ، والوقوف عند هذا القدر . قال سبحانه :
« أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ » ، وقال تعالى : « ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ
ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ^(١) » .

٣٠٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « يَدُ اللَّهِ مَعَ
الْقَاضِي حِينَ يَقْضِي ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْقَاسِمِ حِينَ يَقْسِمُ » ، وهذا
القول مجاز والمراد أن علم الله سبحانه ومعرفة لا يغيبان عن الحاكم
إذا حكم ، وعن القاسم إذا قسم ، فيعلم سبحانه عدل القاضي إذا تحرى
العدل ، وظلمه إذا اعتمد الظلم ، ولا يخفى عليه حيف القاسم وميله
أو إنصافه وعدله ، وذلك كما يقول القائل : يد فلان مع فلان إذا كان

(٦) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ومجاز مرسل : الأولى حيث شبه مجاهدة النفس
وغلبتها وقهر الشيطان ورد وسوسته في نحره بهزيمته في الحرب بجامع القهر والغلبة
في كل ، واشتق من الفعل بمعنى القلب ، بقل بمعنى يقلب على طريق الاستعارة
التبعية ، والثاني . في قوله لحي سبعين شيطاناً ، فإن الهزيمة للشيطان لا لحيته ،
ولأنما نسب الهزيمة لها لأنها موضع الوفاة والزينة والتي يحلف بها الخالف عند إرادة
توكيد حلفه ، والتي يعبر عن المهانة والذل بإزالتها لأنها الفرق الظاهر بين الرجل
والمرأة . والعلاقة الجزئية : لأن الصحية جزء الشيطان .

شاركاً له في ولاية يليها أو مشاركاً له ^(١) في أمور يُمضيها . وفي هذا قول تخويف شديد للحاكم والقاسم من مفارقتهما مقام الحق ، ومقال لصدق ، وحثّهما على سلوك النهج الأباج ، وتجنب الطريق لأعوج . ونظير هذا الخبر قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنْ أَلَّهَ مِنْكَ لِسَانٌ كُلٌّ قَائِلٌ » ، والمراد أنه تعالى يحيط علماً بمقاصد كلامه ، ومصارف لسانه ، كما يعلم ذلك مِنْهُ من سمع حوارَه ، وشهد خطابه . مثل ذلك أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام وأراد الله سبحانه : (إِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْ رُءُوسِ رِكَابِكُمْ ^(٢)) .

٣١٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن زيد بن عبد ربّه الأنضاري وقد رأى الأذان في نومه : « أَلْقِهِ ^(٣) عَلَى بِلَالٍ فَإِنَّهُ أُنْدَى ^(٤) مِنْكَ صَوْتًا » ، وهذا القول مجاز ، والمراد أنه مدّ صوتاً منك ، تشبيهاً بالشئ الذي ^(٥) الذي يمتد وينبسط ، وهو

(١) مشاركاً له : مخالطاً ومطاعاً .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حبت شبه علم الله بيده بجامع التأثير والإدراك كل ؛ واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

(٣) ألقه على بلال : أى أترك أمره إلى بلال .

(٤) أندى : أبعد منك صوتاً : أى أن صوته يصل إلى مكان أبعد من المكان الذي يصل إليه صوتك ، والمطلوب في الأذان الإبلاغ ، وكلما كان مدى الصوت بعيداً كان المبلغون به أكثر عدداً .

(٥) الذي : الرطب الطرى الذي يمكن مطه وتطويته .

بالضد من اليابس الذى يجتمع وينقبض^(١) وعلى ذلك قول الشاعر
فقلتُ أدعى وأدعوا إن أندى^(٢)
لصوت أن ينادى داعيان^(٣)

٣١١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ قَالَ
حِينَ يُصْبِحُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَالْ
الْحَمْدُ ، يُجَنَّبِي وَيُمَيِّتُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ
كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا
عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَكُنَّ لَهُ مَسْلِحَةٌ مِنْ
أَوَّلِ نَهَارِهِ إِلَى آخِرِهِ مَا لَمْ يَعْمَلْ يَوْمَئِذٍ عَمَلًا يَقْهَرُ هُنَّ »
وفى هذا الكلام استعارتان (إحداهما) قوله عليه الصلاة والسلام
وكنَّ له مسلحة من أول نهاره إلى آخره . والمراد بالمسلحة هاهنا مجتمعة
السلاح الكثير ، يقال : هاهنا مسلحة للسلطان ، ويراد به الموضع
الذى فيه جماعة من أعوانه قد كثرت أسلحتهم ، واشتدت شوكتهم .
كما يقال : مأسدة للأرض الكثيرة الأسد ، ومكأة للأرض الكثيرة

(١) أى لا يمكن مده ولا مطه .

(٢) أى أبعد مدى للصوت مناداة مناديين . فإن فى اجتماع الصوتين قوة
لا تكون للصوت الواحد .

(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه بعد مدى الصوت بنداء وطرأوته ، وإمكان
مطه وتطويله ، بجماع الوصول إلى المكان البعيد عن المصدر فى كل ؛ وحذف
وجه الشبه والأداة .

الكلمات، ومفعلة، ونحواة للأرض الكثيرة الأفاعى والحيات، ونظائر ذلك كثيرة، فجعل عليه الصلاة والسلام هذه الكلمات لقائلهن بمنزلة السلاح الكثير الذى يدفع عنه المخاوف، ويرد الأيدي البواطش. والاستعارة الأخرى قول عليه الصلاة والسلام: ما لم يعمل يومئذ عملاً يقره، والمراد ما لم يعمل من الأعمال السيئة فى يومه ما يغلب إثم أجر هذه الكلمات إذا قالها على الوجه المحدود فيها. وينبغى أن يكون المراد بذلك الذنوب الصغائر دون الذنوب الكبائر، لأن عقاب الكبيرة يعظم فيه-كون كالتقاهر لتلك الحسنات التى ذكرها، والدرجات التى أشار إليها، ولما أقام عليه الصلاة والسلام تلك الكلمات مقام السلاح لقائلها، جعل ما فى مقابلاتها من إثم مؤلف^(١)، وذنوب مؤبقة، بمنزلة التقاهر لها والنالم^(٢) فيها، ملاحة^(٣) بين صفات الألفاظ ومزاوجة بين فرائد الكلام، وهذا موضع المجاز الثانى الذى أفصنا فى ذكره، وكشفنا عن سره^(٤).

(١) المؤلف: أى موقع ومدخل فى النار، ومن ذلك ولغ الكلب فى الإناء: أدخل لسانه فيه.

(٢) النالم: الكاسر، أو المؤثر تأثيراً ينقص منها.

(٣) ملاحة: مشابهة ومشاكله، لأن الملامح: المشابهة.

(٤) ما فى الحديث من البلاغة:

فى الحديث تشبيه بليغ، ومجاز مرسل واستعارة تبعية، الأول فى قوله كن له مساحة، فشبه الكلمات بالمساحة وهى مكان السلاح؛ بجامع أن فيها ما يرد عوادي الشيطان؛ وحذف وجه الشبه والأداة؛ والأصل كن له كالساحة فى رد عدوان =

٣١٢ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لما أمر برجم اليهودي الذي زنا بعد أن وافق اليهود على أن حد الزاني المحصن عندهم الرجم دون الجلد ، وكانوا أنكروا ذلك ثم أقرتوا به ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ » وهذه استعارة ، والمراد أني أول من أظهر أمرك ، إذ ستروه ، وأذاعه إذ كتموه . فأقام عليه الصلاة والسلام الإظهار بمقام الإحياء ، والإخفاء مقام الإماتة ، لأن الحى ظاهر منتشر ، والميت خاف مستتر ، وقد مضى الكلام على نظير هذا الخبر فيما تقدم من هذا الكلام ^(١) .

== الشيطان ؛ والحجاز المرسل في قوله مساحة ، والمراد كن له سلاحاً فمبع عن السلاح بمكانه وهو حجاز مرسل علاقته الظرفية ، والتبعية في قوله يقهرهن ؛ حيث شبه لذهاب قائدتهن بعمل الذنب بالقهر بجامع لذهاب الأثر والفائدة في كل ، واشتق من القهر بمعنى لذهاب الفائدة والأثر ، يقهر بمعنى يذهب الأثر ؛ على طريق الاستعارة التبعية .

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارتان تبعيتان : الأولى في أحيا ؛ والثانية في أماتوه :

١ — حيث شبه إظهار حكم الله في الزاني المحصن وهو الرجم بالإحياء ، بجامع وجود الأثر في كل ، واشتق من الإحياء بمعنى الإظهار ، أحيا بمعنى أظهر ، على طريق الاستعارة التبعية .

ب — وحيث شبه إخفاء اليهود لحكم الله في الزاني المحصن بالإماتة ، بجامع لإعدام الأثر في كل ، واشتق من الإماتة بمعنى الإخفاء ، أماتوا بمعنى أخفوا ، على طريق الاستعارة التبعية ، ويمكن اعتبار استعارة مكنية في الحديث بأن يقال : شبه حكم الله في الزاني المحصن بالإنسان الذي يحيا ويمت بجامع ظهوره وخفائه في كل من المشبه والمشبه به ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الإحياء والإماتة على طريق الاستعارة المكنية ، ولانبات الإحياء والإماتة إلى الأمر والحكم تخيل .

٣١٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، فيما رواه
 شداد بن الهاد قال : « سجد رسول الله صلى الله عليه وآله سجدة
 أطال فيها ، فقال الناس عند انقضاء الصلاة : يا رسول الله إنك سجدت
 بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر ،
 أو أنه أتاك وحى ، فقال عليه الصلاة والسلام : كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ،
 وَلَكِنْ أَبْنِي هَذَا ارْتَحَلَنِي ^(١) فَسَكَّرْتُمْ أَنْ أَنْجِلَهُ حَتَّى يَقْضَى
 حَاجَتُهُ » ، وكان الحسن أو الحسين عليهما السلام قد جاء النبي عليه
 الصلاة والسلام في سجدته فامتطى ظهره : وهذا الحديث مشهور ،
 وهو حجة لمن يجوز انتظار الإمام بركوعه إذا سمع خفق النعال حتى
 يدخل الواردون معه في الصلاة وهو قول الشافعى ، وقد كرهه أهل
 العراق . ولا خلاف في أن الإمام يجوز له أن ينتظر حضور الجماعة
 إذا لم يخش فوت الوقت قبل أن يدخل في الصلاة ، فانتظاره عليه
 الصلاة والسلام ابنه حتى يقضى منه حاجته يدل على أن من فعل هذا
 الفعل وأشباهه لا يخرج به من الصلاة ، وقوله عليه الصلاة والسلام :
 « وَلَكِنْ أَبْنِي هَذَا ارْتَحَلَنِي » استعارة ، والمراد أنه جعل ظهره
 كالراحلة له والمطية التي تحملها ، ويقال من ذلك : رَحَلْتُ الناقةَ
 وارتحلتها : إذا امتطيتها لتسيورها ، وعلى ذلك قال الشاعر :

وَلَكِنْ رَحَلْنَاهَا نَفُوسًا كَرِيمَةً نَحْمَلُ مَا لَا يُسْتَطَاعُ فَتَحْمِلُ

(١) ارتحلتني : صعد فوق ظهري كما يصعد راكب الراحلة على ظهرها .

ألا ترى أن الشاعر لما جعل هذه النفوس بمنزلة المطايا المذلة ، والظهور المحملة ، استحسن أن يقول : رحلتها مقابلة بين أجزاء اللفظ ، وملاحظة ^(١) بين العجز والصدر . وليس هناك على الحقيقة ظهور تحمل الرجال ، وتحمل الأنفال ، وإنما أراد صفة تلك النفوس بالصبر على عَضِّ البلاء ، وعَرَكِ الأدواء ^(٢) ، ونوازل القدر ، وجواذب الغير ^(٣) .

٣١٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام كلمه بعض أصحابه : « لَنْ تَبْرَحُوا مُبْتَلَيْنِ » ^(٤) مَا كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَإِذَا أَنَا هَلَكْتُ أَقْبَلْتُ إِلَيْكُمْ الدُّنْيَا وَأَقْبَلْتُمْ إِلَيْهَا وَاضْطَمَّتْكُمْ ^(٥) الدُّنْيَا اضْطَمَّامَ الْوَالِدَةِ وَلَدَهَا » وهذه استعارة .

(١) ملاحظة : مشاكلة وموافقة ، يقال هذا الحليم هذا بمعنى وفقه وشكله .

(٢) الأدواء : جمع داء ، عركها : تأثرها في الأجسام .

(٣) الغير : أحداث الدهر المتغيرة ، جمع غيرة بكسر الغين وسكون الياء .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ؛ حيث شبه صعود الحسن أو الحسين رضي الله عنهما على ظهره صلى الله عليه وسلم بالارتحال ، بجامع الصعود على الظهر في كل واحد واشتق من الارتحال بمعنى الصعود على الظهر ، ارتحلتني بمعنى صعد على ظهري على طريق الاستعارة التبعية .

(٤) أى ستستمرون في البلاء ما دمت حياً بينكم .

(٥) اضطمتكم : صيغة افتعل من الضم وقلبت تاء الافتعال فيه طاء ، لوقوعه بعد حرف الإطباق وهو الضاد تسهلاً للنطق ، لأن الانتقال من الضاد إلى التاء ثقيل ، والأصل « اضطمتكم » ، فحدث القلب كما ذكرنا ، ومثلها اضطمام أصلهم « اضطمام » فحدث فيها ما حدث في اضطمتكم .

والمراد أن الدنيا بعده عليه الصلاة والسلام تكثر فوائدها ، وتوصل
مراغدها ، فشبه نفعها لأهلها بحفاوة الوالدة بولدها ، إذ كانت ترضعه
درّها ، وتمهّده حجّرها^(١) ، ونُشيل^(٢) عليه جهّدها ، وذلك
كقولهم : قد ضمّ فلان فلاناً إلى كفّفه ، يريدون أنه قد قام بأمره ،
وأغناه من غيره^(٣) .

٣٩٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تعادُوا
الأيّامَ فتُعَادِيَكُمُ »^(٤) . وهذا القول مجاز ، لأن الأيام على الحقيقة
لا يصحُّ أن تعادِي ولا تعادِي ، وإنما المراد لا تختصوا ببعض الأيام
بالكرامية له والتطير به ، فربما اتفق عليكم فيه من طوارق القدر ،
وبوائق الغيّر ، ما يقوِي في ظنونكم أنه يختصّ ذلك اليوم دون غيره

(١) تمهده حجّرها : تجعله له مهداً ينام فيه كالسرير أو غيره مما يجعل مناماً
للطفل .

(٢) نُشيل عليه : تعطف عليه .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية وتشبيه بليغ ، الأولى في قوله « اضطمتمكم » حيث شبه
إقبال الدنيا بخيراتها ومنافعها على المسلمين بالاضطمام ، بجامع شدة القرب والالتحام
في كل ، واشتق من الاضطمام بمعنى شدة القرب والإقبال ، اضطمتمكم بمعنى أقبلت
عليكم بشدة ، وزادت في إقبالها حتى تكون كالملتصقة بكم ، على طريق الاستعارة
التبعية . والثاني في قوله : اضطمام الوالدة ولدها ، فالأصل كاضطمام الوالدة في شدة
الحنو والعطف ، ثم حذف وجه الشبه والأداة .

(٤) تعادِيكم : يحدث لكم فيها ما يحدث من العدو لعدوه ، فكأنها
هي العدو .

من الأيام ، وليس كما ظننتم ، لأن الأيام تمضى فى ذلك على عاداتها ، وتجرى إلى غايتها ، فتكونون كأنكم قد عاديتكم ذلك اليوم باستشعاركم وصول الضرر إليكم منه ، ويكون ذلك اليوم كأنه قد عاداكم باتفاق المضرة عليكم فيه ، وخرج القول مخرج الجاز والانساع ، ومنادى (١) الكلام (٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٩٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام وقد سمع أعرابياً يقول فى مسجده صلى الله عليه وآله بعقب صلاة صلاتها : اللهم ارحمنى ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً . فقال عليه الصلاة والسلام : « لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعاً » ، وهذه استعارة . وأصل التحجر أن يختط الإنسان خطاً ، ويضرب عليها سياجاً ليحوزها به ، ويعلم أنها فى قبضته . ومنه الحجرة ، وهو البيت المضروب ، وجعلت بعد ذلك اسماً لبناء مخصوص وجمعها حجَر . ومن ذلك قولهم : حجَر الحاكم على فلان إذا منعه من التصرف فى ماله ، فكأنه ضرب عليه

(١) منادى الكلام : جمع مندوحة ، ومى فى الأصل ما اتسع من الأرض ، وهنا ما اتسع من الكلام .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه حدوث الأضرار فى الأيام بمعاداتها للناس ، بجامع كون كل من المشبه والمشبّه به سبباً فى حدوث الضرر ، واشتق من المعادة بمعنى حدوث الضرر ، تعادى بمعنى يحدث الضرر فيها ، على طريق الاستعارة التبعية .

حظراً^(١) يحبس فيه، ويقصر خطوه دونه ، فأراد عليه الصلاة والسلام
بقوله للأعرابي : « لقد تحجّرت واسعاً » تشبيهه بمن ضرب سياجه
على قاعة واسعة فخازها ، ومنع غيره من المشاركة فيها ، لأنه دعا ربه
أن يرحم النبي عليه الصلاة والسلام ويرحمه معه خصوصاً ، وحظّر
رحمته سبحانه على الناس عموماً ، وكان ذلك تحجّراً على الرحمة ،
وسيطرة على النعمة ، وخلافاً لقوله تعالى : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ
شَيْءٍ » ؛ وفي رواية أخرى : أنه عليه الصلاة والسلام قال لما سمع
قول الأعرابي : « مَنْ هَذَا لَقَدْ احْتَضَرَ واسعاً » . والمعنى في اللفظين
واحد : لأن الأول مأخوذ من الحجرة ، والثاني مأخوذ من الحظيرة ،
وقد يجوز أن يكون المراد لقد ضيق أسراً واسعاً في الجملة ، وقد يجوز
أن يكون اتسع وسع على نفسه فضيق على غيره^(٢) .

٣١٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَبْطَأَ بِهِ

(١) الحظر : ككتاب وسماء : الحائط وما يحوط به على الدواب من شجر
ونحوه ، أى ضرب عليه حجاباً .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه قصر رحمة الله على النبي صلى الله عليه
وسلم هو والداعي بالتججر وهو عمل الحجرة والحائط لمنع الناس من الدخول ، بجامع
المنع في كل واشتق من التججر بجمع المنع ، تحجرت بمعنى ضيقت ، لأن كل من
عمل حائطاً أو بنى حظيرة ، فقد ضيق الواسع من الأرض ، وذلك على طريق
الاستعارة التبعية .

عمله كَمْ يُسْرِعُ بِهِ نَسَبُهُ » وهذه استعارة . والمراد أن من تأخر بسوء عمله عن غايات الفضل ومواقف الفخر ، لم يتقدم إليها بشرف نسبه وكريم حسبه ، فجعل عليه الصلاة والسلام الإبطاء والإسراع مكان التأخر والتقدم ، لأن المبطئ متأخر والمسرع متقدم ، وأضافهما إلى العمل والنسب وهما في الحقيقة لصاحبهما لا لهما ، ولكن العمل والنسب لما كانا سبب الإبطاء والإسراع ، حسن أن يضاف ذلك إليهما على طريق المجاز والانساع^(١) .

٣١٨ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « رَحِمَ اللَّهُ خَيْرَ أَفْوَاهِهِمْ »^(٢) سلامٌ ، وأيديهم طعامٌ ، أهلُ أَمْنٍ وإِيمَانٍ ، وهذا القول مجاز . والمراد المبالغة في صفتهم بإفشاء السلام ، وإطعام

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة مكنية وتبعية :

١ - حيث شبه عمل الإنسان ونسبه بالدابة ، بجامع الإيصال إلى المطلوب في كل ، وحذفها ورمز إليها بشيء من لوازمها وهو الإبطاء والإسراع لأنها في الغالب من خواص الدواب التي تقطع مراحل السفر .

٢ - وحيث شبه عدم إيصال العمل الضعيف قليل الخير بإبطاء الدابة ، بجامع التأخر في الوصول في كل ، وإيصال العمل كثير الخير القوي بالإسراع بجامع الوصول بسرعة في كل ، واشتق من الإبطاء أبطأ ، ومن الإسراع أسرع ، على طريق الاستعارة اللمعية .

(٢) الأصل أفواههم صاحبة سلام وأيديهم صاحبة طعام ، فلما أريدت المبالغة حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار خيراً عن المبتدأ ، فهذا مجاز مرسل من استعمال المصدر في المشتق والعلاقة الاشتقاق . كأن الأصل أفواههم مسلحة وأيديهم مطعمة ، فاستعمل السلام والطعام بدل اسم الفاعل .

الطعام ، فلما كثر لفظ السلام من أفواههم ، وبذل الطعام من أيديهم ، جاز على طريق المبالغة أن يقول : أفواههم سلام ، وأيديهم طعام ، كما يقول القائل : ما فلان إلا أكل ونوم ، وما فلان إلا صلاة وصوم ، إذا كثر الأكل والنوم من الأول ، والصلاة والصوم من الآخر ، وعلى هذا قول الخنساء في صفة الظبية الفاقدة ولدها :

تَرَ تَأْعُ مَا نَسِيَتْ حَتَّى إِذَا ذَكَّرَتْ
فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

تريد صفتها بكثرة الإقبال والإدبار والتأمل والاضطراب . ومن هذا الباب أيضاً قولهم : فلان عدل ، فوصفوه بالمصدر الذي فعله عدل يعدل عدلاً لكثرة وقوعه منه ، وتظاهره به ، ونشأ ذلك كثيرة .

٣٩٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، ويعنى الموت : « أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللِّذَاتِ » ، وهذه استعارة ، والمراد أن اللذات بالموت تتلاشى وتبطل وتمحى ، وتضمحل كما يضمحل البناء بهدمه ، ويبطل بتعفية رسمه ، والهدم في الأصل هو الإبطال للشيء ، فإذا قالوا : هدم فلان البناء ، فإنما يريدون أنه أزاله وأبطله . ومن ذلك الحديث المروي عنه عليه الصلاة والسلام للأَنْصَارِيَّةِ الْعَقَبَةُ بعد مراجعة كلام طويل : « الدَّمُ الدَّمُ وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ » . وأصح ما قيل في تفسير ذلك أنه عليه الصلاة والسلام أراد إنكم

إن طلبتم بدم طلبته ، وإن هدمتموه هدمته ، وأقام الهدم عاهداً مقام
الطلّ ، يقول : إن طَلَّ تُمُوهُ طَلَّ تَهُ ، بمعنى إن أبطلتموه أبطلته ،
وقال يعقوب بن السكيت في كتاب الألفاظ : يقال دماؤهم هَدَمَ
بينهم : أى هَدَرَ . ويقال هَدَمَ بتحريك الدال أيضاً^(١) .

٣٢٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في ذمّ أقوام
من المنافقين : « خُشِبَ بِاللَّيْلِ جُدُرُ النَّهَارِ » ، في كلام طويل ، وهذه
استعارة . والمراد أنهم ينامون الليل كله من غير قيام للصلاة ،
ولا استيقاظ لمناجاة ، فهم كأخشب الواهية التي تدعّم لثلا تنهافت ،
وتمسك لثلا تنساقط^(٢) .

٣٢١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ
الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَ الذَّنْبُ نُكْثَةً^(٣) سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ ، فَإِنْ

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ؛ حيث شبه قطع اللذات بسبب الموت بهدم البناء ،
بجامع قطع المنفعة في كل ، واشتق من الهدم بمعنى قطع المنفعة ، هادم بمعنى قاطع ،
على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيهان بليغان ، حيث شبه المنافقين بالخشب بالليل ، لأنهم ينامون
ولا يتحركون ، ولكن يمكن تحريكهم ، لأن النوم يسلب إرادتهم ، وبالجدُر
بالنهار لأنهم يجاسون في أماكنهم لا يتحركون بالنهار لقضاء الصلاة ، ولا يمكن
تحريكهم ، لأن إرادتهم موجودة وهم لا يعترفون في سريرتهم بالصلاة ، فإذا طلب
منهم أحد القيام بها لم يحركوا ساكناً ، كالجدار الذي لا يتحرك لثباته ، وحذف
وجه الشبه والأداة .

(٣) النكثة : النقطة التي لها أثر .

تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُغْلَ قَلْبِهِ ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَغْمُرَ قَلْبَهُ »
 فقوله عليه الصلاة والسلام : « صقل قلبه » استعارة ، والمراد إزالة
 تلك النكته السوداء عن قلبه ، ولكنها لما كانت بمنزلة الدرن في
 الثوب^(١) ، أو الطبع على السيف ، حسن أن يقال : صقل قلبه منها
 كما يُصقل السيف من طبعه ، أو يغسل الثوب من درنه^(٢) .

٣٣٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام طويل
 « وَلَا يَشْرَبُ أَحَدُكُمْ الْخُدُودَ ، وَهُوَ حِينَ يَشْرَبُهَا مُؤْمِنٌ » ،
 وهذا القول مجاز ، والمراد بالخدود هاهنا الخمر ، وإنما عبر عليه الصلاة
 والسلام بهذا الاسم عنها ، لأن إقامة الخمر تستحق بشربها ،
 وليس هاهنا معصية ربما اجتمعت في الإقدام عليها حدود كثيرة
 غيرها ، لأن السكران في الأكثر يقدم على استحلال الفروج ،
 واستهلاك النفوس ، وسب الأعراض ، وقذف المخضفات ، فيجتمع
 عليه حدّ السكر ، وحدّ القتل ، وحدّ الزنا ، وحدّ القذف ؛ ولذلك
 قال أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد سأله عمر بن الخطاب عن حدّ

(١) الدرن : الوسخ ، والطبع : الوسخ الشديد من تأثير الصدأ .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ واستعارة تبعية ، فالتشبيه في قوله : كان الذنب نكته
 سوداء ، أي مثل النكته ، وحذف وجه الشبه والأداة . والاستعارة التبعية في
 قوله : صقل قلبه ، حيث شبه ذهاب النكته وانعدام أثرها ، وعودة القلب إلى
 ما كان عليه بالصقل ، بجامع الملاسة وعدم الأثر في كل ، واشتق من الصقل بمعنى
 عدم الأثر ، صقل بمعنى ذهب أثر الذنب منه ، على طريق الاستعارة التبعية .

السكران ، فقال : أقم عليه حدّ المفترى ، لأن الشارب إذا سكر لَغَا^(١) . وإذا لَغَا افترى^(٢) .

٣٢٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في أطفال المسلمين : « مُمَّ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ » وهذه استعارة ، والدُّعْمُوص : دويبة صغيرة تكون في مياه العيون . يقال : إنها ضفدع ، فكأنه عليه الصلاة والسلام شبههم للعبهم في أنهار الجنة ومياهاها بالدعاميص التي تعوم في قرارات الغدران وجمامها^(٣) .

٣٢٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِذَا أُضِيعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرُوا السَّاعَةَ . قيل : وما إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إِذَا تَوَسَّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ » وفي رواية أخرى : « إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ » ، وهذه استعارة ، والمراد إذا استند الأمر إلى غير أهله ، فأقام الوساد ها هنا مقام السناد ، لأن المتوسد للشيء

(١) اللغو : سقط الكلام والفحش .

(٢) كذب وتكلم بالباطل في حق الناس .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز مرسل علاقته المسببية ؛ حيث استعمل لفظ الحدود في الخمر والحدود مسببة عنها .

(٣) جمام : جمع جمّة ، وهي مجتمع الماء .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه أطفال المسلمين بالدعاميص ، بجماع اللعب والعوم في الماء في كل وحذف وجه الشبه والأداة .

مستند إليه ومعتمد ، وإنما جعل عليه الصلاة والسلام الأمر مستنداً لهم ، لأنهم القائمون بأحكامه ، والمقيمون لأعلامه ، فهم له كالمُساك والسفاد ، والدعائم والعماد ، ويكون المراد بقوله عليه الصلاة والسلام على الرواية الأخرى : « إِذَا وُسِّدَ ^(١) الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ » على فعل مالم يسم فاعله ^(٢) .

٣٢٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « خَسَّ لَيْسَ لَهْنٌ كَفَّارَةٌ : الشَّرُّكَ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَقَتْلُ نَفْسٍ بِغَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ بَهْتٌ ^(٣) مُؤْمِنٍ ، أَوْ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّخْفِ ، أَوْ يَمِينٌ صَابِرَةٌ ^(٤) يَقْتَطَعُ بِهَا مَالٌ بِغَيْرِ حَقٍّ » وهذا مجاز ، والمراد أو يمين مصبورة : أى مكرهة على الكذب من قولهم : فلان مصبور على

(١) وسد : بالبناء للمجهول ، أى إذا أسند الأمر إلى غير أهله .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ؛ حيث شبه قيام الحكم بالأحكام وتنفيذها بالتوسد مجامع الاعتماد فى كل ، لأن التوسد هو الذى يضم رأسه على الوسادة (الخدة) فهو يعتمد عليها فى وضع رأسه ، والأمور تعتمد على الحكم فى تنفيذها ، واشتق من التوسد بمعنى الاعتماد ، توسد بمعنى اعتمد ؛ على طريق الاستعارة التبعية ؛ ومثل ذلك وسد فى الرواية الأخرى التى وردت بالبناء للمجهول .

(٣) بهت المؤمن : اختلاق الكلام عليه وهو لم يقله . يقال بهته كنهه ؛ بهتاً وبهتاً وبهتاناً : قال عليه ما لم يفعل .

(٤) اليمين الصابرة : بمعنى المصبورة ؛ ومعنى الصابرة الحابسة ، والمصبورة المحبوسة ؛ وليس الحبس هنا مراداً وإنما المراد اللزوم . فالمنى اليمين اللازمة التى يلزم بها الشخص حتى إذا حلف قضى له بما حلف عليه ؛ وإنما سميت مصبورة لأنها ألزمت للحالف ؛ أى ألزم بها فهى ملزمة بصيغة اسم المفعول .

السيف : أى محبوس على القتل مع إكراه عليه واضطرار إليه . ومن ذلك الخبر المروى أنه عليه الصلاة والسلام نهى عن صَبْر البهائم ، وصَبْرها حبسها ، وترك تغذيتها إلى أن تموت مكرهة على تلك الحال المكروهة ، ومن ذلك قولهم : قَتَلَ فُلَانٌ صَبْرًا ، فكأنه عليه الصلاة والسلام جعل تلك اليمين الكاذبة لبعدها عن الصدق ومخالفتها جهة الحق بمنزلة المكروهة على ركوب تلك المحجة الضلّعاء^(١) ، والوقوف عند تلك السوء السوءاء^(٢) ، فهى كالمصبورة على السيف ، والمحمولة على الخسف ؛ ومما يقوى ما قلنا رواية عمرّان بن حصّين الخُزَاعِيّ لهذا الخبر قال : قال صلى الله عليه وآله : « من حلف بيمين كاذبة مصبورة فليتبوأ مقعده من النار » ، فقد صرح عليه الصلاة والسلام فى هذه الرواية بأن اليمين الصابرة فى الرواية الأولى بمعنى المصبورة^(٣) .

(١) المحجة : الطريق ، والضلعاء : المعوجة لأن الضلع هو الاعوجاج خلقة .
 (٢) السوءاء : الشديدة السوء لأن فعلاء أنى أفعل (أسوأ) وهو الأكثر سوءاً .

(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث مجاز مرسل على مجاز عقلى ، أى أن الكلمة فيها مجازان ، وبيان ذلك أن المراد باليمين الصابرة . المصبورة ، فهنا مجاز مرسل علاقته الاشتقاق ، حيث استعمل اسم الفاعل فى اسم المفعول ، والعلة المبالغة كما سيأتى بيانه ، والمجاز العقلى فى إسناده الصابرة بمعنى المصبورة إلى ضمير اليمين والمصبور صاحبها لأنه هو المجبر والملزّم بالحلف فأُسند اسم المفعول إلى غير من هو له وهو الخالف فهو السبب ، وبيان المبالغة أن اليمين لما كانت مصبورة اعتبرت صابرة كأنها هى التى أجبرت صاحبها على الذنب لأنها سببه ، ويجوز أن يقال فى علاقة المجاز المرسل السببية .

٣٣٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِذَا دَخَلَ الْبَصْرُ فَلَا إِذْنَ » . وهذه استعارة ، والمراد أن من استأذن على بيت فولج^(١) فيه بصره قبل أن يلج فيه بدنه ، فقد بطل إذنه ، لأن الإذن إنما يكون من قبل أن يقع البصر على ما يشتمل عليه البيت ، فأما إذا كان ذلك فكأن المستأذن قد وصل قبل أن يؤذن له في الوصول ، ودخل قبل أن يؤمر بالدخول ، ويقوى ما قلناه من ذلك الخبر الآخر ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « من اطلع من صير باب فقد دمر » ، ومعنى دمر : دخل ، والداير : الداخل ، والصير هاهنا : الشق أو الفرجة تكون بين البابين . ذكر ذلك أبو عبيد في غريب الحديث . وموضع الجاز من هذا الكلام تصديره عليه الصلاة والسلام للبصر بمنزلة الداخل على القوم ، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام رؤيته لهم ، ونفوذته إلى ما وراء بابهم^(٢) .

٣٣٧ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْجَرَسُ مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ » وهذه استعارة ، وذلك أنه لما كان كل صوت مكروه ينسب إلى الشيطان ، كضروب الغناء ، وعويل النساء ،

(١) دخل فيه بصره : أي وصل النظر إلى داخل البيت .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه وصول النظر إلى داخل البيت بالدخول بجامع الوصول في كل ، واشتق من الدخول بمعنى الوصول ، دخل بمعنى وصل ، على طريق الاستعارة التبعية .

وكان صوت الجرس من الأصوات المكروهة بدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الخبر الآخر : « لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةَ رُقَّةٌ فِيهَا جَرَسٌ » حَسُنَ أَنْ يَضَافَ صَوْتُهُ إِلَى الشَّيْطَانِ عَلَى طَرِيقِ الْجَزَازِ وَالْإِنْسَاعِ ^(١) .

٣٢٨ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَنْفُضُوا شَيْطَانَهُ ^(٢) كَمَا يَنْفُضُ أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ » وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَضَعُ قِيَادَهُ عَلَى الشَّيْطَانِ فَلَا يَصْنَعُ إِلَى وَسْوَاسِهِ ، وَلَا يَحْمِلُ لِهَوَاجِسِهِ سَبِيلًا إِلَيْهِ ، أَعْتَصَامًا مِنْهُ بِدِينِهِ ، وَاسْتِغْلَامًا ^(٣) عَلَيْهِ فِي جَنَّةٍ ^(٤) يَقِينُهُ ، فَشَيْطَانُهُ أَبَدًا مَكْدُودٌ ^(٥) مَعَهُ لَطُولُ مَنَازَعَتِهِ الْقِيَادَ وَمِفَالَتَهُ ^(٦) الزَّمَامَ ، فَشَبَّهَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِإِتْعَابِهِ الشَّيْطَانَ فِي الْإِحْتِجَازِ عَنْ إِضْلَالِهِ ، وَالْإِمْتِنَاعِ مِنْ أَتْبَاعِهِ

(١) مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ تَشْبِيهِهُ بِلُغٍ ؛ حَيْثُ شَبَّهَ الْجَرَسَ بِزَمَارِ الشَّيْطَانِ ؛ بِجَاهِمِ الْغَفْرِ مِنَ الْمَشَبِّهِ وَالْمَشَبَّهِ بِهِ ، وَحَذَفَ وَجْهَ الشَّبْهِ وَالْأَدَاةَ .

(٢) يَنْفُضُ شَيْطَانَهُ : أَيْ يَسْبِبُ لَهُ الْهَزَالَ مِنْ كَثْرَةِ إِجْهَادِهِ فِي السَّرِّخْلَفَةِ لِإِغْوَاةِ ثُمَّ لَا يَحْصُلُ الشَّيْطَانُ عَلَى طَائِلٍ ؛ كَمَا يَنْفُضُ الرَّجُلُ بَعِيرَهُ أَيْ يَسْبِبُ لَهُ الْهَزَالَ مِنْ كَثْرَةِ السَّرِّ وَالْإِجْهَادِ فِي السَّفَرِ .

(٣) اسْتِغْلَامًا عَلَيْهِ : أَيْ اعْتَصَامًا وَامْتِنَاعًا عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ قَوْلِهِمْ لِبَسِ لَأَمَةِ الْحَرْبِ : إِذَا وَقَى نَفْسَهُ بِهَا .

(٤) الْجَنَّةُ : السَّرُّ ، كَأَنَّ الْيَقِينَ شَيْءٌ حَسَى يَسْتَرِ الْمُؤْمِنَ عَنِ الشَّيْطَانِ وَيَغْتَنِيهِ دَاخِلُهُ .

(٥) مَكْدُودٌ : مَتَعَبٌ .

(٥) مِفَالَتُهُ : أَيْ كَلِمَا أَمْسَكَ الشَّيْطَانُ بِزَمَامِ الْمُؤْمِنِ لِتَقْوَدِهِ فِي غَوَايَاتِهِ ؛ يَشُدُّ الْمُؤْمِنُ زَمَامَهُ مِنْ يَدِ الشَّيْطَانِ وَيَفْلَتُهُ مِنْهُ .

لِنُفْضِي بِعِيرِهِ فِي السَّفَرِ ، إِذَا أَطَالَ شُقَّتُهُ ^(١) وَاسْتَفْرَغَ قُوَّتَهُ .
حَسَّ عَرِيكَتَهُ ^(٢) .

٣٢٩ — وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ :
لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الرَّجُلُ
كَاتِمًا مَالَهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ ، فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
السَّلَامُ : « حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ » اسْتِعَارَةٌ ، كَأَنَّهُ شَبَّهَ بِالمَاءِ
طَامِي ^(٣) الَّذِي يَفِيضُ مِنْ قَرَارَتِهِ ^(٤) ، وَيَسِيحُ مِنْ كَثْرَتِهِ . وَنَظِيرُ
ذَا الْخَبَرِ مَارَوْي مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي خَبَرٍ آخَرَ : « وَرُبَّ
تَخَوُّضٍ فِي مَالِ اللَّهِ وَرُسُولِهِ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ ، لَهُ الذَّارُ يَوْمَ
نِيَامَةٍ » كَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَعَلَ كَثْرَةَ الْمَالِ عِنْدَ هَذَا

(١) شُقَّتُهُ : مَسَافَتُهُ .

(٢) حَسَّ : قَطَمَ ، وَالْعَرِيكَةُ : السَّنَامُ ؛ وَمَعْنَى قَطَمَ السَّنَامَ وَهُوَ مَا يَتَفَضَّى مِنْهُ
بَعِيرٌ عِنْدَ عَدَمِ الْغَدَاءِ فَهُوَ كَلَاخْتِبَاطِي لَهُ : أَنَّ الْمُؤْمِنَ أَذْهَبَ قُوَّةَ الشَّيْطَانِ
اِخْتِبَاطِيَةً بَعْدَ أَنْ اسْتَفْرَغَ قُوَّتَهُ الْأَصْلِيَّةَ . وَكَانَتْ فِي الْأَصْلِ وَحَسَنَ عَرِيكَتِهِ ؛
سَكَنَ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَوَّلَى .

مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْبَلَاغَةِ :

فِي الْحَدِيثِ اسْتِعَارَةٌ تَبْعِيَّةٌ : حَيْثُ شَبَّهَ لَاتِعَابَ الْمُؤْمِنِ لِلشَّيْطَانِ وَاسْتِعْصَاءَهُ عَلَى
وَأَمْنِهِ بِالْإِنْضَاءِ وَهُوَ الْإِهْزَالُ : بِجَمَاعِ الْإِتْعَابِ فِي كُلِّ ؛ وَاشْتَقَّ مِنَ الْإِنْضَاءِ بِمَعْنَى
هَزَالٍ : يَنْضَى بِمَعْنَى يَهْزُلُ ؛ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ التَّبْعِيَّةِ . وَفِيهِ تَشْبِيهُ مَرْسَلٌ ؛
ثُمَّ شَبَّهَ لَانْضَاءَ الشَّيْطَانِ بِانْضَاءِ الْبَعِيرِ وَذَكَرَ الْأَدَاةَ وَهِيَ الْكَافُ .

(٣) الطَّامِي : الْعَالِي الرَّتَقُ .

(٤) قَرَارَةُ الْمَاءِ : مَا اسْتَقَرَّ فِيهِ مِنْ نَهْرٍ أَوْ بَحْرٍ أَوْ نَحْوِهِمَا .

الإنسان بمنزلة الغمرة^(١) الطامية ، والجمّة^(٢) اللطافة ، وجعل إنفاقه منه وتقلّبه فيه ، بمنزلة الخوض في الجمام الغزار ، واللّجج^(٣) الغمّار .

٣٣٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الْمَسَاجِدَ أَوْتَادُ ، الْمَلَائِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ ، إِذَا غَابُوا افْتَقَدُواهُمْ »^(٤) ، وَإِنْ مَرَّ ضُوءٌ عَادُوهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ » وهذه استعارة ، كأن عليه الصلاة والسلام شبه المقيمين في المساجد ، والملازمين لها والمنقطعين إليها بالأوتاد المضروبة فيها ، وذلك من التمثيلات العجيبة الواقعة موقعها ، والمقرّطة غرضها^(٥) ، ويقال : فلان وتد المسجد وحمامة^(٦) المسجد : إذا طالت ملازمته له ، وانقطاعه إليه ، وتشبيه

- (١) الغمرة : الكثرة من الماء ؛ والطامية : العالية .
 (٢) الجمّة : معظم الماء . واللطافة : التي بلغت الحافة تمسّلت على الجوانب
 (٣) اللّجج : جم لغة ؛ وهي الماء المحتمم ، والغار : الكثيرة .
 ما في الحديث من البلاغة :
 في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه كثرة المال وعمومه بفيض النهر ونحوه بجمام الزيادة ؛ واشتق من الفيض بمعنى العموم ؛ فيفيض بمعنى يعم ؛ على طريق الاستعارة التبعية ؛ وفيه أيضاً استعارة بالكناية ؛ حيث شبه المال بالماء في زياده وفيضه ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه ؛ وهو فيفيض ؛ وإسناد الفعل إلى ضمير المال تخييل . وفي الحديث الآخر استعارة تبعية أخرى في « متخوض » حيث شابه المتفق في مال الله الكثير ، بالمتخوض في الماء .
 (٤) افتقدوهم : طلبوهم عند غيابهم .
 (٥) يقال قرطس السهم : أصاب الغرض ، أى من التمثيلات المصيبة غرضها
 (٦) حمامة المسجد : يشبه المقيم بالمسجد بحمامته ، لأن الحمام يأوى إلى المسكن ويقيم فيه اطمئناناً إلى أن أحداً لن يهيجه .

وتد في الملازمة أبلغ من تشبيهه بالحمامة ، لأن الحمامة تنقل وتزول ،
الوند مقيم لا يَرِيم^(١) .

٣٣١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث
ويل : « ورجل تصدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَخْفَاهَا لَا تَعْلَمُ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ
بِيَمِينِهِ » وهذا مجاز ، والمراد المبالغة في صفة بكتان نفقته ، وإخفاء
صدقته ، فإذا كانت شماله لا تعلم بما تنفقه يمينه ، وهي سرِّيجتها^(٢)
قسيمتها ، وجارتها ولصيقتها ، فأجدر ألا يعلم بذلك غيرها ممن
ط^(٣) داراً ، وبعد جواراً^(٤) .

٣٣٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكر
طاً عليه الصلاة والسلام ، وقوله لقومه : « لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ
وَأَوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ » . قال عليه الصلاة والسلام : « فَمَا
بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذِرْوَةِ قَوْمِهِ » وهذه استعارة ، والمراد
ما بعث الله بعده نبياً إلا في أعلى شرف قومه ، لئلا يُغْمَضَ حَسْبُهُ ،

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه المقيمين في المساجد ، الملازمين لها
لأوتاد ، بجامع الثبات وعدم الفارقة في كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .
(٣) سرِّيجتها : شقيقتها ، لأن السريجة هي القطعة من الثوب ، فلقطعتان
سرِّيجتان ، كل منهما سريجة الأخرى ، وقسيمتها توضيح لها .

(٣) شط : بعد .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث كناية ، حيث كنى بعدم علم شماله بما تنفقه يمينه عن شدة الإخفاء .

وَيُرْزَدَرِي مَنَصِبُهُ ، فيكون ذلك مُنفَرَاً عنه ، ومُوحِشاً منه . فشبه عليه الصلاة والسلام ذلك بذروة البعير وهي سَنَامُهُ ، أو ذروة الجبل وهي رأسه ، ويقولون : فلان في الفوارب ^(١) من قومه ، كما يقولون في أَلْدَرِي من قومه . فالغارب هاهنا كالذروة هناك . ويقولون أيضاً : هو في عُلْيَا قَهْر قومه ^(٢) ، وفي رواية : عليا قومه إذا أرادوا هذا المعنى ، وذلك في أشعارهم وكلامهم أكثر من أن يُستقصى ، وفي شعر بُرْوَي لأُمير المؤمنين علي عليه السلام :

كَانُوا الذُّوَابَةَ ^(٣) مِنْ فِهْرِ وَأَكْرَمَهَا

حَيْثُ الْأُلُوفُ الْفَرْعُ وَالْعَدَدُ ^(٤)

٢٣٣ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِكْلَ شَيْءٍ سَنَامٌ ، وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، وَمِنْهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ ، لَا تُقْرَأُ فِي بَيْتٍ فِيهِ الشَّيْطَانُ إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ ، وَهِيَ آيَةُ الْكَرْسِيِّ » ، وفي رواية أخرى : « الْبَقَرَةُ سَنَامُ الْقُرْآنِ وَذِرْوَتُهُ ، وَيَاسِينَ قَلْبُ الْقُرْآنِ » ، وفي هذا الكلام استعارات ثلاث :

(١) الغارب : هو الكاهل أو ما بين العنق والسنام ، والمراد في المكان المرموق العالي .

(٢) القصر : البناء العظيم ، وعلياه : الحجرة العليا فيه أو أعلاه .

(٣) الذُّوَابَةُ : الناصية أو منبتها ، والمراد في أعلى فِهْر ، وهي قبيلة من روفة .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه أشراف القوم بذروة البعير ، بمجامع العلو في كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

أولاهن قوله عليه الصلاة والسلام : « وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ »
والمراد أنها أعلى القرآن ، وأشرفه كما أن أعلى مافي البعير سنامه وذروته ،
والكلام في هذا المعنى كالكلام على الخبر المذكور أمام هذا الخبر ^(١) ،
لأن المراد بهما واحد . والاستعارة الثانية قوله عليه الصلاة والسلام :
« وَمِنْهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ » . والمراد أنها تتقدم القرآن
وتنضله ، كما أن السيد يتقدم على عشيرته ، ويفضل أهل طبقتها ،
والاستعارة الثالثة قوله عليه الصلاة والسلام : « يَاسِينَ قَلْبُ الْقُرْآنِ » .
والمراد أنها خالسته ولبابه ، كما أن قلب الشيء صميمه
ومُصَاصه ، ويقولون : فلان قلب بني فلان ، إذا كان في مقر صميمهم ،
وفي مُصَح ^(٢) أديمهم .

٣٣٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في كلام طويل :
« أَيُّهَا النَّاسُ : مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَذْتَابِعُوا فِي الْكَذِبِ ، كَمَا

(١) يريد الحديث السابق على هذا الحديث وفيه (في ذروة قومه) .

(٢) الأديم : الجلد ، والمصح : شيء تحشى به جلود الفصان حتى يصير الجلد
على هيئة الفصيل لتدر أمه ، والمراد أنه في داخل القوم محوط بهم كما يحيط الجلد
بما في داخله .

مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث ثلاثة تشبيهات بليغة . الأول : تشبيه سورة البقرة بالسنام في الرفعة ،
والثاني : تشبيه آية الكرسي بالسيدة ، في التكريم والتقديم والاحترام ،
والثالث : تشبيه سورة ياسين بقلب القرآن في عظم الفائدة ، وحذف وجه الشبه
والأداة في الجميع .

يَتَقَابِعُ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ » وهذا القول مجاز ، والمراد يتسارعون
إلى قول الكذب تهافتاً فيه ، ومنازعة إليه ، فيكونون كالفرار
المتساقط في النار ، لأنه يلوذ بها ويفزع إليها ، والتقابيع : التواقع في
الشيء المكروه ^(١) ، فلما كان الكذب كالمهواة ^(٢) والمزلة ، من
حيث أدى إلى المخزاة والمذلة ، حسن لذلك أن يجعل المتسرّع إليهما
كالواقع فيهما ، والمترتكس في قعرهما . وقد يجوز أيضاً أن يكون
المراد أن الكذب لما كان مُفضيًّا إلى دخول النار جعل المتسرّع
إليه كالتهافت في النار ، ويؤكد هذا الوجه تشبيهه المتقابيع في الكذب
بالفرار المتساقط في النار ، ولذلك نظائر قد تقدّم الكلام عليها في
هذا الكتاب ^(٣) .

(١) في القاموس : التتابع : ركوب الأمر على خلاف الناس ، والتهافت
والإسراع في الشر واللباقة ، وأجود المعاني المناسبة للتتابع هنا هو التهافت ،
لأن تتابع الفرار تهافته ، والتهافت : هو التساقط والتتابع ، ولا مانع أن يكون
الحديث : تتابعون بالباء بدل الياء ، أي يتلو بعضهم بعضاً ، ولكن المعنى الأول
أفضل .

(٢) المهواة : مكان الهوى والسقوط ، والمزلة : مكان الزلل والوقوع .

(٣) مافي الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه تهافت الناس في الكذب ووقوعهم فيه
بتهافت الفرار في النار ، بجامع الوصول إلى سبب الهلاك في كل ، واشتق من
التتابع تتابعوا بمعنى تهافتوا ، على طريق الاستعارة التبعية ، وفيه أيضاً استعارة
بالسكناء ، حيث شبه الناس بالفرار في إسراعهم في أسباب هلاكهم ، وحذف
الشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو التتابع ، وإسناد التتابع إلى ضمير
الناس تخيل .

٣٣٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد ذُكِرَ
فده رجالٌ من أصحابه يجتهدون في العبادة اجتهاداً شديداً ، فقال عليه
صلاة والسلام : « تِلْكَ ضَرَاوَةُ الْإِسْلَامِ وَشِرَّتُهُ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ
ضَرَاوَةٌ ^(١) وَشِرَّةٌ ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ قُتْرَةٌ ^(٢) ، فَمَنْ كَانَتْ قُتْرَتُهُ
عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَسَالِمٌ مَا هُوَ ، وَمَنْ كَانَتْ قُتْرَتُهُ إِلَى مَعَاصِي
اللَّهِ فَذَلِكَ الْهَالِكُ » ، فقوله عليه الصلاة والسلام : « تِلْكَ ضَرَاوَةُ
لِلْإِسْلَامِ وَشِرَّتُهُ » استعارة ، والمراد بذلك شِدَّةُ الْوَرَعِ وإفراطه
غُلُوُّهُ واشتطاطه ^(٣) ، تشبيهاً له بِالضَّرَاوَةِ عَلَى الشَّيْءِ الْمَأْكُولِ أَوْ
لِلْمَشْرُوبِ ، وهى شِدَّةُ الْاعْتِيَادِ لَهُ ، وَفَرَطُ الْمَنَازَعَةِ إِلَيْهِ . وذلك مأخوذ
من قولهم : سَبَعَ ضَارٍ ، إِذَا دَرَبَ بِأَكْلِ الْلَحْمِ فَكَثُرَ طَلَبُهُ لَهُ
وَالرُّتُوبَةُ ^(٤) عَلَيْهِ ، وَيَقُولُونَ : عَرِقَ ضَارٍ إِذَا قَارَ دَمُهُ فَلَمْ يَقِفْ ، وَتَوَاتَرَ
فَلَمْ يَنْقَطِعْ . وَقَالَ الْأَخْطَلُ يَصِفُ دَنَ الْحُمْرِ عِنْدَ بَزَلِهِ ^(٥) .

(١) الضراوة : الاعتقاد والقدرة ، والشرية : النشاط .

(٢) الفترة : بالقاف المثناة المضمومة والتاء والراء ، ناموس الصائد أى طريقته
فى الصيد أَوْ شَبَكَتُهُ أَوْ بَيْتُهُ أَوْ حَفِيرَتُهُ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا صَيْدُهُ ، وَفِي الطَّبَعَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ
عَلَى هَذِهِ الطَّبَعَةِ « فِتْرَةٌ » بِالْفَاءِ وَلَا مَعْنَى لَهَا هُنَا .

(٣) الاشتطاط : الإبعاد فى الشئ والزيادة فيه .

(٤) الرطوبة هنا : استدارة الحائم حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه ،
والمُرَادُ بِحُمَتِهِ عَنْهُ ، وَتَحْوِيْعُهُ وَدَوْرَانَهُ عَلَيْهِ .

(٥) يقال بزل دن الحمر : إذا نقبه ليخرج منه الحمر ، والمعنى عند نقبه لاستخراج

الحمر منه .

لَمَّا أَتَوْهَا بِمِصْبَاحٍ^(١) وَمِيزَانٍ لَهُمْ

سَارَتْ إِلَيْهِمْ سُورُ^(٢) الْأَبْجَلِ الضَّارِ

والأبجل : واحد الأباجل ، وهى العروق ، ومعنى سارت : أى طارت ونضحت^(٣) مأخوذ من سورة الشفاء وهى حركته وطموحه ، ومما فى هذا المعنى الخبر المروى عن بعض الصحابة : « اتقوا هذ المجازر^(٤) فإن لها ضراوة كضراوة^(٥) الخمر » ، فأراد أن ضرر الإدمان على أكل اللحم ، كضرر الإدمان على شرب الخمر ، إلا أن المستكثر من اللحم يؤثر ضرره فى بدنه ، والشارب للخمر يؤثر ضررها فى دينه^(٦) .

٣٣٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لَعَنَ اللَّهُ

(١) المصباح : السنان العريض ، والقدح : الكبير ، والمبزل : المصفاة . والمعنى لما أتوا الخمر بالسنان لثقب دنها وبالمصفاة لتصفية ما يسيل منها .

(٢) سارت إليهم : طارت وخرجت من الدن ، سُورُ الأبجل : فوران العرق الضارى الذى لا يكف عن خروج الدم منه .

(٣) نضحت بالضاد المعجمة : أى رشت وخرجت متدفقة .

(٤) المجازر : جمع مجزور ، وهو النعم التى تدفع فتو كل .

(٥) أى لها لإدمان واعتياد لإدمان الخمر .

(٦) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه اعتياد الطاعات والإفراط فى الميل إليها ، بضراوة المآكل والمشارب ، بجماع محاولة الوصول إليها مهما كان المانع ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

الَّذِينَ يُشَقِّقُونَ^(١) الْكَلَامَ تَشْقِيقَ الشَّعْرِ ، وهذا القول مجاز ، والمراد الذين يتصرّفون في الكلام فيدقّقون فيه ، ويتعمقون في معانيه . وشبه عليه الصلاة والسلام فعلهم ذلك بتشقيق الشعر ، لأن طاقات الشعر مستدّقة في نفوسها ، وإذا تعاطى الإنسان تشقيقها انتهت من الدقة إلى غاية لازيادة وراءها ، وهذا اللعن في الخبر إنما يتناول من بلغ في تدقيق الكلام إلى ذلك الحدّ لِيَشْتَبِهَ الباطل بالحق ، وَيَجُوزَ الْغَى بِالرَّشْدِ ، كما قلنا في تأويل قوله عليه الصلاة والسلام : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إِلَى وَأَبْغَدِكُمْ مِنِّي نَجَلِيسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ الْبَرِّ ثَارُونَ الْمُتَفِقِقُونَ^(٢) » .

٣٣٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : لِيَدْخُلَنَّ هَذَا الدِّينُ كُلُّ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، وهذا القول مجاز . والمراد انتشار الإسلام في الشرق والغرب ، واشتماله على البرّ والبحر ، فجعله عليه

(١) يشققون الكلام : يزبنونه ويحسنونه حتى يخرج أحسن مخرج ، فهو كاللّام المعسول ومذاقه مر ، وتشقيق الشعر : أى مثل تشقيق الشعر وتصنيفه وترجيئه وتلميعه ، يلبسون الحق بالباطل ، ويقدمون القبيح في ثوب المديح .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية وتشبيه بليغ ، الأول : حيث شبه تزين الكلام وتحسينه بتصنيفه وتقسيمه إلى أقسام تحسن في السمع بتشقيق الشعر ، واشتق من التشقيق بمعنى التزوين يشققون بمعنى يزبنون على طريق الاستعارة التبعية ، والثاني حيث شبه تشقيق الكلام بتشقيق الشعر في دقة التقسيم وحسن التزوين ، وحذف وجه الشبه والأداة .

الصلاة والسلام من هذا الوجه بمنزلة الداخل دخول الليل في الإطلال^(١) والإطباق ، وتجليل^(٢) البلاد والآفاق . ومن ذلك ما روى في حديث عن بعض الصحابة ، وهو قوله : « وَكَانَ ذَلِكَ حِينَ دَجَا^(٣) الإسلام » أى ألبس كل شيء ، ودخل على كل شيء حتى تشبهها بالليل في تغطية البلاد ، وشموله النجَاد^(٤) والوهاد . ومما يقوى هذا المعنى ما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لفاطمة عليها السلام وقد رأت قميصه مخروقا ، وبطنه خميصا ، فبكت عند ذلك ، فقال صلى الله عليه وآله : أَمَّا يُرْضِيكَ يَا فَاطِمَةُ أَلَّا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ^(٥) وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ عِزٌّ أَوْ ذُلٌّ^(٦) بِأَيْبِكَ .

(١) الإطلال : الإشراف ، يقال أطل عليه إذا أشرف عليه ، والإطباق : التغطية ، لأن طبق كل شيء غطاؤه ، ويقال : أطبق عليه بمعنى غطاه واستولى عليه .

(٢) التجليل : التغطية أيضاً ، يقال جلله بمعنى غطاه ، والمراد شمول الإسلام لكل شيء وإشرافه عليه .

(٣) دجا الإسلام : انتشر وعم كل شيء مأخوذ من قولهم : دجا الثوب : إذا سبغ وستر جميع البدن .

(٤) النجاد : المرتفعات ، والوهاد : المنخفضات .

(٥) المدر : قطع الطين اليابس ، واحده مدرة بوزن بقرة ، والمراد بيوت المدن التي تبنى بالطين والحجارة ، والوبر : صوف الإبل ونحوها . والمراد أن لا يبقى بيت على ظهر الأرض من البيوت بجميع أنواعها ، سواء كان في المدن حيث البيوت من الطين والحجارة ، أو في الصحراء ، حيث البيوت من الصوف ونحوه .

(٦) ومعنى دخله عز أو ذل : أن الإسلام سيعم جميع البيوت ، فليسلم منها يعتز به ، والكافر منها يذل به ، ومعنى بأبيك : أى بسبب أبيك ، لأنه الذى جاء بالإسلام .

٣٣٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل :

« أَلَا أَخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ ^(١) سَنَامِهِ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ » وهذه الألفاظ كلها مستعارة ، كأنه عليه الصلاة والسلام جعل الإسلام رأس دين الله المتقدم ، ورئيسه المعظم ، وجعل الصلاة عموده الذى به قوامه ^(٢) ، وعليه قيامه ، وجعل الجهاد ذِرْوَةَ سَنَامِهِ ، لأنه يعدد الرأس أعلى مشارفه ^(٣) ، وأرفع مراتبه ، وبه يشاد بناؤه ، ويقام لواؤه ، ويقمَع أعداؤه ^(٤) .

ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث كناية عن دخول الإسلام على كل شىء فى الدنيا ، كما يدخل الليل على كل شىء فى الدنيا ، أى من انقشاره فى جميع بقاع الأرض .

(١) ذروة السنام : أعلاه ، والسنام معروف وهو من الجبل ما يكون فوق ظهره ، ولكنه أريد به هنا مكارم الإسلام العالية ، وأعماله الشائخة .

(٢) قوام الشىء : قيمته وكنهه .

(٣) مشارف الشىء : أعاليه .

(٤) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث ثلاث استعارات تصريحية :

١ — حيث شبه الإسلام وهو النطق بالشهادة والإيمان بالله ورسوله ، برأس الإسلام فى الشرف والفائدة بحيث إذا ذهب الرأس ذهب الجسم .

٢ — وحيث شبه الصلاة بالعمود الذى يقام عليه البيت ، بجامع أن العمود أهم شىء فى البيت ، فإدام موجوداً فالبيت قائم .

٣ — وحيث شبه الجهاد بذروة سنام الإسلام ، بجامع أنه أعلى الطاعات وأفضل القربات ليس قبله ولا بعده عمل فى الإسلام يفضله ، واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه فى المواضع الثلاثة .

٣٣٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « حُجُّوا قَبْلَ
أَلَّا تَحُجُّوا قَبْلَ أَنْ يَمْنَعَ الْبَرُّ جَانِبَهُ » . وفي هذا القول مجاز .
والمراد حجوا قبل أن يَمْنَعَ سُلُوكَ الْبَرِّ القاطعون لسبيله ، والعائثون
في طريقه ، والحائلون بين الناس وبين دخوله . فلما جعل عليه الصلاة
والسلام البر ممنوعاً بمن أثمرنا إلى ذكره ، حَسُنَ على طريق المجاز
أن يجعله كالمانع لجانبه ^(١) ، والخوف لساكنه ، لأن المحجوب كرهاً
كالمتجنب ، والممنوع قسراً كالمتنعم ^(٢) .

٣٤٠ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْحُمَى
كَبِيرٌ ^(٣) جَهَنَّمُ » وهذا القول مجاز . والمراد المبالغة في وصف حرارة
الحُمى واتقادها ، وشدة أوارها ، فشبهها عليه الصلاة والسلام : بِكَبِيرٍ
يَسْتَمِدُّ من نار جهنم ، وهى أعظم النيران وقوداً ، وأبعدها خُوداً .

(١) يقال منع جانبه : إذا اشتدت قوته ، ومنع الناس من تحيف أطرافه
والوصول إلى مكانه .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه قطع الطريق وعدم إمكان السير فيه ،
بمنع جانبه كما سبق بيانه ، بجماع عدم الوصول إليه وعدم إمكان السير فيه ،
واشتق من منع الجانب بمعنى تعذر السير ، يمنع بمعنى يتعذر السير فيه ، على طريق
الاستعارة التبعية . وفيه أيضاً استعارة مكنية ، حيث شبه البر بالإنسان الذى يمنع
جانبه ويحميه من مس أحدله ، وحذفه ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو الجانب
وإسناد المنع إلى البر تخيل .

(٣) الكبير : متفاخ الحداد ، ومعنى أن الحمى كبر جهنم : أنها كالكبر الذى
يقوى النار ، غير أن هذا الكبير يلفح لفتحاً شديداً كأنه لفتح جهنم ، لأن كبر جهنم
فيها ، والهواء الذى يخرج منه حار حرارة جهنم .

وقال المفسرون في قوله تعالى وهو يريد نار الدنيا : « نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ » قالوا تذكرة يستذكر بها الناس نار الآخرة ، فيكون ذلك أزر لهم عن المعاصي ، وأصرف عن المضال والمغاوى ، لأن نار الدنيا إذا كانت على ما هي عليه من قوة الإحراق وشدة الإرماض^(١) والإقلاق^(٢) ، وهي مع ذلك دون نار الآخرة في الطبقة ، وجزء من أجزائها في الإيلام والنكابة ، فإظنا بتلك النار إذا باشرت الأجسام ، وخالطت اللحوم والعظام ، نعوذ بالله منها ، ونسأله التوفيق لما باعد عنها . وقيل في المقوين قولان . أحدهما : أن يكونوا المزمعين من الزاد ، والفاقرين للطعام ، يقال : أقوى فلان من زاده إذا لم يبق عنده شيء منه ، وذلك مأخوذ من الأرض القواء التي لا شيء فيها ، فكأنه صار كهذه الأرض في الخلو من البلغ التي يُدْبَلِّغُ بها ، والمَسْك التي يترمقها^(٣) ، والقول الآخر أن يكون المقوون هاهنا السائرين في القوى ، وهي الأرض التي قدّمنا ذكرها ، والفار للمسافر أرفق^(٤) منها للحاضر .

-
- (١) الإرماض : الإيقاع في الحرارة ، أى شدة إشعار الشخص بالحرارة .
 (٢) الإقلاق : الإزعاج .
 (٣) يقال ترمق اللبن : إذا شربه قليلا قليلا ، والمسك جمع مسكة وهي ما يعسك الرمق الذي هو بقية الحياة . والمعنى أن القوى الذى لا يجدد إلا القليل من الطعام والزاد ، يترمقه : أى يأخذه قليلا قليلا كلما وجده .
 (٤) الرقيق بكسر الراء وسكون الفاء : ما استعين به ، ومعنى أرفق للمسافر أى أكثر عوناً له .
 ما في الحديث من البلاغة : في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الحمى فيما تجلبه =

٣٤١ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : في دعاء
به لميت : « اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانًا فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلٍ جِوَارِكَ
فَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ » . فقوله عليه الصلاة والسلام
« وحبل جوارك » استعارة . والمراد أنه آجىء ^(١) إلى ظلك ، ومضط
إلى فضلك . فأخرج قوله « في ذمتك ، وحبل جوارك » على عاد
كلام العرب ، لأنهم يقولون : قد عقد فلان لفلان حَبْلًا ، وأخ
فلان من فلان حَبْلًا : إذا أعطاه ذمامًا ، أو عقد له جواراً ، وق
سموا العمود : حبالاً على هذا المعنى ، وفي التنزيل : « إِلَّا بِحَبْلٍ
مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ » : أى بعهد من الله وعهد من الناس
والأصل في ذلك أن يشبهوا ما يعقد من الذمام ^(٢) بما يعقد من
الحبال ، لأنها تقرَّب بين البعيدين ، وتجمع بين القريبين ، وتصل
الآيات بالآيات ، وتربط الأطناب ^(٣) بالأطناب ^(٤) .

== من الحرارة بكسر من جهنم ينفخ حرها ، مبالغة في شدة حرارة الحمى ، وحذف
وجه الشبه والأداة .

(١) لجىء : اسم فاعل من لجىء بوزن فرح ، فهو على وزن فعل بفتح الفاء
وكسر العين ، بمعنى لائذ .

(٢) الذمام : جم ذمة ، وهى العهد .

(٣) الأطناب : جم طناب بوزن فرس ، وهو الحبل الذى يشد به البيت من
جلده ونحوه .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الميت الذى أصبح في رحمة الله بالشخص

٣٤٢ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه وقد
 كر وقوع الفتن : « ثُمَّ تَمُودُونَ فِيهَا أَسَاوِدَ ^(١) صَبًّا يَضْرِبُ
 فَضْكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » ، وهذا القول مجاز . وأراد عليه الصلاة
 والسلام أنكم تكونون في هذه الفتنة كالحيات التي تَنْصَبُ على
 فاهِشِها ، وتسرع إلى مُلابِسها ، غير متذممة ^(٢) من مُحَرَّم ، ولا
 تورعة عن مُعَظَم ^(٣) .

٣٤٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كُتِّمُكُمْ
 ذَخْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا مَنْ شَرَدَ ^(٤) عَلَى اللَّهِ شِرَادَ الْبَعِيرِ » . فقوله
 عليه الصلاة والسلام « إلا من شرد على الله » مجاز ، وللراد إلا من
 ند ^(٥) عن أمر الله سبحانه وتعالى ، وبعد عن رضاه وطاعته ، وذهب
 عن غير جهة مشيئته وإرادته ، فكان كالبعير الشارد الذي ند عن

= المعاهد غيره ، والذي أصبح في عهده ، لأن الزمة من العهد ، أى في حمايتك ،
 يشبه أيضاً بمن في جبل جواره ، لأن عادة العرب أن يجيروا المستجير فكان الميث
 استجار بالله فأجاره فأصبح في ضمائه لأنه أصبح مقطوع العمل ، عديم النصر .
 وحذف وجه القبة والأداة .

(١) الأساود : جمع أسود ، وهو الحية العظيمة ، والصب والصبية : ما صب
 من طعام وغيره . والمعنى ينصب بفضكم على بعض كما تنصب الأساود على غريمها .
 (٢) غير متذمة : غير مستنكفة ولا مبالية .
 (٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ؛ حيث شبه الناس بالحيات المقاتلة ، بجامع عدم التخرج
 المبالاة بإراقة الدماء وقطع جبال المودة . وحذف وجه الشبه والأداة .

(٤) شرد : نفر ، وعدى بعلى لتضمينه معنى خرج .

(٥) عند : مال ، أى إلا من مال عن أمر الله وبعد عنه .

صاحبه ، وبعد عن معاطله ^(١) .

٣٤٤ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لأسماء بنت
أبي بكر : « أَنْفَعِي ^(٢) وَأَنْضَحِي ^(٣) ، وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللَّهُ
عَلَيْكَ » وقوله عليه الصلاة والسلام « أَنْفَعِي وَأَنْضَحِي » استعارة
والمراد أنفقي مالك في سبيل الله ، وأبذليه في طاعة الله ، وأصيبي
مواضعه بإسراع وبِدَارٍ ^(٤) كما تنفخ الريح هبوبها ^(٥) ، وتنفض
السحابة شؤبوبها ^(٦) . والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام هاهنا
« وَلَا تُوعِي ^(٧) فَيُوعِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ » ، أى لا تمسكى فيمسك الله

(١) المعاطن : جمع معطن ؛ وهى مبارك الإبل ومناماتها . والمراد مأواها .
ما فى الحديث من البلاغة :
فى الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه مخالفة أمر الله بتمراد البعير ، بجامع المخالفة
والبعد فى كل ، واشتق من التمراد ، شرد بمعنى خالف ، على طريق الاستعارة التبعية
(٢) أنفعى : أعطى الناس من مالك ، وأصل النفخ : لإخراج اللبن من غير حلب
حلب ، مأخوذ من قولهم : ناقة نفوخ ، وهى التى تخرج لبنها من غير حلب .
(٣) أنضحى : أنفقى مالك ، وأصل النضح سقى النخل ونضحت السحابة
الأرض : رشتها بالماء ، والمعنى أعطى الناس من مالك ما ينفعهم ، كما ينفع الماء
النخل .

(٤) البدار : مصدر بادر ، أى أسرع .

(٥) يقال نفخت الريح : إذا هبت .

(٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، أى كما تنفض السحابة مطرها وماءها .

(٧) لا توعى : أى لا تقتزى فى النفقة ، وأصل أوعى : حفظ الشيء فى الوعاء

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لأسماء رضى الله عنها : لا تضعى مالك
فى الوعاء وتظقيه عليه فلا تنفق منه ، فيعاقبك الله بأن يوعى عليك : أى يقر عليك
فى الرزق .

عليك ، لأن من أوعى شيئاً وحفظه ، فقد أمسكه ومنعه ^(١) .

٣٤٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ قُرَيْشًا أَهْلُ صِدْقٍ وَأَمَانَةٍ ، فَمَنْ بَغَاهُمْ ^(٢) الْعَوَائِرَ كَبَّهَ ^(٣) اللَّهُ لَوَجْهِهِ » وهذا القول مجاز ، والمراد من بغاهم المعثرات ، وهى الأمور التى تعثرهم ، وتَضَع ^(٤) شرفهم . فقال عليه الصلاة والسلام « العوائير » لأنها وإن أعترتهم فكأنها عاثرة بهم ، أو واقعة عليهم ، ومنه قولهم : عَثَرَ الدهرُ بآل فلان : إذا نقص أعدادهم ، وغير أحوالهم ،

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث أربع استعارات تبعية :

أ - حيث شبه لإتفاق المال بدون طلب بالنفع وهو بإخراج النافعة لبنها من غير جلب ، واشتق من النفع انفجى بمعنى أنفق ، على سبيل الاستعارة التبعية .

ب - وحيث شبه لإتفاق المال بالنضح وهو سقى النخل بالماء أو رش السحابة الأرض بماء المطر ، بجامع التفع فى كل ، واشتق من النضح بمعنى الإتفاق ، انضحى بمعنى أنفق على سبيل الاستعارة التبعية .

ج - وحيث شبه الإمساك عن الإتفاق بالإيلاء وهو حفظ الشيء فى الوعاء ، بجامع الحبس فى كل ، واشتق من الإيلاء بمعنى الإمساك نوعى بمعنى تمسكى على سبيل الاستعارة التبعية .

د - وحيث شبه لإمساك الله عن إعطاء المسك بالإيلاء أيضاً ، واشتق من الإيلاء بمعنى الإمساك ، يوعى بمعنى يمسك أو يقرر على سبيل الاستعارة التبعية .

(٢) بغاهم : أى طلب لهم ، العوائير جمع عائرة بمعنى ممعة ، والعائرة الكاية ، أى التى تعلق قدمها بشئ فكبت على وجهها ، والمراد بالمعثرات ، أى المكيات التى تسبب الكبوة ، وقد بين الشريف سبب التعبير بالعوائير بدل المعثرات .

(٣) كبه الله على وجهه : ألقاه على وجهه فى النار .

(٤) نضم شرفهم : تحطه وتنقص قيمته .

وبلغ المبالغ منهم ، وساءت آثاره فيهم ^(١) .

٣٤٦ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « المسلمان إذا حمل كل واحد منهما على صاحبه السلاح فهما على جرف جهنم ^(٢) ، فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاهما جميعاً » ، وهذا للقول مجاز . والمراد بذلك المسلمان اللذان يتقاتلان في غير طاعة الله سبحانه ، فهما بنفس القتال وتظاهرها بحمل السلاح عاصيان الله سبحانه مستحقان لعقابه مقدمان على شقائه . فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلا جميعاً النار إلا أن المقتول يستحقها بتعرضه للقتال المحظور عليه ، والقاتل يستحقها بمثل ذلك ، ويتفرد بعقاب القتل الذي وقع منه ، فيكون أشدهما نكالاً ، وأعظمهما وبالاً . وموضع المجاز ، قوله عليه الصلاة والسلام « فهما على جرف جهنم » والمراد أنهما على طريق استحقاق نار جهنم ، بإقدامهما على الفعل المحظور ، والأمر المكروه ، فشبه عليه الصلاة والسلام كونهما قريبين من استحقاق

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، وتبعية :

١ — الأولى حيث شبه ما يجلب الضرر والخط من القدر بالعواثر ، بجماع حدوث المكروه من كل ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه .

٢ — وحيث شبه مجازاة الله لمن بغى العواثر بقريش وعقابه بكبه لوجهه ، بجماع فعل ما يسوء في كل ، واشتق من الكب بمعنى العقاب ، كبه بمعنى عاقبه ، على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) الجرف بضم الراء وسكونها : ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض ، والمعنى : فهما على مكان تكاد تجرفه جهنم وتعمه ، أو تدخله فيها .

دخول النار بمن أشرف على جرُفها^(١) ، وقام على حرفها ، في شدة القرب منها ، والإشفاء^(٢) على الوقوع فيها . ومثل ذلك قوله تعالى : « وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا^(٣) حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا » . وقد تلخصنا الكلام على ذلك في كتاب مجازات القرآن^(٤) .

٣٤٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد رأى بعيراً في بعض حيطان^(٥) المدينة فحنّ إليه كالشاكى ، فقال عليه الصلاة والسلام لصاحبه : « إِنَّ بَعِيرَكَ يَشْكُوكَ وَيَزْعُمُ أَنَّكَ أَكَلْتَ شَبَابَهُ حَتَّى إِذَا كَبِرَ تُرِيدُ أَنْ تَنْحَرَهُ » ، وهذا القول مجاز ، والمراد بقوله عليه الصلاة والسلام « أَكَلْتَ شَبَابَهُ » استعماله في حال شبابه وقوته ، وأجمعت نحرة في حال ضعفه وكبره ، فجعل استعماله طول أيام شبابه كالأكل لشبابه ، لأنه استنفاد له وذهاب به^(٦)

(١) أى على المكان المعرض لجرف جهنم له كما سبق بيانه .

(٢) الإشفاء : الإشراف .

(٣) شفا حفرة : حرف حفرة معرض للوقوع فيها .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه المسلمان اللذان يحمل كل منهما السلاح على صاحبه بالشخصين الواقفين على قطعة من الأرض تسكاد النار تجرفها وتلتهمهما ، بجامع التعرض للخطر الدائم في كل ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٥) الحائط هنا : البستان وجمعه حيطان وحياط .

(٦) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه استعمال البعير في شبابه وإبان قوته بأكل شبابه ، بجامع الإنفاء في كل ، واشتق من الأكل بمعنى الاستعمال طول مدة الشباب أكل بمعنى استعمال ، على طريق الاستعارة التبعية .

٣٤٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : في حديث طويل نهى فيه عن الذبح بالسِّنِّ والظُّفْرِ : « أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ ^(١) ، وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمُدَى الْحَبْشَةِ » ^(٢) ، وهذه استعارة ، والمدى السكاكين ، فكأنه عليه الصلاة والسلام قال : والأظفار سكاكين الحبشة لأنهم يذبحون بحدّها ويقيمونها مقامَ المدى في التذكية بها ، والظفر هاهنا اسم للجنس كالدينار والدرهم في قولهم : أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارُ والدرهم : أى الدينار والدراهم . ولذلك صح أن يقول : مُدَى الحبشة ، والمدى جمع لأن الواحدة مُدِيَّة ^(٣) .

٣٤٩ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً » . وهذا القول مجاز ، لأن السلامة على الحقيقة ليست بداء في نفسها ، وإنما المراد أنها تُفْضِي إلى الأدواء القاتلة ، والأعراض المهلكة ، لأن طولها يؤدى إلى موت الشهوات وانقطاع الذات ، وحوانى ^(٤) الهرم ، وعَوَادِي السَّقَم . فحسن من هذا الوجه أن

(١) أى والعظم لا يحمل الذبح به لأنه بعض الحيوان .

(٢) أى ومدى الحبشة لا يحمل الذبح بها عند المسلمين ، للنهي عنها وعن السن في الذبح بقوله صلى الله عليه وسلم « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر » وذلك لصفة الوحشية والشراسة في الذبح بالسِّنِّ والظفر ، والإسلام يحب المسلم مهذباً أليفاً لا يظهر في صورة الوحش المفترس .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الأظفار بالمدى بجامع الذبح بها في كل وحذف وجه الشبه والأداة .

(٤) حوانى الهرم : اعوجاجاته وتغيراته .

تسمى داء ، إذ كانت مُوقعة فيه ، ومؤدية إليه . وقد أكرت الشعراء
نظم هذا المعنى في أشعارهم ، إلا أن كلمة النبي عليه الصلاة والسلام
أبهى من جميع ما قلوه مطلقاً ، وأبعد منزِعاً ، وأوجز في تمام ،
وأكثر مع قلة كلام . فما جاء في هذا المعنى قول خُميد بن ثور :

أَرَى بَصَرِي قَدَرَا بَنِي ^(١) بَعْدَ صِحَّةٍ
وَحَسْبُكَ دَاءُ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

وقول لبيد بن ربيعة :

وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِداً لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ
وقول النمر بن تَوَلَب :

يَوَدُّ النَّفْسُ طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْغِنَى
فَكَيْفَ يَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ

وإني لأستحسن كثيراً الأبيات التي من جملتها هذا البيت ،

وهي قوله :

تَغْيِيرَ مَنِّي كُلِّ شَيْءٍ وَرَأْبِي مَعَ الدَّهْرِ أَبْدَا إِلَى الَّتِي أَتَبَدَّلُ ^(٢)

(١) رابن : أعيانى .

(٢) الأبدال : جمع بدل ، وهو وجع المفاصل ، والمراد الوجع عموماً ، كأنه
يعول وأوجاعي التي أتوجع منها ، أو المراد وأحوالي المبدلة المتغيرة من قوة إلى
ضعف ، ومن حسن إلى سيء .

فَضُولٌ أَرَاهَا فِي أُدِيمِي بَعْدَمَا

يَكُونُ كِفَافَ الْجِسْمِ أَوْ هـ - أَجْمَلُ^(١)

كَانَ مِحْطًا فِي بَدَنِ حَارِثِيَّةٍ صَنَاعٍ عَلَتْ مَنِي بِهِ الْجِلْدُ مِنْ عِلٍّ^(٢)

يَرُدُّ الْفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالِ وَحْشَةٍ يَنْوُ^(٣) إِذَا رَامَ الْقِيَامَ وَيُحْمَلُ

تَدَارَكَ مَا قَبْلَ الشَّبَابِ وَبَعْدَهُ حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَمُرُّ وَأَغْفُلُ

يَوَدُّ الْفَتَى طَوْلَ السَّلَامَةِ وَالْفَتَى

فَكَيْفَ يَرَى طَوْلَ السَّلَامَةِ يَفْعَلُ^(٤)

٣٥٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد ذكر

صلاة العصر : « وَلَا صَلَاةَ بَمَدَّهَا حَتَّى يُرَى الشَّاهِدُ » ، وهذه

(١) فضول : زيادات جعم فضل ، وهو الزيادة ، والأديم : الجلد ، وكفاف الجسم : قدره لا تزيد عنه أو أزيد منه مع امتلاء ، وجمال : يشكو ما حدث له من ترهل في الجسم وذهاب اللحم ، وبقاء الجلد واسماً كالثوب الواسع على الشخص النحيل بعد ما كان جلده ملائماً لجسمه وممتلئاً باللحم .

(٢) المحط والمحطة : حديدة أو خشبة معروفة عند العرب يحط بها الجلد ، أي يصقل ويلين ، والحارثية : امرأة منسوبة إلى قبيلة الحارث بن كعب ، والصناع : الماهرة في عملها ، وعلت متى به الجلد : أي نزلت بالحط على جلدي بمهارة فألأته ، ولين الجلد عند العرب يدل على الضعف ، وشدة الجلد تدل على القوة .

(٣) ينوء : يتعب ولا يقدر على القيام .

(٤) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث مجاز مرسل علاقته السببية ، حيث استعمل الداء في سببه وهو السلامة ، لأن السلامة تسبب الداء .

استعارة والمراد ، بالشاهد هاهنا النجم ، والعرب يُسمُّون الكوكب شاهد الليل ، كأنه يشهد بإدبار النهار وإقبال الظلام . وكلُّ شيء يدل على شيء فهو يجري مجرى الشاهد به والخبر عنه ؛ إذ ليس كلُّ دالِّ بإنسان ، ولا كلُّ دليلٍ من جهة اللسان ^(١) .

٣٥١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى ^(٢) مِنَ الْبُخْلِ » ، وهذا القول مجاز ، لأن البخل على الحقيقة ليس بداء ، ولكنه لما كان عادة مكروهة ، وخليقة مذمومة ، أجرى مجرى الداء الذي يفسد الصحة ، ويفسد الجيلة ، إلا أنه داء يمكن الانتقال عن صحبته ، وتخلُّ النفس على مفارقتها ، لأنه لو لم يكن كذلك لما حسن الدم عليه والتعير به ، كما لا يحسن الدم على سائر الأمراض التي تغير الأحوال وتفسد الأجسام ، والبخل على الحقيقة هو منع الواجب ، وكلُّ مَنْ منع الواجب يوصف بالبخل ، ومن منع التفضل لا يوصف بذلك إلا على سبيل المجاز ، وكلُّ ما في القرآن من ذكر البخل ، فإنما يراد به منع الواجب ، كما أن كل ما فيه من

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تبعية ، حيث شبه طلوع النجم بالشهادة على انقضاء الليل ، بجامع الإثبات والدلالة في كل ، واشتق من الشهادة بمعنى الطلوع ، شاهد بمعنى طالع أو دال ، على طريق الاستعارة التبعية .

(٢) أدوى : أفلت تفضيل من دوى ، دوى بوزن فرح فرحاً بمعنى أصابه الداء ، أي وأي داء أشد دوى من البخل أي أشد دائية من البخل .

الأمر بالإِنفاق ، إنما يراد به إخراج المال فى الواجب . فأما تسمية العرب من لا يقرى النازل ولا يُعطى السائل بالبخل ، فلا تُهم اعتقدوا وجوب ذلك عليه ، فوصفوه بالبخل لامتناعه منه وأساميتهم تنبع اعتقاداتهم^(١) .

٣٥٢ --- ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : وقد سأله رجل من جُمُهينة متى يصلى العشاء الآخرة^(٢) فقال : « إِذَا مَلَأَ اللَّيْلُ بَطْنَ^(٣) كُلِّ وَادٍ » ، وهذا مجاز ، لأن الليل على الحقيقة لا يُملأُ به بطون الأودية ، كما تمتلئ بطون الأوعية ، وإنما المراد إذا شمل ظلُّ الليل البلاد ، وطبق النُّجاد والوهاد ، فصار كأنه سِدَادٌ لِكُلِّ شَعْبٍ وَصِهَامٌ لِكُلِّ نَقَبٍ^(٤) .

(١) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث تشبيه ضئى ؛ حيث شبه البخل بالداء بجامع لإفساد الطبيعة فى كل ، واستعمل لذلك الأسلوب الذى يدل على ثبوت وصف البخل بالداء وتخلقه فى باب الأمراض ، فاستفهم استفهاماً إنكارياً عن أى داء أشد من البخل فقال « وأى داء أدوى من البخل » أى لا داء أدوى من البخل .

(٢) العشاء الآخرة : هى صلاة العشاء ، وتسمى بالآخرة لأن المغرب تسمى عشاء أيضاً إلا أنها عشاء أولى .

(٣) بطن الوادى مسيله ومنجدره ، وإذا عم الليل المنجدرات فقد تم إظلامه وأسبغ ليلاله .

(٤) ما فى الحديث من البلاغة : فى الحديث استعارة تبعية ؛ حيث شبه عموم ظلام الليل للأودية بملء بطونها ، بجامع الحلول الشامل فى كل ، واشتق من الملاء بمعنى العموم ، ملأ بمعنى عم ، على طريق الاستعارة التبعية . وفيه أيضاً استعارة بالكناية ؛ حيث شبه الأودية بالحيوانات ، وحذفها ورمز ليلها بشئ من لوازمها وهو البطن ، ولذا يات البطن إلى الأودية تخييل .

٣٥٣ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد طلعت
 من أصابعه حرّة^(١) فوضع يده عليها وقال : « اللَّهُمَّ مُطْفِئُ الْكَبِيرِ
 مُكَبِّرِ الصَّغِيرِ أَطْفِئْهَا عَنِّي بِرَحْمَتِكَ » ، وهذه استعارة : كأنه
 عليه الصلاة والسلام أقام الشفاء المطلوب من الله سبحانه مقام الإطفاء
 ما ونضح الماء عليها . في أن ذلك يفنى وقودها ، ويسرع خوردها .
 وهذا من التشبيهات الصادقة ، والتمثيلات الواقعة . وروى أنه عليه
 الصلاة والسلام كان يَقْلَقُ الْقَلْقُ الشَّدِيدُ لما يظهر في جسمه من الداء
 ليسير ، ف قيل له : في ذلك ، فقال : إن الله إذا أراد أن يُعْظِمَ
 صَغِيرًا عَظَمَهُ^(٢) .

٣٥٤ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ قَعَدَ فِي
 مُصَلَّاهُ حِينَ يُصَلِّي الصُّبْحَ حَتَّى يَسِيحَ^(٣) الضُّحَا . في حديث
 طويل » ، وهذه استعارة كأنه عليه الصلاة والسلام جعل الضحا ،
 وهو شباب النهار وزيادته ، بمنزلة الماء السائح من الغدير : وفي السائح

(١) الحرّة : البثرة الصغيرة ، وهي مثل الدمل الصغير .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة بالكناية ؛ حيث شبه البثرة بالنار في ليلتها لما تمسه من
 الأجسام الحساسة ، وحذفها ورمز إليها بشيء من لوازمها وهو الإطفاء ، ولانبات
 الإطفاء إلى النار تخيل . وفيه استعارة تبعية ؛ حيث شبه شفاء البثرة وإزالتها
 بإطفاء النار ؛ بجامع لإزهاب الأثر وإبعاد الألم في كل ، واشتق من الإطفاء بمعنى
 الشفاء أطفئ بمعنى أشف على طريق الاستعارة التبعية .

(٣) يسبح الضحى : ينتشر وتعم شمس الآفاق .

تمثيل من وجهين : أحدهما أن بياض الضحى كبياض الماء ، والآخر أن انتشار النهار بضياؤه كأنسياح الفدير بمائه ، ومثل تسميتهم الشمس عند أول طلوعها بالغزاة ، وليس ذلك باسم لها في جميع الأحوال كما يظنه بعض الجهال ، وإنما هو اسم لها في هذا الوقت الخصوص ومن الشاهد على ذلك قول ذي الرمة :

وَأَشْرَفْتُ الْغَزَاةَ رَأْسَ حُزْوَى لَأَنْظُرَهُمْ وَمَا أَغْنَى قَبَالاً^(١)

كأنه قال : وأشرفت ذلك الموضع أول طلوع الشمس ، وأبين من هذا قول الآخر ، وأنشدناه شيخنا أبو الفتح النحوى رحمه الله قَالَتْ لَهُ وَارْتَفَعَتْ أَلَا فَتَى يَسُوقُ بِالْقَوْمِ غَزَالَاتِ الضُّحَى كأنها قالت يسوق بهم أوائل النهار ، وعند ابتداء الشمس في الانتشار ، وغزالات الضحى أول شروقها وإنضاضها^(٢) ، والضحى وقت إشراقها وارتفاعها^(٣) .

(١) الغزاة : الشمس أول طلوعها ، ورأس حزوى : موضع ، وقبالا : أى شيئاً ، يقول الشاعر أشرفت المكان المعروف برأس حزوى وقت طلوع الشمس وهى الغزاة لأرى أحببى ولكن لم تفد الرؤية شيئاً لأن ما بالنفس لا تشفيه نظراً ولا نظرات .

(٢) نض الشيء : ارتفع ، ومعنى انضاض الشمس : ارتفاعها قليلاً قليلاً والضحى : ارتفاعها أكثر من هذا .

(٣) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ؛ حيث شبه انتشار الضحى بسيلان الماء ، بجمام عموم الأمكنة فى كل ، واشتق من السبح بمعنى الانتشار ، يسبح بمعنى ينتشر ، على طريق الاستعارة التبعية .

٣٥٥ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ، وقد سمعته على أناسٍ وقوفٍ على ظهور دوابهم ورواحلهم ، يتنازعون الأحاديث ، فقال عليه الصلاة والسلام : « لَا تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيٍّ لِأَحَادِيثِكُمْ فِي الطَّرِيقِ وَالْأَسْوَاقِ ، فَرُبَّ مَرْكُوبٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهِ » ، وهذه استعارة كأنه عليه الصلاة والسلام شبه الدواب والرواحل في حالة إطالة الوقوف على ظهورها ، بالكراسي التي يجلس عليها ، لأنها تثبت في مواضعها ولا تزول إلا بمزبل لها ، فنهى عليه الصلاة والسلام أن يجعل الحيوان المتصرف بمنزلة الجواد الثابت ، والشئ الثابت (١) .

٣٥٦ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ جَذَعًا ، ثُمَّ ثَنِيًّا ، ثُمَّ رَبَاعِيًّا ، ثُمَّ سَدِيسًا ، ثُمَّ بَازِلًا (٢) ، وَمَا بَعْدَ الْبُزُولِ إِلَّا الْتُقْصَانُ » . وهذا الكلام كله مستعار ، والمراد

(١) الشئ الثابت : الذي نبت في الأرض ؛ ونباته في الأرض يدل على ثبوته فيها لأن جفنه مفروس فيها .
ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ؛ حيث شبه الدواب التي يجلس عليها أصحابها مدة طويلة يتحدثون بالكراسي ؛ بجامع الجلوس عليها ، وحذف وجه الشبه والأداة .

(٢) الجذع : الذي أجذع مقدم أسنانه ، أى أسقطها لينبت غير ، ويكون عمره خمس سنوات في هذه الحالة ، والتي : هو الذي نبت له نيتين من أسنانه وتكون منه حينئذ ست سنوات ، والرابعى : الذي نبت له أربعة أسنان ويكون عمره حينئذ سبعم سنوات والسديس وعمره ثمان سنوات ، والبازل : الذي تخرج أنيابه قوية ، ويكون عمره حينئذ تسع سنوات ، والبازل أقوى أنواع الجمال . ويكون تام القوة ، كامل البنیان .

تمثيل الإسلام في تنقل أحواله ، وتغاير أوصافه ، بولد الناقة ينتقل في أسنانه ، فيكون أول أمره جَذَعًا ، ثم ثَنِيًّا ، ثم رَبَاعِيًّا ، ثم سَدِيسًا ثُمَّ بَازِلًا ، وهي سنّ التمام ، وما بعدها إلى النقصان . ومدار المعنى على أن الإسلام بدا في غاية الصغر ، ثم انتهى إلى غاية الكبر ، على تدرّج ما بين البازل والجذع ، وأنه عليه الصلاة والسلام يخشى عليه نقيصة التمام ، وعكيسة الكمال ، كما يخشى على اليَقَنِ ^(١) بعد انحناؤه ، والبازل ^(٢) بعد انتهائه .

٣٥٧ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « إِنَّمَا هَذَا الْمَثَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ أَوْسَاخُ أَيْدِي النَّاسِ » ، وفي رواية أخرى : « غُسُلَاتُ أَيْدِي النَّاسِ » ، وذكر ابن سعد في كتاب الطبقات أنه عليه الصلاة والسلام قال للعباس بن عبد المطلب رحمه الله ، وقد سأله أن يستعمله على الصدقة : « مَا كُنْتُ لِأَسْتَعْمَلَكَ عَلَى غُسَالَةِ ذُنُوبِ النَّاسِ » ، وهذا القول مجاز ، والمراد تشبيه ما يخرج من أيديهم من صدقاتهم بالأوساخ التي يُمِيطُونَهَا عَنْ أَيْدِيهِمْ .

والتشبيه بذلك من وجهين :

(١) اليقن : الشيخ الكبير .

(٢) البازل : القوي .

ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث خمس تشبيهات بليغة ؛ حيث شبه الإسلام في أحواله المختلفة بالجل في أسنانه المختلفة ؛ وحذف وجه الشبه والأداة .

﴿أحدهما﴾ أن تكون أموال الصدقات لما كان إخراجها مطهرًا لما وراءها من سائر الأموال ، جرت مجرى المياه التي تُفسل بها الأدران ، وتزال بها الأنجاس في انتقال تلك الأدران إليها ، وحصول تلك الأدناس والأنجاس فيها .

﴿والوجه الآخر﴾ أن يكون المراد أن أموال الصدقات في الأكثر لا تكون إلا أسافل الأموال دون أخايرها ، ومفارقاتها^(١) دون كرامها . ولذلك أمر عليه الصلاة والسلام في الصدقة بالأخذ من حواشي^(٢) الأموال دون حرزاتها ، وهي خيارها ، وإنما نسب عليه الصلاة والسلام تلك الأوساخ إلى الأيدي ، لأن الأموال المعطاة في الأكثر إنما تكون بها وتمر عليها ، وقد مضى الكلام على مثل هذا المعنى فيما تقدم^(٣) .

(١) ومفارقات : معطوف على أسافل ، أى ولا تكون إلا مفارقاتها دون كرامها ، والمراد بالمفارقات التي يرضى أصحابها بمفارقتها لهم وينزلونها عن طيب خاطر ، لأنها غير عزيزة عليهم والكرام لا تهون عليهم .

(٢) حواشي الأموال : صفارها وأقلها قيمة كما سبق في حديث « خذ من حواشي أموالهم » .

(٣) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه مال الصدقة بالأوساخ ، بجامع أنها تطهر غيرها كما أن الأوساخ إذا خرجت طهرت غيرها ، واستعمل لفظ المشبه به في المشبه ، أو بجامع أنها نفايات الأموال ، كما أن الأوساخ نفايات الأجسام ، وفي أيدي مجاز مرسل علاقته السببية ؛ حيث أراد بالأيدي الأموال ؛ لأن المعنى أوساخ أموال الناس ؛ ولما كانت الأموال تملك وتعطى باليد ؛ كانت اليد سبباً للأموال .
الطاعة ، فاستعمل لفظ السبب في السبب .

٣٥٨ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في تعديد أقوام ذمهم : « وَرَجُلٌ يُنَازِعُ اللَّهَ رِدَاءَهُ ، فَإِنْ رِدَاءُهُ الْكِبْرِيَاءُ ، وَإِزَارُهُ الْعِظَمَةُ ^(١) » ، وهذا القول مجاز ، والمراد بذلك أن الكبرياء والعظمة رداؤه تعالى وإزاره اللذان يكسوهما خليقته ، ويلبسهما بريته ، ولا يقدر غيره على أن ينزع منهما ما ألبسه ، أو يلبس منهما ما نزع . والمراد بذلك العظمة والكبرياء على حقيقتهما ، دون ما يعتقده الجهال أنه عظمة وكبرياء وليس بهما ، وذلك مثل ما نشأ من تغظم الجبارين ، وتكبر المتملكين ؛ فإن ذلك ليس بتعظيم من الله سبحانه لهم ، ولا بإفاضة من ملابس كبريائه عليهم ، وإنما العظمة والكبرياء في الحقيقة هما الكرامة التي يلقبها الله سبحانه على رسله وأنبيائه ، والقائمين بالقسط من عباده ؛ فيعظمون بها في العيون ، ويَجِلُّون في الصدور والقلوب ، وإن كانت هيئاتهم ذميمة ، وظواهرهم ورقابهم خاضعة ، وبطونهم جائعة ؛ فإذا ثبت ما قلنا بأنت تسمية الكبرياء والعظمة رداء الله وإزاره ليس لأنه يكتسبهما ، ولكن لأنه يكسوهما ^(٢) ، وذلك كما يقول القائل ، وقد رأى على بعض الناس

(١) الرداء : هو الثوب الذي يستر أعلى الجسم ؛ والإزار : هو الذي يستر أسفل الجسم ؛ وكان من عادة العرب لبس ثوبين لإزار ورداء فعبّر الرسول صلى الله عليه وسلم في جانب الله بما يفهمه العرب ويعقلونه .

(٢) يريد الشريف أن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم رداء الله وإزاره ؛ الرداء والإزار اللذين يملكهما ويكسوهما الناس ؛ لا أنهما الرداء =

ثوباً أفاضه عليه عظيم من العظماء ، أو كريم من الكرماء : هذا ثوب فلان ، ولم يرد أنه ملبسه ، فأضافه إليه من حيث كسائه ، لا من حيث اكتسائه . ويجرى هذا مجرى قولنا : بيت الله ، وليس بساكنه وعرش الله ، وليس براكبه . ونظير ذلك قولهم : لَعَمْرُ اللَّهِ ما فعلت كذا ، ولَعَمْرُ اللَّهِ لقد فعلت كذا ، والعَمْرُ هو العَمَرُ ، يقال : مُعْمِرٌ وعَمْرٌ بمعنى واحد ، قال الشاعر :

بَانَ السَّبَابُ وَأَخْلَقَ الْعَمْرُ الْإِخْوَانُ تَغَيَّرَ وَاللَّهْرُ ^(١)

أراد العَمْرَ على أحد التفسيرين ، والتفسير الآخر أن يريد به واحد عُمُور ^(٢) الأسنان ، وإخلاقه تغيره من الكِبَر ، إلا أن العَمْرَ في قولهم : لَعَمْرُ اللَّهِ ، يراد به الحياة . وهذا المراد بقول القائل :

= والإزار اللذين يلبسهما الله سبحانه وتعالى ؛ ويكون معنى الحديث : ورجل ينازع الله ثوبي الكبرياء والعظمة اللذين يكسوهما من يختاره من عباده ؛ ومعنى منازعة هذا الرجل لله أنه يتكبر ويتعاطم بغير ما أراد الله : أى يتعاطم ويتكبر بالباطل لا بالحق أما الذى يحظم بحق ويتكبر بحق ؛ فهو من يلبسه الله ثوب العظمة والكبرياء بأن يكون متواضعاً لحقه مكرماً للضعيف ، موقراً للكبير معطياً للمحتاج صابراً على البلاء معتقداً أن العظمة لله والكبرياء له وحده ؛ ولا مانع عندى أن يكون المراد برداء الله وإزاره : الصفتين اللتين يتصف بهما الله تعالى كما يلبس الرجل الإزار والرداء ؛ فإن الله تعالى عظيم متكبر ؛ وهو الكبير المتعال ؛ والتعبير على المعنيين مجاز كما سنبينه .

(١) بان : ذهب وولى ؛ وأخلق : بلى وتمزق .

(٢) عُمُور الأسنان : جمع عمر : بفتح العين وضمها ، وهو اللحم الذى بين الأسنان

أو لحم اللثة .

لَعَمْرِي ، وَلَعَمْرُ أَبِي ، وَلَعَمْرُ فُلَانٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَحَيَاتِي ، وَحَيَاةَ أَبِي ، وَحَيَاةَ فُلَانٍ .

وجاء عن ابن عباس رحمة الله عليه أنه قال : من كرامات الله سبحانه لبنيينا عليه الصلاة والسلام أنه أقسم في القرآن بحياته ولم يفعل ذلك بنبي غيره ، قال تعالى : « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ كَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ » ، وكأنه سبحانه قال : وحياتك إنهم كذلك . وإذا صح ماقلناه صار القائل لعمر الله ، كأنما حلف بحياة يحيى الله بها ، لاحتياها^(١) ، لأنه سبحانه يتعالى عن أن يحيا بحياة ، أو يتكلم بأداة ، أو يفعل بآلات^(٢) .

٣٥٩ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « قَدْ تَرَكَكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ » ، وهذا القول مجاز ، والمراد بالبيضاء هاهنا محجة الدين

(١) معنى هذا أن قولك لعمر الله : لحياتك ؛ لإحياء الله لك ، أى لتعمير الله إياك وإحيائه لك .

(٢) ما فى الحديث من البلاغة :

فى الحديث استعارة تبعية ، واستعارتان تصرّحيتان . الأولى حيث شبه تكبر الشخص بالباطل بمنازعة الله رداءه على المعنيين السابقين فى معنى المنازعة ، كأنه يجذب رداء الله الذى يتصف به أو الذى يلبسه لأحد الناس . واشتق من المنازعة بمعنى الاتصاف بصفة الكبر بفسر لاذن الله ، ينازع بمعنى يتصف ، على طريق الاستعارة التبعية ، والثانية والثالثة حيث شبه الكبرياء بالرداء ، والعظمة بالإزار بجامع الالتصاق فى كل ، لأن الثوب يلتصق بالبدن والصفة تلتصق بالنفس العكائنة فى البدن واستعمل لفظ المشبه به فى المشبه .

مَدْرَجَة الطريق المستقيم ، وصفتها بالبياض : عبارة عن وضوح
 وجهها وبيان سَنَنِها ، وكل أبيض في كلامهم واضح ، يقولون : وجه
 واضح إذا كان أبيض المَحْيَا ، وجبين واضح ، وجيد واضح على
 هذا المعنى . وقوله عليه الصلاة والسلام : « ليلها كنهارها » مقول
 فسرناه من المراد بالبياض ، كأنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أن
 الليل لا يغطّي وضوح هذه الحجة بسواده ، ولا يستر أعلامها بظلامه ،
 لا محجة هناك على الحقيقة ، وإنما المراد صفة الدين ، بوضوح المعالم ،
 ببيان المراسم ^(١) ، وإزالة المداخل ، وظهور الحجج والدلائل ^(٢) .

٣٦٠ - ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَا مَلَا
 دَمِي وَغَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ . في حديث طويل » ، وهذا القول مجاز
 لما جعل عليه الصلاة والسلام البطن بمنزلة الوعاء ، لأنه قرار للطعام
 لشراب ، وما يستحيلان إليه من الفُرُوث ^(٣) والأخبث ، وكأن

(١) المراسم : الرسوم والمخطوط التي تبين الطريق .

(٢) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية وتنبية مرسل ، الأولى في قوله « البيضاء » ،
 لمراد الطريق البيضاء ، حيث شبه الملة الإسلامية بالطريق البيضاء الواضحة التي
 يضل فيها السائر ، ولا يتعثر فيها السالك . واستعمل لفظ المشبه به في المشبه ،
 لتشبيهه : هو تشبيه ليل الملة الإسلامية بنهارها في الوضوح والنور ، وذكرت
 في التشبيه ومي الكاف .

(٣) الفروث : جمع فرث بوزن كلب ، وهو الروث والغائط الذي يتكون
 فضلات الطعام بعد هضمه ، والأخبث : جمع خبث ، وهو القاذورات التي
 رج بعد الهضم .

للاكل والمشرب إِبْعَاء^(١) فيه ، وكان إِفْرَازُ الْعَدَدِ^(٢) والتبرز تفرغ له ونظير هذا الخبر الخبرُ المروى عنه عليه الصلاة والسلام ، وهو قوله : « القلوب أوعية بعضها أوعى من بعض » ، وقد تقدم الكلام عليه ، لأنه عليه الصلاة والسلام إنما جعل القلوب كالأوعية ، لأنها موضع إيداع السرائر والضمائر ، وحفظ الأدلة والعلوم ، ومستقر الآراء والعزوم^(٣) ، إلا أن القلوب : أوعية للأعراض من الإرادات والاعتقادات ، والبطون : أوعية للأجسام من المأكولات والمشروبات^(٤) .

٣٦١ — ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « الْحَجَرُ يَمِينُ اللَّهِ ، فَمَنْ شَاءَ صَافَحَهُ بِهَا » ، وهذا القول مجاز ، والمراد أن الحجر جهة من جهات القرب إلى الله ، فمن استلمه وباشره قرب من طاعته تعالى ، فكان كاللاصق بها ، والمباشر لها ، فأقام عليه الصلاة

(١) إِبْعَاء : أى وضع في الوعاء ، ومن ذلك قوله تعالى : « جمع فأوعى » وقوله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها : (لا توعى) شبه الإمساك بالوضع في الوعاء .

(٢) كانت هذه الكلمة « العدد » بالعين فزدنا لها إِفْرَازَ وأعجمنا العين حتى يكون الأسلوب مفهما المعنى المقصود .

(٣) العزوم : جمع عزم ، وهو القصد .

(٤) ماقى الحديث من البلاغة :

في الحديث استعارة تصريحية ، حيث شبه بطن الإنسان بالوعاء ، بجامع أحدهما مثلاً إذا كان فارغاً ، واستعمل لفظ الشبه به في الشبه .

السلام اليمين هاهنا مقام الطاعة التي يُتقرب بها إلى الله سبحانه على طريق المجاز والانساع ، لأن من عادة العرب إذا أراد أحدهم التقرب من صاحبه ، وفضل الأنسنة بمخالطته ، أن يصاحبه بكفّه ، ويعلق مدهُ بيده . وقد علمنا في القديم تعالى أن الدنوّ يستحيل على ذاته ، يجب أن يكون ذلك دنوّاً من طاعته ومرضاته . ولما جاء عليه الصلاة والسلام بذكر اليمين أتبعه بذكر الصفاح ، أيوفى الفصاحة حقها ، ويبلغ بالبلاغة غايتها .

ونظير هذا الخبر الحديث الآخر : « إِنَّ الصَّدَقَةَ تَقَعُ فِي يَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَبْلَ يَدِ السَّائِلِ » ، أي يتمجّل بها مده سبحانه مستحقاق مئوبته ومواقته ، وموافقة طاعته ، وأنها لا تهلك ضلالاً ، لا تذهب ضياعاً ، بل تكون كالشيء المحفوظ باليد ، والمذخور للنفد^(١) .

* * *

وهذا أخير انتهائنا إلى الفراغ من كتاب « مجازات الآثار النبوية » على ما تخلل عملنا له من قواطع الأشغال ، وبإعظ الأنقال ، وعوادي الأيام والليال . وقد خرجنا في صدر هذا الكتاب من

(١) ما في الحديث من البلاغة :

في الحديث تشبيه بليغ ، حيث شبه الحجر الأسود الذي يستلمه الناس في طواف الحج بيمين الله ، بجامع البركة في استلام كل إذا قلنا إن لله تعالى يميناً ليست كأيمنائنا كما هو رأى أهل السنة ، وإذا قلنا إن اليمين جهة قرب الله ففيها البركة أيضاً ، كما قال الشريف ، وحذف وجه الشبه والأداة .

عهدة التكفل باستيعاب جميع ماورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آثاره المملوطة ، والأخبار المنقولة ، بما شرطناه من كلامنا الذي وقع إلينا ، وقرُب من متناولنا ، دون ما بُعد عنا ، وشذ عن أيدينا . ولا يبعد أن يكون القدر الذي تكلمنا عليه قليلاً من كثير ، وقصيراً من طويل ، إلا أن عذرنا في الاختصار عليه واضح ، وجيِّبنا فيما أديناه ناصح^(١) .

ونحن نحمد الله سبحانه على ما منَّ به من التوفيق لاقتناص شوارده ، وتسهيل موارده ، وإثارة^(٢) فوائده وعوائده^(٣) ، حتى يكون للنعمة قواماً ، وإتجاجها تماماً ، ولصعبها عقلاً^(٤) وزمماً . فإن النعمة تُذَنِّقُ^(٥) على قواعد الشكر لها ، وتُرفع على دعائم المعرفة بقدرها . وما توفيقنا إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أُنِيب .

(١) يقال رجل ناصح الجيب : لا غش فيه ، ونصح بمعنى خلص ، وبظهر أن أصل المعنى وجبينا خالص ، لا شيء فيه من المحظورات .

(٢) أثار الفوائد : أظهرها بعد أن كانت راکدة ، وأفشاها بعد أن كانت خافية .

(٣) العوائد : جمع عائدة ، وهي المنفعة .

(٤) الصعب من الدواب : الشديد المراس ، الذي تصعب قيادته ، والعقال : القيد ، والزماء : اللجام .

(٥) تَنَزَّقَتْ : تعود صرّتين فاكثر .

فهرس

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
١	١٣	هذه مكة قد رمتكم بأفلاذ كبدها
٢	١٥	هذا جبل يحبنا ونحبه « في الكلام عن جبل أحد »
٣	١٧	المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ...
٤	١٩	ظهورها حرز وبطونها كنز « في شأن الخيل »
٥	٢٠	في الجنين غرة : عبد أو أمة
٦	٢١	إذا أراد الله بعبد خيراً عسله
٧	٢٣	ويل لأقاع القول ، ويل للمصريين
٨	٢٤	أخرجنا ما نهرّان « قاله عليه الصلاة والسلام للفضل
		ابن العباس وابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب »
٩	٢٦	فإن اتبعونا اتبعنا منهم عنق يقطعها الله « في شأن قريش »
١٠	٢٨	هذا كتاب من محمد رسول الله لعماثر كلب وأحلافها
		ومن ظأره الإسلام من غيرها
١١	٣٠	يا أنجشة رققاً بالقوارير
١٢	٣١	فإني أرجو ألا يطلع علينا نقابها « في شأن الطاعون »
١٣	٣٢	إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً

نص الحديث	رقم الحديث	رقم الصفحة
يمرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية . . .	١٤ ✓	٣٣
« في شأن الخوارج »		
مضر صخرة الله التي لا تكل	١٥	٣٤
بعثت في نَسَم الساعة إن كادت لتسبقني	١٦	٣٤
اليَد العليا خير من اليَد السفلى	١٧	٣٥
إن هذه الأخلاق بيد الله . . .	١٨	٣٦
تقلدها شِلوة من جهنم « في شأن من أخذ جزاء على	١٩	٣٨
إقراء القرآن »		
أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حُظٍّ من صلاة	٢٠	٣٨
ذاك رجل لا يتوسد القرآن « في شأن شريح الحضري »	٢١	٤٠
أنتم الشعار والنفاس الدثار « للأَنْصار »	٢٢	٤١
يكون قبل الدجَّال سنون خداعة	٢٣ ✓	٤٢
تجابتوا بذكر الله وروحه	٢٤	٤٣
قد أناخت بكم الشَّمُرفُ الجلون « في شأن الفتن المتوقعة »	٢٥	٤٤
الآن حمى الوطيس	٢٦	٤٥
ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر . . .	٢٧	٤٧
أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية ظهر وبطن	٢٨	٥١
الخليل معقود بنواصيها الخير	٢٩	٥٢

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
٣٠	٥٠	لا تسأل المرأة طلاق أختها لتسكتفي ما في إناثها
٣١	٥٤	تسكح المرأة ليسمها
٣٢	٥٤	الإسلام يحب ما قبله
٣٣	٥٥	وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص
		فأقلعوها بالسيوف « في وصية لأسراء جيش مؤتة »
٣٤	٥٦	أجد نفْس ربكم من قبل اليمين
٣٥	٥٧	الحتمى رائد الموت . . .
٣٦	٥٩	كيف أنتم إذا سرج الدين
٣٧	٦١	لتجبتون وتبخلون وتجهلون . .
٣٨	٦٤	لو يعلمون ما يكون في هذه الأمة من الجوع الأغبر ..
٣٩	٦٦	أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً « في شأن زوجاته
		عليه الصلاة والسلام »
٤٠	٦٨	مات حتف أنفه
٤١	٦٩	إياكم وخضراء الدمن
٤٢	٧١	الأنصار كرشى وعيبتى
٤٣	٧٣	يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة « للحكيم بن حزام »
٤٤	٧٥	الصدقة عن ظهر غنى
٤٥	٧٧	اللهم إني أحمذك على العريق الساكن والليل النائم

نص الحديث	رقم الحديث	رقم الصفحة
من أكل من هاتين البقلتين فلا يقربن مسجدنا . .	٤٦	٧٨
« يعني الكراث والثوم »		
المؤمن مرآة أخيه	٤٧	٧٩
اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقم	٤٨	٨٠
تصلّى في حلاقيم البلاد « في شأن الجمعة »	٤٩	٨٠
إني ممسك بحُجَزكم هلمّوا عن النار . .	٥٠	٨٠
أقنته في غرة الإسلام « الخطاب لحلم بن جثامة الليثي »	٥١	٨٣
ويقطع الناس في آثارهم ، حتى بقيت عَجْزُ من الناس عظيمة « في شأن قريش »	٥٢	٨٤
خِصاء أمتي الصيام	٥٣	٨٥
إن لك بيتًا ، وإنك لذو قرنيها « الخطاب لعليّ كرم الله وجهه »	٥٤	٨٦
أخاف عليكم إذا صبّت الدنيا عليكم صبّا	٥٥	٨٨
كل عين زانية	٥٦	٨٩
لا يلقى الله عبد لم يشرك بالله شيئًا . . .	٥٧	٩٠
من فعل كذا وكذا فقد احتظر من النار بحِظار	٥٨	٩١
اغتربوا لانضوا	٥٩	٩٢
خير المال عين ساهرة لعين نائمة	٦٠	٩٣

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
٦١	٩٤	كل هوى شاطن في النار
٦٢	٩٥	كيف بكم وبزمان يغربل الناس فيه . . .
٦٣	٩٦	سئل عليه الصلاة والسلام : أى الأعمال أفضل . . .
٦٤	٩٧	إن قوماً يُصَفرون الإسلام ، ثم يلفظونه . . .
٦٥	٩٧	يمين الله ملائى سحَاء . . .
٦٦	٩٨	ابنوا المساجد واتخذوها جُجَاء
٦٧	٩٩	لا يزال العبد خفيفاً معتكفاً بذنبه . . .
٦٨	١٠١	بأوا أرحامكم ولو بالسلام
٦٩	١٠٢	ذاك رجل بال في آذنه الشيطان « في شأن رجل نام
		عن الصلاة »
٧٠	١٠٣	تعرض للناس جهنم كأنها سراب . . .
٧١	١٠٣	إني لأرجو أن تموت جميعاً . . . « خطاب لرجل من
		وفد نجيب »
٧٢	١٠٤	أسكنت بأقل الأرض مطراً « في شأن المدينة »
٧٣	١٠٥	الحياء نظام الإيمان
٧٤	١٠٦	مبى هذا على ترعة من ترع الجنة
٧٥	١٠٨	إن الإسلام ليأرز إلى المدينة . . .
٧٦	١٠٩	لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت

نص الحديث

رقم الحديث
رقم الصفحة

- ٧٧ ١٠٩ إنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك ... خطاب
لعبد الله بن عمرو بن العاص «
٧٨ ١١١ لأن يمتلي جوف أحدكم قيحاً ...
٧٩ ١١١ كل صلاة لا يقرأ فيها بأم السكتاب فهي خِداج
٨٠ ١١٢ عائذ المريض على مخارف الجنة
٨١ ١١٤ لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما « خطاب
للمغيرة بن شعبه «
٨٢ ١١٥ إن من البيان لسحراً
٨٣ ١١٧ إلا أن يتغمدني منه برحة
٨٤ ١١٧ اللهم إني أسألك رحمة تلم بها شعبي
٨٥ ١١٨ أعوذ بالله من شر عرق نَعَّار
٨٦ ١١٩ من كانت الدنيا همّه وسدّ مّه
٨٧ ١٢٠ فجاءت به كله قالب لون « في صفة شاء «
٨٨ ١٢١ خير الخليل الأدم ...
٨٩ ١٢٢ قف ها هنا فعمّ علينا تهوّر الفجور « الخطاب لسراقه
ابن مالك «
٩٠ ١٢٣ وهذه الخطوط إلى جنبه الأغراض تنهشه ... « في
وصف أحوال ابن آدم «

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
٩١	١٢٤	لا يُصلّ الرجل وهو زَنَاء
٩٢	١٢٥	الحجاز قطيفة الإيمان
٩٣	١٢٥	إن هذه المسائل كدت يكذب بها الرجل وجهه
٩٤	١٢٧	لقد غلغلت النظر يا عدو الله . .
٩٥	١٢٨	وليس من ملك إلا وله حمى . . .
٩٦	١٣٠	وفت أذنك يا غلام وصدق الله حديثك « خطاب
		لزيد بن أرقم »
٩٧	١٣١	حسّان حجاز بين المؤمنين والمناقين . . .
٩٨	١٣٢	فلم يبق منهم تحت أديم السماء إلا رجل في الحرم
٩٩	١٣٣	أوثق العرى كلمة التقوى
١٠٠	١٣٤	إني على جناح سفر
١٠١	١٣٤	الناس معادن
١٠٢	١٣٥	ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع
١٠٣	١٣٦	واعلموا أن الجنة تحت البارقة « من وصية خوطب
		بها أسامة بن زيد »
١٠٤	١٣٦	لا إسلال ولا إغلal . . . « من كتاب صلح الحديبية »
١٠٥	١٣٨	هي شجرة من الله . . . « في شأن الرحم »
١٠٦	١٣٩	الولد للفراش وللعاهر الحجر

نص الحديث

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
١٠٧	١٤١	اللهم إنا نعوذ بك من وعشاء السفر
١٠٨	١٤٣	إنما يجر جر في بطنه نار جهنم « في شأن الشارب في آنية الذهب والفضة »
١٠٩	١٤٧	هي ليلة إضحيانة . . . « في وصف ليلة القدر »
١١٠	١٤٨	خذ من حواشي أموالهم . . . « خطاب للضحك ابن سفيان »
١١١✓	١٥٠	بين يدي الساعة ينطق الرّويّبة
١١٢	١٥١	وغطفان أكمة خشناء تنفي الناس عنها « من وصف لعدة قبائل »
١١٣	١٥١	يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار « في شأن امرئ القيس »
١١٤	١٥٢	ما من جرعة يتجرّعها الإنسان أعظم أجراً . . (في كظم الغيظ)
١١٥	١٥٣	فوالذي نفسي بيده ما من عبد بات في جوفه . . . « في شأن الجرجير »
١١٦	١٥٤	وهل يكبّ الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم
١١٧	١٥٥	تدور رحا الإسلام لسنة كذا
١١٨	١٥٧	من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده
١١٩	١٥٨	هود وأخواتها قصفن على الأمم

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
١٢٠	١٦٠	الرحم تتكلم بلسان طلق ...
١٢١	١٦١	لا تمشوا على أعقابكم القهقري
١٢٢	١٦١	من أتاكم وأمركم جمع ... (في شأن مُحَبِّي الشُّقَاق)
١٢٣	١٦٣	من لبس في الدنيا ثوب شهرة ...
١٢٤	١٦٣	اللهم أرِ بينهما « في شأن رجل يشكو امرأته »
١٢٥	١٦٥	فوالذي نفسي بيده لكانما يفضحونهم بالذبل « في شأن هجاء شعراء المسلمين لمشركي قريش »
١٢٦	١٦٥	أخاف أن تصف حجم عظامها « في شأن قُبْطِيَّة كساها أسامة بن زيد امرأته »
١٢٧	١٦٧	لا تَعْضِيَةٌ في ميراث إلا ما حمل القسم
١٢٨	١٦٧	ولا تسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ...
١٢٩	١٦٩	من كسب مالا من نَهَاوِش أنفقه في نَهَاير
١٣٠	١٧١	لا يباح ماؤه ولا يعقر أرعاؤه
١٣١	١٧٢	الولاء لجة كالحمة النسب ...
١٣٢	١٧٢	المؤمن موه واقع ...
١٣٣	١٧٣	من خلع يدا من طاعة اتى الله ولا حِجَّة له ...
١٣٤	١٧٤	من كانت نيته الآخرة ...
١٣٥	١٧٤	عليكم بسنتي وسنة المهديين من بعدى ...

نص الحديث	رقم الحديث	رقم الصفحة
حبك الشيء بمعنى وبصم...	١٣٦	١٧٥
تفام عيناى ولا ينام قلابى...	١٣٧	١٧٥
إياكم والمشاركة...	١٣٨	١٧٦
دب إنيكم داء الأمم من قبلكم...	١٣٩	١٧٨
قيّدوا العلم بالكتاب...	١٤٠	١٧٩
سيحرسون بعدى على الإمارة...	١٤١	١٨١
لا تغالوا بمهور النساء...	١٤٢	١٨٢
إن الله سبحانه جعل الإسلام داراً...	١٤٣	١٨٣
أنا الفذير والموت المغير	١٤٤	١٨٤
إنه لبحر... « في وصف فرس جاء سابقاً »	١٤٥	١٨٦
ألا أخبركم بأحبكم إلى...	١٤٦	١٨٧
رأيت أصر الجاهلية إلا ما حسن « في وصية لمعاذ بن	١٤٧	١٨٨
ابن جبل »		
الصوم جنة...	١٤٨	١٨٩
يا كعب بن مُجبرة : الناس غاديان ..	١٤٩	١٩١
إن من أشراط الساعة...	١٥٠	١٩٣
ولا تكلم اليوم بكلام تعتذر منه...	١٥١	١٩٤
العلم خليل المؤمن...	١٥٢	١٩٥

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
١٥٣	١٩٦	والمهاجرات شح مطاع .
١٥٤	١٩٨	الحكمة الحكيمة ضالة الحكيم
١٥٥	١٩٨	ألا إن الدنيا قد ارتحلت
١٥٦	٢٠٠	الاحتباء حيطان العرب
١٥٧	٢٠١	المجاهد من جاهد نفسه
١٥٨	٢٠٢	النساء حباثل الشيطا
١٥٩	٢٠٣	والشباب شعبة من الجنون
١٦٠	٢٠٤	ألا إن الغضب جمرة
١٦١	٢٠٤	العلم رائد والعدل سائق
١٦٢	٢٠٥	كل واعظ قبلة
١٦٣	٢٠٥	نعم وزير الإيمان العلم
١٦٤	٢٠٦	زاد المسافر الخداء
١٦٥	٢٠٧	من عدّ غدا من أجله فقد أساء صحبة الموت
١٦٦	٢٠٧	أنا مديفة العلم وعلى بابها
١٦٧	٢٠٨	لكل شيء وجه . .
١٦٨	٢٠٩	أطعموا الله يطعمكم
١٦٩	٢٠٩	العلم خزائن . .
١٧٠	٢١٠	الموت ريحانة المؤمن

نص الحديث

رقم
الحديث الصفحة

- ١٧١ ٢١٠ الدعاء سلاح المؤمن .
- ١٧٢ ٢١١ ومنهن ربيع صريع « في وصف النساء »
- ١٧٣ ٢١١ إن المسجد لينزوى من الفخامة . . .
- ١٧٤ ٢١٣ من القتل رجل قرف على نفسه من الذنوب . . .
- ١٧٥ ٢١٤ اتبعوني تكونوا بيوتاً . . .
- ١٧٦ ٢١٦ وأسألكم عن ثقلى كيف خالفتهموني فيهما « من كلاله عليه الصلاة والسلام يوم الغدير »
- ١٧٧ ٢١٩ أحسنى جوار نعم الله . . . « من خطاب لبعض زوجاته عليه الصلاة والسلام »
- ١٧٨ ٢٢١ صدقت كل رطب ويابس « في شأن مؤذن عند قوله أشهد أن لا إله إلا الله »
- ١٧٩ ٢٢١ الحسد يأكل الحسفات كما تأكل النار الحطب
- ١٨٠ ٢٢٢ فإن هذا القرآن حبل الله المتين . . .
- ١٨١ ٢٢٥ والعصر إذا كان ظل كل شيء مثله . . . « في عهد إلى بعض عمال اليمن »
- ١٨٢ ٢٢٧ مفاتيح الجنة لا إله إلا الله
- ١٨٣ ٢٢٧ وصل الظهر بعدما يتنفس الظل « من وصية لمعاذ بن جبل »
- ١٨٤ ٢٢٨ أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم . . .

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
١٨٥	٢٢٩	جبرائيل ناموس الله
١٨٦	٢٣٠	بلغنى عن فلان كلام تشذر لى عن إبعاد
١٨٧	٢٣١	الإيمان هيوب
١٨٨	٢٣٢	الاستغفار مهدمة للذنوب
١٨٩	٢٣٣	ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتفنى بالقرآن
١٩٠	٢٣٥	لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر
١٩١	٢٣٦	الصوم فى الشتاء الغنمة الباردة
١٩٢	٢٣٧	اتقوا الله فى النساء فانهن فى أيديكم عوان
١٩٣	٢٣٨	استعينوا بالله من طمع يهدى إلى طبع
١٩٤	٢٣٩	اردد على ابنك ماله . « خطاب لرجل تصرف فى مال ابنه بدون اذنه »
١٩٥	٢٤١	الخلق عيال الله
١٩٦	٢٤٢	الخمر أم الخبائث
١٩٧	٢٤٣	كل أمر ذى بال
١٩٨	٢٤٨	هدنة على دخن
١٩٩	٢٥٠	دع داعى اللبى : « خطاب لرجل حاب ناقة فاستفرغ جميع ما فى ضرعها . »
٢٠٠	٢٥١	ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن :

نص الحديث

رقم
الحديث
رقم
الصفحة

- ٢٠١ ٢٥٥ من أحيا أرضاً ميتة فهي له
- ٢٠٢ ٢٥٦ اللهم المم شعثنا
- ٢٠٣ ٢٥٧ قلدوا الخيل ولا تقلدوها الأوتار
- ٢٠٤ ٢٥٩ ضالة المؤمن حرق النار
- ٢٠٥ ٢٦٠ إن هذا الدين متين
- ٢٠٦ ٢٦١ إذا سافرت في الخصب فأعطوا الركب أسنتها
- ٢٠٧ ٢٦٥ أنا بريء من كل مسلم مع مشرك
- ٢٠٨ ٢٦٨ إن عمّ الرجل صنو أبيه
- ٢٠٩ ٢٦٩ تمسحوا بالأرض فإنها بكم برّة
- ١١٠ ٢٧١ رب تقبل توبتي واغسل عني حوبتي
- ٢١١ ٢٧٢ من سرته أن يذهب كثير من وحر صدره ...
- ٢١٢ ٢٧٤ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ...
- ٢١٣ ٢٧٧ الدين وكاء السه ..
- ٢١٤ ٢٧٨ كيف ترون قواعدها . « في السؤال عن سحابة »
- ٢١٥ ٢٨١ كلّمكم بنو آدم طفت الصاع
- ٢١٦ ٢٨٤ اللهم إنا نعوذ بك من الأبهمين
- ٢١٧ ٢٨٦ لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
٢١٨	٢٨٧	إن لنا الضاحية من البعل . « من كتاب إلى صاحب دومة »
٢١٩	٢٨٨	واستذكروا القرآن
٢٢٠	٢٩٠	أعنان الشياطين . « في شأن الإبل »
٢٢١	٢٩٢	من شر ما أعطى العبد شحّ هالـع
٢٢٢	٢٩٤	ما من أمير عشيرة إلا وهو يحىء
٢٢٣	٢٩٤	وإن ما كان لكم من دين إلى أجل . . . « من كتاب لتقيف »
٢٢٤	٢٩٦	إن للشيطان نشوقاً ولعوقاً ودرساماً
٢٢٥	٢٩٨	أغبطت على الحمى
٢٢٦	٢٩٩	خير الناس في آخر الزمان الرجل النومة
٢٢٧ ✓	٣٠٠	من خالف الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه
٢٢٨	٣٠١	تؤخرون الصلاة إلى شرق الموتى
٢٢٩	٣٠٢	لا ترفع عصاك عن أهلك
٢٣٠	٣٠٤	كيف تصنع في فتن . . . « خطاب لبعض الصحابة »
٢٣١	٣٠٥	فعند ذلك قى الأرض أفلاذ كبدها « في حديث أسراط الساعة »
٢٣٢	٣٠٦	من قال كذا وكذا غفر له . . .

رقم الحديث رقم نص الحديث

- ٢٣٣ ٣٠٧ إن القرآن شافع مشفع
- ٢٣٤ ٣٠٨ لا يكونوا مغويات لئلا الله
- ٢٣٥ ٣٠٩ إياكم والمغضات من الذنوب
- ٢٣٦ ٣١٠ إنه تشافها « في شأن من حيا رسول الله ﷺ »
- ٢٣٧ ٣١١ سيد الأيام يوم الجمعة
- ٢٣٨ ٣١٢ تزوجوا الشواب فإنهن أغر أخلاقاً
- ٢٣٩ ٣١٢ إنكم قد أخذتم في شيعين بعيدى الغور « لمن
- تذاكروا القضاء والقدر »
- ٢٤٠ ٣١٣ ثم يكون ملك عضد...
- ٢٤١ ٣١٤ الصوم جنة ما لم يخرقها
- ٢٤٢ ٣١٥ إن المسلم إذا توضأ
- ٢٤٣ ٣١٧ أرى عليه سبعة من الشيطان « في شأن رجل متهم
- في دينه »
- ٢٤٤ ٣١٨ خير الناس منزلة
- ٢٤٥ ٣١٩ أعوذ بك من شر الجوع...
- ٢٤٦ ٣٢٠ نفس عبد الديار والدرهم..
- ٢٤٧ ٣٢١ لا حرج إلا على رجل اقترض عرض أخيه بظلم...
- ٢٤٨ ٣٢٢ إن السقط ليحجر أمه إلى الجنة بسرره

نص الحديث

رقم الحديث	رقم الصفحة
٢٤٩	٢٢٣ لا يمنعكم من سحوركم الفجر حتى يستطير
٢٥٠	٣٢٤ يبلغ للعرق هناك ما يلجمهم « في وصف أهل المحشر »
٢٥١	٣٢٥ يامعشر الأنصار أوجدتم . « في تقسيم غنائم حنين »
٢٥٢	٣٢٧ تحفة المؤمن الموت
٢٥٣	٣٢٧ إن الله يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب . . .
٢٥٤	٣٢٨ المعروف والمنكر خليفتان . . .
٢٥٥	٣٣٠ أسرت بقرية تأكل القرى . . .
٢٥٦	٣٣٢ الرحم لها حُجْنة كحُجْنة المغزل
٢٥٧	٣٣٣ من قتل تحت راية عمية . . .
٢٥٨	٣٣٤ من أراد أهل المدينة يكيدهم . . .
٢٥٩	٣٣٥ سلمان ابن الإسلام . . . « في شأن سلمان الفارسي »
٢٦٠	٣٣٦ معترك ابايا بين الستين والسمعين
٢٦١	٣٣٧ لا تسبوا الإبل فإنها رِقْوُ الدِّم
٢٦٢	٣٣٨ إن ذا الوجهين خلّيق ألا يكون عهد الله وجيهاً
٢٦٣	٣٣٩ الإيمان يمان والحكمة يمانية
٢٦٤	٣٤١ ينادى مناد يوم القيامة . . .
٢٦٥	٣٤٢ الرؤيا على الرجل طائر . .
٢٦٦	٣٤٤ إن الشيطان ذئب الإنسان

رقم الحديث نص الحديث

- ٢٦٧ ٣٤٥ لينقضن الإسلام عروة عروة
- ٢٦٨ ٣٤٦ مامن آدمى إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله
- ٢٦٩ ٣٥١ يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان ..
- ٢٧٠ ٣٥٢ من سره أن يقرأ القرآن غصًا ...
- ٢٧١ ٣٥٣ لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ...
- ٢٧٢ ٣٧٤ إن من أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم
- ٢٧٣ ٣٥٦ يقرءون القرآن يحسبون أنه لم . « في صفة الخوارج »
- ٢٧٤ ٣٦٨ والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة « لمخاطبين من أهله عليه الصلاة والسلام »
- ٢٧٥ ٣٦٨ الإيمان قيد الفتك
- ٢٧٦ ٣٦٨ الصبر عند الصدمة الأولى
- ٢٧٧ ٣٦٨ والذي نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه
- ٢٧٨ ٣٦٩ إن الله سبحانه لم يحرم حرمة ..
- ٢٧٩ ٣٦٠ نهام علماءهم عن المعاصي . « في شأن بني إسرائيل »
- ٢٨٠ ٣٦١ الأيدي ثلاث : فيد الله العليا ...
- ٢٨١ ٣٦٣ ليلة الجمعة غراء ويومها أزهر
- ٢٨٢ ٣٦٤ ألا إن عمل الجنة حزن بربوة ...
- ٢٨٣ ٣٦٦ شفاء العي السؤال

رقم الحديث	رقم	نص الحديث
٢٨٤	٣٦٧	احفظ الله يحفظك « في نصيحة لعبد الله بن عباس »
٢٨٥	٣٦٧	العين حق تستنزل الحاق
٢٨٦	٣٦٩	الإسلام ذلول
٢٨٧	٣٧١	من تقرب إلى الله شبراً
٢٨٨	٣٧٢	مأللشيطان من سلاح أبلغ في الصالحين من النساء
٢٨٩	٣٧٣	مالك ولها . « في شأن ضالة الإبل »
٢٩٠	٣٧٤	فإذا طلع حاجب الشمس فلا تصلّوا . .
٢٩١	٣٧٥	للمؤمن يأكل في معاء واحد
٢٩٢	٣٧٧	جيئوا بكبش أقرن . . .
٢٩٣	٣٧٨	ليست هذه بالحیضة . . « في شأن امرأة استحيضت »
٢٩٤	٣٨٠	إن الله ليربّي لأحدكم النمرة . . .
٢٩٥	٣٨٠	من عاد مريضاً لم يزل يخوض الرحمة . . .
٢٩٦	٣٨١	لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم . . .
٢٩٧	٣٨٢	أعطوا الطرق حقها
٢٩٨	٣٨٣	المجالس ثلاثة : سالم وغانم وشاجب
٢٩٩	٣٨٣	إن إبراهيم ابني مات في الندى
٣٠٠	٣٨٤	إذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة
٣٠١	٣٨٥	وسمّاني على الناس زمان « في ذم الناس »

رقم الحديث	رقم الصفحة	نص الحديث
٣٠٢	٣٨٦	ونهيكم عن الشرب في الأوعية
٣٠٣	٣٨٧	حَفَّتِ الجنة بالمكاره
٣٠٤	٣٨٨	لا ، حتى يكون الآخر قد ذاق من عُسيلتها « في شأن المطلقة ثلاثاً »
٣٠٥	٣٨٩	لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره . . .
٣٠٦	٣٩٠	إنه ليغان على قلبي
٣٠٧	٣٩٠	القلوب أوعية
٣٠٨	٣٩١	ما يخرج رجل شيئاً من الصدقة
٣٠٩	٣٩٢	يد الله مع القاضى حين يقضى
٣١٠	٣٩٣	ألقه على بلال « في شأن الأذان »
٣١١	٣٩٤	من قال حين يصبح
٣١٢	٣٩٦	اللهم إني أول من أحيا أمرك
٣١٣	٣٩٧	كل ذلك لم يكن . « في شأن السجدة التي أطالها عليه الصلاة والسلام »
٣١٤	٣٩٨	لن تبرحوا مبتليين . « من كلام لبعض الصحابة »
٣١٥	٣٩٩	لأنعادوا الأيام فتعاديكم
٣١٦	٤٠٠	لقد تحجرت واسعاً « في شأن أعرابي دعا لنفسه ولابني فقط »
٣١٧	٤٠١	من أبطأ به عمله

نص الحديث	رقم الحديث	الصفحة
رحم الله خيراً ...	٤٠٢	٣١٨
أكثرُوا ذكر هادم اللذات	٤٠٣	٣١٩
خشب بالليل جدر بالنهار . « في شأن قوم منافقين »	٤٠٤	٣٢٠
إن المؤمن إذا أذنب ...	٤٠٤	٣٢١
ولا يشرب أحدكم الحدود ...	٤٠٥	٣٢٢
هم دعاميص الجنة . « في شأن أطفال المسلمين »	٤٠٦	٣٢٣
إذا أضيعت الأمانة ..	٤٠٦	٣٢٤
خمس ليس لمن كفارة	٤٠٧	٣٢٥
إذا دخل البصر فلا إذن	٤٠٩	٣٢٦
الجرس مزمار الشيطان	٤٠٩	٣٢٦
إن المؤمن ليُقضَى شيطانه	٤١٠	٣٢٨
لا تقوم الساعة ...	٤١١	٣٢٩
إن المساجد أوتاداً	٤١٢	٣٣٠
ورجل تصدق ...	٤١٣	٣٣١
فما بعث الله عبداً إلا في ذروة من قومه	٤١٣	٣٣٢
لكل شيء سنام ...	٤١٤	٣٣٣
أيها الناس ما يحملكم على أن تتنايعوا ..	٤١٥	٣٣٤
تلك ضراوة الإسلام « في شأن المجتهدين في العبادة »	٤١٧	٣٣٥

نص الحديث	رقم الحديث	رقم الصفحة
لعن الله الذين يشققون الكلام . . .	٣٣٦	٤١٨
ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل	٣٣٧	٤١٩
ألا أخبرك برأس الأمر . . . » في حديث مع معا	٣٣٨	٤٢١
ابن جبل . . .		
حجوا قبل ألا تحجوا . . .	٣٣٩	٤٢٢
الحى كبير جهنم . . .	٣٤٠	٤٢٢
اللهم إن فلان بن فلان . . . » من دعاء له عليه	٣٤١	٤٢٤
للصلاة والسلام		
ثم تعودون فيها أساود . . . » في شأن الفتن	٣٤٢	٤٢٥
كلكم يدخل الجنة . . .	٣٤٣	٤٢٥
انفضى وانفضى . . . » من وصية لأسماء بنت أبي بكر	٣٤٤	٤٢٦
إن قريشاً أهل صدق وأمانة . .	٣٤٥	٤٢٧
المسلمان إذا حمل كل منهما على صاحبه . . .	٣٤٦	٤٢٨
إن بعيرك يشكوك . . . » من خطاب لصاحب بعير	٣٤٧	٤٢٩
أما السن فعظم » في النهى عن الذبح بالسن والظفر	٣٤٨	٤٣٠
كفى بالسلامة داء	٣٤٩	٤٣٠
ولا صلاة بعدها حتى يرى الشاهد » في شأن صلاة	٣٥٠	٤٣٢
المعصر		

نص الحديث	رقسم الصفحة	رقسم الحديث
وأى داء أدوى من البخل	٤٣٣	٣٥١
إذا ملأ الليل بطن كل واد « في شأن صلاة العشاء »	٤٣٤	٣٥٢
اللهم مطفى الكبير ... في شأن بثرة طلعت بين أصابعه	٤٣٥	٣٥٣
عليه الصلاة والسلام «		
من قعد في مصلاه	٤٣٥	٣٥٤
لا تتخذوها كرامى لأحاديثكم ...	٤٣٧	٣٥٥
إن الإسلام بدأ جذعاً ...	٤٣٧	٣٥٦
إنما هذا المال من الصدقة	٤٣٨	٣٥٧
ورجل يفازع الله رداءه .. « في ذم الكبر »	٤٤٠	٣٥٨
وقد تركتكم على البيضاء ...	٤٤٢	٣٥٩
ماملاً آدمى وعاء شراً من بطنه	٤٤٣	٣٦٠
الحجر يمين الله ...	٤٤٤	٣٦١

(تم بحمد الله)

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير



هاتف: ٨٢٠٩٤٢ - بيروت - لبنان